الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال الملتقى الوطني:

# ازدهار اللغة العربية
# - الآليات والتحدّيات -

المكتبة الوطنية الجزائرية- الحامة ، يومي 19و20 أفريل 2017.

منشورات المجلس 2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



المجلس الأعلى للغة العربية



أعمال الملتقى الوطني:

# إزدهار اللغة العربية

## - الآليات والتحديات -

المكتبة الوطنية الجزائرية – الحامة،
يومي 19 و 20 أفريل 2017

منشورات المجلس 2017

كـتاب: ازدهار اللغة العربية : الآليات والتحديات

- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 640

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2017
ردمك: 7- 00 -978-9931-681

شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الناسوخ :021.23.07.07

# برنامج عمل الندوة
## يصلح ليكون معلما لفهرس الكتاب

**الملتقى الوطني حول:**

**ازدهار العربية: الآليات والتحدّيات**

**19 – 20 أفريل 2017**

**المكتبة الوطنية، الحامّة– الجزائر**

**ـ الجلسة الافتتاحية: أ. د. وحيد بن بوعزيز ج. الجزائر 2.**

- **النشيد الوطني؛**
- **كلمة رئيس اللجنة العلمية؛**
- **كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية؛**
- **تكريمات؛**
- **استراحة.**

**برنامج اليوم الأول: 19 أفريل 2017**

**رئيس الجلسة العلمية الأولى: أ.د. عبد الله العشي ج. باتنة.**

**من الساعة 10 و30 إلى 12**

| الرقم | المحاضر | عنوان المحاضرة | المؤسّسة |
|---|---|---|---|
| 1 | **أ. د. عبد الجليل مرتاض** | ازدهار العربية بين لسانيات التراث وعلم اللغة الحديث. | **ج. تلمسان** |
| 2 | **أ. د. نسيبة العرفي** | المصطلح العربي وإشكالية التّرجمة والتّعريب بين الماضي والحاضر. | **ج. الجزائر 2** |
| 3 | **أ. د. حسنية عزاز** | ازدهار اللغة العربية – تجربة الأندلس-. | **ج. سيدي بلعباس** |
| 4 | **أ. ويزة أعراب** | النّحو العربي وازدهار اللّغة العربيّة. | **مجمع اللغة العربية** |
| **مناقشـــــــــة** | | | |

**الجلسة العلمية الثانية: رئيس الجلسة أ. د. أحمد عزوز ج. وهران**

| الرقم | المحاضر | عنوان المحاضرة | المؤسّسة |
|---|---|---|---|
| 1 | **د. محمد بغداد** | استعمال اللغة العربية في وسائط التواصل الاجتماعية. | **ج. المدية** |
| 2 | **أ. د. عمارية حاكم** | دور الإعلام في ازدهار اللغة العربية. | **ج. سعيدة** |
| 3 | **د. جميلة روقاب** | اللغة العربية في عيون الشابكة- بين الاستعمال والإهمال-. | **ج. الشلف** |
| 4 | **د. عمر بورنان** | دور الإعلام في دفع اللغة العربية نحو التطور والازدهار. | **ج. البويرة** |
| 5 | **أ. إيمان جربوعة** | أزمة العربية في دهاليز مواقع التواصل الاجتماعي. | **ج. قسنطينة** |
| **مناقشـــــــــة** | | | |

## اليوم الثاني: الورشة: 20 أفريل 2017

## من الساعة 9 إلى 14

**الجلسة العلمية الثالثة: رئيس الجلسة أ.د. عبد الجليل مرتاض ج. تلمسان**

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1 | **أ.صحرة دحمان** | تكوين المعلمين ضرورة ملحة نحو مستقبل زاهر للعربية. | **ج. الجزائر2** |
| 2 | **د. يوسف مقران** | اللّغة العربيّة ووجاهتها في آلية تبسيط المعرفة وتعميمها. | **ج. تيبازا** |
| 3 | **د.حسين شلوف** | آليات ازدهار العربية وتحدياتها في الميدان التربوي. | **ج. قسنطينة** |
| 4 | **د.حاجي الصديق** | أهمية التعليم في ازدهار اللغة العربية. | **ج. قسنطينة** |
| 5 | **د.يوسف وغليسي** | تجديد اللغة العربية في كتاب "نظرية اللغة العربية". | **ج. قسنطينة** |
| **مناقشة** | | | |

## من الساعة 10.00 إلى الساعة 12.00 بالصالون.

**- رئيسة الورشة: د.انشراح سعدي**

**- مقرّر الورشة: د. نزيهة زاوي**

**- أعضاء الورشة:**

**1- أ. شميسة الخلوي 2- أ. حاج بنيرد 3- أ. محمد عبد القادر بوزياني**

**4- أ. وريدة قرج 5- أ.خالد سوماني 6- أ. عز الدين العناني**

**7- أ.يوسف يحياوي.**

**لجنة التوصيات:**

**1- د.يوسف وغليسي 2-أ. محمد حاج هني 3- أ.جميلة روقاب.**

**الجلسة الختامية: رئيسة الجلسة د. حياة أم السعد ج. الجزائر 2.**

**الساعة: 13.00 إلى 17.00**

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1 | **أ.محمد حاج هني** | المكانز وأهميتها في ترقية الحصيلة اللغوية للمتعلمين- من التنظير إلى التطبيق. | **ج. الشلف** |
| 2 | **أ.د أحمد عزوز** | شروط ازدهار اللغة العربية في المحيط. | **ج. وهران** |
| 3 | **تقرير الورشة** | **د. نزيهة زاوي** | **ج. الجزائر** |
| 4 | **التوصيات** | **أ. محمد حاج هني** | **ج. الشلف** |
| 5 | **كلمة ختامية** | **رئيس المجلس أ. د. صالح بلعيد** | **المجلس** |

## فهرس الموضوعات

# كلمة رئيس اللجنة العلمية

**أ.د وحيد بن بوعزيز**

**( جامعة الجزائر 2)**

تدخل اللّغة في بنية كثير من المعارف، وتؤسّس للكثير من الأفكار، وتوجّه كثيراً من النظريات، وتُسهم في تحديد الكثير من الهُويات؛ فالمعارف الحديثة نشأت في ظلّها وبالموازاة معها علوم ذات طبيعة لغوية، ففي علم الاجتماع نجد علم الاجتماع اللغوي، وفي علم النفس نجد علم النفس اللغوي، وفي الأنثروبولوجيا نجد الأنثروبولوجيا اللغوية، وفي الفلسفة نجد فلسفة اللّغة والفلسفة التحليلية والتداولية، وفي الفقه نجد اهتماماً بعلم اللّغة ودلالاتها ومقاصدها كما عرضت في أصول الفقه، وفي علم الحاسوب نجد اللسانيات الحاسوبية، وفي الاقتصاد نجد الاحصاء اللغوي، وفي الفيزياء نجد علم الأصوات اللغوية، وفي الطبّ أمراض الكلام حتى إنّ اللّغة لتبدو لصيقة بكلّ ما ينجزه الإنسان مادياً أو معنوياً؛ بحيث إنها تنشأ جنب كلّ علم معرفة ذات طبيعة لغوية.

وهذا يعني أنّ اللّغة ليست، - بحكم علاقتها المتينة بالإنسان ومعارفه- مجرّد أداة تقنية ولا معطى واصفاً وعابراً، وليست مهمّتها التعبير الفردي أو التواصل الاجتماعي فقط، ويمكن استبدالها بغيرها، بل هي أمّ الظواهر الإنسانية جميعا، إنّها مقوم هوياتي يحدّد كينونة الإنسان والمجتمع ويوجّه رؤيتهما إلى العالم، ويضمن مسيرتهما عبر التاريخ، ويرسم اتّجاههما نحو

المستقبل، ويحفظ خصوصيتهما في الصراعات الكونية الحضارية، ويؤمن نسبهما التاريخي وانتماءهما العرقي.

اللّغة بهذا المعنى، رديف الفكر وصنو المعرفة وتوأم الإيديولوجيا ورفيقة السلطة، إنّها بنظامها الرمزي، سلطة أو إنّها تمارس السلطة ذاتها التي تمارسها الإيديولوجيا والمعرفة والسياسة والدين وغيرها، من أجل ذلك تمّ تقديسها في كلّ الثقافات، واعتبرت لغة أهل الفردوس لدى كثير من الأمم، واستعملت أيقونة للسحر، وحجّة للعقل، ومفتاحاً للمعرفة ووسيلة للحرب والسلم، وبالإجمال واسطة للحياة لا تتمّ إلا بها. وهذا المعنى يكاد يمحى بتأثير العقلية الأداتية، وسطوة المؤثرات العولمية والاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية، التي وضعت خصوصيات الأمم بين قوسين، ورتبت الهويات في أسفل المكونات الحضارية للمجتمعات، وأفرغت اللّغة من مضمونها الفكري ومحتواها الحضاري، وكأنّها كائن بلا سياق تاريخي ولا مجال تداولي ولا ذاكرة دينية ولا وعي جماعي.

إنّ اللّغة تنشأ، أصلاً في ظلّ هوية ما، وتظلّ تستمدّ منها، كما تظلّ تمدّ منها إلى ما بعدها، ومن ثم، فهي أكبر من وسيلة تعبيرية وأرقى من مقوّم تواصلي، بل وأكثر من أن تكون مجرّد حامل للفكر فقط. هذا دون أن نتجاهل وظيفتها الأداتية. لكنّنا نحذر من النظر إليها بوصفها أداة لا غير. إنّ إهمال بعد اللّغة الآخر، أي اللّغة بوصفها موضوعاً وعقلاً ووعيا وهوية وكينونه ووجوداً، لا يقلّ عن إهمال أبعاد الكينونة الأخرى: الزمان والمكان والدين والجنس والايدولوجيا.

ومن أجل هذا لا يمكن أن تتحدّد هوية فكر ما، ما لم يعلن الانتساب إلى لغة ما، وسيكون من الصعب أن نتحدّث عن فكر عربي بلغة غير عربية،

وقد شعر الدارسون بارتباك كبير أمام تلك الآداب التي كتبت بلغات غير لغات كتابها الأصلية، ورغم الحلول (المتسامحة) التي اعتبرت تلك الآداب آداباً عربية مثلاً، إذا تعلق الأمر بكتاب عرب، فإنّ السؤال ما يزال معلّقا وفي حاجة إلى إجابات غير تلك التي طرحت، وقد يكون الجواب مرتبطاً بإنشاء حالة ثالثة يصنف فيها هذا الأدب، لا يكون فيها عربياً ولا أجنبياً، لأنّه واقعيا ليس لا هذا ولا ذاك. وسيكون الأمر أكثر صعوبة لو تجاوزنا الأدب إلى أشكال المعارف الأخرى.

إنّ المقاربة الفكرية والمعرفية للغة تساعد على تخليص اللّغة من المتاعب التي حملتها إياها سياقات أخرى سياسية وايديولوجية، كما أنّ كثيراً من مشكلات اللّغة مثل العامية والفصحي، والصراع اللغوي، واللّغة والترجمة، واللهجات، ومقارنة اللغات، وغيرها قد تجد في المعالجة الفكرية بعض الحلول الموضوعية، دون إهمالها أو تقديم حلول اعتباطية غير موضوعية ولا علمية لها.

ونخلص إلى أنّ للغة بُعدين: بعد تقني، وبعدي فكري، ولا ينبغي أن تحصر هوية اللّغة في بُعدها التقني المتغير رغم أهميّة هذا البُعد، بل ثمّة ضرورة مؤكّدة للاهتمام بالبُعد الفكري الذي هو اهتمام ببعد من أبعاد الإنسان والمجتمع. بمعنى آخر ثمّة ضرورة معرفية ومنهجية للانتقال من النحو إلى الدلالة، ومن اللسانيات إلى فلسفة اللّغة، من أجل الدفع باللّغة إلى غمار الأسئلة الكبرى، والإجابات الكبرى التي تساعدنا في أن نخفّف على اللّغة بعض أعبائها التي أثقلت جدواها، وحدت فعاليتها.

وهكذا يمرّ العالم بتحوّلات عنيفة في مجال الثقافة والهوية واللغات، فلم يعد المختصّون في مجال الدراسات الثقافية يتحدّثون عن الثقافة والهوية في

علاقتهما باللّغة بصيغة المفرد، بل بصيغة الجمع. وتعدّ هذه المرحلة المعولمة التي نمرّ بها إحدى الأسباب المباشرة التي جعلت العالم متداخلاً ثقافياً حيث تكاد تنمحي الحدود بين الهويات، فالعالم بسبب تطوّر وسائل التواصل (الميديا) تقلّصت فيه المسافات الهوياتية، وستتحدث الآن أو بعد زمن في المستقبل عن الهجنة لأنّنا أمام حتمية تاريخية؛ حيث يرى الكثير من المتابعين أنّ هذه الظاهرة - التي تنتفي فيها المسافات بين الهويات والثقافات- صحيّة وتخدم الإنسانية، مادامت المعلومة لم تعد حكراً على قومية ما أو طبقة ما أو تجمهر ما، ومادامت الثقافة تجاوزت ذلك المفهوم الذي يغلقها في سياج وثوقي، فالعولمة كسّرت الحدود بين الهويات وصنعت ميادين جديدة للتثاقف وعبر الثقافي والتعدّد الثقافي.

ولكن، رغم المآلات الإيجابية التي تطال هذه التحوّلات في ميداني الثقاف(ات) والهوي (ات) إلا أنّ هنالك جانباً سلبياً في هذه النوازل يدعونا إلى إعادة التفكير ومعالجة المسألة من منظور مغاير ومختلف. وإن ظاهرة تفتّح الثقافات والهويات على بعضها البعض في هذا الزمن المعولم مرهونة بالقطبية الأمريكية الأحادية التي لم تُخفِ إرادتها في تنميط العالم وفق ثقافة واحدة ووفق هوية واحدة. لهذا فاستراتيجيات معالجة التعدد الثقافي والتثاقف تسير الآن في طريق واحد يخدم الثقافة التي تروم تسييس العالم وفق منظورها الخاصّ. وفي ظل هذا التجاذب الحضاري توجَّب علينا إعادة التفكير في استراتيجيات مقاومة موضوعية وواقعية بعيدة عن المزايدات الشوفينية والنظرة التقليدية في معالجة قضية اللّغة في علاقتها بالثقافة والهُوية.

وضمن هذا المسعى اللغوي الجديد، يندرج ملتقانا هذا الموسوم (ازدهار اللّغة العربية: الآليات والتحديات) الذي تتحدّد محاوره في النقاط التالية:

1ـ **المحور الأول**: آليات ازدهار اللغة العربية وتحدياتها في الميدان الإداري.

2ـ **المحور الثاني**: آليات ازدهار اللغة العربية وتحدياتها في الميدان التربوي.

3ـ **المحور الثالث**: آليات ازدهار اللغة العربية وتحدياتها في الميدان الأدبي والثقافي.

4ـ **المحور الرابع**: آليات ازدهار اللغة العربية وتحدياتها في الميدان الإعلامي.

5ـ **المحور الخامس**: آليات ازدهار اللغة العربية وتحدياتها في الميدان العلمي.

وفي هذه المحاور نروم أن تأتي مقاربات المحاضرين، لتمسّ الجوانب العلمية ذات العلاقة بإيجاد عوامل الازدهار وفق ما تقتضيه الضرورة المعاصرة التي تروم البحث عن صيغة إجرائية جديدة يراد منها استكناه الهنات، وتقديم الحلول المطلوبة. وهذا أمل المجلس الأعلى للغة العربية الذي يسعى دائماً إلى تقديم خريطة طريق واضحة في مسألة ازدهار العربية وفق منظور (اللّغة ملك للمستعمل) ولكن يجب الحذر من هذا القول؛ بحيث اللّغة وضع، فكان على فقهاء اللّغة إيجاد صيغ لغوية جديدة في مسألة الوضع، ولا يكون الالتجاء إلى التسامح اللغوي إلاّ إذا تعارض الوضع مع الاستعمال، وعند ذلك تكون الأولية للاستعمال حالة ما لم يحصل الخرق اللغوي، أو لا يؤدّي إلى الهجنة اللغوية.

ومع كلّ ما يمكن ان يقال، فإنّ الهيأة العلمية للملتقى وضعت أفكار، أو قدّمت اقتراحات حول ما يلي:

-إنّ التداخل الثقافي والهوياتي حقيقتان في هذا الزمن لا يمكن تجاهلهما أو غضّ الطرف عنهما، لهذا لا بدّ من التفكير في منظومة فكرية تختلف مع ما هو سائد تحت غطاء ما بعد حداثي.

-لا يوجد مبدأ فعال لمعالجة قضية الهجنة الثقافية وفق المنظور الأمريكي مثل مبدأ التفاوض. وإنّ هذا المفهوم أصبح سائداً في كلّ البلدان التي تروم بجدية تجاوز النظرة القطبية السائدة، لهذا، على غرار ما جاء في (**دراسات التابع**) يجب بلورة مجالات للتفاوض تخلق أرضية مشتركة تكون فيها التنازلات عارضة والاستحقاقات جوهرية.

- لكي يتسنّى لنا العمل بمبدأ التفاوض الثقافي والهوياتي لا بدّ من تجاوز بعض الأفكار المنمّطة حول اللّغة العربية وتغيير نظرتنا التقليدية لهذه اللّغة، فالتجاوز منوط بمجال التمثّلات الذي يعدّ خصباً في ميدان أسئلتنا وتغيير النظرة التقليدية مرتبط بمجال الأيديولوجيا.

- ... وهكذا يمكننا التفكير في مرتكزات المناعة الثقافية، فاللّغة العربية كغيرها من اللغات تعاني من هجوم قويّ يُطال أبنيتها وأشكالها، ولكن لا ننسى بأنّ اللّغة العربية لها عبقريتها في الاحتواء والممانعة والمقاومة. في هذا المجال تنقصنا أفكار كثيرة لهذا لا بدّ من إعداد ندوات للتفكير في عبقرية الممانعة في هذه اللّغة التي استطاعت أن تثبت نفسها على مرّ العصور وكرّ الدهور.

**كلمة رئيس اللجنة العلمية**

**أ.د وحيد بن بوعزيز**
**( جامعة الجزائر 2)**

## مقدمة لجنة التحرير:

تدخل اللغة في بنية كثير من المعارف، وتؤسس للكثير من الأفكار، وتوجه كثيرا من النظريات، وتسهم في تحديد الكثير من الهويات؛ فالمعارف الحديثة نشأ في ظلها وبالموازاة معها علوم ذات طبيعة لغوية، ففي علم الاجتماع نجد علم الاجتماع اللغوي، وفي علم النفس نجد علم النفس اللغوي، وفي الانتربولوجيا نجد الانتربولوجيا اللغوية، وفي الفلسفة نجد فلسفة اللغة والفلسفة التحليلية والتداولية، وفي الفقة نجد اهتماما بعلم اللغة ودلالاتها ومقاصدها كما عرضت في اصول الفقه، وفي علم الحاسوب نجد اللسانيات الحاسوبية، وفي الاقتصاد نجد الاحصاء اللغوي، وفي الفيزياء نجد علم الاصوات اللغوية، وفي الطب أمراض الكلام ،، حتى إن اللغة لتبدو لصيقة بكل ما ينجزه الانسان ماديا أو معنويا. بحيث تنشأ جنب كل علم معرفة ذات طبيعة لغوية.

وهذا يعني أن اللغة ليست، بحكم علاقتها المتينة بالانسان ومعارفه، مجرد أداة تقنية، ولا معطى واصفا وعابرا، وليست مهمتها التعبير الفردي أوالتواصل الاجتماعي فقط ويمكن استبدالها بغيرها، بل هي أم الظواهر الانسانية جميعا، إنها مقوم هوياتي يحدد كينونه الانسان والمجتمع ويوجه رؤيتهما إلى العالم، ويضمن مسيرتهما عبر التاريخ، ويرسم اتجاههما نحو المستقبل، ويحفظ خصوصيتهما في الصراعات الكونية الحضارية. ويؤمن نسبهما التاريخي وانتماءهما العرقي.

اللغة بهذا المعنى، رديف الفكر وصنو المعرفة وتوأم الإيديولوجيا ورفيقة السلطة، إنها بنظامها الرمزي، سلطة أو إنها تمارس السلطة ذاتها التي تمارسها

الايديولوجيا والمعرفة والسياسة  والدين وغيرها، من أجل ذلك تم تقديسها في كل الثقافات، واعتبرت لغة أهل الفردوس لدى كثير من الأمم. واستعملت أيقونة للسحر، وحجة للعقل ، ومفتاحا للمعرفة، ووسيلة للحرب والسلم، و بالاجمال واسطة للحياه لا تتم إلا بها.

هذا المعنى يكاد يمحى بتأثير العقلية الأداتية، وسطوة المؤثرات العولمية، الاقتصادية والتكنولوجية والاعلامية، التي وضعت خصوصيات الامم بين قوسين، ورتبت الهويات في اسفل المكونات الحضارية للمجتمعات، وافرغت اللغة من مضمونها الفكري ومحتواها الحضاري، وكأنها كائن بلا سياق تاريخي ولا مجال تداولي ولا ذاكرة دينية ولا وعي جماعي.

اللغة تنشأ، أصلا، في ظل هوية ما، وتظل تستمد منها، كما تظل تمد منها الى ما بعدها، ومن ثم، فهي أكبر من وسيلة تعبيرية وأرقى من مقوم تواصلي ، بل وأكثر من أن تكون مجرد حامل للفكر فقط.  هذا دون أن نتجاهل وظيفتها الأداتية.  لكننا نحذر من النظر إليها بوصفها أداة لا غير، إن إهمال بعد اللغة الآخر، أي اللغة بوصفها موضوعا وعقلا ووعيا وهوية وكينونه ووجودا، لا يقل عن إهمال أبعاد الكينونة الأخرى: الزمان والمكان والدين والجنس والايدولوجيا .

من أجل هذا لا يمكن أن تتحدد هوية فكرما، ما لم يعلن الانتساب إلى لغة ما، سيكون من الصعب أن نتحدث عن فكر عربي بلغة غير عربية، وقد شعر الدارسون بارتباك كبير أمام تلك الآداب التي كتبت بلغات غير لغات كتابها الأصلية ، ورغم الحلول "المتسامحة" التي اعتبرت تلك الآداب آدابا عربية مثلا، إذا تعلق الامر بكتاب عرب، فإن السؤال مايزال معلقا وفي حاجة إلى

إجابات غير تلك التي طرحت، وقد يكون الجواب مرتبطا بإنشاء حالة ثالثة يصنف فيها هذا الأدب ، لا يكون فيها عربيا ولا أجنبيا ، لأنه واقعيا ليس لا هذا ولا ذاك. وسيكون الأمر أكثر صعوبة لو تجاوزنا الأدب إلى أشكال المعرف الأخرى.

المقاربة الفكرية والمعرفية للغة تساعد على تخليص اللغة من المتاعب التي حملتها إياها سياقات أخرى سياسية وايديولوجية ، إن كثيرا من مشكلات اللغة مثل العامية والفصحي، والصراغ اللغوي ، واللغة والترجمة، واللهجات، ومقارنة اللغات، وغيرها قد تجد في المعالجة الفكرية بعض الحلول الموضوعية، دون اهمالها أو تقديم حلول اعتباطية غير موضوعية ولا علمية لها.

نخلص إلى أن للغة بعدين ، بعدا تقنيا وبعدا فكريا، ولا ينبغي أن تحصر هوية اللغة في بعدها التقني المتغير رغم أهمية هذا البعد، بل ثمة ضرورة مؤكدة للاهتمام بالبعد الفكري الذي هو اهتمام ببعد من ابعاد الانسان والمجتمع. بمعنى أخر ثمة ضرورة معرفية ومنهجية للانتقال من النحو الى الدلالة، ومن اللسانيات إلى فلسفة اللغة، من أجل الدفع باللغة إلى غمار الاسئلة الكبرى، والاجابات الكبرى التي تساعدنا في أن نخفف على اللغة بعض أعبائها التي اثقلت جدواها، وحدت فعاليتها.

يمر العالم بتحولات عنيفة في مجال الثقافة والهوية واللغات، فلم يعد المختصون في مجال الدراسات الثقافية يتحدثون عن الثقافة والهوية في علاقتهما باللغة بصيغة المفرد بل بصيغة الجمع.

تعد هذه المرحلة المعولمة التي نمر بها إحدى الأسباب المباشرة التي جعلت العالم متداخلا ثقافيا حيث تكاد تنمحي الحدود بين الهويات، فالعالم، بسبب تطور وسائل التواصل (الميديا)، تقلصت فيه المسافات الهوياتية وسنتحدث الآن أو بعد زمن في المستقبل عن الهجنة لأننا أمام حتمية تاريخية.

يرى الكثير من المتابعين بأن هذه الظاهرة التي تنتفي فيها المسافات بين الهويات والثقافات صحية وتخدم الإنسانية، مادامت المعلومة لم تعد حكرا على قومية ما أو طبقة ما أو تجمهر ما ومادامت الثقافة تجاوزت ذلك المفهوم الذي يغلقها في سياج وثوقي، فالعولمة كسرت الحدود بين الهويات وصنعت ميادين جديدة للتثاقف وعبر الثقافي والتعدد الثقافي.

**ولكن** !!

رغم المآلات الإيجابية التي تطال هذه التحولات في ميداني الثقاف(ات) والهوي(ات) إلا أن هنالك جانبا سلبيا في هذه النوازل يدعونا إلى إعادة التفكير ومعالجة المسألة من منظور مغاير ومختلف.

إن ظاهرة تفتح الثقافات والهويات على بعضها البعض في هذا الزمن المعولم مرهونة بالقطبية الأمريكية الأحادية التي لم تخف إرادتها في تنميط العالم وفق ثقافة واحدة ووفق هوية واحدة. لهذا فاستراتيجيات معالجة التعدد الثقافي والتثاقف تسير الآن في طريق واحد يخدم الثقافة التي تروم تسييس العالم وفق منظورها الخاص.

في ظل هذا التجاذب الحضاري توجب علينا إعادة التفكير في استراتيجيات مقاومة موضوعية وواقعية، بعيدة عن المزايدات الشوفينية والنظرة التقليدية في معالجة قضية اللغة في علاقتها بالثقافة والهوية.

هذه بعض الاقتراحات لمناقشة هذا الموضوع:

- إن التداخل الثقافي والهوياتي حقيقتان في هذا الزمن لا يمكن تجاهلهما أو غض الطرف عنهما، لهذا لا بد من التفكير في منظومة فكرية تختلف مع ماهو سائد تحت غطاء مابعد حداثي.

- لا يوجد مبدأ فعال لمعالجة قضية الهجنة الثقافية وفق المنظور الأمريكي مثل مبدإ التفاوض. إن هذا المفهوم أصبح سائدا في كل البلدان التي تروم بجدية تجاوز النظرة القطبية السائدة، لهذا، على غرار ماجاء في **دراسات التابع** يجب بلورة مجالات للتفاوض تخلق أرضية مشتركة تكون فيها التنازلات عارضة والاستحقاقات جوهرية.

- لكي يتسنى لنا العمل بمبدإ التفاوض الثقافي والهوياتي لا بد من تجاوز بعض الأفكار المنمطة حول اللغة العربية وتغيير نظرتنا التقليدية لهذه اللغة، فالتجاوز منوط بمجال التمثلات الذي يعد خصبا في ميدان أسئلتنا وتغيير النظرة التقليدية مرتبط بمجال الأيديولوجيا.

يمكننا التفكير في مرتكزات المناعة الثقافية، فاللغة العربية كغيرها من اللغات تعاني من هجوم قوي يطال أبنيتها وأشكالها، ولكن لا ننسى بأن اللغة العربية لها عبقريتها في الاحتواء والممانعة والمقاومة. في هذا المجال تنقضنا أفكار كثيرة لهذا لابد من إعداد ندوات للتفكير في عبقرية الممانعة في هذه اللغة التي استطاعت أن تثبت نفسها على مر العصور وكر الدهور.

**هيئة التحرير**

# ازدهار العربية[1]

**أ د صالح بلعيد**

**رئيس المجلس الأعلى للغة العربية**

- **مقدمة**: إنّ الحديث عن موضوع ازدهار اللغة حديث معقّد وشائك؛ حيث تختلط فيه التطوّرات والاعتبارات العلمية بغيرها. وفي الحقيقة فإنّ هذا الموضوع يتأطّر بالجوانب المتّصلة بثقافة المجتمع وهُويته والصراعات السياسية والحضارية بين فئات المجتمع الواحد، وما يحيط بذلك المجتمع من الانجذابات اللسانية المهيمنة. ومع كلّ ذلك، فإنّ الازدهار اللغوي يقع الرهان فيه على اللغة التي تعرف الثقلَ الاقتصادي، وما تملك من تقنينات العولمة، المدعومة بالنزعة القومية والمصحوبة بعاطفة دينية وما يتبع ذلك من الاعتزاز الهوياتي الذي يعني عدم التنازل عن الذات، ومن ثمّ التخطيط السياسي للوعي العلمي لمستقبل اللغة وفق آليات الماضي والحاضر، بناءً على المرجعيات الوطنية. وأخيراً الوعي بموقع اللغة في سباق التدافعات الفكرية العديدة التي تُناقش حالَ اللغات ومصيرَها.

وهكذا، ومن أجل تنظيم وجوه النظر وطرائق التفكير في هذا الموضوع المعقّد؛ رأينا أن يكون عنوانُ هذا الملتقى الوطني في خصوصيات ازدهار اللغة العربية تحت عنوان كبير وهو: **ازدهار العربية: الآليات والتحدّيات**. وهذا

[1]ـ ألقي الخطاب في الملتقى الوطني حول: ازدهار اللغة العربية: الآليات والتحدّيات. الجزائر: 19- 20 أفريل 2017 المكتبة الوطنية. تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية.

بُغية استكناه معالم الازدهار، وما هي أبعاده، وما هي العوامل التي ترفد الازدهار، وما هي مضايقات الازدهار اللغوي، وما هي الجوانب العلمية التي يمكن العمل على تحريكها وصولاً إلى إجراء فعلي لمسار الازدهار اللغوي، وما هي التجارب الناجحة في هذا المجال وكيف يمكن العودة بنا إلى معالم الإيجاب في عصر ازدهار العربية. ويمكن أن يتلخّص الموضوع في التجاذب بين الحضور والغياب، أو بين الازدهار والانحدار... هذه وأشياء أخرى من بين الفرضيات التي يمكن أن تُثار في هذا المحفل العلمي؛ وصولاً إلى تقديم وصفة نوعية في عملية ازدهار العربية ويمكن على ضوئها أن تكون للمجلس طريقاً يستهدي بها في لاحقٍ من أعماله، وفي تصحيح استراتيجيته الكبرى لتجسيد المعالم التي حدّدها له دستور 2016، وهي:

1ـ العمل على ازدهار العربية.

2ـ العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجية.

3ـ العمل على الترجمة من اللغات.

**ـ كلمة في ازدهار العربية**: وضدها الانهيار والبيات، ويميل الضد إلى الذبول الذي يحصل في فصل الخريف، أو في خريف العمر، ولا يحمل إلاّ الشحوب. ولقد مرّت العربية بمرحلة التقعيد التي عرفت الإبداع، ومن ثمّ جاءت مرحلة الازدهار التي عرفتها القرون الثلاثة بما لها من مقوّمات الإبداع فلم يترك للضعف مكان "لقد استمرّ ازدهار العربية وتفرّدها بالسيادة قرابة ثلاثة قرون تقريباً، ثم دخلت بعد ذلك في مرحلة الضمور والتراجع التاريخي منذ بداية القرن الرابع الهجري. وبطبيعة الحال، فإنّ الضعف الذي لحق

المكانة العالمية للغة العربية لم يحدث دفعةً واحدة، فهناك العديد من العوامل التي ساهمت في احتفاظ العربية بمكانتها اللغوية الاجتماعية العالية في هذه المرحلة أيضا [1]". ومع اختلاف الآراء والنظريات، فلا مجال بأنّ العربية كانت لغة تُعامل مشتركة linga-franca في التواصل الشفهي بين المجموعات اللغوية الاقتصادية التواصلية، وعرفت ازديادها المطرّد باعتبارها لغة ثانية من قبل الناطقين بغيرها في المجتمعات المفتوحة، وأحدثَ فيها مسارُ التعريب التدريجي تصميماً اتّسم بالتنسيق والعلمية الذي زاد في تألّقها وتأثيرها. وفي كلّ ذلك عبرة، بأنّ العربية بما لها من ماض أثيل بما لها من السيادة والغلبة فكانت لغة العلم والعالم، واستقطبت 238 لغة عالمية تُكتب بحروفها، ودانت لها الأممُ بوجود همّة تحميها، وهيبة تعضدها، ومال يقوم على توسيعها، فحصل الازدهارُ في مختلف جوانبه، بعدما أبدع العربي وغير العربي بها وفيهن وبما أسهم في تأمين أمنها اللغوي، ولم تفقد حضارتها التي كانت وثيقة الصلة بما لها من ثروة عقلية، وما لها من عمل فنّي جميل، فحصل النتاج النوعي في ذلك التراث الذي كان له وهج الشمس. ولكن احترق ذلك الوهج، وفقد التراث، وافتقدنا الحضارة، ويشبه هذا الافتقاد عملية حرق طوعي لتراث بشري فيحترق في لحظة. وكما يقول (هارسيون) "إنّك حينما تفقد اللغة تفقد حضارة، تفقد ثروة عقلية، عملاً فنياً ويشبه هذا الفقدان

[1]- عقيل بن حامد الزماي الشمري "العربية في الوقت الحاضر: الحصيلة والآفاق". الرياض: 2014، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية (انقراض اللغات وازدهارها محاولة للفهم) ص 237.

عملية إلقاء قنبلة على متحف اللوفر "[1]. ولكن من بعد ذلك حدثت بعض الفجوات التي أخلّت بمنظومة الإبداع كما يقال: يوم عليك، ويوم لك، وهكذا الدنيا حواليك، وكذلك اللغات تحيا وتضمر، بل ربّما تموت وتنقرض، أو قد تُهجر إلى لغة أخرى أفضل علماً أو مكانة أو انجذاباً.

بالفعل، ذلك ما حصل للعربية يوم وقع التراخي والتسامح اللغوي، فلحقتها مهدّدات الانقراض بعدما بدأ توقّف شبابها عن التحدّث بها، ولم تستعمل في المنازل العربية، وكان استعمالها في المدارس والجامعات محتشماً، ووقع التذبذب في خدمتها، وعانت في بعض أوطانها من نقصان الرمزية، فظهرت بعد ذلك بعض عوامل الاختفاء، ودام الحال على الركون الأولي خمسة قرون، فعانت ما عانت من الضعف، فهل يمكن استدراكه الآن؟

نعم عجزت العربية على الانتصار على الفارسية رغم فتح العرب لبلاد فارس، وبقائها تحت سلطاتهم كما عجزت على الانتصار على الإسبانية، رغم فتح العرب للأندلس، وبقائها تحت سلطاتهم ما يقرب من ثمانية قرون، وضعف اندماج العرب مع الفرس، رغم أنّ للفرس أيادي بيضاء في خدمة العربية. والذي يهمّنا الآن ما موقع العربية من اللغات التي تتعرّض هذا القرن للضمور؟ وهل العربية في خطر؟ وكيف تشهد الازدهار؟ هذا ما نروم أن تستهدفه المقاربات التي يقدّمها الزملاء المختصّون، علّنا نصل إلى سدّ الفراغ اللغوي في منتكسات الازدهار.

---

[1]- هارسيون دفيد، عندما تموت اللغات، انقراض اللغات وتأكل المعرفة الانسانية تر: محمد مازن جلال. الرياض: 2011، جامعة الملك سعود، ص 7.

إخواني لا نيأس من وضع العربية الحالي، فهو وضع مـريح، والعربيـة لا يمكن أن ينالها الضمور أو الانقراض بحكم ما تحتكم إليه مـن عوامـل قـارّة، وهي العوامل التي يراها المختصّون بأنّها من الصمود والثبـات، أو هـي قـوة اللغة العربية، وتتمثّل في:

- استمرار ارتباطها بالقرآن والدين الإسلامي؛

- متانة الجانب المعياري الذي حفظها من التغيير.

- استقرار لغة الكتابة الأدبية واللغوية.

- ثبات العربيـة في الـبلاد الـتي عملـت علـى جعْلـها لغـة أولى رسميـة، أو لدى الذين جعلوها لغة أولى أجنبية.

- مواصلة البحث اللغوي والتربوي المعاصر؛

- مواجهة التحدّيات والتقانات؛

- الوقوف بالندية أمام لغات العلم؛

- عدم مزاحمة اللهجات في المكتوب وفي الأدب والعلم؛

ويضاف إلى كلّ هذا مـا للعربيـة مـن امتـداد طويـل، ومسـاحة جغرافيـة شاسـعة، وتنـوّع ديمغـرافي، ومـا عرفتـه مـن تطـوّر في تاريخهـا الطويـل، وخصوصـياتها الشـجرية، فمـن عائلـة اللغـات الحاميـة، إلى فـرع اللغـات الأفروآسـيوية، وإلى موقعهـا العملـي باعتبارهـا لغـة رسميـة وحيـدة في: السعودية- اليمن- عمان- البحرين- الإمارات- قطر- الكويـت- الأردن- فلسطين- سوريا- لبنان- مصر- ليبيا- تونس- موريتانيا. لغة رسميـة ولغـة

الأغلبية في: المغرب– الجزائر– العراق– السودان. لغة رسمية وليست لغة الأغلبية في: جزر القمر– جيبوتي– أريتريا– الصومال– تشاد– إسرائيل. لغة أجنبية أولى في: إيران– تركيا– أفغانستان– باكستان– بنغلاديش– الهند– فرنسا– السنغال– (معظم الدول الافريقية) وتقريباً في كلّ الدول الإسلامية.

ـ **العربية بخير**: ذكرنا هذا لما رأيناه من ملامح معايير الصحة اللغوية، فمن الجيل الأوّل المؤسّس لا تزال العربية تنتقل دون إسعاف من جيل إلى جيل، وأحياناً بإضافة نوعية، وما تزال البحوث تطرى فيها وتنال مواقع علمية، ونشاهد القيام بالفعاليات والتظاهرات العلمية الداعية إلى الاهتمام بها، كما أنّ العمل جارٍ على خلق شبكة من المراكز العالمية على تطويرها. وهكذا تبرز مجالاتُ الصحة وافيةً وبخاصّة عندما نرى:

1 – وجودَ الإطار المؤهّل العامل على خدمة اللغة.

2– وجود الاهتمام في القراءة والكتابة ومهارات التوثيق.

3– دعمَ السياسة اللغوية الوطنية، والسياسة التعليمية وتطويرهما.

4– دعمَ المواطنة اللغوية.

ويمكن في هذا المجال التركيز على مستقبليات فِعْل الازدهار في العربية الذي يبرز من خلال الملامح التالية:

1- استعمالها عند النخبة الوطنية والعالمية في أبحاثهم وفي إبداعهم.
2- انتقال اللغة بين الأجيال بالاطراد.
3- ازدياد عدد المتحدّثين بها.
4- نسبة متحدثي اللغة الإجمالي عدد السكان.

5- كثرة مجالات استعمال اللغة.

6- الاستجابة للمجالات الحديثة وللإعلام.

7- دعم السياسة اللغوية الرسمية.

8- موقف المجتمع من الاعتزاز بلغته.

9- تشجيع محو الأمية.

10ـ تشجيع استخدامها في التعليم الحكومي الإلزامي.

11ـ تشجيع استخدام العربية في أماكن العمل، وفي الخِدْمات العمومية وفي وسائل الإعلام.

تلكم إخواني علامات التفاؤل على مستقبل العربية؛ بأنّها من اللغات التي سوف يكون لها موقعٌ متميّز، والزمان كفيل بتحقيق ذلك، حالة تعاضد البحث التربوي والعلمي، وتخطيط مجالات الاستخدام اللغوي وبناء مناطيق التقانات المعاصرة؛ وفق بنيات الذكاء الصناعي، وما تستلزمه هندسة اللغات وتقديم الأولويات، وفق الآجال الثلاثة بمقتضيات هذا العصر الذي يستلزم العملَ في الفرَق الجماعية وما ذلك بعزيز على الباحثين أمثالِكم.

# المداخلات العلمية

# ازدهار اللّغة العربية بين لسانيات التراث وعلم اللّغة الحديث

أ.د عبد الجليل مرتاض

[ ج. تلمسان]

## ما اللغة إلا إبداعية للاستعمال

لا ازدهار لِلُغَةٍ خارج متكلميها ومستعمليها تبليغا وتوظيفا في شتى الإبداعات العلمية والمعرفية التي تعد استشرافيا وهاجسا قوميّين مستمرين.

إن اللغة العربية التي تحدثنا عنها ومازلنا وسنبقى نتحدث عنها إلى أن يحدث الله أمرا كان مفعولا لغةٌ إبداعية بامتياز خُتِم على براءة اختراعها منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، وكل شيء تمَّ وطُوِيَ أمره في غفلة أو يقظة من التاريخ والزمان، وما وصلنا من تراث لساني لها يجسده بصدق ذلكم الاستثمار الذي خلّف لنا هالة لسانية مشرقة متكاملة كميا لا تنفد ولا تبلى بالاستعمال، وكيفيًا لا يَغْنى عنها إبداع.

لكن مهلا، إذا قلنا إن لغتنا العربية التي تعشقنا أكثر مما نعشقها، وتوفي لنا أزيد مما نوفي نحن لها، ليست إلا وثبة مجهولها أشدُّ غموضا من معلومها، وليست إلا هزة ارتدادية من الإبداع، فإن إبداعيتها لم تَتِمَ بمعجزة لسانية غير متوقعة، أي لم تحدث خارج بيئتها الطبيعية وبمعزل كلي أو جزئي عن متكلميها، ولا أدلّ على ذلك أنه لا يوجد عربي يفهم مثلا " لسان العرب" أو

يحفظه أو حتى يحسن استعمال ما ورد فيه عفويًا وشفاهًا عن العرب الطبيعيين كعرب ما قبل التدوين من عرب عاربة أو مُسْتَعْرِبَة.

## أصناف إبداعية الاستعمال اللغوي

وعلى هذا، فإبداعية الاستعمال اللغوي إبداعيتان؛ إبداعية مطلقة، وتخص عربا بالأصالة أو مَنْ نزل باديتهم وجاورهم وظعن بظعنهم، حتى وإن كان من نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب صاروا عربًا باعتبار البلاد التي سكنوها كانت تسمى العَرباتِ، لكن لم يكن يُعَوَّل عليهم في الفصاحة وسلامة اللغة من دخول الدخيل فيها، ومن ثمَّ ظلت هذه الفئات خارج أي عمود من أعمدة لسانيات التراث لاحقا حين غامر ذلك الرعيل المبكر من اللغويين العرب لجمع شتات اللغة العربية سماعا من أفواه فصحائها المبعثرين في خيمهم وسط أودية وربوات وجبال ورقع جغرافية وعرة المسالك غير مأمونة المهالك، وأما الإبداعية اللغوية الثانية، فلا تخص إلا المتكلمين لهذه اللغة ما بعد التدوين وفساد السليقة العربية، ويمثلها خَيْرَ تمثيلٍ كلُّ جيل من أجيال العامية، كما

يحدث بيننا اليوم، ولربما ثمَّة إبداعية ثالثة، وهي محدودة جدًا، وتتعلق بمن يستعمل العربية الفصيحة في نشاطاته المهنية كالسياسة والدبلوماسية والتعليم... لكنه لا يتكلمها إلا نادرًا خارج هذه النشاطات.

## هل عاق العامل الزمني اِزدهار اللغة العربية ؟

وبناء على ما أَلْمِعَ إليه أعلاه، فإن مظاهر لسانيات التراث العربي مظاهر ثابتة ومتحركة؛ فالثابتة مصادرها اللسانية القوية الثرية المتمثلة بقرآنها

وحديثها وأشعارها وأمثالها وسجع كهانها، وما أضيف إليها من نصوص أدبية لاحقة تبناها اللسانيون العرب القدماء إلى غاية 150هـ، وهو تحديد زمني لا يخلو من نقد وجدل،ليس مكانه هنا مناسبا لبيان موقفنا من ظلم لغوي صارخ، ظلم لا يعزّر لسانيات التراث العربية نفسها، وكمثال واحد بسيط على هذا الظلم اللغوي في حق العربية ذاتها الشاعر العظيم بشار بن برد العُقَيْلي( 95-167 هـ/ 713-783م) الذي عاش خمسا وخمسين سنة في عصر الاحتجاج، وأقل من سبعة عشر عاما خارج فترة الاحتجاج اللغوي، لا يُلْـتَفَت إلى شعره للاحتجاج به لغويا حتى إن سيبويه أورد ألفا وخمسين بيتا شعريا ولما يحتجّ ببيت واحد من شعره، حتى وإن كان سيبويه لا يلام أية ملامة، لأنه لم يحذ إلا حذو أساتذته البصريين في توجيهاتهم المنهجية إزاء المسألة اللغوية.

غير أن ما لم أفهمه حتى الآن، كيف يجيز الأصمعي (213 هـ أو 217هـ) لنفسه أن يقول :" خُتِمَ الشعر بابن هَرْمة؟"[1] وإبراهيم علي بن سلمة بن عامر بن هَرْمَة القرشي مات سنة 176هـ،كما جاء في بعض المصادر " ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة... وفيها مات إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة "[2].على حين أن بشارًا قتل سنة 167هـ أو 168هـ؟، فضلا عن أن الرواة والنقدة كلهم متفقون على أن بشارًا " يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء"[3]

ومما خالجني في مسألة إقصاء بشار، وشعره يمثل أفصح وأبلغ مدونة بنيوية في اللغة العربية بعد الشعراء الجاهليين، أن الرجل كان ضحية سياسية ولغوية، فأما السياسية، فالقوم في كل زمان ومكان عبيد ملوكهم، إلا من رحم ربك، إذ بعد الوشاية به من أعدائه وحسدته إلى الملك العباسي (المهدي

ت: 169هـ) وإعدامه مقابل اتهامات زائفة ...لم يجرؤ اللغويون على رواية شعره وقبوله في الاحتجاج لما في المسألة من حرج أمام ولديه الهادي(ت:170هـ) والرشيد (ت:193هـ)...

وإذا كان في هذه الالتفاتة اعتراض، فإنه كان ضحية اجترائه على اللغة، بحيث كان يقيس أحيانا ما لا يقاس عليه في اللغة ويضمنه أشعاره، من ذلك أن الأخفش (سعيد بن مسعدة المجاشعي ت:215هـ) وهو أول من ورث كتاب سيبويه المسمى" قرآن النحو".يَطْعُن ( أو يَطْعَن من باب نفع ) على بشار في قوله:

**والآن أقصر عن سمية باطلي وأشار بالوجَلَى عَلَيّ مُشَيرُ.**[4]

حيث صاغ " الوجلى" على وزن " الفعلى" وهو مشتق من الوجل مريدا به التقوى، أي كأن هذا المشير أشار عليه بتقوى الله، مع أننا نقول:

" وَجِلٌ" للمذكر و"وَجِلَةٌ " للمؤنث بمعنى الخوف ( وربما قيل: أَوْجَلُ في المذكر أيضا ).

مثلما أخذ عليه " الغَزَلَى "، (كناية من الإقلاع عن الغزل) في قوله:

**عَلَى الْغَزَلَى مِنِّي السَّلاَمُ فَرُبَّمَا لهوتُ بها في ظل مُخْضَرَّةٍ زَهْرِ**

بدعوى أن الأخفش الأوسط لم يسمع من الوجل والغَزَل " فَعَلى" وهذا ليس مما يقاس، بل يعمل فيها بالسماع، كما أخذ عليه في بيته:

**تُلاَعِبُ نينَانَ البحورِ وربما أَيْتَ نفوسَ القوم من جَرْيها تَجْرِي**

بذريعة أنه لم يسمع بنونٍ ولا نينانٍ، مع أن النينان جمع نون، وهو الحوت، وهذا ما أراده الشاعر، وما من شك في أنها كانت لغة متداولة على الأقل بين بني عقيل، لأن رواة اللغة فاتهم غير قليل مما كان متداولاً بين العرب من خطابات خاصة وعامة،ولا أدلّ على ذلك من وجود وورود هذه الصيغة مفردًا أو جمعًا في معاجم عربية كالقاموس واللسان وغيرهما.

كان بشار من الشعراء المطبوعين لا يصدر إلا عن سليقة لغوية، والمطبوع لا يؤاخذ في لغة أمه الطبيعية، وإلا رُصِدَتْ مآخِذُ في كل المستويات اللغوية على شعراء فطاحل جاهليين ومخضرمين وإسلاميين، ومن ثم نعود إلى الصفر ونعيد النظر فيما استشهد به الرواة والنحاة فيما قعّدوا ومهّدوا لنا من قواعد لا يكاد الباطل يأتي من بين يديها ولا من خلفها.

## التعصب للقديم على الجديد

لا نريد أن نخوض في هذا الأمر أكثر مما ألمحنا دلالة على ضياع تراث لساني بفعل مزاج بصري تارة، وموالاة سياسية تارة أخرى وكانت اللغة العربية التاريخية هي الخاسر الأكبر، وعلى النحاة العرب ألا يستمروا في تحنيط العربية، وأن يجعلوا حدّا رجعيا لتلك الأوامر والنواهي البصرية التقليدية، وأن يفتحوا أفاقا أوسع لقبول نصوص خارج قرن ونصف بعد الإسلام، لأنه من السذاجة والغرابة جميعا أن يظل محجورا علينا لسانيا، ومن هنا يجب أن نفتح المجال أمام نصوص تراثية تشمل بشارًا والطَائِيَّيْنِ والمتنبي ومن كان في قاماتهم إلى غاية سقوط بغداد وزوال ملك العباسيين.

قلت ما قلت، وهو قول لن يرضي المتعصبين، لأن اللسانيات العربية تبع للمتكلمين بخلاف متكلمين فرنسيين من شعراء وأدباء أنهم تبعٌ لنحاتهم الفرنسيين، لكن نحاتنا المتأخرين الذين وُجِدُوا خارج فترة الاحتجاج اللغوي غَدَوا يُخْضِعون إبداعات المتكلمين إليهم " قل...لا تقل"، فحجروا على العربية في بوتقة مغلقة وقفا على عصر دون عصر، ومتكلم معين دون متكلم آخر، حتى ولو كان ملحقًا في عربيته سمّوًا وسموقاً وفصاحة وبلاغة بمن سبقه داخل فترة الاحتجاج التي لا تخلو من وهم حتى ولو كنّا مستيقنين هدفهم الخالص في الحفاظ على عربية نقية من الفوضى والتهجين حتى تكون في مستوى تفسير وفهم كتاب الله، وتهيئة قواعد لسانية بأساليب ونماذج بنيوية مثالية وكاملة لا مجال مفتوح لأن يعبث بها كل من دبَّ وهب ممن غلب عليه الضعف والصنعة والتكلف، ومثالا واحدًا أو مثالين فقط على ما نحن فيه أن ابن الأعرابي كان يقول :" إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبي نواس وغيره– مثل الرّيْحَان يُشَمّ يوما ويذوي فيُرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً".[5]وفي رواية أخرى أن أحدا قال:" كنا عند ابن الأعرابي، فأنشده رجل شعرا لأبي نواس أحسن فيه، فسكت. فقال له الرجل: " أما هذا من أحسن الشعر؟ قال: فقال: " بلى، ولكن القديم أحب إليّ". [6]

لم يشفع لأبي نواس ( 136-195هـ) اختلافه إلى أبي زيد الأنصاري ( 215هـ) ونقل الغريب عنه، ولا حفظه عن أبي عبيدة ( 110-209هـ) ما حفظ من كلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ونظره في كتاب سيبويه، كما أنه لم يشفع له قول الجاحظ في وضعه:" ما رأيت رجلا ألم باللغة من أبي نواس،

ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه"[7]بل لم يشفع له موسوعة العرب أبو عبيدة:" كان أبو نواس للمحدثين، كأمرئ القيس للمتقدمين." [8]

**موقف ابن السكيت**

قال أبو يوسف يعقوب بن السكيت ( 244هـ) لما سئل عما يختار من رواية الشعر، فقال للسائل: " إذا رَوَيْتَ من أشعار الجاهليين فلامرئ القيس والأعشى، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق، ومن المحدثين فلأبي نواس، فحسبك." [9]

**موقف ابن جني**

وكان ابن جني (392هـ) يبرر ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر بقوله:" علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلاف والفساد والخطل، ولو عُلِم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتنا وترك تلقّي مَايَرِدُ عليها." [10]

**موقف أبي عمرو**

أيا كان الأمر، فإن لسانيينا العرب القدماء كانوا يملكون زادا لغويا ثريا يغنيهم عن الاحتجاج بما هو أقدم فأقدم، وهذا ما يَنْسَحِب مثلا على عالم نحرير، ولساني موسوعي، وقارئ ورع،...إنه أبو عمرو بن العلاء(154هـ) الذي كانت كتبه مَلأ بيت حتى السقف، ولما تقرأ( تنسّك) في آخر أيامه

أحرقها، هذا الرجل كان يقول عن نفسه: " ولولا أنْ ليس لي أنْ أقرأ إلا بما قرئ لقرأت بكذا، وكذا، وذكر حروفا". [11] وهذا ما أكده عنه ابن الأعرابي تلميذه الذي كان يقول إنه جلس إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج، فما سمعه يحتج ببيت إسلامي قط، رغم أنه كان يحفظ هذه الأشعار ويرددها ويتذوقها فنيا، ولكنه لم يكن يستأنس بها لغويا، بما في ذلك أشعار الثالوث الأموي الرهيب.

## فساد العربية خارج بؤرتها الطبيعية

كم كنا سعداء لو أن اللغة العربية انتشرت خارج بؤرتها الأصلية في الربوع التي استقرت فيها بعد قبل وضع قواعدها.

ومع ذلك، فإن خللا ما كان يحدث خلال عملية انتشار هذه اللغة خارج ديارها، فضلا عما حدث بعد ذلك ولا يزال يحدث حتى الآن، ولا يخفى على المختصين والمطلعين جزء كبير من تلك الخلل، وأبرزها ذلك التفاوت الكبير بين طبيعة كل من المتجذر في أصل تلك اللغة التي كسبها ولقنها لا شعوريا وبين ذلك المتلقي الغريب عن جبلتها ودقائق أسرار خطابها الأدائي الطلق في كل حقل من حقولها، وجنس من أجناسها.

ومما لا يحتاج عندنا إلى وقوف طويل ولا إلى كلام مستفيض أن اللغة العربية فسدت سليقتها وتباينت سلامة تراكيبها في أوقات متقاربة وفي بؤر متنائية، وكان هذا الفساد يعظم امتدادا ويزيد اتساعا كلما كانت تطرد انتشارا وهيمنة، فأسرع إليها الوهن وغزاها اللحن وسرى في جبلتها الطبيعية

البريئة الجميلة التكلف والتعسف والفساد في كل مكون من مكوناتها وقاعدة من قواعدها.

تناءت العربية عن موقعها الأصيل واضطر ناشروها إلى فبركة تعبيرات لغوية ميسرة قصد تبليغ الرسالة التي يحملون، فبسّطوا المحصولات الصوتية، وضحت الفصحى بالفارق بين الأجناس النحوية، ومن ثم تعددت مستويات التبليغ وتشعبت لا يعلم اليوم عَدَدَهَا أحدٌ من الدارسين.

## وباء العربية في المدينة

ولعلَّنا لا نكون مغالين إذا قلنا إن هذا الفساد السليقي في جسم اللغة العربية شرع يسري مسرى وباء لا نَمَطيَ منذ عهد مبكر حتى في بؤرتها الأصلية، فهذا الأصمعي وهو العالم الورع الصادق، يشير إلى أنه أقام بالمدينة المنورة زمانا ما رأى بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة، وأنه لا يعلم بها إماما في العربية، بل ذكر أن اللحن في عوامهم فاش وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب.

## وباء العربية في صقلية

ولربما يعد ابن مكي الصقلي(501هـ) أفضل واحد، قبل ابن خلدون،مِمَّنْ حاول تشخيص هذا الوهن اللساني في اللغة العربية من خلال تركيزه على جزيرته:" فلما تمت الحجة، ووضحت المحجة هجم الفساد على اللسان، وخالطت الإساءة الإحسان، ودُخِلَتْ لغةُ العرب، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها، وتموت فرسانها حتى استبيح حريمها وهُجِّن صميمها وعفت آثارها، وطفِئت أنوارها، وصار كثير من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم

مصيبون، وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون فربما سخر المخطئ من المصيب..."[12].

## ظواهر ركود التهيئة اللغوية في العربية

ومما هو محزن أن النحويين العرب القدماء تركوا جملة من العناصر النحوية ترددوا إزاءها كثير التردد في تهيئتها، مثلما تغاضوا عن عناصر لسانية أخرى لا تقل أهمية عن الاشتقاق والقياس في تطوير اللغة العربية وجعلها تواكب عصرها.

وما سمي عادة بالضروريات الشعرية التي ألفت فيها مطولات ومجلدات لم يكن إلا لغة عربية يتعاطاها العرب في نثرهم وشعرهم وحكمهم وأمثالهم، ولكن المتأخرين وهم يهيئون قواعد اللغة العربية لم يجدوا مدونات أدبية غير الشعر المقيد عموديا مما جعل هؤلاء يتأولون على العربية ويرفضون نسبة كبيرة من قواعدها وأنظمتها التي كانت تعد في غاية الدقة والشفافية الأمر الذي جعل قواعد اللغة العربية تظل قواعد جافة جامدة لا تنمو ولا تتحرك ولا تتطور، فقفل باب الاجتهاد فيها، وكل من ثار في وجه المعياريين القدماء منهم والمحدثين عَدُّوه نحويا أو لغويا زنديقا ضالا.

ولا يقصد هنا بتطور النحو العربي رفع المنصوب ونصب المرفوع وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، ولكن يقصد بهذا إمكان تماشي النحو مع العربية ونموُّه مع نموها، لأن النحو شيء واللغة شيء ثانٍ.

أجل إن العربية التي وصلتنا لا تمثل كل القواعد التي لم تصلنا ولو سمع العجاج اليوم يقول:

" ياليت أيام الصبا رواجعا".[13]

لا تُهم في عربيته التي تختلف مستوى عن عربية غيره.

ولو سمعك اليوم سامع لا يعرف من العربية وقواعدها ما تعلمه من قواعد مدرسية تقول : " بقيت ورضيت وخشيت وفنيت...وما يتصرف منها في باقي الضمائر لنعتوك بالجهل وتكسير قاعدة من قواعد الصرف العربي. ولو قلت له إن المستوغر بن ربيعة وهو شاعر جاهلي قديم من تميم قال:[14]

**هل مابقا إلا كما قد فاتنا يوم يَكُرُّ وليلةٌ تحدونا**

ومثله زهير:[15]

**تربع صارة حتى إذا ما فنا الدُّحْلانُ عنه والإضاءُ.**

وأن هذه القاعدة اللغوية قاعدة عربية على نطاق جغرافي واسع ...لما وجدت لديه آذانا صاغية ورماك بالشذوذ والعدول، والشاذ في أحسن الحالات يحفظ ولا يقاس عليه : ولماذا أحفظه؟

وقديمًا شكا شيخ من الكوفة همه هذا إلى خلف الأحمر: أما عجبت من قول الشاعر:" أنبت قَيْصُومًا وجَثجَاثا" فأُحتمل له، وقلت أنا: " أنبت إجاصا وتفاحا ".

فلم يُحْتَمَلْ لي، ولكن أحدًا لم يُشْكِهِ( أي لم يُزِل شكايته).

بل علق ابن قتيبة:" وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق مالم يطلقوا"16

وحتى الآن لم يتفق علماء العربية على جمع المؤنث السالم، أهو دال على جمع قلة أم كثرة؟ وتعرفون قصة الخنساء مع حسان

**لنـا الجفنـات الغُـرّ يلمعـن في الضـحى وأسـيافنا يقطـرن مـن نجـدة دمـا**

**وقال لنا علماء العربية فيمـا يقولـون:** إن العـروس يسـتوي فيـه الـذكر والأنثى ماداما في إعراسها، لكن جمع الرجل عُرسُ، بينما جمع المرأة عرائس، بيد أن في العربية ألفاظا غير قليلة من الجنس نفسه، ولكن لا فـرق في جمعهـا بين مذكرها ومؤنثها مثال ذلك: فرس ثلاثة أفراس وثلاث أفراس.

**وقالوا لنا:** إن جمع فِعال بكسر الفاء على أَفْعِلة ومن مختص بالمـذكر مثـل لسان وألسنة، أي من ذكر اللسان جمعه على أفعلـة، أنثـه جمعـه علـى أَفْعُـلٍ ألسُن..

**لكن**: أليست كلمة سلاح يستوي فيها الجنسان وهي على وزن فعال مثل اللسان، ومع ذلك فـإن مـادّل منهـا علـى مؤنـث جُمِع جمـع مؤنـث سـالما ( سلاحات) وليست على وزن أفعل؟

**ويقولون لنا:** إن القربة التي يستقى فيها الماء جمعها في القلة قِرْبات بتسكين العين أو فتحها أو كسرها، وكل ما كان على فِعْلـه بينمـا جمعهـا في الكثـرة ، لكن كيف نفرق بين جمع الكثرة فيمن يعقل والجمـع نفسـه فيمـا لا يعقـل؟ وما جدوى وجود المؤنث السالم إذا كان لا يزيد على العشـر؟ وهـل الجمـع المؤنث السالم في قوله تعالى: "وآتوا النساء صدقاتهن" لا يعني إلا عشرًا منهن؟

ومما زعموا لنا في باب فعيل إذا كـان اسمـا لمـذكر يجمـع كجمـع رغيـف وأرغفة ورُغْفَانٍ، لكننا نجمع كلمة " سَرِيّ" وهي فعيل على سُـراة فقـط، ومـا هو شائع أن جمع فعيلة فعائل ( ضريبة ضرائب) بينما خميلة على خميل.

ويقولون : إن فعيلا إذا كان صفة وهو بمعنى مفعول جمع باتفاق بين العرب على فَعْلَى مثل قَتْلَى وصرعى وهلكى... وأُلْحِقَ به أنوك ونوكى وأحمق وحمقى لما في ذلك من عيب، لكننا هل نجمع كلمة سقيم وهي فعيل بمعنى مفعول على فعلى فنقول: سقمى؟ بل سقام زاعمين لنا أنهم ذهبوا في جمعه على فاعل لا مفعول.وفي الوقت الذي يقول سيبويه: الشجراء واحد وجمع ومثلها القصباء والحلفاء، والطرفاء.يقول غيره إن مفرد كل ما تقدم فَعَلَة ( شجرة- حلقة-طرفة- قصبة... وهي لغتنا)

وقالوا لنا إن الأفعال اللازمة تتعدى بالهمزة والتضعيف غير أن هناك أفعالا غير قليلة وهي لازمة قد تتعدّى فقط بالحركة...إلخ.

## لماذا تعطل الفكر اللغوي في العربية؟

إن النهج القواعدي العربي القديم بقدر ما كان مؤسسا على الاستنباط الداخلي فإنه ظل يسهم بثنائية مطلقة:

- قول جيد/ قول رديء
- لغة مقبولة/ لغة مرفوضة
- مطرد/ شاذ
- يحفظ ويستعمل/ يحفظ سماعا ولايقاس عليه...إلخ

لم تكن تلك القواعد تهدف إلى عرض المبادئ شبه العامة التي تخضع لها كل اللغات، ولم تكلف نفسها العناء لإعطائها فكرة تعليلية خارج اللغة العربية مجتزئةً بأحكام قيمية صنفت في ضوئها ما يقبل منها مما يرفض انطلاقا من مدونات لغوية حددت سلفا جغرافيا ونسبيا وزمنيا تحديدا معياريا

صارما، وهذا المنهج على هذا النحو أسهم بشكل ما في تعطيل الفكر اللغوي وتنويره وعمل على شلّ الاجتهاد...

وليس العيب ملصقا باللغويين الرواد ومن خلفهم إلى غاية ق3 هـ وحتى القرن 5هـ، بل باللغويين المتأخرين الذين تاهوا بين اجتهاداتهم الشخصية وما ورثوه من صرح لغوي صَلْد لم يكونوا في مستوى نهاية ما وصل إليهم، وفي أحسن الحالات اِقتنعوا باجترارِه، وليتهم استوعبوه أيضا اِستيعابا كليًا إلا قلة من النبهاء الذين ظلوا لا يكادون يتجاوزون ما ورثوه عن السلف، حتى وإن كان ابن خلدون يشيد كثيرا بجمال الدين بن هشام في كتابه "المغني في الإعراب".

## لا أمامية بدون خلفية

و لذا، فإني أرى من الإجحاف ونكران الذات أن يتحدث أحدنا عن أي ازدهار للمصطلح في مجال علم اللغة الحديث دون التعريج على ذلك الازدهار الهائل في اللسانيات العربية القديمة، حتى ولو كانت هذه الورقة لا تسمح لنا مطلقا بذلك، لأن ازدهار أي مصطلح لساني في لسانياتنا العربية الحديثة ملزم في حداثته أن يستأنس بما سبقه من مصطلحات أصيلة تكون أساساً لأي انطلاقة تبشيرية بشروق لسانيات عربية حديثة تماشياً مع ما ينسجم من نظريات لسانية غربية رهيبة.

نحن نعلم أنّ اللسانيين العرب القدماء حلّوا مشاكلهم اللغوية العامة إلى حدّ التُّخمة، ومازلنا نلاحظ إلى يومنا أن ما ورد من مصطلحات لسانية عربية كان يتشارك دلالياً وصوتياً مع المدلول اللساني المشار به إلى ظاهرة

تنظيمية في قواعد اللغة العربية، مثال ذلك النص الدؤلي الأول على كاتبه، وما ذُكِر عن الخليل مثلاً بأن مصطلح النعت لا يكون إلا فيما هو محمود، بينما الوصف قد يكون فيما هو محمود (مدح) وفي غيره (ذمّ)، بمعنى أن أصالة المصطلح تنبثق من أصالة اصطلاحه، سواء تعلّق الأمر بالقواعد ورموزها أم بالشرع أم بالعروض،... لأن الاصطلاح متعلق بالعموم بخلاف المصطلح المقيد بالمخصوص، أي كل مصطلح اصطلاح، وليس كل اصطلاح مصطلحاً.

وربما لا يقبل أحد منا قبولاً لا يشوبه شك أو تردّد، إذا قلنا إن النص الدؤلي الذي يعدّ أول لبنة من اللّبنات الأولى لازدهار اللغة العربية في مجال علمها اللغوي ظل متداولاً إلى عهد متأخر، وهذا الأخفش (الأوسط) المتوفى سنة 215هـ ، وهو من ورثة علم الخليل وسيبويه يقول في مستهل كتابه العروضي (كتاب القوافي،ص؛ 59): " ليس من حروف العرب ولا غيرها شيء يخلو من أن يكون مضموماً أو مكسوراً أو مفتوحاً أو موقوفاً ".

غير أن الإشارة أعلاه لا تعني أن اللغة العلمية العربية ظلت وقفا على ما تقدمها من إبداعات لغوية تحليلية، بل لم يكونوا يلتزمون في مواضع، وفي كل حال، بالتراث اللساني الموروث، الأمر الذي جعل علم اللسان العربي القديم يزدهر ازدهاراً مشرقا، ومما جعل مصطلحات فيه تتعدّد حول الشيء نفسه، وهذا حتى على مستوى مدرسة لغوية واحدة، كالذي تقف عليه لدى سيبويه الذي كثيراً ما كان ينفرد ببعض المصطلحات، ومثالاً على ذلك، فإن ما يسمّى "الضمير" عند غيره سواء كان بارزاً أم مستتراً، يسمّيه هو "الإضمار" مهما كان نوعه وموقعه، وما يسمّى عند سواه "اسم الآلة" على مفعل (بكسر

الميم) يسميه الرجل "اسم ما عالجت به" ويسمّي اسم الزمان "اسم الحين"، و"اسم المكان" "اسم الموضع" ويسمّي الإضراب بـ "بـل" الانقطـاع، ويسـمي الإمالـة ب "الإنجاح"،...الخ

ولذلك حين نقول بتلمذة سيبويه على الخليـل الجليـل، فهـذا لا يعـني أن التلميذ كان يقلد أستاذه في كل شيء، وأن ما جاء في كتابه ما هـو إلا توثيـق حرفي آمن لما تفوّه به أستاذه، والأمر نفسه في مستويات لغوية أخرى.

وبكلمة واحدة، فإن علماء اللغة العرب القدماء خلال عصـور الاخـتراع والتنوير، قد عملوا مجتمعين على ازدهـار اللغـة العربيـة وإنعاشـها وإثرائهـا بألوف من المواليد اللغوية فيها دون أن تجد آثـاراً لمصـطلحات أجنبيـة فيهـا، حتى ولو كانت معرّبة أو مترجمة.

## لماذا تعطل الفكر اللغوي حديثا في العربية ؟

لكن هل ظل الأمر نفسه بخصوص مجال علم اللغة الحديث الذي تعاطتـه اللسانيات العربية طوعاً أو كرهاً علماً بأن أية لغة لا تزدهر ازدهاراً مشروعاً خارج نفسها؟.

لكن لماذا تعطل الفكر اللغوي في العربية؟ مما أحسبه أن المنهج القواعـدي العربي القديم بقدر ما كان مؤسسا على الاستنباط الداخلي، فإنه ظل يتسم بثنائية مطلقة، فكان كل قول "جيد" يقابله قول "رديء" وكل لغة "مقبولة" تقابلـها لغة "مرفوضة" وكل مُرْسلة لغوية "محمودة" توازيهـا مرسـلة لغويـة "مذمومـة"،... وفضلاً عن هذا، فإن هذه القواعد أو "النظريات اللسـانية" لم تكـن تهـدف إلى عرض المبادئ شبه عامة يمكن أن تخضع وتنساق له كل أو معظم اللغات، ولم

تُكلّف نفسها العناء لإعطائها فكرة تحليلية خارج اللغة العربية... وهذا المنهج اللساني العربي على هذا النحو شاخ وأُتْخِم وأسهم بشكل ما في تعطيل الفكر اللغوي العربي وتنويره، كما تسبب في شلّ الاجتهاد والانفتاح على الآخر، وما وُجد هنا وهناك من مدارس لغوية عربية ظلّ يدور في فلك واحد بناء على عوامل خارجية تارة، وأفكار تأملية ميتافيزيقية طوراً،...

غير أن العيب ليس ملصقا باللغويين الروّاد ومن خَلَفَهُم إلى غاية القرن الثالث وحتى القرن الخامس الهجريّيْن، بل بالمتأخرين الذين تاهوا أو كادوا يتيهون بين اجتهادات شخصية لم تكن صائبة في كل حال، وبين ما ورثوا من دراسات لغوية صلدة كانوا دون مستواها، لانطلاقهم من ثقافة النقل والاجترَار، لا من ثقافة العقل والابتكار، بمعنى أن العَلْمغيِّين (علماء اللغة) العرب المتأخرين لم يكلّفوا أنفسهم فصل الدراسات اللّغوية التي وصلت أوجها قبلهم إلى حقولها المستقلّة تبعاً لتجانس العناصر أو الظواهر اللسانية، ولم يميّزوا ما يدخل في حقل مشترك مما يدخل في حقل ذي عناصر لا تتجاوز نَفْسَها، وهكذا ظلوا يلهجون مثلاً بمسألة الكلام، والكلمة، والكلِم، والقول، واللفظة، والمفيد وغير المفيد،... ناسين أو غير مدركين أن اللغة التي نتكلّمها لا نملك إزاءها انطباعاً بأنها تتغير مدة حياة كل متكلم فيها أو الأجيال المتزامنة لا تعبر بطرائق تعبير متشاكلة، مع أن الوقائع الثابتة التي استقيناها من اللسانيات الحديثة أثبتت مما لا يدع مجالاً للشك أن لغتنا المتواصل بها تتطور وتتغير في كل لحظة بواسطة وحدات صوتية وكلمات و بناءات جديدة، يحدث هذا دون أن يكون للمتكلم في لغته إحساس فوري بأن ما يتواصل به في فترة لاحقة لا يبقى متطابقا لنفسه كما كان من ذي قبل.

## غياب لسانيات عربية حديثة

وما أشير إليه أعلاه يندرج في غياب لسانيات عربية حديثة حتى يتهيأ للغة العربية أن تواكب ازدهارها المطّرد دون أن تتخلف عن الركب اللساني في دول ما تقدّمت إلاّ بتقدّم لغاتها كأداة بحث وشرح وتعليم واتصال وتأليف ونشر، لأن لكل علم مصطلحاته، وكلما كثرت هذه المصطلحات وتنوعت قابلها تطور وتنوع وازدهار في هذه اللغة أو تلك، باعتبار اللغة أي لغة لا تُفْرَضُ فرضا إدارياً إلا بعلومها، فاللغة العربية القديمة أقبل عليها القوم من كل الأجناس إقبالا جارفا بفضل الإسلام، وبفضل علومها وما تُرجم إليها من فلسفة وعلوم الإغريق، وكان المصطلح العربي الأصيل يخضع لسنة النشوء و الاصطفاء والارتقاء، الأمر الذي جعل لغة العلم عند العرب تستقر ولا تختلف في مشرقها عن مغربها،... ولك أن تقف على هذا عند كل من الخوارزمي في مفاتيح العلوم ، وعلي بن محمد بن علي الجرجاني في "تعريفاته" وغيرهما،...لكن لما ركد البحث العلمي عند العرب ركدت اللغة العربية لتنتقل من لغة مزدهرة إلى لغة ذات ألفاظ ركيكة معقّدة، ولمّا جاء المدّ الجديد من أجيالها خلال عصر النهضة الحديثة لم يكونوا على اطّلاع واسع بالوعاء الأصيل لهذه اللغة ومصطلحاتها القديمة التي كان بإمكانهم استثمارها و الاستئناس بهاما ولّد تصدّعا لغوياً في سيرورة العربية أحدث فجوات عميقة وشرخا واسعاُ في الوصل بين حاضر لساني كان حتما عليه أن يقوم على ما تقدمه من مصطلحات قديمة صالحة لتوظيفها في شتّى المجالات الثقافية والإدارية والعلميّة والاجتماعية وحتى اللسانية بوجه أخص.

وحين ظهر أول كتاب لساني منذ قرن كامل لدي سوسور قلب عالم الدرس اللغوي رأسا على عقب، لم يجد الغربيون صعوبات كبيرة في هضم وإدراك ما ورد في هذا الكتاب، كما أنهم وعلى اختلاف لغاتهم، لم يشعروا بنقص ولا ضعف للتعبير لسانياً بلغتهم كما ورد في هذا المؤلف من نظريات وافتراضات لسانية ساعدت لغاتهم على التطور العلمي في مجال علم اللغة الحديث، وذلك بفضل أن اللّسانيات التاريخية كانت قد ظهرت لديهم، وبالضبط في ألمانيا، قبل قرن كامل(1816) على تاريخ طبع دروس دي سوسور، وهذا في الوقت الذي كان فيه عالمنا العربي يغط في تخلف لساني محلياً وعالمياً.

## أزمة ازدهار لغوي أم مصطلحي ؟

ومما نراه أقرب إلى الاقتناع منه إلى التردد أن اللغة العربية يمكن أن تزدهر في مجال العلْمَغة (علم اللغة) الحديثة داخل نفسها وفي محيطها قبل أن تظفر بهذا الازدهار نفسه من خارجها، فهي ترخّص لعَلْمغِيِّينا( علماء لغتنا) المحدثين ما لا تكاد ترخّص به لغة حية معاصرة لها، من اشتقاق، وقياس، ونحت، وتعريب، ونسْخ، ومصادر صناعية قياسية،... لكن ما يقف حجرة عثرة في سبيل ازدهار اللغة العربية لا يكمن في فقرها المدقع في مجال المصطلحات الحديثة، ومنها العلْمغة، بقدر ما يكمن أيضا في محلية المصطلح المقترح من مجامعها اللغوية وعلماء اللسانيات العرب، وقلة حظه من الانتشار، وما لا يُنتَشرُ لا يُستعْمَل، وما لا يُسْتعمَل وُلِد ميّتاً.

وعلاوة على ما أشير إليه آنفا، فإن جل ما كـان ذا حظـوة مـن الانتشـار والاستعمال من مصطلحات لسانية جديدة في اللغة العربية، لا يلقـى اجماعـا من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، بل لا يُتّفَق فيه أحيانا بـين باحـث عَلْمغـيّ (عالم لغة) وباحث آخر على مستوى بلد عربـي واحـد: أيـن هـذا مما كـان للعرب في عصرهم المزدهر من لغة علميّة موحّدة مـن البصـرة والكوفـة إلى المغرب والأندلس؟

ولعل ما زاد الطين بلّةً ظاهرة غريبة تتمثل في ضعف الصـلة الـوثقى بـين لغة الأدب ولغة العلم، ومنها لغة علم اللغـة الحـديث عنـدنا، وكـأن الأمـر يتعلق بلغات داخل لغة واحدة لا بمستويات لغوية وحسيّة، في وقت نعلم فيه أن ليس ثمة إشراق أدبي إلا ويكون متفاعلاً ومتعانقاً بإشراق علمي.

## مفارقات في لسانياتنا العربية الحديثة

وإذا أردت أن تكون فضولياً أكثر فأكثر فارجع البصر إلى مباحثنا اللسانية الجديدة لتقف على شروخ لسانية متباينة بـين مبحـث هنـا ومبحـث هنـاك، فطلبتنا الذين أنجـزوا رسـائلهم وأطروحـاتهم الأكاديمية في عواصـم غربيـة أسهموا في النهوض بلغات تلك العواصم، لإنجازهم أعمالهم بتلك اللغـات الأجنبية، ومن ثم، فإن بلادهم الأصلية لم تُفدْ منهم كثيراً، بل على العكـس من ذلك روّجوا مصطلحات لسانية وأدبية ونقديـة وعلميـة وتقنولوجيـة... على حساب اللغة الأصـل لبلـدهم، وهـذه الظـاهرة زادت المسـافة بونـاً في إمكان توحيد المصـطلح أو تقريبـه علـى الأقـل، باعتبـار المصـطلح العلمـي والثقافي كاد يصبح مؤدْلجاً، نظراً لتشعّب المدارس اللسانية وتبـاين نهجهـا في الفضاء الغربي والأنجلوساكسوني نفسـها، ممـا انعكـس سـلبا علـى ازدهـار

المصطلح الجديد في اللغة العربية التي تطورت تطوراً مذهلاً على فترات متلاحقة لكنها وجيزة، بفضل استغلالهم ما جدّ من ابتكارات في مجالات علمية متوازية، من الصوت إلى الكلمة، إلى الجملة، إلى النص، فَعَلْمنوا اللغة عَلْمَنة، وكادوا يُعَلْمِنون الأجناس الأدبية لولا أنّ الأدب محصّن بالعاطفة والوجدان والتجريد والخيال.

ومع ذلك، لم تقف اللسانيات العربية "الحديثة" مشدوهة، بل حاولت وحاولت أن تواكب ما أهل من نظريات لسانية غربية عبر المؤلفات المباشرة أو الترجمة أو البعثات،... لكن هضمها كان، ولا يزال إلى يومنا، يستدعي الفهم والاستيعاب ثم التبليغ، وهذا ما لم يَحْدث بَعْدُ، لأن اللسانيات الغربية أضحت توظف أدوات علمية صرفاً، وليس فقط الوسائل السمعية البصرية والمخابر التعليمية.

بيد أنّ ما أُلْمِح إليه آنفاً لا يقف أمام إرادة قوية صادقة سداً منيعاً أمام اقتحام اللسانيات الغربية واستلال ما أمكن استلاله منها من معطيات يمكن أن تُثري اللغة العربية الحديثة بمواليد لغوية جديدة دون أن تمس أو تتعارض مع الآليات الأصيلة لتوْليد ألوف من الكلمات الجديدة في اللغة العربية، وهذه المواليد اللغوية ستشمل أيضا ميادين جوارية أخرى تستعمل اللغة العربية، وليس فقط مجال علم اللغة الحديث.

## من روافد ازدهار اللسانيات الغربية

ومما لاَ ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن اللغات الغربية في مجال علم اللغة الحديث ما كانت لتزدهر ذلك الازدهار، وتُثْرى ذلك الإثْراء لولا الصلات اللغوية التاريخية الحميمية بينها جميعا، ولم تزدهر صدفة ولا ضربة حظ،

فالإنجليزية لئن لم تكن لاتينية، فإنها تتلاقى معها في أمها الآرية، وبيْن هذه اللغات مجتمعةً ألوف مشتركة من الكلمات، حتى دي سوسور الذي كان تكوينه ألمانياً في علم اللغة، وينتمي إلى بلد ذي ثنائية لغوية، لم يتَردّد في دروسه التي وصلتنا أن كان يستعمل معظم اللغات الغربية بما في ذلك اللاتينية، مما انعكس بصورة إيجابية على ازدهار اللغات الغربية الحديثة في مجال علم اللغة الحديث، ولكن إذا عرفنا أن اللغة الإنجليزية الحديثة اقتبست ما بين 55-75 في المائة من مجموع مفرداتها من اللغتين الفرنسية واللاتينية وغيرهما من اللغات الرومانية [17] ، علمنا لماذا ازدهرت اللغة الغربية في مجال علم اللغة الحديث، فمصطلحاتها مشتركة بينها بنسبة تفوق تصورنا، وهذا يساعد التبادل المعرفي والعلمي بينها دون عوائق لغوية كبيرة، فضلا عمّا ذكر كل واحدة منها تأخذ عن الأخرى دون اضطرارها للترجمة دائما أو الرجوع للوعاء المعجمي الأصيل للغتها في كل مرة.

غير أن ما أُلْمِعِ إليه أعلاه لا ينسحب على لغة كالعربية، وإلا فماذا تأخذ هذه اللغة من لغات محلية يتواصل بها متكلمون في فضائها العربي من المحيط إلى الخليج؟ وهذا بخلاف اللغات الهندية الأوروبية، ولاسيما اللغات الجرمانية واللاتينية والسلافية المنبثقة كلها على الأرجح، من السنسكريتية، بمعنى أن من يتكلم الفرنسية لا يتعذر عليه كثيرا أن يفهم كمية هائلة من العناصر اللسانية المعبّر بها في لغة لاتينية أو حتى جرمانية، ونتيجة لهذا، فإن أي متعلم فرنسي يفهم – مثلاً- بكل سلاسة العناصر اللسانية المتداولة في المدرسة الأنجلوسكسونية:

ABLATIVE( مفعول فيه أو عنـه أو منـه)/ ABSTRACT(مجـرّد)/ ACCENT ( نبر) / ACCOMODATION (ملاءمة) / ACQUISITION( اكتساب لغوي) / ANALYSIS (تحليـــل) / ANASTROPHE (تقـــديم وتــأخير) / ARTICULATION (نطق)/ BILABIAL( شـفوي)/ CACOLOGY( لحـن في الكـلام) /CACOPHONIE(تنـافر صـوتي) /CATEGORY (فصـيلة) / CEREBRAL(صـوت ارتـدادي)/ DEMACRATIVE FUNCTION (وظيفـة تحديدية)...الخ حتى إنك لو قابلت قاموساً لسانياً إنجليزيـاً بقـاموس لسـاني فرنسي، لكدت تستغني بواحد منهمـا إذا كنـت تفـرق بـين نطـق الصـوامت والصوائت في كلتا اللغتين، بـل يمكنـك فهـم معظـم المصـطلحات اللسـانية الواردة في أحد القاموسين دونما حاجة كبيرة إلى معرفة كيفية التّطور الصوتي إذا كنت تتقن إحداهما.

هذه الميزة التي تحظى بها اللغـات الأوروبيـة لا تحظـى بهـا اللغـة العربيـة الحديثة خاصة أمام رِدّة لغوية تعليمية وأكاديمية في مؤسسات، بما فيها بعـض الجامعات، كان يفترض فيها أن تنمّي هذه اللغة لتجعلها تواكـب التحـدّيات المعرفية العالمية.

وإذاً، فأنى للُغـةٍ شـبه يتيمـة أن تزدهـر في غيـاب ممارسـات عربيـة، وإن وجدت فهي غير بريئة من اضطرابات وتضاربات وفوضـى شـاملة في خلـق المصطلح الذي لا يلقى إجماعاً عربياً، وفي ظل تولية باحثينا الشباب أهواءهم وعقولهم شطر كل ما يولد من مواليد لغوية جاهزة في لغـات علميـة أخـرى كثيرة أكثر من تركيزهم على وصل الأصالة بالمعاصرة، فضلاً عن سقامة فهم العناصر اللسانية الغربية الحديثة الجديدة لكونهم يَعْدَمون ثقافة لسانية عالميـة

هي وليدة مائتي سنة على الأقل(1816-2016)، ونابعة من لسانيين عباقرة كبـار، وعائـدة إلى مـدارس لسـانية متباينـة في طروحاتهـا التنظيريـة وحتـى مصطلحاتها؟

وبناء على التساؤل السابق، فهل يمكن القول إن اللغـة العربيـة الحديثـة في مختلف مجالات البحث العلمي والتطور التكنولوجي، بما في ذلك اللسـانيات المعاصرة التي أصبحت دراسة معاصرة للغة، في حاجة إلى البحث عن نفسـها وفرض هويتها أكثر من القول عن ازدهارها؟.

## الاحالات والمراجع:

1- طبقات الشعراء لابن المعتز، ص: 20، تح : عبد الستار أحمد،ط2، دار المعارف مصر.

2- الذهب المسبوك، ص :120، عبد الرحمان سنبط (توفي سنة 717ه)، مكتبة المثنى بغداد،ط:1964.

3- طبقات الشعراء، لابن المعتز ص: 21

4- الموشح ص: 384، المرزباني(384ه) تح: علي البجاوي،1965، دار النهضة مصر.

5- الموشح، ص:384

6- نفسه، ص: 384

7- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 74، ابن الأنباري ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 2003، المطبعة العصرية، بيروت.

8- نفسه ، ص: 74

9- نفسه، ص: 74

10-الخصائص 2 ، ص: 7، ابن جني، تح: محمد علي النجار، ط2، 1987، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

11-معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،ص:85، شمس الدين، تح: جاد الحق، دار الكتب القاهرة.

12-تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص: 43-44، ابن مكي الصقلي، تح: عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر.

13-يراجع طبقات الشعراء، ج1، ص:78، ابـن سـلام، تـح: محمـد شـاكر، مطبعة المدني القاهرة.

14-نفسه، ص:34

15-نفسه، ص: 34

16-الشعر والشعراء،ص:16، ابن قتيبة، مطبعة بريل، 1906، مدينة ليدن.

17- (الأصوات والإشارات،ص:92.1.ا.كاندراتوف.ترجمة:شـوقي جـلال. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1972).

# ازدهار اللغة العربية ـ تجربة الأندلس ـ

**د.حسنية عزاز**
**قسم اللغة العربية وآدابها**
**كلية الآداب واللغات والفنون**
**جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.**

الحمد لله الواهب المنان، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على خير من تكلم فأبان، من أوتي جوامع الكلم فكان كلامه سحرا، وبيانه درا، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

**الملخص:**

تعدّدت الحواضر العلمية والأدبية في العصور الاسلامية الماضية، ولعلّ أهم حاضرة الأندلس التي شكلّت منارة للعلم والأدب، ومركزا حضاريّا وثقافيا بارزا في أوربا التي كانت تقبع في الجهل والتخلّف.

الأندلس... اشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها، الأندلس بأعلامها وعلومها وآدابها شعرا ونثرا، مقلّدين ومجددين ومبدعين، الأندلس فُتِحت وأصبحت عربية لسانا وبيانا وميدانا. فالعربية لغة الديوان والعامة بل وازدهرت وأصبحت صاحبة الجلالة هناك.

تجربة الأندلس تجربة فذة في ازدهار اللغة العربية؛ فأردت هذه التجربة عنوانا بل مفتاحا في هذه الندوة العلمية، فكم عدّدنا التجارب الغربية الناجحة في تطوير لغاتها وتحدثنا عنها مطولا في المحافل العلمية، اللغة العبرية

واللغة الصينية وغيرهما.. فلنعتبر بما فعله أجدادنا وما هي السبل التي اتخذها الأندلسيون حتى اعتلت العربية كرسي السياسة والتجارة والثقافة؟

**تمهيـــــد:**

**ازدهار اللغة العربية - تجربة الأندلس-**، اختياري لهذا العنوان لم يكن اعتباطا، بل كان الاختيار مقصودا، فالتجربة الأندلسية كانت خصبة من كل جوانبها، حيث كانت خصبة في الزمان، فقد امتدت نحوثمانية قرون (92ه/ 711م_ 898ه/ 1492م) [1]، كما كانت خصبة في المكان، فقد امتدت لتشمل النسبة العظمى من شبه جزيرة ايبيريا بما فيها من مناخات متعددة وتضاريس مختلفة وثمار زراعية جعلت بعضهم يشبهونها بالفردوس وبجنة الله في الأرض! فهذا أبوإسحاق إبراهيم ابن خفاجة (ت 533ه/ 1140م) يقول في الأندلس:

يا أهلَ الأندلس لله درّكم............. ماء وظلّ وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلاّ في دياركم.......... ولوخيرت هذى كنت أختار

لا تحسبوا بعدها أن تدخلوا سقرا..........فليس تدخل بعد الجنّة النارُ [2]

هكذا كان وضع الأندلس، ثغر حربي إسلامي في قلب أوروبا من جهة، ودولة ذات حضارة وتراث علمي وأدبي وثقافي مزدهر من جهة أخرى.

---

[1] ينظر: شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد التلمساني المقرّي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (تح إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1968، ص 226، 227.

[2] ينظر: المقرّي، المصدر نفسه، ص 226، 227.

كانت الأندلس مزيجا من الشعوب: الابيريين، السلتيين، اللاتينيين، واليونانيين من العنصر الأوروبي، والقرطاجنيين، والفنيقيين واليهود من العنصر الأسيوي، والفندال والقوط وهم شعوب الطبقة السائدة عندما دخلها العرب والبربر، وظهر نشئ مولّد بسبب اختلاط الأجناس، وعرفت الأندلس تعددًا لغويا، لغات أعجمية وعامية ولهجات مختلفة.

إذن امتزاج غريب، وتعدد لساني رهيب حدث في الأندلس، لكن بالرغم من ذلك استطاعت العربية فرض هيبتها وسط الألسنة المختلفة، والمنافسة القوية التي لم تضحد الفصحى، بل أضحت اللغة الرسمية الأولى، لغة السياسة والأدب والعلم والفن، والتجارة...

أصبحت بلاد الأندلس بعد استقرارها من بين أهمّ المراكز العلمية والفكرية في الدولة العربية الإسلامية، ولا سيّما في عهدي الخلافة الأموية (316_ 422ه/ 929_ 1031م) وملوك الطوائف (422_ 484ه/ 929_1031م)، إذ استقطبت مدارسها ومنتدياتها العلمية علماء كبار من مختلف المناطق والمدن والأقاليم، ومما ساعد في ذلك توافر البيئة العلمية والثقافية، فضلا عن التشجيع المنقطع النظير الذي وجده العلماء الوافدون إليها من قبل الخلفاء والأمراء، مما جعلها تسموفي مجال المعرفة وتمسي منافسا حقيقيا للمشرق الاسلامي.

تجربة الأندلس في ازدهار اللغة العربية، تجربة لا بد من الحديث عنها، فعندما نتحدث عن تراثنا، فإنّ الماضي يستطيع أن يكون عبئا ثقيلا ومثبطا للهمم، قاعدا بالعزائم، كما يستطيع أن يكون حافزا ودافعا وأساس الدعائم.

عبئا إذا اتكلنا عليه واكتفينا بالتفاخر به واعتقدنا أننا عظماء بما جنينا، فلا نحتاج إلى ما يثبت عظمتنا في حاضرنا ومستقبلنا، ومثبطا إذا استفرغ الاعتزاز طاقتنا، واستنزف قوانا، وأشعرنا بنوع من الرضا المستكين، ويمكن أن يكون حافزا للتشمير على ساعد الجدّ واللحاق بركب التقدم، ومعالجة أخطاء الحاضر وبناء المستقبل، فلنتعرّف على تراثنا ونعرّف به ولنجعله منطلقا للمستقبل، فتجربة الأندلس وازدهار اللغة العربية تنطلق كالآتي:

## 1_ الأندلس التاريخ والدرس:

الأندلس اسم مشتق، في الأرجح، من "فنداليشيا" wandalicia، والفندال هم القبائل التي غزت اسبانيا في القرن الخامس للميلاد.ولما دخل الفاتحون من عرب وبربر أطلقوا هذا الاسم على البلاد التي وقعت في حوزتهم.ويذكر المقرّي أن «أول من سكن بالأندلس على قديم الأيام فما نقله الأخبريون ...قوم يعرفون بالأندلش - معجمة الشين- بهم سميّ المكان، فعرب بعد بالسين غير المعجمة» [1]، ومنذ أخذ الاسبان يستولون على البلاد فقد هذا الاسم مدلوله بالتدريج، وكثيرا ما يطلق على الأندلس اسم"جزيرة الأندلس" وهي في الواقع شبه جزيرة، وإنما سميت الجزيرة بالغلبة، كما سميت جزيرة العرب [2].يعد فتح الأندلس امتدادا لحركة الفتح الاسلامي، بهدف نشر الدعوة، ففتحت بتعاون العرب مع البربر بقيادة "موسى بن نصير وطارق بن زياد" سنة (92ه_711م)، ويمكن تقسيم الحياة السياسية في الأندلس كالتالي:

---

[1] ينظر: المقرّي، المصدر نفسه، ص 226، 227.

[2] نظر: المصدر نفسه، ص 226، 227.

1. **فتح الأندلس**: موسى بن نصير وطارق بن زياد سنة (92هـ_711م).

2. **عهد الولاة**: (95-138هـ/ 714-755م) يبدأ هذا العهد بولاية عبد العزيز بن موسى، ثم تعاقب على ولاية الأندلس سبعة عشر واليا بعد عبد العزيز، وكانوا يعينون من قبل الخليفة حينا، ومن قبل عامل افريقيا حينا آخر. وبالرغم من الفتن والاضطرابات السياسية غير أن حركة الفتح الاسلامي كانت مستمرة حيث فتحت برشلونة وقشتالة ووصلوا إلى قلب فرنسا.

3. **الدولة الأموية الأندلسية**: يمكن تقسيم هذه الدولة إلى قسمين:

**1-** إمارة قرطبة (138-300 هـ/ 755-912م): صقر قريش، عبد الرحمن الداخل.

**2-** خلافة قرطبة(300_ 422هـ/ 912_ 1031م): عبد الرحمن الناصر، الحكم المستنصر (350_366هـ/ 961_977م)، الحاجب المنصور.

شهدت هذه الدولة ازدهارا سياسيا واجتماعيا في ظل حكم عبد الرحمن الداخل في إمارة قرطبة، وتداول الحكم من بعده ستة من أبنائه وأحفاده، ومن إمارة إلى خلافة، وحكم الخلافة عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر، والحاجب المنصور لكن شهدت قرطبة فيما بعد فتنة كبرى، وبدأ عصر جديد.

**4. ملوك الطوائف**:(403-536هـ/ 1012-1142م)لم تكد الدولة تبلغ نهايتها حتى استحالت إلى دويلات صغيرة متناثرة، يحكمها رؤساء الطوائف الذين عرفوا في التاريخ الأندلسي بملوك الطوائف ومن أهم هذه الدويلات:

**1-الدولة الهوديّة** : في سرقطة saragosse من سنة (400ه/ 1009م) إلى سنة 536ه/ 1041، وهي دولة عربية، أشهر ملوكها المقتدر بالله وابنه المؤتمن.

**2-الدولة الزيرية** : استقلت في غرناطة سنة 403ه، وهي دولة بربرية من سنة 403ه/ 1012م إلى سنة 483ه/ 1090م.

**3-الدولة الحمودية**:استقلّت في عهد المستعين الأموي سنة 407ه/ 1023م، وهي شيعيية من المغرب تنتسب الى ادريس بن سلالة الحسن بن علي، وتعاقب على الحكم فيها أحد عشر ملكا، تنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء، ثم انتهت بمقتل آخر ملوكها "القاسم الواثق"450ه/ 1058م.

**4-الدولة العامرية**:في بلنسية valence،412ه/ 1023م إلى سنة 478ه/ 1901م وهم من موالي بني عامر،ومنهم "زهير العامري" الذي أخرج المؤيد "هشام بن الحكم" من "المريّة" عندما ظهر بعد اختفائه وانقطاع أخباره.

**5-الدولة العباديّة**:في إشبيلية من سنة 414ه/ 1023م إلى سنة 484ه/ 1091م، وهي عربية من بني لخم من ولد النعمان بن المنذر.ومن ملوكها المعتمد بن عبّاد، وتعد من أبهج الدول في الكرم والفضل والأدب، فقد إتصل بملوكها الشاعر "ابن زيدون".

**5-دولة بني الافطس** :في بطليوس badagoz سنة 413ه/ 1032م إلى سنة 487ه/ 1094م، وبنوالأفطس من مشاهير ملوك الطوائف، وينتمون في الأصل إلى بربر مكناسة.ولابن عبدون قصيدة في رثائهم مطلعها:

**الدّهر يفجع بعد العين بالأثر........فما البكاء على الأشباح والصور؟!**

**7-الدولة الجهورية:** في قرطبة من سنة 422ه/ 1301م إلى سنة 463ه/ 1070م، قامت بعد سقوط الخلافة الأموية.وأول ملوكهم أبوالحزم بن جهور، وكان وزيره ابن زيدون.

**8-دولة بني ذي النون:** في طليلطة من سنة 487ه/ 1075م، وأصلهم من بربر المغرب

عاشت هذه الدويلات نحومائة عام، وإذ أردنا تسجيل مآثر هذا العهد، ففيه شهدت الأندلس نهضة علمية وأدبية حقيقية، إذ اشتد التنافس بين ملوك الطوائف، سواء في بناء القلاع والحصون أم في مجالس الأدب وتشجيع الشعراء والكتاب

**5. دولة المرابطين في الأندلس:**(484ه-555ه/ 1091-1160م) نشأت دولة المرابطين في المغرب، وتعود إلى قبائل صنهاجة التي كانت تسكن صحراء شنقيط (موريتانيا حاليا)،أشهر من حكمها يوسف بن تاشفين.

**6. دولة الموحدين:**(555-665ه/ 1160-1267م) قامت دولة الموحدين في المغرب الأقصى بعد تغلبها على المرابطين، وتعود إلى قبائل المصامدة، شهدت الأندلس في هذا العهد نهضة علمية وأدبية، فقد استقدم ابويعقوب الفلاسفة الى بلاطه كابن طفيل وابن رشد، وكان محبا للعمارة ومن آثاره الباقية منارة الجامع الكبير في اشبيلية.

**7. دولة بني الأحمر:**(635-898ه/ 1237-1492م) يعود بنوالأحمر إلى أصول عربية، قامت دولتهم في غرناطة، واستطاعت هذه الامارة إن تقف في وجه الفرنجة زهاء قرنين ونصف قرن وذلك لعاملين: أولهما، أنها كانت تستنجد بسلاطين المغرب أيام المحنة، والثاني انشغال ملوك الاسبان عنها

بالاقتتال فيما بينهما، وقد عرفت غرناطة في عهدهم أزهى عصورها، إذ شيد قصر الحمراء، لكنها شهدت أسوء عصر منيت به الأندلس سياسيا وهي آخر معقل للمسلمين في الأندلس، حيث سلم مفاتيح"أبوعبد الله" لملك الإسبان، وانطوت بذلك آخر صفحة من تاريخ الأندلس، وزال ملك العرب من بلاد تركوا فيها مجدهم وآثارهم وحضارتهم، بعد أن عمروها ثمانية قرون، مرّت كالحلم:

**وصار ما كان من مُلك ومن مَلك..... كما حكى عن خيال الطيف وسنان** [1].

## 2_ الحياة الاجتماعية في الأندلس:

شهدت الأندلس تطورا كبيرا في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية بعد الفتح الإسلامي، هذا الدين المسامح، أراد الحكام تطبيق تعاليمه في مجتمع عرف خليطا أجناسيا وصفات متميزة ونظام حكم خاص.

المجتمع الأندلسي نسيج اجتماعي تركب أساسا من خمسة عناصر، وهم: العرب، والبربر، والموالي، والمولدون، وأهل الذّمة.

### 1. العرب:

فتح العرب والبربر الأندلس معا، وبعد قدوم "عبد الرحمن الداخل" إلى الأندلس شهدت تدفقا جديدا للعرب، الذين شكلّوا طبقة أرستقراطية كانت تحس بالتفوق والتعالي؛ مما ولّد احتكاكا بالبربر الذين كانوا يثورون عليهم أحيانا. وقد عرف العرب بكثرة الإنجاب، مما زاد عددهم في الأندلس [2].

[1] ينظر: شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، مطبعة المنار، مصر، ص341.

[2] ينظر: المقرّي، نفح الطيب، 1/ 131.

2. **البربر:**

شكلّ البربر في مستهل الفتح الأكثرية بالقياس إلى العناصر الأخرى، فقد دخل طارق بن زياد في سبعة آلاف رجل من البربر ليس فيهم إلا ثلاثمائة من العرب.ولم تتوقف هجرتهم بحكم الجوار إلى الأندلس وقد اندمجوا في البيئة الجديدة، فاتخذوا زوجات لهم من أهل البلاد، وأقبلوا على اللغة العربية واتخذ بعضهم أسماء عربية.ولم يلبثوا أن أصبحوا ضمن جملة النسيج الاجتماعي الأندلسي.

3. **الموالي:**

وهم موالي بني أمية، سواء من دخلوا إبّان الفتح أم بعده، وكانت صلتهم قوية بأمراء بني أمية إذ نالوا مركزا اجتماعيا رفيعا، وعرفت منهم بيوتات مشهورة مثل بني أبي عبده، وبني شهيد، وبني حرير وغيرهم.ويليهم في المنزلة "الخلفاء"، وهم فتيان القصر في العهد الأموي، وهم أول من تؤخذ منهم البيعة [1].

4. **المولدون:**

وهم الجيل الذي نشأ من المصاهرة بين العرب والبربر من جهة، والعرب بالإسبانيات والصقليات من جهة أخرى، وقد عرف المولدون من الإسبانيات بالذكاء والشجاعة والجمال.

5. **أهل الذمة:**

وهم اليهود والنصارى الذين بقوا على ديانتهم، وتركت لهم حرية العقيدة، وأدخلوا في ذمة المسلمين. وفي الإجمال كان التسامح معهم

[1] ينظر: المصدر نفسه، 1/ 182.

هوالغالب، وتجدر الإشارة إلى أن اليهود استقبلوا الفاتحين العرب بوصفهم محرّرين، ذلك أن القوط كانوا يسومونهم أنواع العذاب، ولهذا فقد ساعدوا العرب.

كما عرف أهل الأندلس بحب العلم وتقدير العلماء، وقد أنشئت في البلاد معاهد للعلم، في قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة، وكانوا يطلبون العلم في المساجد.

وقد عُرفت العلوم بأنواعها في الأندلس، وكان لها عند أهلها حظ واعتناء، وبخاصة العلوم الدينية واللغوية، ولكن الفلسفة كادت تصاب بالعقم، ولم تنل اهتماما إلا عند خواصهم، وهؤلاء لا يتظاهرون بها خوفا من العامة، فإنه كلما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أويشتغل بالتنجيم. أطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه.

وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولقب "الفقيه" عندهم لقب جليل. وعلم النحوعندهم في نهاية من علوالطبقة، وهم كثيروالبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه. والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ورواتب جارية، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم [1].

[1] ينظر: المصدر نفسه، 1/ 205، 207.

## 3_ عوامل ترسيخ اللغة العربية في الأندلس:

لمّا انتشر الإسلام بسرعة فائقة في شبه الجزيرة العربية، انتشرت اللغة العربية كذلك على نطاق واسع بين سكان هذه البلاد. وقد كان لهؤلاء العرب، الوافدين على الأندلس في شكل موجات كبيرة أثر كبير في نشر اللغة العربية في شبه الجزيرة. ولاشك أنه يضاف إلى ذلك إقبال أهل شبه الجزيرة أنفسهم على اللغة العربية، لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم [1]،ليس فقط لكونها لغة الحضارة الغالبة والعلم المتفوق، بينما هنالك عوامل عديدة ساهمت في ترسيخ اللغة العربية في الأندلس، من بينها: اهتمام صناع القرار بها(الخلفاء والأمراء)،الحرص على العلم، المجالس العلمية والأدبية، التعليم، الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب، وكذلك حركة التأليف والترجمة والصناعة الورقية والمعاجم ...

### 3_1_ التعليم في الأندلس:

اتبع التعليم في الأندلس منهجا محددا ابتداء من المرحلة الأولى إلى المرحلة العالية، وقد اهتم الأندلسيون بعلوم اللغة وقسموها إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى لعلوم اللغة العربية من نحوولغة وأدب وبيان...الخ بوصفها الجسر الموصل للمجموعة الثانية، وهي العلوم الشرعية من قرآن وحديث وفقه وتوحيد...الخ، ومجموعة ثالثة وهي العلوم العقلية من حساب ومنطق وجبر وطب...الخ

---

[1] ينظر: أحمد هيكل، الأدب الأندلسي: من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1985، ص40.

وفي هـذا العنصـر سـأتناول الجانـب اللغـوي الـذي يتناسـب وموضـوع البحـث، حيـث تتفـرع علـوم اللغـة العربيـة إلى أصـناف شـتى اعتنـى بهـا الأندلسيون في أسلوب التعليم، فحسـب مـا ذكـره "ابـن حـزم الأندلسـي" في رسالة مراتب العلوم لوجدنا أن الطالب في رأيـه إذا نفـذ مـن تعلّـم القـراءة والكتابة _ وهي في المرحلة الابتدائية_ انتقـل إلى علـم النحوواللغـة معـا [1]، وبعد أن ينتهي الطالب من هذين العلمين انتقل إلى علم الأدب.

أمّا ابن خلدون، فقد أشار إلى المناهج الدراسية في الأندلس بقوله:« وأمـا أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتابة وجعلوه أصلاً في التعلـيم فـلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطـون في تعلـيمهم الولـدان روايـة الشـعر، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجربة الخـط والكتابـة... إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشـبيبة وقـد شـد بعـض الشـيء في العربيـة والشعر وأبصر بهما، وبـرز في الخـط والكتـاب وتعلـق بأذيـال العلـم علـى الجملة» [2].

ويعلل ابن خلدون هذه الملكة باعتماد الأندلسـيين علـى حفـظ الأصـول « لأنّ أهل اللسان العجمي إنّما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصـلا للغة في الأندلس» [3]، لكن لم يقتصر الأمر علـى هـذه الـروح فقـط لتترسـخ اللغة في الأندلس.

[1] ينظر: خالد حسين أبوعمشة، تعليم اللغة العربية في الأندلس- رؤية تربويـة-، الناشـر مكتبـة الألوكة الالكترونية، ص 04.

[2] ينظـر: ابـن خلـدون، المقدمـة، (تـح علـي عبـد الواحـد وافي)، دار نهضـة مصـر، القـاهرة، 4/ 1240.

[3] ينظر: ابن خلدون، المقدمة4/ 1278.

فالتعليم انقسم إلى مراحل تعليمية في مختلف عصور الدولة الأندلسية، كعهد المرابطين الذين اهتموا بالعلم والعلماء والمعلمين والتعليم عامة، وكان التعليم يتدرج وفق ثلاث مراحل هي:

1_ **المرحلة التعليمية الأولى**: وهي الكتّاب، الذي يحفظ فيه الطفل القرآن الكريم، ويتعلّم القراءة والكتابة، والنحو، والشعر الجاهلي، وأخبار العرب وبعض الموضوعات المتعلقة باللغة العربية بما يتناسب ومستوى تفكيره، ويتعلّم الحساب وبعض العمليات الرياضية البسيطة.

2_ **المرحلة التعليمية الثانية**: وهي المسجد، يتلقى الطالب أنواعا مختلفة من العلوم في حلقات المعلمين والأساتذة، ومنها العلوم الدينية كعلم تفسير القرآن الكريم وعلم الفقه وعلم القراءات القرآنية وعلم غريب الحديث، وتأويل الحديث وغيرها، والعلوم اللسانية هي العلوم المتعلقة باللغة العربية كاللغة والنحووالبيان والأدب، ومنها العلوم العقلية كالطب والصيدلة والنبات والفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها.

3_ **المرحلة التعليمية الثالثة**: ينتقل الطالب من المسجد إلى المدرسة حيث يتعمق في دراسته، ويأخذ العلم في اختصاصات محددة عن أجلّة العلماء، وكبار الأئمة، ولعل أهم ما يميز التعليم في هذه المرحلة ملازمة الشيوخ والأساتذة من جهة، والرحلة من جهة أخرى [1].ولم تكن غاية الأندلسيين في أول التعليم التعمق في دراسة اللغة العربية حتى أصعب مسائلها وأغرب دقائقها، إنما كانوا يهدفون إلى تحقيق التواصل على

[1] ينظر:فاتن كوكة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين (484- 670ه)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سنة 2012، ص62.

صورتين، الأولى بين أفراد الشعب الأندلسي أنفسهم من عرب وبربر وإسبان ويهود...الخ، وبين المتعلم الجديد الذي لا يتقن العربية التي أصبحت لغة الدولة رسميا، وتحتم عليه تعلمها لأنه لا اتصال بين هذه العناصر بدونها [1].فقد اتبع الأندلسيون سياسة متابعة الطالب لغويا من خلال جميع الدروس والمواد التي يتناولها، وبالإكثار من الشواهد الشعرية والنثرية في التعليم التي تعمل على ترسيخ الأنظمة اللغوية وتثبيتها، وهذا ما تم استنتاجه من خلال قول ابن خلدون:« وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل ملكة اللسان العربي وتعليمه من سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب، والتفقه في الكثير من التراكيب، فسيق إلى المبتدئ كثير من الملكة في أثناء التعليم فانقطع النفس لها وتستعد إلى تحصينها وقبولها » [2].

**ويمكننا تلخيص عوامل ازدهار التعليم كالآتي:**

**1- مراكز التعليم في الأندلس:**

كان المسجد يمثل المركز العلمي الذي يتلقون فيه العلوم والمعارف على أيدي العلماء وأشهر مثال على ذلك جامع قرطبة حيث كانوا يدرسون فيه علوم الدين والأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم. وهناك من المستشرقين كتوماس أرفنج وروم لاندوونيكلسون من وصف جامع قرطبة بالجامعة نظرا للإمكانيات البشرية والمالية التي كان يتوفر عليها والرعاية التي لقيها من الخليفة المستنصر.

[1] ينظر: ابن خلدون، المقدمة، 3/ 1277.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 3/ 1288.

**2- طريقة التعليم عند الأندلسيين:**

كان الأندلسيون يحرصون أولا على تعليم أولادهم القرآن الكريم ثم يضمون إليه تعلم اللغة العربية ورواية الشعر وتعليم الخط. وقد انصرف بعض العلماء إلى دراسة المناهج التربوية بخصوص عملية التعلم كالعلامّة "أحمد بن عفيف بن عبد الله الأموي ( 348-420ه)" الذي ألف كتاب "آداب المعلمين"، وقد كان الأندلسيون يدفعون أجرة في سبيل تعلم العلوم.

**3- عناية الخلفاء بالتعليم :**

أسهم الخليفة المستنصر في نشر التعليم وسط أبناء شعبه فأمر بإنشاء سبعة وعشرين مكتبا يلحق ثلاثة منها بالمسجد الجامع بقرطبة، وعيّن العلماء والفقهاء للقيام بالتدريس للأطفال في تلك المكاتب. أمّا المنصور أبي عامر، فكان يستفسر الطلاب عن مشاكلهم ويحثهم على اكتساب المعرفة، ويمنح المتفوقين منهم مكافآت مالية. هذه الجهود من طرف الخلفاء جعلت كل فرد في الأندلس يجيد القراءة والكتابة، ويتعلّم اللغة العربية.

فليكن التعليم مقتصرا على أولاد الخلفاء وغيرهم من أصحاب الجاه والمال بل تعلّم الفقراء أيضا مجانا، كما حبس الخلفاء كثيرا من الأوقاف لصالح التعليم، وتعددت أماكن التعليم التي أنشأتها الدولة [1].

[1] ينظر: أبوعبد الله محمد ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب ج3 ( تح ومراجعة ج. س كولان وأ. ليفي بروفسال)، دار الثقافة، بيروت، سنة 1983، ص 358.

### 3_ 2_ الرحلات العلمية وأثرها في النهضة اللغوية في الأندلس:

#### أ- ارتحال علماء الأندلس إلى المشرق في طلب العلم :

كانت رحلات العلماء بين الأندلس والمشرق لا تتوقف ذهابا وإيابا . فكان علماء الأندلس يرحلون نحوالمشرق طلبا للعلم والتزود به من مصادره في المدينة ومكة وبغداد والشام، وقد كان العالم الذي لا يرحل طلبا للعلم يعد قليل العلم مقارنة بأقرانه، وكانت وجهتهم المغرب أي إلى القيروان ووهران وتلمسان والإسكندرية والفسطاط والقاهرة والحجاز والعراق فتعلموا شتى العلوم والفنون خاصة علوم اللغة، فعمّت تعاليم المدرستين النحويتين، مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة وأصبح كتاب سيبويه غاية في تحصيل هذا العلم.

#### ب- نتائج الرحلات العلمية للأندلسيين إلى المشرق:

أثمرت الرحلات العلمية للأندلسيين منذ عصر الإمارة نتائج باهرة، وذلك حينما عاد الكثير منهم بعلم واسع، ومعارف غزيرة وعدد كبير من مؤلفات المشارقة في شتى المجالات مما كان له عظيم الأثر في الحركة الأدبية والعلمية، والحركة الفكرية والثقافية الأندلسية عموما.

أمّا في عصر الخلافة، فقد بدأ الأندلسيون يعتمدون على أنفسهم مكونين بذلك شخصيتهم المستقلة، فظهر علماء وأدباء أندلسيون كبار، وانتقلوا بذلك من مرحلة الاستفادة من الغير إلى مرحلة العطاء الأدبي واللغوي والابتكار العلمي، وإن لم ينقطع جسر التواصل بين المشرق والأندلس.

### ج- رحلة المشارقة إلى الأندلس:

كانت الأندلس والمشرق أشبه بأرض واحدة، علماء يضيق بهم الشرق من الفقر فيرحلون إلى الأندلس، وعلما من الأندلس يعوزهم العلم فيأتون الشرق. غير أنّ رحالي الشرق أقل عددا من نظرائهم الأندلسيين ومنهم "أبوجعفر أحمد بن هارون البغدادي" وقد جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمروبن بحر الجاحظ [1].

### 3_3_ الكتب والمكتبات في الأندلس:

لقد اعتنى الأندلسيون بالكتب، وعرفت مدنها تشييد مكتبات تجمع فيها الكتب في قرطبة، واشبيلية وطليطلة ومرسية وغرناطة التي يذكر أنه كان بها سبعون مكتبة عامة غير المكتبات الخاصة.كما أولى الخلفاء عناية خاصة بجمع الكتب مثل ما فعل الخليفة المستنصر، وقد نهج عدة وسائل لتحقيق ذلك فقد كان له وراقون منتشرين في أقطار العالم الإسلامي لاقتناء الكتب النفيسة والنادرة وقد جمع منها خلال حياته - كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس- ، الشيء الذي دفعه إلى تشييد مكتبة من أعظم المكتبات في العالم الإسلامي.وذكر عنها أنها ضمت أربعمائة ألف كتاب. وأيضا كان الحاجب المنصور أبي عامر يملك مكتبة كبيرة، والوزير أبومطرف عبد الرحمن بن فطيس الذي شغف بكتب العلم فاجتمعت له أعداد هائلة منها من شتى الأصناف.

ولا غروأن تتألق مكتبة الأمويين في هذه الحقبة التاريخية ويبرز دورها الحضاري واضحا، وقد أولاها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم جل

---

[1] ينظر: أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، (تح محمد أبوالفضل إبراهيم)، القاهرة، سنة 1954، ص296.

اهتمامهما وعظيم رعايتهما، فإن شغفهما الكبير بجمع الكتب قد طبقت الآفاق ووصلت إلى مسامع الناس في كل مكان. فها هوالإمبراطور " قسطنطين " السابع حاكم بيزنطة لم يجد شيئا يتقرب به إلى قلب الناصر حينما عزم على عقد معاهدة معه سوى أن يهديه كتابا جديدا لم يعرفه من قبل، وهوكتاب "ديوسقوريدس" في الطب، وجاءت رسله إلى قرطبة تحمل ذلك الكتاب في مجلد جميل مكتوبا باللغة الإغريقية، وقد ذهبّت حروفه، وزينت صفحاته بالرسوم الجميلة لبعض النباتات والأشجار التي ورد ذكرها في الكتاب، ولم يكتف إمبراطور بيزنطة بذلك، بل أوفد بعد ذلك "نقولا الراهب" ليقوم بترجمته من اللغة الإغريقية إلى اللغة العربية [1]. تلك هي هواية جمع الكتب التي تمكنت في قلوب الأندلسيين، وكان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلامية ومحوأمية الكثيرين منهم، ويقول"دوزى": "إن أغلب الناس في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة" [2].

### 3ـ 4ـ حرفة الوراقة في الأندلس:

اشتهرت مدينة شاطبة بصناعة الورق الفاخر، وقد كانت بها مصانع كبيرة للورق، وقد كان من نتائج ذلك ظهور فئة الوراقين الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر الثقافة في الأندلس عن طريق نسخهم للكتب.

[1] ينظر: خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس ( ترجمة الطاهر أحمد مكي)، دار المعارف، مصر، ص 190.

[2] ينظر: محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ط ثانية 1978 ص 99 .

وقد خصص لهم الخليفة المستنصر جناحا كبيرا بقصره ليقوموا بعملهم الهام، ومن "أبرزهم عباس بن عمروبن هارون الكتاني" ( 295-379ه). ولم يقتصر دور الوراقين على استنساخ الكتب بل أيضا على التثبت من صحة ما يقومون به من نسخ، وقد كانت الوراقة مهنة قائمة بذاتها لها رؤساؤها وأنظمتها الخاصة. وكان من الشائع أن يكون لكل عالم (كابن فطيس وأبوعلي القالي ) وراقون يشتغلون لديه.

يضم هذا القسم مجموعات كبيرة من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب وتزيينها بالصور وتجليدها ثم عرضها في المكتبة، نذكر منهم الأديب اللغوي محمد بن أبي الحسين الفهري، وعباس بن عمروبن هارون الصقلي، الذي عينه الحكم وراقا في مكتبته، وكان يأنس إليه كثيرا ويوسع له في الرزق [1]. إضافة إلى عوامل أخرى كالترجمة حيث عرفت الأندلس مترجمين مجيدين للغات الإغريقية واللاتينية والاسبانية وغيرها، وكان أغلبهم من النصارى والصقالبة واليهود، ومترجمين من المسلمين، نذكر منهم: عبد الله الصقلي، ومحمد النباتي، والبسياسي، وأبا عثمان الخزار الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم وغيرهم، ومع الترجمة ازدهرت حركة التأليف وهذا ما سنذكره لاحقا.

### 3-5- المجالس العلمية:

كانت هناك مجالس علمية تعقد في دور العلماء الأثرياء كالعلامة الطليطلي أحمد بن سعيد بن كوثر ( ت 403ه) بل إنه حتى النساء كن يعقدن المجالس العلمية كالأديبة مريم بنت يعقوب الفصولي.ففي هذا الجامع

[1] ينظر: المقري، نفح الطيب، 3 / 111.

كان الأديب اللغوي أبوعلي القالي مثلا يعقد مجالسه العلمية فتتقاطر عليه أفواج الطلبة للأخذ عنه وذلك كل يوم خميس.

وقد كان الطلاب يتوافدون على هذا الجامع من شتى أنحاء العالم الإسلامي والمسيحي في جويطبعه الود والتسامح. ولم يكن جامع قرطبة لوحده من يقوم بالرسالة التعليمية بل كان هناك أيضا جامع الزهراء وجوامع أخرى في عدة مدن أندلسية كاشبيلية وطليطلة وشاطبة ومرسية وغرناطة.

## 4_ ازدهار اللغة العربية والتصنيف الأدبي واللغوي في الأندلس:

### أ_ التصنيف الأدبي:

لقد تطور الأدب الأندلسي [1]، فاجتاز ثلاثة أطوار، قلّد في الأول فكانت الأساليب والمعاني شرقية في شعر ابن عبد ربه وابن هانئ، وابن شهيد، وابن درّاج القسطلي. وتردد بين المحاكاة والتجديد، في الطور الثاني فالشعراء يمثلون بيئتهم الأندلسية ونزاعاتهم الذاتية دون أن يتخلوا عن القديم أويهملوه إهمالا تاما، عند أمثال ابن زيدون، وابن عمار، والمعتمد بن عباد، وابن الحداد. ولم يلبث أن جدّد في الطور الثالث، فبلغت حركة التجديد ذروتها في القرن السادس الهجري عند أمثال: ابن حمديس،وابن عبدون،وابن خفاجة، ولسان الدين بن الخطيب.

ومن معالم هذا التطور والتجديد، تخلص الأدب الاندلسي من قيود القصيدة التقليدية، الذي تجلى في فن الموشحات، وهوفن أندلسي بامتياز، وفتن الشاعر

[1] ينظر: يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1،1412ه/ 1992م، ص 37.

الاندلسي بجمال الطبيعة، فأخذ يصف إقليمه وديـاره الـتي عـاش فيهـا، وبكـى الإمارات والممالك الدّارسة. وأبدع الأديب الأندلسي في كتابة القصـة الفلسـفية التي تمثلت في رسالة "حي بن يقظان" لابن طفيل، ووضع المصنفات التي أسـهمت في إثراء الحركـة الأدبيـة والفكريـة، وفي طليعتهـا "طـوق الحمامـة " لابـن حـزم، و"الذخيرة" لابن بسام،كما أسهمت في ازدهار اللغة العربية.

**ب_ التصنيف اللغوي:**

لقد شجع حكام الأندلس التأليف خاصة في المجـال اللغـوي، فقـد شـهد القـرن الثالـث نشـاطا لغويـا شـارك فيـه البربـر والمـوالي وبعـض المولـدين الأندلسيين مع العرب من بين هؤلاء العلمـاء "منـذر بـن محمـد، وعـافي بـن سعيد مولى بني سيد وقاسم بن أصبع وثابت" [1].

وحل القرن الرابع هجري (أيام عبد الرحمن الناصر وابنـه) حيـث بلغـت الأندلس ذروة المجد السياسي والثقافي، وكانت قرطبة نموذجا لما بلغته المدينـة من رقي يومئذ، هذا التطور الحضاري فرض تميزا واضحا في نـواحي العلـم ودخلت هذه العوامل الجديدة في صلب الحيـاة الثقافيـة وفي هـذا العصـر تم إنشاء أكبر مكتبة عرفتها الأندلس.

**ج_ التصنيف المعجمي:**

يعدّ المعجـم مـن بـين الجوانـب اللغويـة المهمـة في حفـظ اللغـة العربيـة وتطويرها وازدهارها، ولا يمكن استعظام أهمية هذا المكون اللغوي في بـلاد الأندلس إلا إذا تذكرنا أن العربية كانت في تلك الـبلاد لغـة أجنبيـة دخيلـة،

---

[1] ينظر: سامي يوسف أبوزيد، الأدب الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيـع، عمـان، الأردن، ط1، 1433ه/ 2012م، ص 45.

تزاحمها لغات أخرى أصلية  وغير أصـلية، ولعـل هـذه الظـروف هـي الـتي جعلت علماء الأندلس ينشغلون بالتأليف في مكون المعجـم انشـغالا كـبيرا، على الرغم من أن المشرق كان قد عرف بعض المعاجم.

ولعلّ الاطلاع على ما ألـف في الأنـدلس مـن معـاجم ومـن دراسـات معجمية، يوحي كأن علمـاء الأنـدلس لم يطمئنـوا لمـا وُجِدَ في المشـرق مـن معاجم، مضمونا وشكلا وعددا، ولعلّ أشهر المعجميين "القالي" الـذي دخـل الأندلس ووجد المجال المناسب والحال المشـجعة للتـدريس والتـأليف، ولقـد استطاع أن يثري في مناخ الثقافة الأندلسية عن طريق:

1- كتبه الكثيرة الـتي حملـها معـه مـن المشـرق، وهـي تتضـمن أمهـات المصادر.

2- مؤلفاته العديدة ذات الطابع اللغوي والأدبي السائرة على منوال مـا حمله من مؤلفات المشرق.

3- تلامذته الذين تعددت أفواجهم أمثال الزبيدي وابن القوطيـة، وابـن سيدة وغيرهم.

4- منهجه الذي يقوم على التحقيق والضبط، وإتقان الروايـة والـتمكن من اللغة والأدب [1]. وأضحت للقالي مدرسة لها اتجاههـا، وتعـدى التـأليف المعجمي في اللغة إلى المعاجم ذات التبويب والمعاجم المتخصصة. وكل ذلـك ساهم في ازدهار اللغة العربية في الأندلس.

[1] ينظر: عبد الله الودغيري، المعجم العربي بالأندلس، مطبعة المعـارف الجديـدة، الربـاط، ط1، سنة1404ه،1984م، ص9.

## 5_ ازدهار اللغة العربية ونشأة العلوم:

### 5_1_العلوم الرياضية:

المعروف عن الرياضيات أنها لغة الأرقام والرموز، غير أن اللغة العربية وجدت نصيبها في ما اكتشفه علماء الأندلس، فمازالت تسمى بالأرقام العربية، ومثلاً على ذلك الجبر Algebra، الخوارزمي (المقصود به الحساب) Algursime، المقابلة Almohabel، الصفر Cipher.

### 5_2_العلوم الفلكية:

يسمى كذلك علم الهيئة عند العرب، وقد وجِدت الآن مصطلحات فلكية عديدة ذات أصل عربي، هذا دليل على ما قام به العرب من دراسات فلكية وعلى فرض اللغة العربية نفسها في هذه العلوم؛ لأن معظم هذه الأسماء قد تركت في الوقت الحاضر واستعيض عنها بأسماء غيرها ومن هذه الأسماء العذارى Adara، السها Alcor، الجنب Algenib، الفكة Alphacca، الجبهة Algieba، عرش الجوزاء Arsh، بنات نعش Benatnasch، السرطان Cancer، الكلب الأكبر CamisMa,or، الكلب الأصغر Camis Minor، ذنب الدواجن Deneb Eldolphinas، ذنب الجدي Deneb Elokab، ذنب العقاب Daneb Elkab، النصل Elnasl، الراعي التنين Etanin، فم الحوت Famu Lhout، رأس الأسد Res Al Asad، رأس الثعبان Res toban، سعد الملك Saod Al Melik، سعد السعود Saod Saoud، العذراء Virgo، الطائر Altair، قرن الثور Tauri، السموات amwet.

### 5_3_العلوم الكيميائية:

الكيميـــاء Alchemy، الكمـــل Alcuhal، زرنـــيخ Arsenic، بـــورق Baraxx، الاكســـير Elixir، قرمـــز Kermes، كبريـــت Kibruit، الانبيـــق Linbick، نفـــط Naphtaa، عطـــر Attar، الزئبـــق Assoguc، قطـــران caudran، بنج Bang، سموم Simouim.

وأثمرت جهود العرب في تطوير علم الطب وتأثرت ثقافة الغرب الطبيـة تأثراً عميقاً بما اقتبسه من العرب في هذا المضمار.

### 5_4_العلوم الطبية:

العرب أول مـن مارسـوا عمليـات الجراحـة في العـالم إطلاقـا ووضـعوا المؤلفـات فيهـا وفي طرقهـا، والأمـراض الـتي يجـب استئصـالها والآلات والأدوات التي تستعمل، وهم أول من اكتشفوا وسـائل التخـدير، وأنشـأوا المستشفيات وأنجبت الأندلس أشهر جراح عربي هوأبوالقاسم الزهراوي سنة (427هـ/ 1035م)، فكـان طبيبـاً خـبيراً بالأدويـة المفـردة والمركبـة ولـه تصانيف في الطب وأفضـلها كتابـه الكـبير المعـروف بــ (الزهـراوي) ومـن مؤلفاته الأخرى كتاب (التصريف) [1].

### 5_5_الزراعة:

ظهر التراث العربي الزراعي بصورة واضحة في جنوب أوربا، فقـد أدخـل العرب في إسبانيا وأوروبا بعض النباتات الجديدة، وعدداً من أسـاليب الـري، وأهم النباتات التي أدخلها العرب وظهرت في لهجات أسبانيا وصـقلية وأوربـا

---

[1] ينظر: توفيق سلطان اليوزبكي، الحضارة العربيّـة في الأنـدلس وأثرهـا في أوربـا، مجلـة ثقافتنـا للدراسات والبحوث، المجلد الخامس، العدد 20، 1431ه/ 2010م، ص133.

الغربية بأسماء تكشف أصالتها العربية مثل: الريحان Arroyon، الخزامى Alhuzema، الموز Banane، نارنج Naronga، الزعفران Azafran، ليمون Liom، البرقوف Albericaguo، الزيتون A Coton، باذنجا Berenjena، البرقوف Albericaguo، القطن Coton، والرز Riz، وقصب السكر Sugra، والقهوة Cafe.

وقد أسهمت أساليب الري التي أخذت عن العرب بشكل هام في تكثيف الزراعة في أسبانيا وفي جنوب أوربا، واستعملت الألفاظ العربية الدالة على السقاية أيضاً مثل: الساقية Aceqiua، الناعورة Naria، السد Azud، البركة Alburca[1].

### 5_ تأثير اللغة العربية في أهل الذمة:

كان العرب الأولون يجرون على تسامح كريم صادر عن إيمان العرب برسالتهم الانسانية التي كان لها أثرها الكبير في اجتذاب أهل الذمة إلى الاسلام وإقناعهم بعدالة الدولة العربية، وهذا هوالسر في إقبال أهل الذمة على الدخول بأعداد كبيرة في الإسلام، وأدى ذلك إلى دخول كثير من الكلمات الاسلامية واستعمالها بألفاظها العربية من قبل سكان الأندلس مثل كلمة الله Alah، القرآن Alcoran، الحديث Hadith، الاسلام Alislam، الفتوة Alfatea، رمضان Ramadan، السنة Alsonna، السلام عليك Al-salamalec، سورة Saurate، مؤذن Muezzin، رب Rab، بركة Baraka، ابليس، جن Djiun، حرام Haramu، زكاة Zekkat، هجرة Hegira، طلسم Talisema، وقف Wakouf، خراج Carath.

[1] ينظر: توفيق سلطان اليوزبكي، المرجع نفسه، ص132.

ومن المؤلفين اليهود الذين ساروا على نهج المؤلفين العرب والمسلمين هو(موسى بن يعقوب (ت 459 ه /1067م) صاحب كتاب المحاضرة والمذاكرة، ولم تكن الجوانب الاجتماعية بعيدة عن مؤلفه، إذ عالجها بأسلوب لغوي لا يخلومن التأثير المشرقي، وربما سلك فيه نهج التنوخي ( ت384 ه /994 م) في كتابه مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

وأما في ميدان الشعر ونقده، فالقصائد التي أنشدها شعراء اليهود تعكس اهتمامهم بقواعد الشعر العربي شكلاً ومضموناً، فضلاً عن تأثرهم بفن المقامات والموشحات الاندلسية [1] .

## خاتمة:

لقد ازدهرت اللغة العربية في الأندلس بفضل العوامل التي ذكرتها سابقا، إضافة إلى إبداع العلماء من مختلف التخصصات، وتركهم لآثار خالدة تدل على رقي الحضارة الأندلسية باللغة العربية.

وأركزّ دوما على التعليم ودوره؛ لأنّ أي نظام تربوي لأي أمة لا يمكن أن يكون أصلا هادفا إلاّ إذا قام على أساس من تراثها، وبعد نظر إلى واقعها، وتخيل لمستقبلها، إذ لا بد من الاهتمام بمركز التعليم وأهله، والإفادة ممّا قدمه السابقون، فالتراث هوثروة الأمس وزاد المسير وعبرة المستقبل.

.

[1] ينظر: علي عطية شرقي، أثر اللغة العربية في اسهامات اليهود والنصارى في الاندلس أثناء عهدي الخلافة والطوائف (دراسة تاريخية) (جامعة بغداد/كلية التربية)، مجلة الاستاذ، العدد203، سنة 1433ه، 2012م، ص502.

# النحو العربي وازدهار اللّغة العربيّة

أ. ويزة أعراب

ملحق بالبحث بالمجمع الجزائري للّغة العربيّة

## مقدمة:

يعتبر النّحو العربي سياج، ودعامة، وميزان اللّغة العربيّة وركيزتها الأساسية، لحماية اللّسان العربي من اللّحن والخطأ، حيث يقول أحد القدماء: " إنّ الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنّه شرط في رتبة الاجتهاد، وأنّ المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم النّحو؛ فيعرف به المعاني التي لا سبيل لمعرفتها بغيره. فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه، لا تتم إلاّ به..."، فنفهم من هذه المقولة أنّ الاجتهاد في جميع العلوم لا يكون كاملاً إلاّ بتعلم صاحبه النّحو العربي، لأنّه به يصلح الكلام، وتحسن الكتابة، فمنذ القديم سعى القدماء إلى تيسير قواعد النّحو وتبسيطها، وكذلك المحدثين والمعاصرين بشكل فردي أو جماعي، وذلك لوعيهم الكبير، وإحساسهم العظيم بدور النّحو في ازدهار اللّغة العربيّة؛ وعليه سأحاول الإجابة في موضوعي هذا عن الإشكالات التالية:

كيف يمكن للنّحو العربي أن يلعب دورًا فعالاً في ازدهار اللّغة العربيّة؟

وما هي التّحديات التي تواجه تعليمية النّحو العربي (حوسبة اللّغة، المدقق النّحوي، والصرفي...)؟

فلقد اعتنى علماء العرب بالنّحو العربي منذ أواخر القرن الهجري الأول ( السابع الميلادي)، نظرًا لأهميته من أجل الحفاظ على القرآن الكريم،

وسلامة اللّغة العربيّة وكذلك لكي يلتحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها، ونسمع اليوم النّاس يقولون أنّ النّحو نضج واحترق، فلا سبيل إلى إضافة الجديد إليه، وحتى في التّدريس الجامعي جميع التخصصات تجدهم يدّرسون النّحو، وأصول النّحو وكأن الجميع ملم بطرق تدريس وتعليم أصول النّحو.

اليوم في ظل العولمة والتّطور التكنولوجي والبحث العلمي الذي يفرض نفسه على المناهج التربوية والتّعلم والتعليم، ولأنّ كل عصر عصرنته ومع استعمال الكبتار ( الحاسوب، الكمبيوتر) **بات من اليقين أن نصوغ مدقق لغوي يساعد الطفل والباحث في انجاز بحوثه دون أخطاء, من أجل إعداد جيل منتج للمعرفة العلمية لا مستهلك لها فقط،** وبات من الضروري أن نجعل الكبتار يتقن اللّغة العربيّة نحويًا وصرفيًا.

**تعريف اللسانيات الحاسوبية:** وتسمى أيضًا علوم اللّغة الحاسبية، وهو علم حديث النشأة حيث يستعين فيه الإنسان بالآلة ( الحاسوب، الكبتار) من أجل فهم اللّغة الطبيعية للإنسان، وكذلك فهم اللّغة وبنائها، وفي هذا العلم تتشارك اللسانيات مع الكبتار في فهم خصائص اللّغة الطبيعية مع الخدمات التي يقدمها الكبتار حيث تقوم اللسانيات بتقديم النّظريات اللّغوية ويقوم الكبتار بترجمتها إلى برامج وتطبيقات تساعد على فهم اللّغة الطبيعية؛ والهدف من هذا العلم هو وضع برنامج حاسوبي يمكنه فهم وإنتاج اللّغة البشرية بمعنى آخر محاكاة اللّغة البشرية. ويقول الأستاذ صديق بسو:" هي فرع من فروع الذكاء الاصطناعي واللسانيات، تهتم بتحليل وتوليد وفهم لغات الإنسان، ويتم التوليد انطلاقًا من قواعد بيانات تحوي معلومات مهيكلة بطريقة حاسوبية للحصول على جمل مفهومة من طرف الإنسان، وكذا فهم لغة الإنسان الطبيعية وتحويلها إلى تمثيلات مجردة قابلة للاستغلال من طرف

برامج الحاسوب." [1] ويقول أيضًا: "تعمل المعالجة الآلية للغات الطبيعية على الانتقال بالمادة المعالجة من كلمات معزولة أو أصوات تشكل كلمات إلى معان ودلالات." [2] ويقول أيضًا " لابد لبرامج الإدارة الإلكترونية من بساطة وسهولة في الاستعمال لأنّ خدماتها غير موجهة إلى طبقة معينة من المجتمع، بل تشمل الجميع، المتعلمين وغيرهم، وذوي الاحتياجات الخاصة. ولهذا، لابد من برامج معالجة اللّغة حتى يتعامل المستعمل مع الحاسوب بلغته البسيطة أو حتى بالصوت فقط إذا كان عاجزًا عن الكتابة. كما تيسر هذه البرامج على الإدارة جميع أعمالها للتسيير والتخطيط والإحصاء والتنظيم والتواصل بفعالية" [3] فالملخص الآلي لن يكون تلخيصه صحيحًا إلا إذا كانت لديه تراكيب نحوية صحيحة، وكذلك بالنسبة للمفهرس الآلي في المكتبات الذي يقوم باستخلاص الكلمات والتراكيب المفتاحية...

**النحو العلمي والنحو التعليمي:** يقول عبد الرحمان الحاج صالح: "... فهذا في الواقع تخليط بين ميدانين مختلفين تمامًا: الميدان **العلمي النظري** والبحوث المتعلقة به والميدان التطبيقي الذي يخص التعليم. فالأول يشمل الدراسة العلمية لكل ما يحيط بالإنسان والإنسان نفسه بما في ذلك اللّغة كظاهرة ونظام أدلة ولا ينكر ذلك إلا معاند. وأما الثاني فيدخل فيه تعليم اللّغة واكتساب المهارة في استعمالها ومن ذلك ما سميناه قديما بالنّحو

[1] - صديق بسو، المعالجة الآلية للّغة العربيّة في الإدارة الإلكترونية، اللّغة العربيّة وتحديات الإدارة الإلكترونيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، 2016، ص 277.

[2] - نفسه، ص 277.

[3] - نفسه، ص 277.

التعليمي في مقابل النحو العلمي." [1] فالمدونة اللّغوية مستخرجة من كلام العرب، وعليه فالمدونة النّظرية الصحيحة التي يجب أن نعتمد عليها في إعداد قاعدة البيانات للحاسوب من أجل إعداد مدقق لغوي صحيح وفعال، هو الكتاب لسيبويه، وكذلك بالرجوع إلى أصول النّحو من أجل تتبع آراء سيبويه وأستاذه الخليل؛ وعلى هذه الطريقة يكون تصحيح الأخطاء، ويُقوّم اللسان العربي من اللّحن منذ القدم، حيث يقول عبد الرحمان الحاج صالح "...**ومن ثم اهتمامهم بتدوين شامل لكلامهم**. ولولا قيامهم بهذا فلا ندري كيف كان يمكن أن تعلم العربية وتصحح الأخطاء إلا بالرجوع إلى مجموعة من الأحكام يضبط على أساسها الاستعمال السليم للغة العربية." [2] و يقول عن ذلك " الرماني : "**صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب** بطريق القياس الصحيح" (كتاب الحدود، 50). فهذا هو الهدف الأساسي للنحو. أما ما أضافوه من الاستعانة بالقياس في ذلك فهو يقصد أن القياس هو الذي يمكن الفرد الواحد من المتكلمين من التكلم السليم دون السماع في الكثير من الأحوال. وكذلك قال ابن جني: "لا يحتاج [المتكلم] إلاّ أن يسمعه لأنه لو كان محتاجا إلى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وتقبلها المتأخرون معنى يُفاد" (الخصائص،2/ 41)." [3]

---

1- عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النّحوية العربيّة، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2016، ص 273.

2 - نفسه، ص 273- 274.

3 - نفسه، ص 274.

**تيسير النحو:** يقول عبد السلام المسدي: " مسألة التجديد اللّغوي في الفكر العربي منذ انطلاق النهضة الحديثة قد تحددت انطلاقًا من تقاطع ضربين من الوعي: وعي بالسلطة الرمزية الكبرى التي مارستها اللّغة العربيّة داخل منظومة التراث الفكري حتى اكتمل معماره الثقافي تحت قباء الفضاء العربي الإسلامي، ووعي بأنّ اللّغة - بين ازدهار وضمور- هي دومًا مرآة تنعكس عليها صورة الواقع السياسي فيما بين المد الحضاري المتألق والانحسار التاريخي الطارئ. وفي رَحِم هذا الوعي الفكري تخلّقت قضية التّجديد اللّغوي في بعدها المعرفي ثم تطورت في امتداد ثقافي هو الناتج الأقصى لتضافر المقوّمات المادية المحسوسة والمرجعيّات الرمزية المجرّدة على حدّ ما هو صورة من صور ازدواج المشهد العربي بما يثوي وراءه من مكوّنات المشهد الإنساني العام," وكأنّ الواقع اللّغوي بين الازدهار والضمور هو السبب الأكيد للبحث عن التجديد اللّغوي، الذي بدوره استوجب تيسير النّحو، وأقصد من هذا أنّ التجديد اللّغوي هو سبب مباشر من أجل البحث عن تيسير النّحو. وكان دائمًا يقول عبد الرحمان الحاج صالح ما يجب تيسيره هو طريقة تعليم النّحو وليس النّحو في حد ذاته:" أما هذه الوضعية الاجتماعية التي لها أسباب تاريخية فاللّغة بريئة منها لأنّ أصحابها هم الذين تأخروا علميًا وتكنولوجيًا وعسكريًا عن غيرهم فتبعتهم اللّغة التي ينطقون بها. وهذا ينفي ما زعموه من أنّ العربيّة غير قادرة على التعبير العلمي المعاصر. **إذ ليس من لغة في الدنيا يكون لها كتابة إلا وهي قادرة على التعبير العلمي إذا ما ارتقى أصحابها أيًا كانت ومهما كانت وضعيتها الاجتماعية** فقوة اللّغة ونفوذها لا تكمن في ثروتها من حيث المصلحات العلمية والتقنية بل فيما تنقله من معلومات جديدة يتسابق الناس إلى الحصول عليها . فوجود المصطلحات فيها ناتج عن هذا لا العكس. وفي

هذا المجال لا يسعنى سوى سرد ما قاله صالح بلعيد في ندوة تيسير النّحو عن دراية وتجربة: "لقد اطلّعت على القواعد النّحوية العربيّة قديمها وحديثها، كما مارست تدريس هذه المادة بدءًا من 1984، واستطعت أن أكتسب كثيرًا من العمق والفهم والدّراية في هذه المادة، ومع ذلك أحرج في بعض المسائل النّحوية، وتجدُني عاجزًا عن جواب أحمرّ به وجهي، وأنقبض في مواقف باحثًا عن إعراب اللّفظة خوف اللّحن. تلكم قليلاً من المعاناة التي حملتني على كتابة هذه الورقات أرفعها إليكم طالبًا المساعدة على إيجاد المخرج العلمي لمادة النّحو. وأكون طرفًا في البحث عن الحلّ بعد إطلاعكم علة مكمن الضّعف والصعوبات التي استطعت استخلاصها من سنوات الممارسة لهذه المادة...." [1] ومن منّا لا يشاطر رأي الأستاذ، فهو حقًا على صواب، ومن منّا لم يجد نفسه في نفس هذا الموقف، وعليه فقد تحدث كثيرًا عن المدقق اللّغوي في العديد من المناسبات، حيث يقول: "... أنّه لمّا نفتح الويندوز مثلاً نجد أنّه فارغ من حيث الأدوات اللّغوية الخاصة بالعربيّة إذا ما استثنينا المدقق الإملائي لوورد الذي بقي منذ نسخته الأولى ضعيفًا جدًا، فهو لا يكاد يصحح حتى الأخطاء البسيطة الخاصة بالهمزة، أمّا المدقق النّحوي فهو فارغ..." [2] فالمدقق النّحوي لحد اليوم لم يتطور ولا يمكن الاعتماد عليه كما تفعل الدّول الغربية.

**المدقق اللّغوي:** كما ذكرت سابقًا فالكثير من النّاس ( المثقفين، والأساتذة، والطلبة والتلاميذ) متخوفون من النّحو مما جعلهم يتخوفون من

---

[1] – صالح بلعيد، شكوى مدرس النّحو من مادة النّحو، تيسير النّحو، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2001، ص 418.

[2] – صالح بلعيد، المحتوى الرقمي باللّغة العربيّة، النشر الإلكتروني، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2014، ص 137.

الإنتاج العلمي باللّغة العربيّة، وعليه " لماذا لا تتجه مجهوداتكم أنتم الحاسبيون إلى سدّ هذا الفراغ الذي تعاني منه اللّغة العربيّة في هذا الميدان." [1] وذلك بإنتاج مدقق لغوي يساعد الطلبة والأساتذة ...في جميع التخصصات العلمية وييسر عليهم الإنتاج باللّغة العربيّة السليمة بعيدًا عن الأخطاء، والتخوف من الأخطاء فكما قال صالح بلعيد:"... وهذه الأدوات عندما تتوفر للّغة العربيّة سنصل إلى تطبيقات حاسوبية عالية المستوى مثل ميدان التّرجمة الآلية، وهذا ما حصل للغات الأوروبية، التي غطّت جميع مستويات الدراسات اللّسانية الحاسوبية من معجم ونحو وصرف ودلالة وبالتالي استطاعت الوصول إلى مستوى الترجمة الآلية فيما بينها بأداء جيد، ..."

**مفهوم التدقيق اللّغوي :** هو مراجعة مضمون النص المكتوب أو المنطوق ( مفردات وتراكيب)، وتصحيح ما به من أخطاء نحوية وصرفية، وذلك في مجالات عديدة نذكر منها:

1- الإذاعة بنوعيها المسموعة والمرئية وتشمل: الأفلام والمسلسلات، والبرامج التاريخية والأفلام الوثائقية والبرامج التعليمية المسرودة، والنشرات الإخبارية؛

2- المنشورات المقروءة وتشمل: الصحف والمجلات والكتب والقصص والروايات.

3- المواقع الإلكترونية وتشمل المنتديات التعليمية، والمواقع الإخبارية، والمواقع الدينية .

**لماذا التدقيق اللغوي؟** كتب في مقدمة للمدقق اللّغوي Ginger

[1]- نفسه، ص 137.

" إن المضمون أو محتوى النص يتسم بأهمية بالغة، ولكن يمكن للطريقة التي يُعرض بها ومدى صحته وتماسكه أن تؤثر تأثيراً كبيراً في الحكم عليه وفي الحكم عليك شخصياً. إنّ من الأهمية بمكان في عالم اليوم أن تكتب بلا أخطاء؛ فالأخطاء تنعكس عليك انعكاساً سيئاً، سواء أكان ما تقدمه بحثاً مدرسياً، أم سيرة ذاتية لوظيفة، أم رسالة بريد إلكترونية إلى أحد الزملاء . ولكي تتفادى تلك الأخطاء عليك أن تجري تدقيقاً لغوياً على ما تكتبه؛ والتدقيق اللّغوي هو آخر مرحلة من مراحل عملية تحرير النص، وهي تركز على الأخطاء السطحية (المرئية) كالأخطاء الإملائية والنّحوية والترقيم. والتدقيق اللّغوي جزء مهم في عملية الكتابة ويجب ألا تغفله؛ فبمقدوره أن يكون ذلك الفارق بين إنجاز الصفقة وخسارة العميل مدى الحياة، أو بين أن تنجح أو تفشل في الحصول على الوظيفة التي تريدها حقاً، أو أن تنجح أو ترسب في الاختبارات.

يستخدم المدقق اللّغوي لبرنامج "Ginger" تكنولوجيا رائدة لتصحيح النصوص بدقة لا تضاهى. وهو يتكون من مدقق إملائي ومدقق نحوي يغطيان مجموعة كبيرة من الأخطاء، الأخطاء المطبعية البسيطة مروراً بالأخطاء الإملائية الشديدة إلى الأخطاء النحوية المعقدة، ولذا، لم يكن التدقيق اللغوي قط أكثر سهولة!

ويمنحك هذا المدقق اللّغوي القدرة على تصحيح أخطاء متعددة بنقرة واحدة. ولسرعان ما سوف تلاحظ كيف أن عملية التدقيق اللّغوي قد صارت أكثر سرعة ودقة وصحة.

**التدقيق اللغوي طريقك إلى النجاح: الآن تكتب أفضل وأسرع:**

لقد أضحت الكتابة الآن أكثر سرعة وسهولة مع المدقق اللّغوي لبرنامج "Ginger".ولن تضطر إلى أن تطلب من الآخرين إجراء تدقيق لغوي لما تكتبه. فقط قم بتنزيل التطبيق بالكامل، وهذا التطبيق يتضمن أيضاً قدرة على الاستماع للنصوص وبرنامجاً تعليمياً كاملاً من شأنه أن يساعدك في التعلم من أخطائك وتجنب تكرارها في المستقبل. إنّ هذا المدقق يسمح لك بربح الوقت والجهد؛ ، وعليه يمكنك أن تقضي المزيد من وقتك الثمين في إثراء مضمون كتاباتك وفي بلورة أفكارك، لا تدع الأخطاء تقف في طريقك!! ابدأ باستخدام المدقق اللّغوي لبرنامج "Ginger" اليوم.!

**للأسف الشديد** فهذا المدقق اللّغوي، لا يخص اللّغة العربيّة، بل يخص اللّغة الانجليزية، ونتمنى:

بالجهد والمثابرة أن يكون لنا يومًا ما برنامج مثل أو أفضل من هذا البرنامج؛ نظرًا لأهميته البالغة في تسهيل العمل وربح الوقت.

**أهمية المدقق اللغوي:**

1- الابتعاد عن الخوف السائد بصعوبة النّحو العربي؛

2- مساعدة التلاميذ في إنتاج "تعبير كتابي" للمدرسة خالٍ من الأخطاء الإملائية والنّحوية؛

3- مساعدة الطلبة في جميع التخصصات على الإنتاج بلغة عربيّة سليمة وواضحة وخالية من الأخطاء؛

4- ربح الجهد والوقت؛

5- التركيز على المضمون أكثر من التخوف من الوقوع في الأخطاء الإملائية والنّحوية خاصة؛ وبالطبع نشكر كل الجهود الموجودة والمتوفرة في

هذا الميدان وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: "تطوير برمجية عربية مفتوحة المصدر تعمل على الانترنيت، وتمكّن المستخدم العربي من تصحيح الأخطاء الإملائية التي يقع فيها وهو يكتب نصوصا عربية على شبكة الانترنيت . ويعتمد هذا المشروع أساسا على **المدقق الإملائي العربي الحر آيسبل**.لتوفير خدمة التدقيق على الشبكة دون الحاجة إلى تثبيت برامج خاصة على المتصفح. "[1] وهذه الملاحظة وجدتها وأنا أبحث عن مستجدات المدقق اللّغوي باللّغة العربيّة: " **ملاحظة : إقرار إخلاء المسؤولية للترجمة الآلية** :تمت ترجمة هذه المقالة بواسطة نظام كمبيوتر دون تدخل العامل البشري. توفر Microsoftهذه الترجمات الآلية لمساعدة المستخدمين الذين لا يتحدثون الإنجليزية على استخدام منتجاتMicrosoft ، وخدماتها، وتقنياتها والاستمتاع بها. قد تحتوي هذه المقالة على أخطاء في المفردات، أو بناء الجملة، أو القواعد نظرًا لترجمتها آليًا." [2] وهذه الملاحظة في البحث عن "إجراء التدقيق الإملائي والتّدقيق النّحوي في 2010 Office في الإصدارات الأحدث" [3] إنّ مثل هذه الملاحظات يجب أن نعمل جاهدين من أجل التخلص منها وذلك بإثراء المعجم الحاسوبي، وكذلك بإنتاج مدققات لغوية رائعة تفي بالغرض المطلوب.

**مظاهر تخلف النحو العربي في مضمون اللسانيات الحاسوبية:** لقد بين نبيل علي أهم مظاهر تخلف النّحو وأوجه القصور الرئيسية في البرمجيات الحاسوبية وأرجعها إلى:

[1] - http://ayaspell.sourceforge.net/spellchecker/
[2] - https://support.office.com/ar-sa/article/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%
[3] - https://support.office.com/ar-sa/article/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%

1- "قصور حاد في لغة وصف اللّغة ( ميتا- لغة)؛
2- صورية النّحو العربي؛
3- تخلف نظام التقعيد؛
4- إغفال دراسة العلاقات النّحوية؛
5- قصور المعجم عن تلبية مطالب النّحو." [1]

ويقول كذلك في حديثه عن أزمة النّحو العربي: أنها أزمة نحوية مزمنة، فنحن متخلفون نحويًا، فهناك انفصال شبه تام بين المفروض والمقبول، وتحدث عن ديكتاتورية النحاة، فالنحو قياس يتبع يسن نصوصه المشرعون النحويون، في رأي المؤلف، ...لقد كان أولى بنا أن نقود هذه الثورة النّحوية بدلاً من أن نظل أسرى استرخائنا الفكري ننظر إليها من مقاعد المشاهدين..." [2] ويقول " رغم مبادرات ومحاولات بعض الباحثين الجادين، من العرب والأجانب، لتحديد التنظير لبعض جوانب النّحو العربي، تظل هذه الجهود دون الحد الأدنى المطلوب، ويأتي معظمها متناثرًا – ومكررًا في كثير من الأحيان- ...سبات نحوي طال أمده زهاء ثلاثة عشر قرنًا، وبات الموقف أسوأ من أن يستمر، وبات الأمر في أمس الحاجة لهزة نحوية عنيفة. وليكن هدفنا هو التفسير لا التيسير، تفسير ما هو قائم دون محاولة لتغييره، فالتيسير تابع للتفسير، فبدون فهم دقيق للظواهر اللّغوية ستجيئ معظم محاولات التيسير جزافية ومفتقدة لأسس تعليلها، ومقومات استساغتها وقبولها، ولنا من من التاريخ المؤلم لتطوير نحو العربيّة كثيرًا من العظات " [3]

---

[1] - نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسوب، تعريب، 1988، ص 373,

[2] - بتصرف، نفسه، ص 370.

[3] - نبيل علي، بتصرف، اللّغة العربيّة والحاسوب، ص 371.

## الخاتمة:

لقد تحدث علماء كثر عن النّحو العربي، وكل على حسب ما يقتضيه عصره واليوم من خلال هذا الملتقى، "ازدهار اللّغة العربيّة: الآليات و التحديات" أردت أن ننظر إلى هذا العلم على حسب ما يتطلبه عصرنا، عصر الكبتار، فنحن الآن لا نحتاج إلى تيسير النّحو، أو تجديد النّحو، بل إلى الهندسة اللّغوية، وطريقة لإنشاء مدقق لغوي فعال على حسب نحو الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، ولتكن لنا نظرة أخرى لهذا العلم الذي لطالما نُعِت بالصعب، فالنجعل الكبتار يتقن النّحو العربي.

## المراجع:

1- https://support.office.com/ar-sa/article/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%

2- http://ayaspell.sourceforge.net/spellchecker/

3- صالح بلعيد، شكوى مدرس النّحو من مادة النّحو، تيسير النّحو، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2001.

4- صالح بلعيد، المحتوى الرقمي باللّغة العربيّة، النشر الإلكتروني، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2014.

5- صديق بسو، المعالجة الآلية للّغة العربيّة في الإدارة الإلكترونية، اللّغة العربيّة وتحديات الإدارة الإلكترونيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، 2016.

6- عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النّحوية العربيّة، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2016.

7- نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسوب، تعريب، 1988.

# استعمال اللغة العربية في وسائط التواصل الاجتماعي
# ـ متابعة ميدانية ـ

د. محمد بغداد ( جامعة المدية )

**المدخـــــل:**

تعد مواقع التواصـل الاجتمـاعى، فضـاءات تفاعـل ومنصـات تخاطـب، ومنابر إعلامية، ووسائل اتصـالية، ظهـرت مـع بدايـة القـرن الجديـد، وقـد تمكنت في وقت قصير من استيعاب عدد كبير من الاشخاص، كونها وفـرت الخدمات الاتصالية، وحققت الاسـتجابة للحاجـات الإعلاميـة، ومتطلبـات الدوافع التواصلية، للراغبين في تحقيق الأهداف المتنوعـة للوجـود البشـري، باعتبار التواصل الخاصية الأساسية للظاهرة الاجتماعية[1].

ومن هنا فإن مواقع التواصل الاجتماعى، تتميز بسرعة التواصـل وخفـة التفاعل، ولا تتطلب الكثير من الأجهزة والإمكانيـات، خاصـة مـع توفرهـا على الهواتـف الذكيـة المحمولـة، مما جعلـها في متنـاول الجميـع، بعيـدا عـن اكراهات المكان واشتراطات الامكانيات الماديـة الكـثيرة، وهـى الحالـة الـتى تتطلب السرعة في التجاوب مع الرسائل، وسهولة أكبر في التفاعل معها.

ان ميزة السرعة لمواقع التواصـل الاجتمـاعى جعـل مصـمموها يضـعون ادوات اتصالية تنحونحوالرمزية والاشارة معتمدين على قدرة المتفاعلين على التفاهم والاعتمـاد علـى الفهـم للرمـوز، (تنـاول الانـدماج مفهومـا لغويـا ومراحله التاريخية ونظرياته ودوافعه وأسبابه وفوائده وطرقه وأنواعه ومزاياه

وعيوبـه وآلياتـه ومراحلـه، وسـلبيات الانـدماج بالمؤسسـات الإعلاميـة، والانـدماج الاقتصـادي في مجـال الفضـائيات، والانـدماج بـين الاعـلام والاتصالات، وتكنولوجيا الاندماجات والتحالفات) [2]، وهى الوسيلة الـتى تتكيف مع طبيعة هذه المواقع وتستثمر في الزمن وتقلل من تكلفة التواصل.

وقد وفرت مواقع التواصل الاجتمـاعى، إمكانيـة الانخـراط في فضـاءات بكل اللغات، وفي مقدمتها اللغة العربية، الـتى وجـد النـاطقون بهـا، فرصـة الحصول على خـدمات هـذه المنصـات، دون كـثير جهـد ولا كـبير تكلفـة، وهوالأمر الذي أزال العنـاء وسمـح بـانخراط عـدد أكـبر مـن المتفـاعلين في السنوات الماضية، وينتظر انخراط أعداد أكثر في السنوات القادمة، (أثر التقانة الشبكية في هويّة كل من الفرد والجماعة، وعن نزع مادة الهويّة والجماعة من مناطقها لتأخذ في التدفّق عبر الحدود الجيوسياسية بيسر متزايد) [3].إن تـوفير امكانية استعمال اللغة العربية، في مواقع التواصل الاجتمـاعى، فـتح البـاب أمام التكيف مـع المقـاييس والتقنيـات الـتى يعتمـدها التصـميم الـتقنى لهـذه المواقع، خاصة التقنيات الرمزية التى مكنت المتفـاعلين في هـذه المواقـع، مـن التكيف معها، والاعتماد عليها، في تحقيق سرعة التفاعل وإنتاج رسائلها بكل سهولة واستقبال الرسائل القادمة، مما أنـتج في النهايـة خطابـا اتصـاليا، لـه خصوصيات هذه المواقع.

ان الفضاءات الجديدة التى فتحتها مواقـع التواصـل الاجتمـاعى، أزالـت الكثير من العراقيل والصعوبات، التى كانت تقف سابقا أمام تحقيق التفاعـل المنشود، وسمحت للغة العربية بالانتشار والتمدد عبر مسـاحات اسـتعمالها، وزوال الموانع السابقة الوهمية والحقيقيـة، أمـام النـاطقين باللغـة العربيـة في

التواصل بسهولة، عبر هذه الوسائط مع بعضهم أوحتى مع غيرهم من الناطقين بلغات أخرى، (أصبح لما يسمى الإعلام الجديد مريدون من مختلف المراحل العمرية، تم اقتطاعهم من جمهور وسائل الإعلام بصفة عامة والتليفزيون على وجه الخصوص، حسب تقرير هيئة الإذاعة البريطانية، الذي أكد أن التليفزيون يفقد عرشه لصالح هذه الأدوات الجديدة التى استحدثت لغة جديدة للتواصل، فكان لا بد من الاشتباك مع هذا الواقع والاعتراف بوجوده )[4].إلا أن استعمال اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعى، خضع الى الكثير من التحوير تكيفا مع تقنيات تصميم هذه المواقع، مما نتج عنه قاموسا لغويا اتصاليا خاصا بهذه المواقع، حمل الكثير من المضامين التى يمكن رصدها والانتباه لها، من خلال التتبع الميدانى، وهوما تتضمنه هذه الورقة، التى ترصد ملامح هذا القاموس والجهود التى بذلت وتبذل من طرف المتفاعلين في مواقع التواصل الاجتماعى، من أجل التحوير الاستعمالي للغة العربية، من اجل تحقيق الأهداف المرجوة من التفاعل.

إن هذه الورقة تتضمن دراسة ميدانية، تناولت تحليل مضمون تسعمائة صفحة، على مواقع التواصل الاجتماعى، تنتمى لفئات اجتماعية ومعرفية مختلفة (أدباء ـ شعراء ـ صحفيون ـ اكاديميون ـ طلبة) وهى الصفحات التى تستعمل اللغة العربية، ورصد القاموس اللغوي المستعمل من طرف هؤلاء في تفاعلاتهم اليومية، سواء ما تعلق منها بإنتاج الرسائل أم مشاركة رسائل الآخرين، ومختلف السلوكات الاتصالية الأخرى، والقيام بقراءة هذا القاموس، من حيث الاستعمال اللفظى، أوالدلالة التى تتضمنها تلك الالفاظ والرموز المستعملة، والكشف عن خلفياتها المعرفية والثقافية لهذه الفئات.

كما تعمل الدراسة على رصد مؤشرات النموفي الاستعمال اللغوي لقاموس اللغة العربية، الذي يجعل ذلك الاستعمال، سهلا وفي متناول الجميع، الأمر الذي يجعل اللغة العربية، تملك الميزة التى تجعلها قادرة على التكيف، مع تقنيات وفنيات تصميم مواقع التواصل الاجتماعى، كما تعمل الدراسة على استنتاج العديد من النتائج، التى بإمكانها توفير الثقافة التقنية، التي تساهم في ازدهار اللغة العربية.

## حيثيات الدراسة:

بهدف رصد الاتصال الافتراضى في مواقع التواصل الاجتماعى ومتابعة السلوكات الاتصالية بعد الاتحولات الجديدة في المجتمع، بالانتقال نحومواقع التواصل الاجتماعى (أدى مفهوم الحرية لوسائل الإعلام إلى فوضى إعلامية كبيرة، إذ أصبحت وسائل الإعلام السمعيَّة والبصرية والمقروءة وسائلَ إفساد للمجتمع، لا تهتم إلا بأخبار الجنس والجرائم والسينما والفسق والفجور، والخيانات الزوجية، هذه الأمور كلها دفعت مفكري الإعلام وعلماء الاجتماع إلى نقْد نظرية الحرية، وبينوا أنها مملوءة بالسلبيات المُضرة بمصلحة المجتمع، ولا بد من إقامة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، فظهرت قوانين في بعض المجتمعات الغربية تُنظِّم العملية الإعلامية وتجعلها مسؤولة أمام المجتمع، وتَدَخُّل المجتمع يكون عن طريق قوة الرأي العام والاتحادات المهنية، وعن طريق الحكومة إن دعتِ الحاجة)[5]، التى وفرتها التكنولوجيات الاتصالية الحديثة ودخولها على الفضاء العام في المجتمع الجزائري ومحاولة لقراءة الادوات اللغوية ومضامينها تم تناول عدد من الصفحات التفاعلية لعدد من الافراد الذين تتباين مستوياتهم الاجتماعية

وتختلف مواقعهم الاجتماعية وهى الدراسة التى تجاوزت تسعمائة صفحة كعينية للدراسة وهوالعدد الذي يتميز بعلامات مهمة تساعد على تحقيق المقصود من الدراسة والتي نجملها فيما يلي:

ـ إن اختيار الدراسة، تم عبر امتلاك القدرة على التواصل الدائم مع الصفحات التفاعلية التى يعرف أصحابها انفسهم ولا يستخدمون الاسماء المستعارة، مما يوفر الثقة في تلك المادة الاتصالية المنشورة وإدراك حقيقة هوية أصحابها ومستوياتهم الثقافية وانجازاتهم، وهوما يشكل عامل أساسي في التعامل معها والاطمئنان على مصداقية التعامل، وجعلها محل الدراسة كون هذه الصفحات تنتمى الى الحقل الاستعمالى المحلى،(الانترنيت قد ساعدت على تعزيز الهويات التقليدية القديمة،العائلية،الدينية والوطنية إلا أنه قد يكون لها في بعض الحالات اثر سلبى فقد تلعب الانترنيت دورا كبيرا في تعطيل الهيكل أوالتنظيم الاجتماعى من خلال بعض المواقع المجهولة الهوية لأنّ النظم الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وهى تمثل«مجموعة القواعد المتعارف عليها مجتمعيا كالعادات والتقاليد،القانون والرأي العام التى تقوم بتنظيم سلوك الأفراد وتجبرهم على الالتزام بها) (6)، وأن مادتها يتم انتاجها في المشهد الذاتى، وأن تعاملها يكون انطلاقا من الرصيد اللغوي والتراكم الثقافي، الذي يجعل من صدقية الفرضية الأساسية، بأن هناك امكانية ازدهار استعمال القاموس اللغوي، يتم في البيئة الثقافية المحلية، وأن التكيف مع الوسائط التواصلية هى فضاء جديد، يمكن أن يكون مساحة مناسبة للتداول اللغوي المنتظر، بالرغم من تلك الصعوبات والتعقيدات التكنولوجية والفنية المتوقعة من هذه الوسائط، التي تم انجازها في بيئات ثقافية وبلغات أخرى، إلا

أن معرفة أصحابها والاطمئنان إلى ثقافتهم يجعل من الحصول على نتائج أقرب إلى الواقعية لأنه قد (ارتبطت بحوث الإعلام بالتطورات العلمية والتكنولوجية التى أثرت في بناء المجتمعات وتقدمها ونجاحها بسبب تنوع وتقدم وسائل الاتصال والإعلام التى أصبحت تحتل مكانة هامة في تنمية المجتمعات، حيث مرت بحوث الإعلام بعدد من المراحل متأثرة بعدد من العوامل الأساسية، أهمها أحداث الحرب العالمية الأولى والثانية، والحاجة إلى التغيير، وظهور والإعلانات ودورها في الدعاية والتسويق خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، إضافة إلى دائرة العلاقة بين وسائل الإعلام والجمهور، مما تركته هذه الوسائل من تأثير على الجمهور والتنافس بين هذه الوسائل، مما استدعى ظهور مراكز البحوث والدراسات للتعرف على الاتجاهات والصور الذهنية، والجماهير المختلفة لهذه الوسائل)[(7)]. ـ إن الصفحات التفاعلية التى كانت محل دراسة، باعتبارها عينات اولية تمتاز بمعيار التمكن من الحصول على معلومات إضافية، عن استعمال القاموس اللغوي، زيادة عن المادة التى يتم نشرها فيها وهى المعلومات، التى تساعد في جعل الدراسة تملك القدرة على الوصول إلى تلك المستويات، التى تؤكد أن هذه الصفحات ذات قدرة في التعامل السهل مع القاموس اللغوي، وأنها تعمل على ذلك وهى في غاية الاريحية، وأن أصحابها لهم الرغبة والمهارة والكفاءة المناسبة، لكى يتعاملوا مع التقنيات التكنولوجية للوسائط التواصلية، وإنتاج الرسائل الذاتية والتفاعل مع الآخر، والتفاعل مع المستجدات من خلال الادوات التعبيرية للقاموس اللغوي الذاتي، ومما يزيد هذه الصفحات أهمية ما توفره من معلومات

الزمن والسرعة التى تكشف عن مدى تمكن اصحابها من التفاعل القياسى مع الاخرين، وأنها تملك قدرة على التكيف مع طبيعة الوسائط التواصلية، لأن المنطق التواصلى الحالى (إن نظرة سريعة على واقع شبابنا اليوم تكشف لنا مدى عزوف الشباب عن المشاركة في قضايا المجتمع، والابتعاد عن النشاطات السياسية والاجتماعية، وهذا ناتج عن طول أمد الاستبعاد الذي مورس ضد الشباب وعزلهم عن الحياة العامة وخاصة السياسية سواء في المدارس والجامعات أم في المنظمات الشعبية والديمقراطية المحدودة، فشبابنا اليوم يسعى خلف الإعلام الخارجى باحثاً عن الحقيقة، التى بدأ يشك في صدقها في إعلامه الرسمى، متصوّراً أنه سيجدها عند الآخر، وهذا بداية الانسلاخ الثقافي وفقد الثقة في ثقافته والقائمين على تسيير شئونه، ومؤشر إلى سهولة السقوط تحت تأثير أي إعلام معاد له ولوطنه وتراثه الثقافي والحضاري، وسنرتكب أخطاء أكثر فأكثر إن نحن تصوّرنا أن بإمكاننا الاستمرار في إبعاد جيل الشباب في عالمنا عن المشاركة الكاملة في إدارة شئون حياته ورسم مستقبله، فالكبار في عصر يقوده الشباب لن يتمكنوا من ضبط إيقاع الحياة دون الشباب ومشاركتهم الكاملة، وقد دلت الدراسات والأبحاث الحديثة على أن المجتمعات، التى تتعرض للتغير التقنى السريع لا يعود الآباء فيها يملكون ما يقدّمونه لأبنائهم، لأن معارفهم تفقد ملاءمتها للواقع الجديد والمستجد، فكيف بزمان كزماننا الذي فاقت سرعة التغير التقنى فيه بملايين المرات سرعة التغيرات التقنية التى أصابت المجتمعات البشرية القديمة، فجيل الآباء في زماننا ما عادوا يملكون معظم الإجابات عن أسئلة أكثر وأعقد مما لا يقاس مما توافر لمن سبقهم، فهم يكادون أن يفقدوا

الموقع الـذي يخـوّلهم أن يقــولوا للصـغار مـاذا يفعلـون ومـاذا لا يفعلـون، وأصبحت العلاقة بين الطرفين بسبب التقنية الجديدة حواراً لا تلقـين دروس وأوامر)[8]. ـ كما عملت الدراسة، على التعامل مع الصفحات ذات التفاعل الدائم وتجددها اليومى، وهى الميزة التى يفرض أن يكون اصـحابها يمتلكـون تلك القدرات التفاعليـة السـريعة، ولهـا مـن الرصـيد اللغـوي المـتين الـذي يسعفهم في الاستمرار والتفاعل، أوعنـدهم الـذكاء المناسـب الـذي يجعلـهم يقومون بإنتاج المناسب من الرسائل، ولديهم المهارات الكافيـة الـتى تمكـنهم من الحصول على مرادهم، من خلال محركات البحـث في شـبكة الانترنـت، وهى الحالة التى تسـاهم في تـوفير المـادة اللغويـة، الـتى تجعـل منهـا مرجعـا للآخرين وتفتح الطريق لغيرها، للتقليد أوالمشاركة والإطلاع على الاساليب التعبيرية، التى تكون في مستوى تطلعات المتفاعلين في الفضاءات التواصـلية، واكتشاف ما كانوا يجهلون زيادة على الاسلوب التعبيري، الظفر بمحمـولات تلك النصوص والأساليب، وهومـا يجعـل هـذه الصـفحات تقـدم الرصـيد الثقافي العام المتضمن للغة العربية(يأتى الإعـلام الـذي سـاعد علـى تعميـق الشقة بين أهل اللغة الواحدة، والشاهد أن برامج للمواهب في العالم العربـى وأكثرها شهرة ومتابعة، أسماؤها ليست باللغة العربية، فضلا عن أن الكـثير من المواهب المعروضة يكرس حالة الجفاء بين الشباب وثقافتـه، واللغـة هـى إحدى أهم أدوات تحصيلها وكذلك التعبير عنها، وهـى الوعـاء الحـامى لهـا والمحافظ على نقلها مـن جيـل إلى جيـل، وهنـا أود أن أوضـح أن الشـعوب العربية تواجه واقعا دوليا في مجال التواصـل، لم تشـارك في صـناعته أووضـع القواعد المنظمة له، ولكنها ليست بمعزل عن تأثيراته وتوابعه، ومن ثم لا مفر

من محاولة تطويعه للاستفادة منه قدر الإمكان، لننتقل من مربع التأثر إلى مربع التأثير، وبداية الغيث أن يكتب أبناؤنا تغريداتهم باللغة العربية، إننا نأسى كثيرا للغربة التى صارت بين الأجيال الجديدة وبين صحيح لغتهم، وهذه الغربة عرض لمرض، هوأننا في كثير من الأحايين ندفع بأبنائنا دفعا في اتجاه آخر ظانين أنه الخير، ثم نجد أنفسنا أمام معضلة فقد القدرة على التأثير، لأن الأدوات التى نستخدمها اختلفت عن أدواتهم، فبات كل منا في واد بعيدا عن الآخر نفسيا وفكريا وإن جمعنا مكان واحد، وهذه نتيجة منطقية لبدايات غير واعية من ناحية الأسر)[9]. ــ لقد وقع الاخيار على تلك الصفحات، التى تملك قدرة على التأثير في غيرها من الصفحات الأخرى، بما تملك من سرعة في التفاعل وكثافة في النشر وتوسع في المشاركة، وتستوعب أكبر عدد من الاهتمام، مما يجعلها صفحات لها من الحضور، ما يجعلها قابلة للدراسة، وهى الصفحات التى يتجلى فيها الاستعمال النوعى للقاموس اللغوي، بكل مضامينه مما جعلها في فترة وجيزة، محل اهتمام العديد من المهتمين والراغبين، في تحسين أدائهم التعبيري، من خلال اللغة العربية، وقد ساهمت هذه الصفحات في نشر التأقلم مع التقنيات التكنولوجية الاتصالية الحديثة، والاستفادة من التطبيقات المستعملة، من أجل الارتقاء في انتاج الرسائل والتعامل النوعي مع التطورات المستحدثة.

## مضامين الاستعمال اللغوي

إن الصفحات التى هى محل الدراسة، تتميز بالمستوى العمري الذي يجعل أصحابها ما بين العشرين والأربعين، وهى الفترة الزمنية التى لها من القدرة على التفاعل السريع والتجاوب القوي والتحيين المكثف والحضور القوي،

في الفضاءات التواصلية، وهى الصفات التى تجعلها قادرة على انتاج مادة اتصالية، لها من قدرة التاثير في غيرها من الصفحات، وتتحول إلى مرجع يومى، يكون الاطلاع عليها من الاولويات، التى يضعها الاخرون في سلوكاتهم، وتشكل المورد الذي يستمدون منه المواد التى يحتاجونها، سواء في التفاعل اليومى أم اثناء حالات الاحتجاج المتعددة، ما يجعلها متناسبة مع الفئات العمرية الأخرى.

كما أن هذه الصفحات محل الدراسة، يمتلك اصحابها المستوى المهنى، الذي يجعلهم قادرين على امتلاك المهارات التقنية والفنية التكنولوجية، خاصة الجمالية منها التى تزيد من رسائلها الجاذبية والإقناع، وبالذات المادة التعبيرية من مفردات اللغة العربية، التى تساهم الابداعات الفنية في التصميم والإخراج الفنى، قوة لتلك الادوات التعبيرية، ويكون المستوى الاتصالى بالدرجة الأعلى، كون هذه الصفحات لها من السعة الاتصالية، الكثير من الذين يشكلون اصدقاء عاديين أوصفحات مشتركة، أوفرق متفاعلة، وهوما يجعل المستوى الاتصالى، يحوز الجاذبية الاتصالية مع الآخرين والتفاعل معهم، حيث يكون التأثير بارزا على سلوكات المشاركة للمادة المنشورة، أوالتجاوب معها بقدر كبير من الفاعلين.

## اتجاهات القاموس اللغوي

إن الدراسة، التى تم اجراؤها شملت تسعمائة صفحة فاعلة، لمختلف الفئات الاجتماعية، ومن حقول معرفية متباينة، عملت في إحدى خطواتها على تناول الاتجاهات المسيطرة في الاستعمال اللغوي، اثناء عمليات التفاعل

اليومى، الأمر الذي يجعلنا أمام قاموس لغوي تواصلى، يتميز بالسرعة في التعبير والتباين في التفاعل، والمزايدة في التواصل، وكل ذلك خاضع إلى طبيعة التغيرات والطوارئ الحادثة يوميا، وهوما يتجلى معه إمكانية ظهور اتجاهات تعبيرية، تعتمد على قاموس لغوي يتميز بالثراء، ويكشف عن مستويات التمكن من استعمال الأدوات اللغوية، وكيفية تداول هذه الادوات، ومدى شموليتها للرسالة التواصلية المراد انجازها، وقد سمحت المادة اللغوية المستعملة في تسعمائة صفحة، من رصد أولى لاتجاهات تعبيرية للقاموس اللغوي، أثناء عمليات التفاعل اليومى، وهى الاتجاهات التى تضيف الكثير من الثراء والاستعمال الواسع، لأدوات القاموس اللغوي، ويمكن الاشارة هنا الى تلك الاتجاهات:

تشكل المواعيد والمناسبات الدينية، المحطة الأبرز التى يتجلى فيه الاستعمال المكثف للقاموس اللغوي، اين يقبل المتفاعلون على التباري، في انتاج الرسائل التواصلية، سواء تلك التى تعبر عن المزاج الشخصى، أم التى تحمل المضامين الاتصالية، والتى تتضمن المعانى والقيم الدينية، التى يعتبرها هؤلاء أنها تمثل شخصياتهم أوتؤدي إلى تحقيق الأهداف المزاجية المطلوبة، وحتى تلك المضامين التى المراد تحقيقها في الواقع، مما يجعل المتفاعلين يستندون على المخزون العاطفى، والخلفية الثقافية لإنتاج رسائل شخصية، تتناسب مع الحدث اليومي أوالمناسبة العائدة.

ويشكل الاتجاه المناسباتى، الطبيعة الغالبة للسلوكات اللغوية التواصلية، كون أصحابه يعتمدون على القاموس اللغوي، في مضمونه المقدس، أوالتراثي فيتم اللجوء الى انتاج الرسائل، التي تتخذ من الايات القرآنية

أوالاحاديث النبوية وسيلتها اللغوية، انطلاقا من جماليتها التعبيرية، ومستوياتها البلاغية العالية، وايقاعاتها الدلالية القوية، وهى الحالة التى تشكل اكثر من سبعين في المائة، من المادة الاتصالية في صفحات التفاعل الاجتماعى، وهى المادة التى قالبها الشكلى، متناسبا مع طبيعة تصاميم مواقع التواصل الاجتماعى، أين يتم الاعتماد على التقنيات الجديدة، في العرض والارتقاء في الجمالية التسويقية، وإضافة المؤثرات البصرية، التى توفرها التقنيات التكنولوجية الجديدة، (الصحافة الإلكترونية صحافة آنية، يتم تجديدها وتحديثها طوال اليوم، وعلى مدار الساعة، وتحتوي على النصوص المكتوبة، والصور الثابتة، والرسوم البيانية، ومقاطع الفيديو، والتفاعل الآنى، والمشاركة الفعالة مع الجمهور، وذلك في التعليق الفوري على الموضوعات والأخبار، والمشاركة في استطلاعات الرأي، كما تتميز النصوص المكتوبة في الصحافة الإلكترونية بأنها (نصوص نشطة)، تعطى تفصيلات ومعلومات أكثر عند النقر على الكلمة المفتاحية ذات الدلالة في النص، وغالباً ما تكون الكلمات النشطة، ذات لون مختلف في الكتابة، وذات خط سفلى، وتتميز أيضاً أخبار الصحافة الإلكترونية ومقالاتها بأنها مصحوبة (بروابط) تقود المتلقي إلى أخبار سابقة ذات صلة، أومقالات أخرى)[10].

ويأتي في المستوى الثانى، بعد الاستناد على الايات القرآنية والأحاديث النبوية، الاستفادة من التراث اللغوي العربى، فيتم استعمال أبيات الشعر وأقوال الحكماء وقصص المجربين، وغيرها مما يختزنه التراث الادبى العربى، وهى المادة المتوفرة على شبكات الانترنت، ويمكن الوصول إليها بسهولة، من خلال جهد بسيط عبر اللجوء الى محركات البحث، التي تقدم خدماتها

بمجرد الإعلان عن الرغبة الذاتية، والحاجة الشخصية للفرد، فتقدم خدماتها المتنوعة من خلال كلمات مفتاحية قليلة، فيجد الراغب نفسه أمام مادة لغوية راقية، في المعانى وجميلة في البناء ورائعة في التصميم، الأمر الذي يجعله يخضع لها، ويقبل على إعادة تسويقها وفق حالته المزاجية أومناسبة التعبير.

إن هذا الاتجاه الذي يزاوج بين تراثية أدوات التعبير، وحداثية الاستعمال التقنى وتكنولوجية تسويق المنتوج الاتصالى، وإن كان يعبر عن تلك الحاجة الكبيرة، للمستوى الجمالى من ناحية الشكل، إلا أنه يعبر عن ميولات ثقافية ونفسية للتراث الاجتماعى، المعبر عن الهوية الثقافية للمجتمع، والتى يتولى القاموس اللغوي، التعبير عنها، إضافة إلى تلك القدرة الكبيرة لهذا القاموس، على تلبية الحاجات الذاتية المرغوبة، والتى تشكل نوعا من السند الرمزي لأصحابها، وتجعلهم يمتلكون القوة التعبيرية عن مضامين هوياتهم الشخصية، وتمنحهم قوة الحضور في الفضاء التفاعلى، وفي الوقت نفسه فإن هذا الاتجاه يساعد على الاغراء في الاعتماد عليها، لسهولة تكلفته ومردوديته العالية، وهوبذلك يسمح بتوسع كبير في استعمال القاموس اللغوي التراثى، ويقلل من صعوبة التعامل معه، ويصنع الاجواء التآلفية بينه وبين الأجيال الجديدة، ويسمح بالتداول المباشر لمفردات هذا القاموس، ويمكنه من إعادة كسب مواقع ومساحات تداوليه أكثر تأثيرا في الحياة الاجتماعية.

كما توفر الصفحات محل الدراسة، الكشف عن اتجاه أخر، يمكن تسميته باتجاه الاقتباس من الثراء الثقافي العالمى، من خلال ما توفره الترجمة، من مادة لغوية مهمة من مختلف مجالات الادب العالمى، ومما توفره شبكة الانترنت، وهوالأمر الذي يظهر القدرة على الترجمة، سواء المباشرة الحرفية، أم تلك

التى تهتم بالمضامين الأساسية للمعانى، وهوالاتجاه الذي يشكل رغبة ذاتية لإنتاج رسالة، تؤكد عدم الاكتفاء بالمتوفر من الموروث الثقافي الذاتى، والتفتح على المجالات المعرفية والأدبية الابداعية الانسانية.

## نتائـــج:

لقد عملت الدراسة، على فحص الصفحات في طبيعة بنائها ومضامينها التعبيرية، ورصد اساليب التعبير وطرق التفاعل ومناسباته، وكذا مستويات التفاعل معها وأنواع التأثير في غيرها، ومدى استيعاب الاخرين لمضامينها، وكذا رصد سلوكات وموقفهم منها، الأمر الذي يجعلها ذات موقع استقطابى، من طرف المتفاعلين معها، وهى العملية التى تمكننا من رصد النتائج التالية:

1 ـ التركيز الشديد لأصحاب الصفحات محل الدراسة، على التعبير بالألفاظ الكلاسيكية للغة العربية، وعدم تنازلهم عن الضوابط العلمية، وقواعد البناء اللغوي، وهوما يكشف عن مستوى متقدم من التحكم في اللغة العربية، ورغبة واضحة في اشاعتها وإقناع الاخرين، بضرورة اعتماد الاسلوب الاكاديمي في التعبير باللغة العربية.

2 ـ الاعتماد المباشر على التقنيات التكنولوجية، وفنيات التصميم التقنى، الذي يجعل الرسائل تملك قدرة ابهارية، ومستويات إقناعية ذات تأثير جمالى، يتناسب مع طبيعة الخطوط المستعملة، مما يجعل المنتوج التعبيري، يتجه اليه أكبر عدد من المستهلكين، ويدفعهم الى مشاركته في صفحاتهم.

3 ـ خلوصفحات محل الدراسة، من الاخطاء اللغوية أوالاملائية اوالنحوية، بالرغم من ان أغلب التفاعل يتم عبر الهواتف الذكية،

أواللوحات الالكترونية، وبشكل أقل أجهزة الإعلام الالى، مما يجعل من حرص أصحاب هذه الصفحات، على سلامة رسائلهم اللغوية، وتمكنهم الكبير في التعامل مع الأجهزة الالكترونية الجديدة.

4 ـ رفض أصحاب الصفحات محل الدراسة، التجاوب مع الرسائل وأنماط التفاعل، التى تكون بغير اللغة العربية، ورفضهم الشديد التعاطى معها، مما يؤكد على تلك الرغبة في تجنب الاعتراف بالاتجاه القائل باعتماد اللغة الثالثة، أواللغة المتداولة في التواصل الاجتماعي اليومي.

5 ـ تشكل الصفحات محل الدراسة، موردا لغويا وثقافيا خاصة بما تنتجه من مواد لغوية مباشرة، أورمزية والتحول إلى العامل المؤثر في المشهد الثقافي، خاصة اثناء النشاطات أوالمواعيد الثقافية العامة، حتى أن عدد من هذه الصفحات، أصبحت مصدر إعلامية للعديد من وسائل الإعلام، وجلبت اليها عددا معتبرا من الدراسات الاكاديمية.

6 ـ أغلب الرسائل التعبيرية، التى يتم انتاجها تتميز بالمضمون الدينى، من خلال اعتمادها على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ومما يزيد التمسك الشديد بهذا النوع من النصوص، التعبير المباشر على التمسك بالبعد الروحى، في التعبير اللغوي، والاعتزاز به أثناء التواصل في مواقع التواصل الاجتماعي.

7 ـ تتضمن رسائل صفحات محل الدراسة، العديد من النداءات الموجهة إلى المؤسسات الرسمية، بضرورة اعتماد اللغة العربية، أداة تعبيرية خاصة في التداول الاجتماعى العام، ويزداد النقد والاحتجاج، كلما برزت رسائل التعبير بغير اللغة العربية، أوالتي تتضمن أخطاء مما يجعل هذه الصفحات،

تشكل اداة رقابة وتوجيه في الوقت ذاته، وهى المهمة التى تعتبر نفسها مكلفة بها انطلاقا من اشتراطات الانتماء.

8 ـ الرغبة في التمسك باللغة العربية، أداة للتعبير التواصلى يتجاوز مستويات الاستعمال العادي، إلى الجوانب النفسية والعاطفية، التى تتجلى في التعبيرات العنيفة، في بعض الاحيان، تجاه ما يقع فيه الاخرون من اخطاء لغوية، فتكثر رسائل التشهير والتعنيف، دون أن تكون منقوصة من التصحيح المناسب، الأمر الذي يكشف اختلاط المستوى التواصلى بالجوانب الشعورية، التي لها تأثيرتها الاجتماعية العميقة.

## توصيات:

إن نتائج السلوكات الاتصالية، عبرت عن بذل مجهودات فكرية مهمة، في تحقيق التواصل، عبر الاستخدام النوعى للقاموس اللغوي المتداول، مع جهود أخرى لتجاوز العقبات القائمة، في التكيف مع مفردات القاموس اللغوي التقليدي، فيتم اللجوء إلى المفردات السهلة والبسيطة، البعيدة عن البناء البلاغى، والتى تحمل المضامين التواصلية، وعندما يتعلق الموضوع بالمعانى العاطفية والدلالات الشعورية، التى تحمل الرسائل القوية، يكون اللجوء إلى استيراد النصوص التراثية الجاهزة، والتى تكون ذات بناء بلاغى راقٍ، والتى يتم تسويقها حسب المناسبات الاجتماعية، أوالتعبير عن مواقف شخصية أوجماعية مشتركة.

وعلى ضوء الدراسة الحالية، يمكن الاشارة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، الـتي بإمكانها المساهمة في توسيع الاستعمال الفاعل للغة

العربية، في الوسائط التواصلية، والتى تكـون عـاملا مسـاعدا علـى ازدهـار تداولها في الفضاء الاجتماعي.

1 ـ يكون من المفيد للمؤسسات العامة، وبالـذات تلـك المكلفـة بقضـايا اللغة العربية، وفي مقدمتها المجلس الاعلى للغة العربية، التقرب من الأجيـال الجديدة والتكنولوجيات الاتصالية الحديثة، بدايـة مـن اسـتعمالاتها اليوميـة ونشاطاتها المتكررة، والاعتماد على التقنيات الاتصالية، التى تجعل القـاموس اللغوي في متنـاول الجميـع، وخاصـة إذا تم اللجـوء إلى الفنيـات والمـؤثرات الجمالية، في التواصل العام وإدخال القاموس اللغوي بمفرداته المناسبة اليوم، في عمل الاجهزة والأدوات الاتصالية الحديثة، مما يجعـل اللغـة العربيـة تجـد مكانتها في الفضاء التواصلى الاجتماعى، خاصة وأن المناخ النفسى والثقـافي العام، له استعداد كبير للتعامل مع القاموس اللغـوي، وسـيزيد مـن توسـيع المجال إذا تم الاستعانة بالأساليب الترويجية الذكية وتقنياتها التأثيرية.

2 ـ تشكل شركات الخدمات الاتصالية الحديثة، الموقـع المهـم للقـاموس اللغوي، إذا تم توفير المادة الضرورية لها، وذلك من خلال توفير هـذه المـادة، وتشجيع هذه الشركات علـى اعتمـاد اللقـاموس اللغـوي، وإزالـة عقبـات وتحفظات هذه الشركات عن هذا الاتجاه، وهوالناتج عن تحليلات خاطئة عن ثقافة الشـعب الجزائـري، ومضـامين الشـبكة الاتصـالية فيـه، خاصـة إذا تم اقناعها بأن ادخال اللغة العربيـة في أدوات خـدماتها، يسـاهم في الرفـع مـن ارباحهـا ويرفـع مـن عـدد المسـتهلكين لخـدماتها، وهوالاتجـاه الـذي يمكـن الاستفادة من تجارب الآخرين، خاصة تجارب عـدد مـن الـدول والشـركات العالمية، التي حققت ارباحا كبيرة وخطوات عملاقة في هذا المجال.

3 ـ الاستفادة من التجاوب العالمية في مجال ادخال اللغة العربية، في مشاريع التصاميم الاتصالية والقوالب الإعلامية والنماذج الصناعية، التى تم اللجوء إليها بدوافع تجارية وأغراض استهلاكية، وذلك من خلال التركيز على فكرة اقحام اللغة العربية، وإزالة العقبات التى تواجهها في مجتمعنا تجنبا لتعقيدات التقليد.

4 ـ يكون من الجيد، التعامل المباشر مع المؤسسات الإعلامية والاتصالية، وتوفير خدمات لغوية مباشرة للصحفيين عبر نشاطات اتصالية، وندوات تكوينية لإزالة العقبات الوهمية القائمة في الاستعمال اليومى، وتصحيح الاخطاء الشائعة في الاستعمال التداولى، وذلك من خلال ادوات وتقنيات وفنيات تكنولوجية تفاعلية، تتناسب وثقافة الصحفيين وإقناعهم بأن ذلك يساهم في الارتقاء بمستواهم الثقافي، ويدعم قوة تأثيرهم في عملهم اليومي.

5 ـ تقريب المخابر الجامعية من المؤسسات الإعلامية، وشركات الخدمات الاتصالية من القاموس اللغوي، وذلك من خلال الندوات والملتقيات العملية، التى توفر القاموس اللغوي الاتصالى، وتقديم الآليات العملية التى تساعد هؤلاء على اثراء التصاميم بالمفردات اللغوية، القادرة على الاستجابة لمتطلبات الاستعمال الاتصالي اليومي.

6 ـ تساهم الصفحات الشخصية التفاعلية للأفراد والمؤسسات، على مواقع التواصل الاجتماعى، على تنمية استعمال القاموس اللغوي، خاصة وأن الاتجاهات الحديثة ستزيد من رفع عدد هذه الصفحات، باعتبارها في الوقت الراهن الأداة الاتصالية المحبذة للجميع، مع تراجع البيروقراطية

الادارية، وتوسع الرقمنة الادارية، وهنا تكون خدمات المؤسسات المكلفة باللغة العربية، مجبرة على تقديم خدمات مهمة في هذا الاتجاه، وهي فرصة لازدهار استعمال اللغة العربية.

7 ـ يكون من الضروري، الاستفادة من البرامج التكنولوجية الحديثة، في تدريس اللغة العربية في مختلف المؤسسات التعليمية والتكوينية، لإزالة الاوهام القائلة بعدم قدرة القاموس اللغوي العربي، على التكيف مع التكنولوجيات الاتصالية ومعطياتها، حتى يمكن بناء ذهنية متفتحة للأجيال الجديدة، قادرة على التكيف مع هويتها الثقافية.

8 ـ إن ازدهار استعمال اللغة العربية، وتسهيل تداولها في الفضاء الاجتماعي، توفر نجاحه التوجهات الدولية، والتحولات الثقافية الكبرى، التي تعرف اعادة انتعاش الثقافات المحلية، وتوسع الاعتراف باللهجات واللغات القومية، وزيادة المطالبة بالاعتراف بالهويات الثقافية المحلية، كون التكنلوجيات الاتصالية الحديثة، تساهم بقدر كبير في تعزيز هذا لاتجاه، مع تراجع الادوات الرمزية، وبداية زوال الحواجز التقليدية، وسيكون هذا المناخ الدولي، الفرصة الانسب لازدهار استعمال اللغة العربية، كونها تستند على تراكم تاريخي وحضاري له تأثيراته في أغلب مناطق العالم.

---

## احالات

(1) ـ انظر . محمود محمد قلندر. اتجاهات البحث في علم الاتصال – نظرية تأصيلية . دار الفكر المعاصر . القاهرة 2009 ط1. ص 44

(2) ـ هادي جلومرعي . اقتصاديات الإعـلام كتـاب الشـجيري الجديـد. دار الكتاب الجامعي . بيروت 2011 .ط1 . ص 76

(3) ـ دارن بارني. المجتمع الشـبكي، ترجمـة أنـور الجمعـاوي. المركـز العربـي للأبحاث ودراسة السياسات.بيروت 2015 ط1. ص89

(4) ـــ عبـاس مصـطفى صـادق. الإعـلام الجديـد ـ المفـاهيم والوسـائل والتطبيقات. دار الشروق. بيروت 2015 ط1. ص60

(5) ـ برهان شاوي. مدخل في الاتصال الجمـاهيري ونظرياتـه. دار الكنـدي. بيروت 2000 ط1. ص17

(6) ـ غسان منير حمزة سنو،علي الطرح: :«الهويات الوطنيـة والمجتمـع العـالمي والإعلام»، دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة العالميـة الإعلاميـة . دار النهضة العربية. ط01 . 2002 . ص103.ـ

(7) ـ منال هلال المزاهرة . مناهج البحـث الاعلامـي. دار المسـيرة. ط01 . **2014** . ص13.ـ

(8) ـ عبد الله أحمد اليوسف . الشباب والإعلام بين الواقع والمطلوب. الثقافة والاعلام . دار الهدى القاهرة . 2011ط1. ص34

(9) ـ خالد الخاجة . اللغة العربية والإعلام الجديد. جريدة البيان . الامـارات . 12فبراير 2013

(10) ـ على فرجانى. مهارات المتحدث الاعلامى. دار الفجر . ط2. بيروت 2015 . ص 80

# استثمار الإعلام الموجه في خدمة اللغة العربية

**د. حاكم عمارية**
**مديرة مخبر الترجمة والتأويل في ظل التواصل متعدد اللغات**
**قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة**

**ملخـــــص:**

يمثل الإعلام بكل قنواته ووسائله (تلفاز، مذياع، صحف، مجلات، انترنت...) دعامة أساسية لازدهار اللغة في بيئتها وبين أبنائها؛ إلا أن واقع الإعلام العربي أنه لا يخدم رسالته الأساس؛ إذ إن نقل الأخبار وعرض الإشهار وحتى الكتابة في الجرائد والمجلات يتم بلغة مبتذلة تكاد تخلومن كل علامات الإعراب خاصة الإعلام الشفهي؛ لاعتقاد أولئك الصحفيين أوالمخرجين أنهم يقدمون خدمة لعامة الناس؛ وهي النزول إلى مستواهم العلمي والثقافي؛ ناسين أومتناسين أن من فئة متتبعي قنوات الإعلام معظمهم شباب أومن فئة الأطفال؛ وهم الفئة الهدف التي يجب أن تصاغ لغة الإعلام بلغة فصيحة خالية من اللحن والأخطاء من أجلهم.

إن الحقيقة التي يجهلها الإعلاميون هي أن رسالتهم سامية لأنها تعليمية بالدرجة الأولى، أكثر منها مجرد بث الأخبار ووصف الحوادث، ومن أجل هذه الغاية النبيلة المتمثلة في إسهام وسائل الإعلام في ازدهار اللغة العربية في بيئتها، نسعى إلى معالجة واقع الإعلام العربي واقتراح بعض آليات التحدي علنا نجد آذانا صاغية وقلوبا واعية وأذهاننا مدركة لما قد يحققه الإعلام الموجه لخدمة أغراض الأمة، وفي مقدمتها خدمة اللغة كونها رمز الهوية، وأساس التواصلات.

## تمهيد:

في ظل زمن العولمة ومجتمع المعرفة وتراكم المعلومات، استشعرت معظم الدول بالخطر الذي بات يهدد بانقراض لغاتها في زمن البقاء للأقوى من منظور العولمة،حيث أصبحت اللغة الإنجليزية تشدد الخناق على غيرها من اللغات؛ مستغلة شبكة المعلومات ووسائل الإعلام والاتصال المتعددة،مدعومة بقوة الاقتصاد والسياسة لبسط نفوذها وتحقيق أهدافها؛ الأمر الذي جعلنا نتنبه كباحثين إلى خطورة وأهمية وسائل الإعلام والاتصال بعدها سببا في التعجيل إما بحركة الازدهار أوبحركة الانقراض اللغوي.

وفي سنوات الثمانين من القرن العشرين صدر بحث عن معهد للدراسات اللغوية جاء فيه: [1] «إن اللغات التي لا يستعملها ملايين من البشر في العالم مهددة بالانقراض، وأن اللغات التي لا خطر عليها من التقلص والانقراض هي الإنجليزية والإسبانية والصينية لوفرة عدد من يستعملها، واللغة العربية إذا ما استعملها أزيد من مليار مسلم بحكم أنها لغة القرآن». [2]

## عولمة الثقافة وتفاعل الأجيال:

### أ. العولمة:

للعولمة مدلولات لغوية متعددة، فقد سماها بعض المهتمين بالكونية (Globalization)، وبعضهم الآخر بما بعد الإمبريالية (Post

[1]: محمود درويش، مستقبل اللغة العربية، منشورات فكر، النجاح الجديدة، المغرب، ط2015، ص75.

[2]: عبد الهادي التازي، الحقوق اللغوية، (حق اللغة في الوجود والبقاء والتطور والنماء)، دار الكتاب، ط1، 2013، ص46.

(impérialism أوما بعد الاستعمار، ومنهم من ربطها بالمشروع الأمريكي الجديد (New america political project)؛ على اعتبار أنّ هذا المشروع تعتبره أمريكا بأنه الهيمنة التي تخلق استقراراً عن طريق احترام مجموعة من قواعد اللعبة الدولية؛ ومهما تعددت المفاهيم، فالعولمة ظاهرة عالمية واسعة أدت إلى إدماج المجتمعات الخاصة في مجتمعات تزداد توسّعا يوما بعد يوم، إذ هي ظاهرة التوحد الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي التي يشهدها العالم اليوم؛ إذن العولمة هي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم. [1]والعولمة من وجهة المنظور العربي هي: «نظام أونسق ذوأبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، وأنها نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال كما يشمل مجال السياسة والفكر»، [2] وبناء على أهداف العولمة فالملاحظ أنها تركّز على تبادل المعارف دون قيود، ولا يخفى على ذي عقل أنّ كل حضارة لها عاداتها وتقاليدها، وطقوسها، ومعارفها، وثقافتها الخاصة بها، انطلاقا من القيم والأخلاق، والدين، واللغة، والتاريخ والعرق. وكل هذه المنابع تمثل الثقافة رمز هوية كل حضارة أوأمّة أومجتمع.

---

[1]- ينظر مقال، عبد الكريم علي الدبيسي، وزهير ياسين الطاهات، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، ص28-29.

[2]- محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2 (ت).

**ب. الثقافة:** الثقافة في أحد مفاهيمها العامة هي الرؤية الشاملة للحياة، حيث تتألف من مجموعة من المبادئ المستمدة من مصادر ثلاثة هي: الدّين والأدب والفن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تتألف الثقافة من مجموعة أفكار عامة من قبيل الحرية والوطنية والديمقراطية والعدالة والجمال والفضيلة. إذ لكلّ من القيم والأفكار التأثير البالغ في توجيه السلوك، وفي رسم صورة مثلى لحياة الإنسان. والتعليم والثقافة جناحان لتنمية الفرد وتكوين قدراته وسلوكه وصياغة فكره ووجدانه، لنقل المعرفة من العالم الكبير إلى القاعدة الجماهيرية بلغة سهلة وميسرة للجميع. [1] ولقد أخذت الثقافة مفاهيم متعددة منذ عهد بعيد، إذ يشكل مفهوم (Culture) أحد الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على إنجاز الكثير من التقدم العلمي والتطور الفكري، فهي ذات طبيعة تراكمية ومستمرة تنتقل من جيل إلى جيل، إنها تمثّل ميراثا اجتماعيا بكل منجزات البشرية. وتوجد في كل المجتمعات البسيطة والمعقدة، المتقدمة والمتخلفة، وهي تؤدي وظيفة كبيرة في تكوين الفرد وتكييفه مع الجماعة وتهيئته للقيام بكل النشاطات المنوطة به في مجتمعه.

## توجيه الإعلام لخدمة اللغة العربية الفصحى:

لا تنموالتكنولوجيات في فراغ اجتماعي، إنها تأخذ مكانها ضمن سياقات مجتمعية تملك خصوصيات تاريخية لكنها تندرج في الوقت ذاته في الحراك العالمي الذي لا يمكن الانفلات منه. [2] ولقد ساهمت وسائل الاتصال

[1]- ينظر، محمد شوقس الزين، سؤال الثقافة من وجهة نظر فلسفية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع2/ م43/ 2014، ص181.

[2]- ينظر، الصادق رابح، قراءة في الرهانات الثقافية والاجتماعية لتكنولوجيات السلسلة المدنية، مجلة الاتصال والتنمية،ع1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2010، ص05.

التكنولوجيا الحديثة في ربط كل واحد منّا بالآخر، وبالتالي فإن المجتمع البشري لن يعيش في عزلة بعد الآن، فقد تغلبت هذه الوسائل على قيود الزمن والمسافة، وهذا يجبرنا على التفاعل الجمعي والمشاركة، كما انتشرت شبكات الاتصال عن بعد وشملت مختلف أنحاء العالم من أجل إتاحة المعلومات لكل الشعوب، أضافت وسائل إعلامية جديدة إلى الكثير من الشعوب والأمم والحكومات، مثلما وضعت في يد خصومها أدوات إعلامية جديدة، فمتاح اليوم أمام الأطراف المختلفة: الصحافة الإلكترونية، والمدونات، ومواقع التواصل الاجتماعي، والبريد الالكتروني، والفاكس، [1] والتلفزيون، والصحافة المكتوبة والمذياع، واللابتوب، والهاتف المحمول، وغيرها ممّا يسمح بالاتصال الجماهيري عبر العالم، فتنوعت مصادر المعرفة والمعلومات وتيسرت عملية الاكتساب على أوسع نطاق.

لقد أحدثت التكنولوجيات الحديثة ثورة عارمة في كل قطاعات الحياة، ومن المستحيل عدم التفاعل معها، لأنها تفرض نفسها بشكل لا مفرّ منه؛ وإن كنا لا ننكر إيجابيتها التي لا تعدّ ولا تحصى، فإن العلم سلاح ذوحدين "كما يشاع"؛ وإذا كانت رياحها قد هبّت بأشكال جديدة من الاتصال والتواصل للناس عبر الحدود لتجمعهم وتوحّد مواقفهم وتسهّل تحركاتهم وثوراتهم؛ فإنها في الواقع قد أحدثت تشتتا للقارات والمناطق والأوطان إلى غير رجعة، حيث من سلبياتها أنها أعادت رسم خارطة العالم على طريقة ومزاج المهيمنين عليها، حيث حملت موجات التغيير إلى العالم في سنوات،

[1]- ينظر، عبد الكريم الديسي وزهير حسن، دور وساءل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، ع2016/6، ص24.

وفي بضعة أسابيع سلطت على بلدان العالم العربـي حركـات تمـرّد وثـورات تتفجر هنا وهناك.[1] وإزاء سـلبيات وسـائل الاتصـال التكنولوجيـة الحديثـة وإيجابياتها وفي مقدمتها التلفزيون والصحافة المرئية والمقروءة، يجب الحذر من السلبيات واستثمار الإيجابيات، خاصة وأنّ الأشكال الإعلاميـة لا يخلومنهـا بيت أومنزل، فهي متاحة للجميع، ولوبشكل متفاوت إن مهمـة الإعلامـيين (صحافيين ومـذيعين، ومنشـطين، ومخـرجين، وكـاتبي سـيناريو، وأصـحاب الدعاية والإشهار) هم كذلك خدم لصاحبة الجلالـة "اللغـة العربيـة"، إنّ لهـم دورا فعالا في غرس النطق وممارسـة اللغـة العربيـة الفصـحى، الأمـر لـيس بالهين، ولكن شيئا فشيئا، وخاصة مع المسلسلات والأفـلام؛ فمعظـم النسـاء الماكثات في البيوت، والمتقاعدين يتـابعون شاشـات التلفـاز والاطـلاع علـى معظم، القنوات، ومتابعة الأخبار وكذلك خاصة من طرف الرجال، ومتابعة أخبار الرياضة من قبل الشباب، ومتابعة حصص الأدب من قبل الأكـاديميين والمثقفين والمبدعين، بالإضافة إلى حصص الطبخ والجمال للنسـاء، والرسـوم المتحركـة (أطفـال) وحصـص طبيـة، وأخـرى ترفيهيـة، هـذه النشـاطات والبرمجيات التي تقدم عادة بلغة اتصال مبتذلة لا هي من العربيـة الفصـحى، ولا هي من العاميات المحلية، بل هي مزيج مـن كـل هـذا بالإضـافة إلى لغـة المستعمر؛ إننا والحالة هذه، في حاجة ماسـة إلى أن يوجـه الإعـلام مـن قبـل الدولة ومن قبل ذات الفرد الذي يؤدي وظيفته، وهوعلى وعي بأنـه بتأديـة هذه يخدم لغته التي هي رمز هويته. ومن هذا المنطلق يجب توجيه الإشهارات التي تأتي كفواصل في الأفلام والمسلسلات.

---

[1]- ينظر، مي العبد الله، الاتصال ورياح التغيير، مجلة والتنمية، ع2011/2، ص05.

وأمام الحداثة الغربية عموما والعولمة المعاصرة خصوصا: «أصبح النظام السمعي البصري المتمثل في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت هوالمصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم والرموز وصناعتها، وكذلك لتشكيل الوعي والوجدان والذوق». [1] وعلى أساس هذا الوعي للدور العظيم للإعلاميين، فإنه من الواجب عليهم أن لا يتخلوا عن هذه المسؤولية التي تدخل ضمن مبادئ الذود عن لغة الأمة وإحيائها، وتطويرها؛ فليس المعلم وحده من يتحمل ويتكبد عناء هذه المسؤولية، بل إننا كلنا معنيون بهذه المسؤولية أفرادا وجماعات ودولا، تحت راية الأمة (العالم العربي). فالإعلامي مثل المعلم لأن دوره نقل الأخبار بصدق، والإرشاد والتوجيه والتثقيف وخدمة كل الأهداف النبيلة للوطن وللمواطنين، وليس دوره الفرجة والتلهية وتضييع الوقت.

يطول الحديث عن تشخيص واقع اللغة العربية المتدني حتى بين الأساتذة والطلاب، ناهيك عن المجتمع والجمهور العربي عبر كل الأقطار العربية وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الجهل بقيمة لغة الأمة، وبأنها لم يحتف بها في مجالها الأول الذي منه تنتقل العدوى إلى كل مجالات الحياة، وهوالتعليم، فقد جعلت اللغة العربية دائما من حيث الاهتمام في مركز ثانوي، مع العلم «أن اللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيد به الفكر ويستقيم... إن العربية تلقي بتاريخها تحديا كبيرا أمام العلم الإنساني، وهذا التحدي يبتهج به

---

[1]- عبد الكريم الدبيسي، وزهير ياسين الفاصل، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، ص35.

العلماء الذين أخلصوا للعلم مهجتهم، ولكنه يغيظ سدنة التوظيف الأممي، ويستفز دعاة الثقافة الكونية؛ ولاسيما منذ أن بدأت المعرفة اللغوية المتقدمة على المستوى العالمي تكتشف ما في التراث العربي من مخزون هائل يتصل بآليات الوصف اللغوي، ويقف على الحقائق النحوية العجيبة، ويستلهم مكوّنات المنظومة الصورية الراقية التي انتهى إليها النحوالعربي؛ من حيث هوإعراب، ومن حيث هومنطق قياسي، ومن حيث هوكذلك علم بأصول الظاهرة اللغوية الكلية...». [1] لا ينكر إلا جاحد أنّ للعربية حضارة راقية؛ وإن أراد أن يستدل على ذلك فليعد إلى تراثها العظيم؛ إلا أننا لم نتشبث بهذا الإرث الحضاري الذي سعت وتسعى بعض الدول إلى أن تنسبه إلى رجالاتها وأعلامها؛ حيث إن كثيرا من العلوم العربية قد ترجمت ودرّست لأبناء الغرب على أنها من لدن علماء غرب، في حين إنها من لدن العرب القدامى كالطب عند ابن سينا، وكذلك علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، ولعلّ أن موقفنا هاهنا ليس هوالمقارنة ولا لمن الأفضلية، أومن هوصاحب السبق، لأن العلم رحم بين أهله سواء اتفقوا أم اختلفوا؛ ولكننا نعتبره تذكيرا فقط، من أجل الاعتبار وزرع الحماسة في قلوب المتلقين العرب للغيرة على لغتهم والقيام بالذود عنها وحمايتها من كل ما قد يهدد استقرارها بين ذويها.

وختاما، فإنه مهما تعددت الرؤى والمقترحات والبدائل للنهوض باللغة العربية؛ فإنه يجب الاهتمام بقطبين أساسيين هما: التعليم والإعلام بكل وسائله المكتوبة أوالمنطوقة أوالسمعية البصرية، ويؤدي الإعلام وظيفة

[1]– عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص266.

أساسية في نشر اللغة العربية في كل بقعة من العالم، خاصة مع التكنولوجيات الحديثة، يقول حمود بن سالم السيابي: «ومن بيته في القرط إلى رحاب جامعة السلطان قابوس يدرس محفوظ السعدي الصحافة والإعلام فيقترب من لعبة الكبار، حيث الإعلام أكثر الأسلحة دمارا، وحيث الكلمة أكثر الرصاصات فتكا، يراقب صراع الكبار على كعكعة الشرق، وجنون القوة في تصدير سايكس بيكوعلى رأس كل عقد من الزمان (...) رغم أن العرب حملة معتقد، وورثة مجد، وأحفاد أمة ولدت على صهوات الخيول، وتغرغرت الشعر في المهد، يوم كان الشعر الجريدة والإذاعة ووكالة الأنباء (...) هذا الخليج الغني الفقير لم يعرف تأثير سلاح الإعلام إلا في الأوقات الضائعة وبعد أن تعبت خيول أوروبا من المشي في أوحال الشرق وبعد أن عادت على اسطبلاتها في الريف الإنجليزي وشطآن البرتغال وإسبانيا وأقبية قصور روما وباريس لتستريح استعدادا لمغامرة جديدة وساحات جديدة وسايكس بيكوجديدة تتيح لها تجربة صواريخ ذكية وحاملات طائرات إعلامية عملاقة...[1].إن ما يلاحظ على الإعلام العربي، أنه موجّة كله لخدمة ستار أكاديمي، ألحان وشباب، التعليقات الرياضية، حصص التجميل، عرض الآلام التي يعاني منها المواطنون، كالأمراض المزمنة، الطلاق، المخدرات، التهريب، وملاعبنا مزينة بإشهارات لكوكا كولا، بيبسي، ولافتات أخرى لأغراض تجارية، لكن أين اللغة العربية من كل هذا؟ كيف لأمة ترى شرفها

---

[1] – محفوظ بن خميس بن خصيب السعدي، الإعلام من التدفق الأحادي إلى الإعلام الموجه، مؤسسة الانتشار العربي، (سلطنة عمان)، ط2، 2010، ص:10-11

في أقـدام لاعبيهـا أن تـنهض بلغتهـا؟ وكيـف لأمـة تشـجع الأغـاني ذات الكلمات الساقطة أن تزدهر لغتها؟

إننا والحالة الراهنة في حاجة إلى فجر إعلام عربي يزيح سـديم الظلمـات وركام الظلامات لطغيان اللغة الأجنبية في معظم الإشهارات التي تقدم علـى شاشات التلفاز بالإضافة إلى اللغة المبتذلة التي تكتب أوتقدم بها اللغة العربية في وسائل الإعلام وجرائد الصحف. وأمام هذا الوضع فإننـا كـذلك بحاجـة إلى إنتاج الإعلام وتسـخيره لخدمـة قضـايانا وفي مقـدمتها اللغـة الـتي تمثـل أكسجين كل عصر لأبنائها عبر تعاقب الأجيال.

وعلى أساس أن الأخبار وكـل مـا يقدمـه الإعـلام يظـل سـلعة تتبادلهـا الصحف والمجلات والقنوات، وبتطور الصحافة واتساع مدى تأثيرها، وتطور الخبر ومصادره وانتشـاره في كـل نقطـة مـن العـالم باسـتثمار كـل الوسـائط التكنولوجية المتاحة في كل بلـد، فلمـاذا لا يكـون الإعـلام العربـي موجّهـا لخدمة اللغة العربية وازدهارها؟

ولا نعتقد أن هذا الأمر صعب، حيث إننا جيلا بعد جيل نكتب أبجـديات اللغة العربية منذ مرحلة الطفولة، أومنذ البدايات الأولى في المدرسة.

وتحت غرض مواجهة التشويه والتحريف الذي تقوم به وكـالات الأنبـاء العربية، ولكشف التضليل الدائم والمسـتمر حـول القضـايا العربيـة ضـاعت حقوق اللغة العربية بين ذويها، إلا أنه بإمكاننا توجيه الإعـلام لخدمـة اللغـة العربية، لأن الإعلام الموجه يمثل إحدى أهم أذرع الهيمنة الاتصالية.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك قنوات كثيرة تبث أخبارها وبرامجها باللغة العربية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ قناة العالم الإيرانية باللغة العربية التي بدأت العمل منذ 21/ 02/ 2004، وقناة الحرة 14/ 02/ 2004 على امتداد اثنين وعشرين قطرا عربيا، غرضها الفهم الحضاري والاحترام إلى جانب قناة الـ BBC العربية البريطانية (ذرة التاج البريطاني) التي بدأت بثها يوم 11 مارس 2008، قناة روسيا اليوم التي انطلقت براجمها يوم الجمعة 04 ماي 2007، وقد أغنى ظهور هذا البث الفضاء الإعلامي العربي بمعلومات كانت في الأمس البعيد غائبة عن المواطن العربي حول الأوضاع في روسيا.

وعلى الرغم من أن إعلام هذه الدول موجه في أغلبه إلى المتلقي لخدمة أغراض شخصية خاصة بكل دولة، إلا أن هذا الأمر يمثل بالنسبة للغة العربية شرفا عظيما، وانتشارا واسعا، حيث إن تقديم البرامج والأخبار في هذه القنوات هوباللغة العربية الفصحى، عكس ما يقدم ويبث في الدول العربية التي معظم ما تقدمه يكون بلغة بين الفصحى والعامية بحجة النزول إلى مستوى عامة الناس، وللنخبة حصصها الخاصة ومنتدياتها المفضلة.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. الصادق رابح، قراءة في الرهانات الثقافية والاجتماعية لتكنولوجيات السلسلة المدنية، مجلة الاتصال والتنمية،ع1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2010.

2. عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي.

3. عبد الكريم الدبيسي، وزهير ياسين الفاصل، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي.

4. عبد الكريم الديسي وزهير حسن، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، ع2016/6.

5. عبد الكريم علي الدبيسي، وزهير ياسين الطاهات، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي.

6. عبد الهادي التازي، الحقوق اللغوية، (حق اللغة في الوجود والبقاء والتطور والنماء)، دار الكتاب، ط1، 2013.

7. محفوظ بن خميس بن خصيب السعدي، الإعلام من التدفق الأحادي إلى الإعلام الموجه، مؤسسة الانتشار العربي، (سلطنة عمان)، ط2، 2010.

8. محمد شوقس الزين، سؤال الثقافة من وجهة نظر فلسفية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع2/ م43/ 2014.

9. محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2 (ت).

10. محمود درويش، مستقبل اللغة العربية، منشورات فكر، النجاح الجديدة، المغرب، ط2015.

11. مي العبد الله، الاتصال ورياح التغيير، مجلة والتنمية، ع2011/2.

# اللغة العربية في عيون الشابكة
## ـ بين الاستعمال والإهمال ـ

د. جميلة روقـــاب
أستاذة محاضرة-أ
بقسم اللغة العربية/ جامعة الشلف

**ما أطيب الدنيا إذا تصافت القلوب، ودعت لبعضها بغفـران الـذنوب، وتجمّلت أخلاقها بحسن الأسلوب**

**الملخـــص:**

إنّ هذه القـراءة تتعـرض إلى إثـارة مسـألة لغويـة علميـة عالميـة متعـددة الجوانب، قدمتها بعض الدراسات التي قامت بهـا مراكـز البحـوث الدوليـة حول مصير اللغات، أين أظهرت أنّ اللغات التي لا يستعملها أقل من خمـس سكان العالم لن يُكتب لها البقاء، وأنّه لن تبقى من اللغـات العالميـة إلاّ تلـك التي تنتشر بين أكثر من مليار نسمة وهي: الإنجليزيـة، والإسـبانية، والهنديـة، والصينية، واللغة العربية إذا ما أصـبحت لغـة مسـلمي العـالم! كيـف نفسّـر صورها ومواقفها التي أخذت ذلك المنحى المأساوي عبر الشـابكة؟ وهـل في وسعنا القول عن اللغة العربية أنّها تحتضر اليوم في كل المنـاطق الناطقـة بهـا فتحوّلت كوسيط للتجارة الإلكترونية؟ لماذا لا يمكننا أن نحـافظ علـى صـفاء العربية الفصحى أثناء ممارساتنا اللغويـة علـى الشـابكة مثلمـا نحـرص علـى صفاء عيوننا دوما؟

**الكلمات المفتاحية**: اللغة العربية، الشابكة، محركات البحث، الهيمنة اللغوية، المشاريع الرقمية الناجحة.

**Résumé :**

Cette lecture de soulever la question des multiples aspects scientifiques, certaines études par research international se concentre sur le destin des langues, là où il est démontré que les langues qui n'utilisent pas moins d'un cinquième de la population mondiale ne survivra pas et resteront de langues véhiculaires, sauf celles qui se propagent parmi les personnes de plus de 1 milliard sont : anglais, espagnol, Hindi, chinois et arabe langue si la langue des musulmans du monde ! Comment interpréter les images et les positions que j'ai pris que tragique via Internet ? Et on peut dire sur la langue arabe qu'elle est en train de mourir aujourd'hui dans toutes les régions anglophones, tournées comme un moyen pour le commerce électronique ? Pourquoi ne pouvons nous préserver la sérénité de notre cours standard de langue arabe en ligne comme clarté attentive nos yeux toujours?

**Mots-clés :** Langue arabe, Internet, moteurs de recherche, domination linguistique, projets numériques

**Abstract :**

This reading to raise the issue of multiple scientific aspects, some studies by international research focuses on the fate of languages, where it is shown that the languages that are not less than one fifth of the world population will

not survive and will remain of languages, except those that spread among the people of more than 1 billion are : English, Spanish, Hindi, Chinese and Arabic language if the language of the Muslims of the world! How to interpret the images and the positions I took that tragic via Internet? And you can tell on the Arabic language that she's dying today across Anglophone, tours as a way for e-commerce? Why cannot preserve us the serenity of our standard courses in Arabic language online like attentive clarity our eyes always?

**Keywords:** Language Arabic, Internet, engines search, linguistic domination, digital projects.

**مقدمة:**

إنّ هذه القراءة تتعرض إلى إثارة مسألة لغوية تقنية عالمية متعددة الجوانب، لكنها تنحصر في إشكالية واحدة: ما محلّ اللغة العربية من الإعراب في الشابكة الالكترونية اليوم؟ وما هي دوافع تنامي اللغة العربية في ظل الثورة الرقمية؟ تصعب الإجابة الآن بالتفصيل عن هذا الإشكال المطروح، والذي تمخضت عنه هموم لغوية عويصة، لكن ما يمكن أن نؤكده وبسهولة هوأنّ اللغة العربية كانت بخير حتّى القرن العشرين، ولم تشهد تطوّرا تقانيّا متسارعا إلاّ في سنواته الأخيرة وبداية القرن الواحد والعشرين من خلال ما أكدته جهات متعدّدة مهتمة بالموضوع، وخير برهان على ذلك ما نلاحظه من جهود برمجية ومحاولات خلق مواقع بالعربية على الشابكة الالكترونية وبناء على هذا التحليل يمكن القول إنّ حالة الضعف والهزال

التى تعيشها اللغة العربيـة  في الوسـائط التكنولوجيـة الحديثـة، قـد نبتـت في الوطن العربى وبدأت تنمووتترعرع في العالم الإسلامى، وقوت جذورها عند مزاحمة اللغات الأجنبية والعاميات لها وهيمنتها، وتقبّلها المجتمع العربـى دون أن يفعل شيئا يغيرها به.

فالمتتبّع لمسار التطوّر المذهل الذي تشهده اللغات في المجالات التكنولوجية المعاصرة، وخاصة تكنولوجيا المعلومات يقف في حيرة من أمره، وسط الكـم العرمرم من المعطيات والمعلومات، والتى لا يستطيع أن يواكبـه مـن لم يتـزوّد بالآليات الإجرائية الخاصة بكلّ حقل معرفي، ولم يكن ميدان اللغة العربية في معزل عن هذا التأثر، الذي انعكس على جميع الأصعدة وبخاصة على أشكال النص الرقمى العربى وبنيته اللغوية وتركيبه وأبعاده ومفاهيمه، فتحوّل النشر الإلكترونى للنصوص اللغوية والأدبية والعلمية بالعربية عـبر الشـابكة، أوفي محركات البحث العربية في تصاعد مستمر، لكنّه لا يرتقى حاليّـا بالعربيـة إلى مصاف اللغات الأجنبية من ناحيـة التـداول والتعامـل، ذلـك أن  متطلبـات التجارة الالكترونية قد لا تخدم عربيتنـا، ومـا زاد الطـين بلّـة أنّـه لم يعـد في الوسع المحافظة على صفاء اللغة العربية الفصيحة أثناء الممارسة اللغوية على الشابكة الالكترونية مثلما يحرص على صفاء العيون دوما ! لماذا توجد اللغة العربية في هذه الوضعية؟ أين يكمن الخلل؟ هل يتمثل في قلـة النـاطقين بهـا الذين ما استطاعوا أن يكونـوا نمـاذج صـالحة للممارسـات اللغويـة العربيـة الفصيحة؟ أيكمن في التخلف العلمـى والتكنولـوجى الـذي لم يـر النـور في العالم العربى إلاّ متأخّرا مقارنة بالعالم الغربى؟ هل ذلك راجع كلّـه لوعـورة اللغة العربية نفسها؟ أين نرى العلماء اللغويين العرب في الوسـائط المتعـددة

المختلفة عاجزين عجزا كبيرا عن استعمال اللغة العربية وفق محركات البحث استعمالا صحيحا، وأحسن مثال على ذلك اتحاد كتاب الانترنيت العرب حيث يمكن رصد الفجوة الرقمية متجلية في عجز اللغويين والمعجميين عن وضع القواميس والكتب الرقمية، واكتفائهم ببعض المقالات والبحوث المنثورة تلقائيا وبلغة عربية غير سليمة، والأمثلة في ذلك كثيرة فحدث ولا حرج.

## 1ـ الشابكة الالكترونية تكدّر منابع الفصاحة حقيقة يؤسى لها :

تتحدّث شعوب العالم العربي اللغة العامية (الدارجة) في شؤونهم، ولكن في حياتهم الفكرية يتكلمون بلسان عربي فصيح، بل تعدّ لغتهم الرسمية، فهم من هذه الناحية مزدوجواللغة ( الفصحى والعامية)، ناهيك عن اللغة التي يتعلمها أولادنا في المدارس فهي اللغة الفصحى بطبيعة الحال إلاّ أنّ هناك سلسلة من العوائق التي تواجه تعليم اللغة العربية الفصحى، لعلّ من أبرزها اللغة العامية التي تعرف انتشارا رهيبا في بيوت الأسر والشارع والمرافق العمومية وحتّى في البرامج التواصلية على غرار التلفزة، والإذاعة والسينما والمسرح، وفي داخل جدران المدارس والمعاهد والجامعات [1] ( **محمود علي السيد، 1988م**)، وبالتالي نجد أنفسنا أمام جملة من أسباب إهمال اللغة العربية وتدهور مستوى الناطقين بها لعل أبرزها مشكل

[1] ينظر: اللغة...تدريسا واكتسابا، **محمود علي السيد**،(1988م) دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، ط:1، ص:206.

الازدواج اللغوي الذي أصاب المدارس والدول العربية برمتها بجرثومته، فجعل المتعلّمين والناطقين بالعربية يشعرون ويتواصلون بوسيلة نامية ومطاوعة تسمى العامية أواللهجة المحلية، ثمّ يتعلمون ويحكمون بلغة عربية تتعثر بها ألسنتهم إن نطقوا وأقلامهم إن كتبوا [1] (مصطفى غلفان،2002م).

لقد أكدّت بعض التقارير العلمية بهذا الشأن وجود تأثير للشابكة الالكترونية على فعل القراءة لدى الطلاب والشباب بوجه عام سواء في قراءاتهم للصحف والمجلات والمصادر أم المقالات إلى أنّ درجة الاستفادة من هذه الكتب تتوقف على وعيهم كقراء، واستعدادهم للتحصيل المعرفي والكسب الثقافي؛ بمعنى هناك تغييب في أحايين كثيرة لما يعرف بالأمانة العلمية في بعض ما ينشر رقميّا، وما يتداول في مواقع التّواصل الاجتماعي حيث أنّها تمنح فرصة المبالغة أحيانا والادعاء أحيانا أخرى [2] (عبد الرؤوف محمد، 2010)، ومن المفارقات العجيبة أنّ عدد مستخدمي الفايسبوك العرب أكبر بكثير من عدد قراء الكتب والصحف في العالم العربي، وبذلك يكون مقدار الثقة في المعلومات والمعارف التي تقدمها مثل كهذا مواقع الكترونية متذبذبا.

وما يندى له الجبين أنّ المجتمع الافتراضي المدمن لمواقع التواصل المختلفة على غرار: الفايسبوك والتويتر والإست غرام وغيرها؛ يتهاون في الكتابة

[1] ينظر: اللسانيات العربية في الثقافة العربية، حفريات النشاة والتكوين، **مصطفى غلفان**، (2002م)، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط:1، ص:262.

[2] ينظر: دولة الفيسبوك العظمى، **عبد الرؤوف محمد**، ( 2010م) على الرابط: https://aitnews.com/2010/08/04/13307

بلغة هجينة ما هي بالعربية ولا الأجنبية، ولا حتّى العامية التي لم تجد لنفسها محلاّ من الإعراب! فلم تسلم من التلوّث اللغوي، ولعل الأمر المثير للجدل ما نلحظه على صفحاتهم الشخصية (Profil)، وطرائق صياغة التعابير العربية بين النشطاء على الشابكة أين تفقد اللغة العربية نظامها الصوتي والتركيبي وحتى المعجمي.

**أ- على المستوى الصوتي:**

أصبحت تستخدم الأرقام في كتابة النصوص والرسائل اليومية على الشابكة الالكترونية والهواتف الذكية والحوامل الرقمية كتابة رمزية تعوّض بها بعض حروف عربيتنا نحو: الرقم (9) هوالكتابة الرمزية البديلة عن حرف القاف، ومنه نلفي كلمات من نوع: (قال- قدرة، ولقب) تُكتب: (la9ab 9ala- 9oudr)، أمّا العدد (3) فصار بديلا رمزيا للحرف العربي العين، ومنها نجد كلمات مثل: (عروس، لعاب، دفع)، نراها تكتب بالكيفية العجيبة التالية: (3arousse- lou3ab-dafa3a)، والغريب في الأمر عندما يُكتب حرف الحاء كتابة رمزية مقابل الرقم(7)! مثل: (راحة- حميد- لوح) في شكل: (ra7a- 7amid-lou7)، ولم تسلم من هذا التشفير والتشويه حتى اللغات الأجنبية الأخرى، فهذا المفرنس مثلا يكتب العدد(2) رمزا بديلا لحرف الدال، فيستعمل في كلمتي: (Deux jour – demain) كتابة رمزية ليسجّل:( jour2-2 min)، فما هي العلاقة الدلالية بين تلك الأرقام والحروف يا ترى؟ .

### ب- على المستوى التركيبي والمعجمي:

فقدت الممارسات اللغوية المكتوبة المعصرنة هويّتها داخل الشابكة الإلكترونية وفي مختلف الوسائط الرقمية، مما جعلها أشبه بانتهاكات مشوّهة رمزية ومقطعية، تُسيء لاستعمال اللغة العربية الفصيحة في قراءة جمل، وتعابير عربية وعامية دوّنت بحروف لاتينية مليئة بالأخطاء الصرفية والنحوية والتركيبية، فتحوّلت إلى لغة ينعدم معها الفهم أثناء التخاطب بها بين النشطاء، سواء على مستوى الألفاظ ومدلولها، أم على مستوى الأساليب وأبعادها [1] (لينا العلمي، 2011م)، وفيما يلي نورد بعض النماذج كعينة للدراسة:

- 9anoun elosra : قانون الأسرة
- Ma3labalich؛ أي لا أعرف أولا علم لي.
- I miss u 7oubi، أشتاق للحبيب.
- Khali7a 3la Alla7: دع الأمر لله.

فالملاحظ من خلال هذه الصيغ والعبارات المتداولية –أعلاه- وجود خلط متفشّ بين العربية والفرنسية مختلف في المجالات التعبيرية ممزوجة بالانجليزية ومنكّهة باللهجات المحلية، هي بالصدق لغة هجينة غريبة كما وصفها البروفيسور صالح بلعيد، عبارة عن خليط من اللغات الأجنبية ومن

---

[1] ينظر: العضوية في مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على تحسين الوعي السياسي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية، **لينا العلمي**،(2010م-2011م)، إشراف: سام الفقهاء، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ص:17 (مخطوط).

الدوارج لا تفهم خارج محيطها [1] (صالح بلعيد، 2010)؛ تتجسّد في لغة عامة الناس المنتشرة على مواقع الشابكة وبخاصة في محادثاتهم ورسائلهم البريدية الالكترونية.وإذا كان لا بدّ للغة العربية الفصحى أن تستردّ سلطانها على القلوب فإنّها اليوم – بحكم وجودها في محيط متلاطم من الركاكة وأحراش العامية والدخيل- لا بدّ أن تخوض حربا ضروسا ضدّ الأفكار الكسولة المروّجة لسهولة العاميّة حتّى تلوّث اللسان العربي وفشا اللحن سيلا قحافا اقتلع الجذوع والجذور، ولم يبق لها من الصفاء والصحة إلاّ ما يبقيه الوشم في ظاهر اليد [2] ( معتوق، مجلة الفيصل، ص:56)وعطفا على ما سبق ذكره، في الوسع القول عن هذا التحوّل الجديد لنمط الكتابة الهجين تجلّى من خلال اختراع العام 1964م أوّل حاسوب سمح بتخزين المعطيات في شكل أرقام، بحيث يمكن من خلال حسابات وعمليات رياضية عادة ما تكون معقدة من معالجة وترقيم المعلومات وبما أنّ لوحة المفاتيح للحاسوب لم تكن في البداية بأحرف عربية، ولدت هذه اللغة الثالثة وترعرعت على الشابكة وفي الحوامل الرقمية، والهواتف الذكية التي تموّلها الدول الغربية للقضاء على اللغة العربية.

إنّ هذه الحالة المأساوية ترتهن بخواء حضور اللغة العربية في الزمن الرقمي، فقد أشار أحد الباحثين إلى ما اصطلح عليه بالفجائع الست التي كانت سببا في تأخرها عن باقي اللغات الأجنبية فالعربية في عيون الشابكة

---

[1] ينظر: الأمازيغية أكثر اللغات عرضة للتهجين اللغوي، **صالح بلعيد**، مارس 2010، على الرابط:.http://www.djazairnews.info

[2] مجلة الفيصل، أحمد محمد معتوق، عدد218 شعبان 1415هـ يناير 1995 دار الفيصل للثقافة- السعودية، ص:56.

هي" لغة بدون بناء تحتي معرفي؛ لأنّ القارئ العربي يجد مواقع انترنت الدول الاخرى ملايين النصوص والكتب الرقمية العلمية والثقافية جميعها مدججة بصلات النصوص الفائقة التي تسمح بالانتقال اللحظي المباشر إلى جميع المراجع الرقمية المذكورة في تلك النصوص والكتب الموجودة على الانترنت لعل اللغة العربية تحتضر اليوم بهدوء جراء عدم مواكبتها الزمن الرقمي، لا يجد فيها الطالب أوالمدرس ضالته لذلك على سبيل المثال أصبحت المواد العلمية تدرس باللغات الأجنبية في كل المدارس الخاصة في العالم العربي" [1] (حبيب سروري، 2014م).هذا يعني أنّ اللغة العربية لم تدخل عصر الرقمنة، ولم تشيّد قاعدتها التحتية إلاّ متأخرة- من خلال بعض المشاريع العربية الناجحة والتي سنأتي على ذكرها بالتفصيل- ممّا حرمها من العديد من التقنيات المتعلقة بالتصحيح الآلي في التهجئة؛ لأنّ محركات البحث العربية نازرة مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى.

وعند تشخيص حالتها من قبل المختصين، قيل عنها لغة عليلة تعاني من أنيميا الترجمة العربية؛ ذلك لأنّنا لا نترجم سنويا ما تترجمه الدول الغربية من كتب علمية وثقافية أضعافا مضاعفة، فضلا عن كونها لغة بلا مدونة؛ لأنّ العديد من اللغات تمتلك اليوم مدوناتها المسماة أحيانا بنوك اللغة، وهو أمر تفتقده العربية في عالم الإنترنت للأسف الشديد، وهي لغة ليس بحوزتها ما يسمّى متعرف ضوئي للأحرف، لهذا السبب يمثل عدم تصميم برمجية قارئ ضوئي آلي لأحرف اللغة العربية حتى الآن عائقا كبيرا يمنع دخولها عصر

[1] فجائع تأخر اللغة العربية في زمن الكمبيوتر، حبيب سروري، جوان 2014، على الموقع: http://ara.reuters.com/article/idARAKBN0DI07W20140502

الرقمنة [1] (حبيب سروري، 2014 م).لإعادة الاعتبار للغة العربيـة الفصـيحة أوّلا وحسن استعمالها ثانيا، يحتاج الأمـر إلى شـجاعة فكريـة، لأنّ اللغـة ذاكـرة الأمة العربية، عنان هويّتها يجب أن تتطوّر مقارنة باللغات الأجنبية الأخـرى وتفرض هيمنتها عبر جهود أبنائها؛ ذلك لأنّ إهمالها وتبني لغات غربية محلّها فيـه تهديـد صـريح لوجـود العـرب وهـويتهم، مـع العلـم أنّ الاسـتعمار المعلوماتي العـالمي المتطـوّر يرمـي ويهـدف دومـا إلى الهيمنـة علـى الأفكـار والعقول العربية واستغلالها بأبشع الطرق الشـبيهة بـدسّ السـمّ في العسـل، فيلعب بعربيتنا ويحرّفها كما يحلو،إذ كم من لغـة لا تسـتحق الحيـاة أحياهـا بنوها، وكم من لغة راسخة البنيان أضاعها وارثوها النائمون في بُلهنية كبيرة، وإذا كانت الشابكة الالكترونية سلاحا ذوحدين فعلى المرء أن يحتاط لها حتّى لا يكون حاله كحال من إذا انقطعت عليه ليوم أوأكثر يكتئـب للأمـر، وإذا انقطع عن الصلاة ليوم أويومين لا يحزن لذلك فهذا عذر أقبح من ذنب!

## 2ـ عوامل تنامي اللغة العربية على الشابكة:

تجتمع عوامل كثيرة تدفع باتجاه ارتفاع نسبة المحتوى العربي على الشابكة، بدءاً من الأوضاع السياسية المتوترة في الساحات العربية، إلى تدهور المسـتوى الاجتماعي والاستهلاكي للمواطن العربي فالأزمات العربية الحالية المتتاليـة تدفع بملايين الشعوب العربية نشـطاء مواقـع التواصـل الاجتمـاعي - أومـا يصطلح عليهم بالفايسبوكيين- إلى التعبير عن آرائهم وانفعالاتهم، وبالتـالي فهم سيساهمون في هذا المحتوى دون أيّ إدراك منهم، ذلك ما يفسّره تدفق الثروات الطائلة الناتجة، ومستوى الدخل المرتفع في العديد من الدول العربية

[1] المرجع نفسه، الموقع نفسه.

الغنية هذا ما يساهم في بناء محتوى عربي استهلاكي هكذا، عدا أن الارتفاع المطرد في أعداد مستخدمي وسائل الاتصال الاجتماعي، التي أصبحت بدورها منصات متنامية لصناعة المحتوى العربي على الشابكة من خلال بعض الجهود الجماعية والفردية الحثيثة للنخب العلمية سعيا منها لخلق مشاريع رقمية مكتوبة باللغة العربية. إنّ ما تبذله اللغة العربية في خدمة الشابكة الالكترونية لا يعتبر جهدًا مؤسسيًا منظماً يضمن لها الاستمرار والتطور بل هوجهد فردي فحسب، وهوما يقودنا إلي ضرورة تنظيم الجهد بطريقة فعالة، تتعاون فيها مجامع اللغة في شتي البلدان العربية، وبالمساهمة مع كافة المؤسسات العلمية لرقمنة المحتوي العلمي والمعرفي العربي؛ إذ أنه النافذة التي من خلالها سيكون لنا دور في الحراك الثقافي والمعرفي العالمي.

يرى بعض الخبراء العرب أن الجهود المبذولة في تفعيل دور اللغة العربية في مجال نقل المعلومات الرقمية لا تتناسب وملاءمة أنظمة اللغة العربية – الصوتية الصرفية والنحوية والمعجمية – لنظم البرمجة الحاسوبية، والقدرة العالية التي تتمتع بها هذه الأنظمة على التكّيف مع معطيات التحول الرقمي، ولا زلنا بمنأى عن الاستثمار الأمثل لقدرة أنظمة اللغة العربية على التكيف والملاءمة لتقليل الفجوة المعرفية مع الغرب، مع العلم أنّ المحتوى العربي يمرّ تداوله بمجموعة من الخطوات تستهلّ من توليده وتختتم باستعماله، وقد حصرت في المراحل التالية: [1] (دويدري، 1431ه-2010م، ص:376-377)

[1] المصطلح العلمي في اللغة العربية، عمقه التراثي وبعده المعاصر، **رجاء وحيد دويدري**، (1431هـ- 2010م،)، دار الفكر، دمشق، دط، ص:376-377.

- مرحلة توليد المحتوى العربي الجديد.

- مرحلة تحويل المحتوى الموجود أوالقديم إلى الصيغة الرقمية، وخزنها في الحاسوب ومختلف الوسائط التكنولوجية.

- مرحلة تخزين المحتوى وتبويبه ومعالجته.

- مرحلة عرض المحتوى أوطباعته.

- مرحلة نشر المحتوى العربي.

- مرحلة استخدام واستعمال المحتوى.

لابدّ من سدّ الفجوة التواصلية بين ثقافتنا العربية والثقافات الأخرى، خصوصًا في التاريخ المعاصر الذي قطعت فيه الآلة الإعلامية الغربية شوطاً بعيداً في تشويه صورة الثقافة العربية الإسلامية وهوما يفرض المسئولية علي النخبة وكل المؤسسات الثقافية العربية في تعميم روح الحضارة العربية الإسلامية من ناحية، وتنقية الصورة مما لحق بها من شوائب وزيف من ناحيةٍ أخري.

لاشك أن اللغة العربية تواجه حربًا إلغائية عاتية تدور رحاها في أروقة الصراع الحضاري والعولمة، ومن هنا تأتي أهمية إنشاء مواقع على الشابكة لخدمة اللغة العربية وتطوير تدريسها جلية ويمكن الإشارة إلى بعضها: [1] **( الشافعي، 15ماي 2015)**

[1] اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية.. بين الواقع والمأمول،**خاطر السيد حمد الشافعي، (15 مايو2015)**، مؤتمر حروب الفضاء السبراني ( أول مؤتمر إلكتروني في مصر والوطن العربي )، على الرابط: https://seconf.wordpress.com

- مواكبة التطور التقني وإثبات جدارة اللغة العربية، ومرونتها في التعامل مع الحديث من التقنيات فنحن اليوم نتلقى المحتوى ولا نصنعه.

– تعزيز الجهود الفردية والمؤسساتية التي تهدف إلى خدمة اللغة العربية ونشر تعلمها وتعليمها.

– محاولة الوصول باللغة العربية إلى العالمية، وجعلها في مصاف اللغات الحية، الفاعلة والمؤثرة في التطور الإنساني.

– نشر المزيد من المعارف والخبرات المتعلقة باللغة العربية، وإتاحتها للباحثين والدارسين والراغبين في معرفة المزيد عنها، من شتى أنحاء العالم.

– تجاوز العزلة المهنية عن طريق الاتصال بالخبراء والمهتمين بتدريس اللغة العربية، من خلال التعرف على المعلومات الأساسية لهم وسبل الاتصال بهم؛ بأخذهم على ضرورة استخدام اللغة العربية في البحث على الشابكة الالكترونية لبلوغ ثقة المستخدمين بالمحتوى العربي.

–إزالة الحدود الجغرافية أمام الذين يسعون وراء هدف مشترك والراغبين في تبادل خبراتهم.

– الاطلاع على ما تم إنجازه من بحوث ودراسات وتجارب ميدانية، والاستفادة من نتائجها، والبناء عليها، وتفادي الازدواجية الناتجة عن الجهل بها.

–تبادل المعلومات المتلعقة بالتجارب الميدانية واستراتيجات التدريس الفعالة ونتائج البحوث بالرغم من أنّ العديد من المناطق تنعدم في مؤسساتها التربوية الشابكة، وإن وجدت فلا نعرف استغلالها بأحسن الطرق العلمية.

– تيسير سبل التعاون المشترك في مجالات التطوير والعمل الجماعي واللجان المتخصصة في مجال تدريس اللغة العربية.

– العمل على إصدار مجلات علمية متخصصة في مجال رقمنة المحتوي العربى، وتعظيم دور اللغة العربية في نقل المعلومات عبر الشابكة كما هوالحال مع مفهوم صحافة المواطنة التى أنشأت إنشاء مدونات عديدة على الشابكة مدعمة بالصور والفيديوهات وغيرها من الروابط؛ ليتحول كلّ من المواطن الإعلامى ومنتجى الإعلام المجتمعى إلى منابر إعلامية متكاملة ومستقلة قادرة على تنظيم عمليات إنتاج محتويات معقدة، ووضع خطط استراتيجية للتواصل.

وانطلاقاً من هذه الحاجة، بادرت منظمة اليونسكوومنظمة تبادل الإعلام الإجتماعى إلى تطوير برنامج تعليمى ومنهاج مفتوح في اللغة العربية على الإنترنت لوسائل الإعلام المستقلّة، وتجدر الإشارة إلى أنّ صحفيين عرب عاملين في المجال الرقمى قاموا بتصميم كلّ من البرنامج والمنهاج للمهتمين من الصحفيين الرقميين العرب، وللتوسع في الدراسات البحثية المتعلقة بمجالات حوسبة اللغة العربية، لابد من تيسير سبل الإعلان عن المؤتمرات والندوات وورش العمل، والدعوة إلى المشاركة الفاعلة فيها، كما تقوم مجامع اللغة العربية بمهمة توفير الأوعية الرقمية الخاصة باللغة العربية بالتعاون مع المختصين، ومن جهتها تحرص المنظمات العربية استيفاء المعاجم العربية على الشابكة الالكترونية وضرورة إنشاء هيئة عربية عليا تتبع الجامعة العربية تكون مهمتها تعظيم دور العربية في نقل المعلومات الرقمية لتقليل الفجوة

الرقمية مع الغرب [1] (http://www.ar.smex.org).، وبهذا نكون من المساهمين في إنتاج المحتوى العربى واستهلاكه من قبل المستخدمين العرب للرفع من اقتصاد المعرفة ومعدل انتشار الشابكة في الدول العربية.

### 3ـ اللغة العربية على الشابكة بمشاريع ناجحة:

رغم التقدم المشهود الذي حققه في الآونة الأخيرة، لا يزال المحتوى العربي بحاجة لجهود وربّما لسنوات عديدة قادمة قبل أن يحقّق نسبة تتلاءم مع حجم انتشار اللغة العربية وفق المشاريع والتجارب المتخصصة، ومنها نذكر:

#### أ- تجربة اتحاد كتاب الإنترنت العرب:

من جملة الأهداف المسطرة في هذا الاتحاد الموسوم اتحاد كتاب الإنترنت العرب [2] ما نوضحه ضمن النقاط التالية:

- الاهتمام بنشر الوعي بالثقافة الرقمية في أوساط المثقفين والكتاب والإعلاميين العرب.

- نشر الوعي بالثقافة الرقمية بين أوساط الشعب العربي، والسعي لتحقيق قفزات نوعية في وعي الشعب العربي عموما للالتحاق بركب الثورة الرقمية التي تجتاح العالم.

[1] ينظر: الموقع على الرابط:http://www.ar.smex.org

[2] كان تاريخ تأسيس اتحاد كتاب الإنترنيت العرب في (20 مارس 2005م)، من هيئة علمية ضمت أسماء (14) كاتبا وإعلاميا من مختلف الدول العربية، على رأسهم الدكتور مفلح العدوان من المملكة الهاشمية الأردنية رئيسا للاتحاد

– المساهمة الفعالة في نشر الثقافة والإبداع الأدبي العربي، من خلال استخدام وسائل العصر الرقمي بما فيها شبكة الإنترنت.

– توحيد الجهود الفردية للمثقفين العرب عموما، وأعضاء الاتحاد خصوصا لنشر وترسيخ مفهوم الثقافة الإلكترونية، والدخول بقوة فاعلة ومؤثرة عالميا للعصر الرقمي.

– رعاية المبدعين والموهوبين العرب، وتنمية قدراتهم والعمل على إبرازها ونشرها رقميا، والسعي الحثيث لإدخال الثقافة والإبداع العربي بأصنافه كافة، ضمن سيل المعلومات المتدفق السريع.

– ترسيخ مفهوم أدب الواقعية الرقمية، بصفته الأكثر قدرة على الاتساق مع روح العصر.

– إنشاء دار نشر إلكترونية تسهم في نشر الإبداع الأدبي العربي بكافة أشكاله، ثم التواصل الفعَّال والمؤثر مع سيل المعلومات المتدفق من خلال التواصل مع المثقفين من أرجاء العالم كافة، وإنشاء صيغ للتبادل الثقافي معهم [1] (www.arabworldbooks.com/) هذه الأهداف وغيرها جاءت من أجل تجاوز جمود وصعوبة الوصول الناجمة عن وسائل إدارة المعلومات القائمة على المطبوع وعلى حوامل مادية أخرى، أصبح من الضروري إيجاد تقنية ملائمة للطريقة التي يشتغل بها العقل البشري.

[1] http://www.arabworldbooks.com

**ب- برنامج أيام الإنترنت العربي:**

يهدف هذا البرنامج إلى سد الفجوة بين عدد من متحدثي اللغة العربية، وبين توافر المحتوى الرقمي باللغة العربية (Content Digital Arabic) يعبر مفهوم هذا الأخير عن مجموعة من تطبيقات تعالج وتخزن وتعرض المعلومات باللغة العربية، والبرمجيات لإعداد تطبيقات تتلاءم مع اللغة العربية الكترونيا ويشمل المحتوى كل معلومة متوافرة باللغة العربية بصيغة رقمية؛ أي كل ما يتم تداوله رقمياً من معلومات مقروءة، أومرئية، أومسموعة. وتنشأ أهميته من عاملين: أولهما نشر وسرعة الوصول، ومدى الانتقال إلى المتلقي، وثانيهما: كثافة المحتوى الرقمي الذي أصبح من أهم عوامل التعبير عن الثقافة والحضارة على الصعيد العالمي [1] ( http://www.alyaseer.net) حيث قام بتأسيس البرنامج كل من شركة يملي( Yamli) إذ يعتبر **حبيب حداد** مؤسسها الفعلي، ويسمح هذا البرنامج الرقمي بتحويل الأحرف الإنجليزيّة الى كلمات عربيّة لتسهيل الطباعة بالعربية؛ ويشرح حبيب حدّاد فيقول:"لطالما شعرت بالإحباط في عدم وجود لوحة مفاتيح عربية وكلّما حاولت ايجاد أخبار عربيّة على الشابكة، فمثل الملايين من المستعملين أجد سهولة كبرى في التعبير عن كلمات عربيّة باستعمال الأحرف الإنجليزيّة، ولكنني أجد صعوبة في طبعها؛ فبدت لي أن الحاجة لتقنيّة تحوّل اللفظات الصوتيّة هذه بشكل فعّال الى كلمات عربيّة ضرورية، يجدر أن تكون هذه التقنيّة، سلسة بحيث يطبع المستعلون الكلمات

[1] ينظر على الرابط: http://www.alyaseer.net

العربية وينسون بأنّهم يستعملون الأحرف الإنجليزيّة. هكذا ولد يملي [1] (http://www.yamli.com.)، يحوّل برنامج (Yamli) ما يمليه المستخدم بالأحرف الإنكليزية الى كلمات عربيّة، ومن أجل دفع الاستعماليّة الى أعلى حدّ يقبل (Yaml ) عددًا من اللفظات الصوتيّة المختلفة ويقترح مجموعة من الكلمات الملائمة مع الوقت، كما يتعرّف ( Yamli)على الأنماط الشعبية والألفاظ الأكثر شيوعا مما يزيد من دقّته.ويبدي أحد المؤسسين وهوعماد جريديني رأيه على أنّ الشبكة العربيّة تقلع بشكل حقيقي عندما يصبح المستعملون قادرين على إيجاد المعلومات العربيّة وكتابتها بسهولة فيما هناك عدد من التطبيقات لتقنيّتنا هذه، ارتأينا الاستجابة لهاتين الحاجتين الأساسيّتين بشكل حالي، هذا وتتضمّن النسخة الأولى من ( Yamli Editor) يسمح ( Yamli Search ) للمستعلين بالبحث على الإنترنت من خلال محرك البحث جوجل(google) فيستطيع مستعملوالشابكة الالكترونية البحث في مضمون الويب، من فيديوهات، وصور وأخبار ومدوّنات إلكترونية أمّا ( Yamli Editor) فيسمح للمستعلين بكتابة نص عربي يمكن نقله إلى أي وسيط الكتروني [2] (http://www.yamli.com.) بالإضافة إلى مؤسسي شركة فاينلاب ( Vinelab )، قام فريق تأسيس البرنامج بالشراكة مع كل من: شركة (Google) ومبادرة تغريدات وشركة ومضة ثم قاموا بالتعاون مع كل من شركة ويكيبيديا (wikipedia)، وتويتر(twiter) وغيرهما بهدف تعزيز نجاح البرنامج والدفع بعجلة الابتكار، ونشر المحتوى العربي الرقمي؛ إذ يسعى برنامج "أيام الإنترنت العربي" لإثراء المحتوى العربي الرقمي – عبر سلسلة من

---

[1] على الرابط: http://www.yamli.com .

[2] ينظر على الرابط: http://www.yamli.com.

الأنشطة على مدار شهر كامل – إلى تحفيز المستخدم العربي على القيام بدور فعّال في زيادة المحتوى العربي على الشابكة، وقد جاءت فكرة البرنامج استجابةً للطلب الملحّ على المحتوى الرقمي باللغة العربية، خاصةً أنّها أسرع لغات العالم انتشارًا على الشابكة، على الرغم من الفجوة الواسعة بين عدد المستخدمين الذين يتحدثون العربية وحجم المحتوى العربي على الإنترنت في الوقت الحالي، وفي الوقت الذي لا يمثّل فيه حجم المحتوى العربي الرقمي سوى (3٪) من إجمالي المحتوى الرقمي، فإنّ اللغة العربية تحتل المركز السابع بين أكثر لغات العالم استخدامًا على الإنترنت [1] (سروري، 2014)، وقدم الباحث العربي ثلاثة مقترحات للمساعدة في هذا المجال تتمثل في كيفية الاستفادة من التجربة الصينية في الترجمة المستندة إلى تقنيات العصر الرقمي.

وتأسيسا على ما سبق، فالنصوص الرقمية ضرورية في الترجمة فهي متوالية حسب نظام منطقي، أوأن تعبر عن علاقات ثنائية بين وحدات؛ أي علاقات غير تراتبية، حيث تتيح الوسيلة الالكترونية تعايشا ضمن نص واحد بين التفكير التراتبي والتفكير التشابكي؛ فالنص الرقمي لا يعني كتابة الكترونية على مساحات أي مع وحدات مزودة بهوية في الفضاء، فشبكات النص الرقمي يمكن أن تمتد نظريا إلى ما لا نهاية [2] (مهنا، 2002م، ص:96) وهذا عمل لا يأتيه إلاّ أهل الاختصاص في هذا المجال.

---

[1] فجائع تأخر اللغة العربية في زمن الكمبيوتر، المرجع نفسه.

[2] علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، **فريال مهنا،** (2002م)، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط1، ص: 96.

### ج- محركات البحث العربية:

توجد محركات بحث عربية قامت بهندستها العديد من الدول أكثرها عربية، وهي بمسيس الحاجة إلى إعادة تأهيل لتناسب اللغة العربية؛ لأنها استندت إلى أساليب البحث المصمّمة للغة الإنجليزية التي تختلف بطبيعة الحال اختلافا جذريّا فيما يخص بنية الكلمة العربية ذات الطابع الاشتقاقي والتصريفي، ومن أشهر هذه المحركات: (مكتوب) وهومحرك بحث عربي أنتجته المملكة الأردنية الهاشمية ، (أبحث) لدولة تونس، صخر، وعجيب، وإسلام أون لاين، والوراق، والفصيح والمسبار، والمصطفى، ومكتبة الإسكندرية والمعرفة... وغيرها عملت المملكة العربية السعودية– على سبيل المثال– تحديدا مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية على إثراء المحتوى العربي المفتوح، وقد وقعّت هذه الأخيرة اتفاقية مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة( (UNDP) لإنشاء برنامج وطني لهذه التقنيات، وفي مجال إدارة المحتوى العلمي تعمل المدينة على مشروع توثيق الإنتاج الفكري الوطني إلكترونيا، كما عمل معهد بحوث الحاسبات بالمدينة فقد كرس عددا كبيرا من أعماله لتطوير قاعدة بيانات لمعالجة اللغة العربية منها على سبيل المثال (البنك السعودي للأصوات) كما تم تطوير نظام حاسوبي للقراءة الآلية وإخراج النصوص المكتوبة بشكل صوتي، كما قام بنظام آلي لوضع علامات التشكيل على الحروف، وغير ذلك،وكذلك مشروع مكتبة الملك فهد الوطنية في رقمنة المخطوطات [1] **( التفرواتي، على الرابط)**،كما أنشأت دولة

[1] مستقبل اللغة العربية وحقوق الملكية الفكرية في ظل الرقمنة،**محمد التفرواتي**، على الرابط: /http://azhar-ali.com/go

الإمـارات العربيـة المتحـدة مدينـة عالميـة للإنترنـت وكـذلك مركـز الماجـد بالإمارات الذي له جهـود طيبـة في حوسـبة المخطوطـات العربيـة، وجهـود أخـرى كـثيرة في عالمنـا العربي،ويؤخـذ علـى هـذه الجهـود أنهـا مبعثـرة [1] (http://www.us.undp.org )

.

بدأت منذ عام (2003م) في بلدان الوطن العربي مبادرة المحتوى الرقمـي العربي من خلال إطلاق مشروع تعزيز صناعة المحتوى الرقمي العربي عـن طريق ما يعرف بالحاضنات التكنولوجية التي أطلقت عام (2007م)، إضافة إلى جهود مجموعة اللغة العربية الرقمية في مجال الذكاء الاصطناعي بإشـراف محمد زايد بالمغرب، إذ تتبنّى هذه المجموعة البحث في إنشـاء المعجـم الموحّـد

---

[1] برنـامج الأمـم المتحـدة الإنمائي:يصـطلح عليـه: United Nations Development Programme: واختصاراً "يوأن دي بي "هي شبكة تطـوير عالميـة تابعـة للأمـم المتحـدة؛ وهـي منظمة تدعم التغيير وربط الدول بالمعرفة والخبرة والموارد لمساعدة الأشخاص لبناء حياة أفضـل وتعمل في( 177) دولة وتساعدهم في تطوير حلولهم لمواجهة تحديات التنميـة المحليـة والعالميـة، كما تعمل على تطوير القدرات المحلية التي تعتمد على موظفي برنـامج الأمـم المتحـدة الإنمـائي وشريحة واسعة من الشركاء، تأسس في :(1-1-1966) من خلال دمج برنامجين تابعين للأمـم المتحدة, هما برنامج الامم المتحدة للمساعدة التقنية الممتد(EPTA ) وبرنـامج الامـم المتحـدة للدعم الخاص, وتم دمجهما بشكل كامل في عـام( 1971) الـذي تم مـن أجـل تجنـب تضـارب الصلاحيات والخدمات المقدمة من كلا البرنامجين تقدر الميزانية السنوية لبرنـامج الامـم المتحـدة الانمـائي بمـا يقـرب مـن( 5000) مليـون (5 مليـار) دولار أمريكـي سـنويا.( ينظـر: http://www.us.undp.org/WashingtonOffice/UNDPFactSheet2012.pdf)

للتقنيات الحديثة باللغة العربية [1] ( م بشير،**المعالجة الآلية للغة العربية جهود الحاضر وتحديات المستقبل،دت**)، وهذا المحتوى الرقمي العربي يأتي في عدّة أشكال تشمل كلّ ما هومكتوب بحروف عربية على الشابكة الالكترونية، أومسجل بأصوات عربية، وحتّى المصوّر بشكل يستدلّ به على مصدره العربي من نصوص، وأشرطة فيديو، وصور وبرامج تلفزيونية وأخرى إذاعية وغيرها.

**د- تجربة المدقق الإملائي العربي الحر مشروع قيد الإنجاز:**

وجد مستعملوالبرامج المكتبية الحرة في مجموعة أوبن أوفيس ( Open Office)، ك-أوفيس إوجنوم-أوفيس (K–Génome office ) ضالتهم عندما يرغبون في تحرير نصوصهم، أوجدولة حساباتهم، وتدبير قواعد بياناتهم، ووضع رسوم أوتصميم عروض ...الخ هذه البرامج تدعم في مجملها وبشكل لا بأس به اللغة العربية إلا أنها تفتقر إلى مدقق إملائى وظيفى يدعم لغة القرآن، كان هذا المشروع بمساهمة ثلة من محبى البرامج الحرة والغيورين على لغة الضاد، انطلق في تأسيس مشروع **أيسبل** [2] (http://ayaspell.blogspot.com/) ، الذي يهدف إلى إنشاء قاموس عربى للتدقيق الإملائى وتطوير الوظائف البرمجية تعالج رقمياً خصوصيات اللغة العربية الاشتقاقية، حيث يعتمد المشروع على خوارزم البرنامج الحر هانسبل (Hunspell ) الذي يظهر تلاؤماً مع خصائص اللغة العربية أفضل من

---

[1] ينظر: المعالجة الآلية للغة العربية جهود الحاضر وتحديات المستقبل، **أبوالحجاج محمد بشير**، **دت**، على الرابط: www.almadenahnews.com

[2] http://ayaspell.blogspot.com/

الـــذي يقدمـــه أســـبل(Aspell)   المـــدقق الإملائـــى الحـــر الآخـــر [1] (http://hunspell.sourceforge.net/ ).

إن تفريغ قاموس اللغة العربية ومعالجته رقمياً هوبالفعل عمل شاقّ جدّا قد يستغرق الكثير من الوقت؛ ولكنه لا يتطلب قدرة على البرمجة مما يجعل المشروع رهن إشارة كل شخص على علم ببعض القواعد الأساسية للغة العربية في المستوى الإبتدائي والإعدادي، مثال: في الجزء الخاص بالأفعال من المشروع علينا تصنيف أكثر من (10.000)، فعل حسب لزوميتها المطلقة والنسبية وتعديها إلى مفعول به واحد غير عاقل أوعاقل أوإلى مفعولين اثنين، ثمّ تصنيف يستند طبعاً على تفسير معنى الفعل وشرحه المعجمي وفي هذا- وفي تصريف الأسماء لاحقا- نحتاج ليد المساعدة [2] (http://perso.menara.ma)، على غرار: أسماء النطاقات العربية النوعية تتألف رموزها العلوية النوعية في النظام ...من ثلاثة محارف متتابعة أوأكثر معتمدة قياسيّا، مثلا الرمز اللاتيني الاسمي هيئة إعلامية لكلمة إعلان (خبر) خ يقابلها الرمز (Info) [3] (دويدري، ص308). لذا يستحيل للقاموس العربي التواجد بالكيفية التي ينبغي أن يتواجد بها في عالم رقمي يناشد توفير كلّ ما نحتاجه في القواميس والمعاجم اللغوية.

---

[1] Hunspell (us): http://hunspell.sourceforge.ne/

[2] http://perso.menara.ma/~kebdani/ayaspell-dic/consignes.html

[3] ينظر: المصطلح العلمي في اللغة العربية، عمقه التراثي وبعده المعاصر، **رجاء وحيد دويدري**، ص:308.

وتأسيسا على ما سبق تسعى بعض الجهات المعنية بحوسبة المعجم العربي مقارنة بنظيراتها الغربية على تجاوز العديد من الإشكالات التي تتصارع معها مثل هكذا مشاريع رقمية تنموية عربية على غرار جمعية الهندسة اللغوية، والشركة الهندسية لتطوير أنظمة الحاسب بجامعة عمان، ومحمد الخامس، وجامعة لبنان والشركة العالمية صخر.

## 3ـ الجهود المبذولة لردم الفجوة الرقمية:

وعلى الرغم من المؤشرات السلبية التي تحدث عن تراجع إتقان اللغة العربية بين الرعيل الجديد من الشباب بسبب العولمة والانترنت واستخدام لغات أخرى بديلة، ورموز ومصطلحات دخيلة على اللغة العربية بين رواد التواصل الإجتماعي، فلا يحقّ لأحد من مستخدميها - العرب - أن يبعثر لغته، هي فجوة لغة موجودة فعلًا، مضارّها أسوأ من منافعها فترى العربي يهدم لغته ويبني لغة ما هي بالعربية الفصحى، والطامة الكبرى عندما يهمّشها فيزيد تركيزه على لغات أجنبية أخرى، مشدودا إليها بصفتها العالمية، وهوبذلك ينشر اللحن والغثّ، وينشر السليم البليغ، يجسّد كلّ تغييب وإقصاء للعربية، ولنا جمهرة من النشطاء على الشابكة كما يصطلح عليهم حديثا، هم خير برهان على تفاقم الفجوة الرقمية على مواقع التواصل الاجتماعية العربية.

وتأسيسا على ذلك تبذل جهود حثيثة في العالم العربي لردم الفجوة الرقمية، وهناك جهود مثمرة في معالجة اللغة العربية آليا: مثل الصراف الآلي والإعراب الآلي والتشكيل التلقائي، وبناء قواعد البيانات المعجمية

فالعربية لغويا وحاسوبيا يمكن النظر إليها بلغة الرياضيات، وتشكل اللغة الأداة الأولى في تداول المعرفة، واللغة العربية لغة قابلة للتطور واستيعاب الجديد والمبتكر في العلوم والتقنية وسنورد بعض النماذج المبشرة.

في مصر أطلقت الحكومة المصرية عام( 2005م) مبادرة لتطوير المحتوى الرقمي التي يشارك في تنفيذها وزارة الاتصالات وتقانة المعلومات، ووزارة الثقافة واتحاد الناشرين المصريين، وجهات أخرى، وقد قام مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي في مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع وزارة الاتصالات المصرية بأعمال مهمة لتوثيق التراث المصري، وقد اعتمد مجلس وزراء الاعلام العرب مشروعا إقليميا لتوثيق التراث العربي تكون نواته مركز التوثيق الحضاري.

وتقوم مكتبة الإسكندرية بدور رائد في موقع المكتبة الرقمية العالمية، حيث قامت بوضع البنية التحتية لموقعها الإلكتروني؛ إضافة إلى دعم قدرات البحث والعرض باللغة العربية في هذا المشروع، وهي ذات خبرة طويلة في هذا المجال، وهي تعزز محتواها الرقمي بسواعد شباب مصري عربي عمره بين (22،29) عاما تحت قيادة خبراء من هذه المشاريع: إعادة نشر كتب التراث والمخطوطات التراثية ومشروع الأرشيف الرقمي لذاكرة مصر المعاصرة وهو مشروع بحثي علمي يهدف إلى رقمنة كل المواد التي ترتبط بتاريخ مصر المعاصر، من صور ووثائق وأفلام ونقود وطوابع وصحف وغيرها والأرشيفات الرقمية لجمال عبد الناصر والسادات وبطرس بطرس غالي وغيرهم، ومشروع موسوعة الحياة العربية، والمكتبة الرقمية العالمية، والمكتبة الرقمية العربية، ولغة التواصل الرقمية العالمية، ولهذا النشاط

انضـمت مكتبـة الإسـكندرية للاتحـاد الـدولي للمكتبـات الرقميـة عـام (2005م) [1] (شحرور، ماي2016) ؛ أي بعد ثلاث سنوات من افتتاحها.

وقد أدّت مكتبة الإسكندرية دورا محوريا في تأسيس أكـبر مكتبـة رقميـة عالمية التي أطلقتها مكتبة الكـونجرس مـن مقـر منظمـة اليونسـكوفي بـاريس (2009م) بالتعـاون مـع عـدد مـن الجهـات العالميـة، واسـتعانت مكتبـة الكونجرس في هذا المشروع الضخم الذي رعته منظمة اليونسكو بالمساعدات التقنية من فريق عمل متخصص من مكتبة الإسكندرية، كما أسهمت المكتبة بإضافة كتاب (وصف مصر)، وقد احتفلت المكتبـة عـام( 2009م) بوضـع أكثر من مائة ألف كتاب عربي على الشابكة، ووصل عـدد الكتـب العربيـة المرقمنة (150 )ألف كتاب بعد ذلك، والعدد في تزايد مستمر، كمـا وقعـت مكتبة الإسكندرية على الصعيد الرقمي مع مؤسسة أمريكية نهاية(2009م) اتفاقية تعاون، يتم بموجبها إنشاء "موسوعة الحياة" وهي

إقليمية في المنطقة العربية، ويهدف هذا المشروع إلى جمع وتوثيق معلومات عن أنواع الكائنات الحية كافة من نباتات وحيوانـات دقيقـة، والـذين يقـدر عددهم بحوالي مليون و(900) ألف نوع خلال عشر سنوات، وإتاحتها مجانا على الشابكة الالكترونية للعلمـاء والبـاحثين والطلبـة والمعلمـين والجمهـور العام.وتستضيف المكتبة مركز لغة التواصل العالمية الخاص باللغـة العربيـة، وقد تفوقـت المكتبـة في كـم الإنجـازات وجودتهـا علـى الأطـراف الدوليـة

[1] ينظر: هل تنجح صناعة المحتوى الرقمي العربي؟ شحرور غسان، مجلة المستقبل، ليبيـا، مـاي 2016، على الرابط:

lhttp://www.libyaakhbar.com/libya-news/94764.htm

المشاركة في مشروع (UNL) باعترافهم جميعا حيث إن ما حققته يعد سبقا هائلا في المعالجة الآلية للغات الطبيعية مع الأخذ في الاعتبار القدرة التصريفية والاشتقاقية العالية للغة العربية، كما أن موقع المكتبة يحتوي على ست مكتبات متخصصة وما يقارب (10) بلايين صفحة نصوص، ويعد هذا المحتوى أكثر من الموجود في مكتبة الكونجرس، وقد سجلت مصر عام( 2010م) أول نطاق في العالم باللغة العربية، وأطلقت المبادرة استخدام اللغة العربية على الشابكة الالكترونية أمام الملايين من متحدثي العربية، الذين كان يعوقهم حاجز اللغة، ومصر هي الأولى من بين تسع دول عربية تسجل أسماء نطاق حتى الآن، تبنت اسم مصر الذي سيكتب باللغة العربية، وهذه المبادرة تمثل جزءا من جهود البلاد لتعزيز محتوى اللغة العربية على الشابكة الالكترونية [1] (www.arab-ewriters.com).

## 4ـ صعوبات في الطريق:

شهد حالياً استعمال الشابكة الالكترونية في العالم العربي أعلى نسبة نمو، ورغم ذلك يصعب تطوير والوصول الى المعلومات باللغة العربية، ولا سيّما بسبب صعوبة الطباعة رغم توفّر لوحات المفاتيح العربيّة، اعتاد معظم مستعلي الإنترنت العرب على استعمال لوحة المفاتيح الإنجليزية وغالبا ما يلجأ المستعلون إلى كتابة اللفظات العربيّة بأحرف إنجليزيّة، وهي عمليّة تعرف بالترجمة الصوتيّة.من ضمن المشاكل الهائلة التي قابلت مؤسسي الاتحاد في سبيل إشهاره والمشاكل القانونية المتعددة التي قابلها في مختلف الأقطار

---

[1] ينظر: www.arab-ewriters.com

العربية نتيجة لعدم وجود قوانين خاصة تنظم مثل هذه المسائل، حيث قام الاتحاد بالعديد من الأنشطة بعد أن تم إشهاره رسميا في الأردن، وتم تأسيس وإطلاق موقع إلكتروني ضخم باسم الاتحاد على الرابط (www.arab-_ewriters.com)، كذلك تأسيس نواة دار نشر إلكترونية عربية كبرى في موقع الاتحاد، وقامت هذه الدار بنشر عدد كبير من الكتب والدراسات الأدبية والنقدية المتخصصة في موضوع الثقافة الرقمية وتجلياتها المختلفة وغيرها من الانشطة المختلفة.

وعن آفاق تطوير الاتحاد قال رئيسه؛ بأنّه يطمح إلى العمل على إيجاد مكتبة إلكترونية عربية شاملة تحتوي على الإنتاج الثقافي العربي ونشره إلكترونيا، كما تعاني اللغة العربية من عدم وجود ماسح ضوئي جيد يسمح بتحويل النص المصور بكاميرا أو ماسح ضوئي (Scanner) إلى نص رقمي يمكن فتحه بناشر إلكتروني، وكثير من لغات العالم يمتلك هذا الماسح الذي يسمح في دقائق وبشكل آلي كامل فتح الكتاب وتصويره صفحة صفحة وتمرير القارئ الضوئي الآلي عليه لتحويله إلى نص رقمي قبل أرشفته وزجه في الفضاء الكوني (الإنترنت) ليصل إلى العالم في لمحة بصر، وبعض هذه الأجهزة يكلف الواحد منها ربع مليون دولار، لكنه يتمكن من رقمنة مئات الكتب يوميا بلغات غير العربية ففي عام(2007م) تمت رقمنة مشروع جوجل لمليون كتاب بواسطة هذه التقنية، لا تمتلك لغتنا محركات بحث ملائمة فالصفحات العربية على الشبكة مشحونة بالأخطاء اللغوية والإملائية، فلو كتبنا كلمة خطأ مثل ( ضربت) ستصلك آلاف الصفحات التي تحمل الكلمة مكتوبة خطأ، وذلك لأن محركات البحث العربية ضعيفة

ولا تمتلك مصححات لغوية، وفي الوقت نفسه لو كتبت في محركات البحث كلمة بالإنجليزية خطأ يقوم محرك البحث بتصويبها أولا [1] ( صلاح المدهد،2013)، واللغة العربية لم تدخل عصر الرقمنة لعدم امتلاك أهلها قواعد تحتية رقمية ( قارئ ضوئي آلي للأحرف المدونة لغويا ترجمة كثيفة يدوية وآلية وبرامج تصحيح لغوي، ومحركات بحث ملائمة- وقد سبق الإشارة إليهما- ونحن في عصر مشاريع الرقمنة فقد قام مشروع جوجل(Google) وبعض كبار المكتبات القومية بترجمة 15 مليون كتاب من المكتبات القومية في عام 2004م، كما قام مشروع (ميكروسوفت الموازي وللمكتبة الفرنسية برقمنة 6 ملايين كتاب، وغير ذلك من المشروعات، وفي مقابل ذلك نجد الرقمنة العربية بالمئات [2] (تهاني صلاح، 2009م).

## 5- نقائص القاموس:

يحتوي هذه القاموس على أعداد كثيرة من الكلمات العامية غير المصرح بها في القواميس العربية القديمة والحديثة: وهذا ناتج عن الاعتماد على الصحافة كمصدر لتحليل المعلومات، يحتوي على كثير من أسماء الأعلام والدول والمذاهب باللغات الأجنبية في حين يفتقر إلى بعض الكلمات العربية الأساسية:مثلا نجد عربسات وكلمات مثل كندا، كنده، إرلندا، إرلنده، ولا نجد كلمات عربية صحيحة يحتوي القاموس على أشكال متعددة للكلمة

[1] الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية بين الواقع والمأمول، **إبراهيم صلاح المدهد**، (14و16 يناير 2013م)، مقال ضمن أشغال الملتقى العلمي الدولي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها رؤى مستقبلية،، الأزهر الشريف، مصر، على الموقع: http://azhar-ali.com/go

[2] الثورة الرقمية تدعم مشروع...، تهاني صلاح،الرابط نفسه

الواحدة مما يزيد من حجم القاموس، لا سيما الأفعال خاصة المعتلة منها، هذه الأشكالات التي يمكننا تجنبها بتوليدها حسب قواعد معينة؛ مثلا نجد في القاموس الفعل اعتمد، واعتماد، فتخيل أن عدد الأفعال التي تبدأ بهمزة الوصل كبير جدا ثم نجده مضروبا في اثنين، كما نجد الحرفين على وإلى بصيغ أخرى (علي، إلي)، وذلك للتمكن من إضافتها إلى الضمائر المتصلة، مثل عليها وإليهم

وبطرح نفس المشكل مع الأسماء ذات النهايات المعتلة فنجد كلمات أبناءنا، أبناؤنا، أبنائي في كثرة الأصناف الصرفية المختلفة تكتب (PV_n_intr, PV_n0_w_intr ) للدلالة على الفعل الصحيح اللازم المنتهي بالنون( 3

وذلك للتمكن من توليد الصيغ الممكنة للفعل، في حين يمكن اختصار ذلك إلى أقصى حد ممكن باستعمال قواعد تصريفية، وقد أثرت هذه النقائص على القاموس فجعلته كبير الحجم، وأنجرت من جهتها على البرامج التي تستعمله [1] ( الغامدي، 2011)،ومن ضمن هذه البرامج برنامج التحليل الصرفي للغة العربية أو ما يصطلح عليه ببرنامج الخليل الصرفي.

لعل العقود الطويلة من الجهل والتجاهل "العربيّين" لوجودنا في عالم الثورة الرقمية والتكنولوجية الراهنة، حوّلتنا إلى أسرى الشابكة وكان هذا منذ أن

[1] برنامج الخليل الصرفي، **منصور الغامدي**،( 2011م)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو)، على الرابط:

http://www.alecso.org/

بدأنا ندمن على ارتياد المواقع الإلكترونية، ونتواصل عبر مختلف الوسائط الاجتماعية، فأصبحنا نرى عربيتنا تتشرذم والدهشة في العيون!

لا شكّ في أنّ الأمور تغيّرت اليوم، رغم المساعي الحثيثة في المحافظة على لغتنا العربية التي تبنى بها الأمم لأنّنا نحافظ على هويّتنا وعروبتنا وانتمائنا؛ فبقاءُ العربيّة إسقاطٌ لفعل الاغتراب اللغوي في الشابكة، والمصيبة العلمية والتقانية التي بدأت بالإنسان لا تكتمل فصولها إلّا باللسان، هذا ما كانت ولا تزال تسعى إليه الدول الغربية بممارسات جليّة، وأخرى تكنولوجية خفيّة، ومن هنا بدأت سياسة تهميش العربيّة وتشويهها، على أمل أن تقع القطيعة بين العربي وأمّته وحضارته جرّاء رطانته بالعربيّة الخالية من العربيّة.

وصفوة القول ندرجها ضمن اقتراحات لأهل الاختصاص من الأفراد والهيئات والمنظمات والمؤسسات العربية والدولية، وهي:

- العمل على وضع استراتجيات فعّالة تحافظ على اللغة العربية الفصيحة في مقابل ما يجري من تعريب المحتوى الرقمى بالحروف اللاتينية، أوما يعرف بـ: (arabizi )، التى تجمع بين كلمتى( arabic) و(inglizee)، وهذا بتعاضد جهود جميع دول المنطقة العربية ومجامعها من المحيط إلى الخليج في إيجاد ماسح ضوئي للحروف العربية.

- خلق مراكز بحث وتطويرها تدعم مستهلكي الشابكة الالكترونية على غرار الخبراء العرب ومراكز البحث العلمي والتقني على حدّ سواء.

- دعم المحتوى العربي وفق خطة توسطية تتضح فيها ملامح الجمهور المستهدف والمتخصّص بمنحى أكاديمي علمي، لا تستخدم فيه اللغات الأجنبية للتعبير عن الأفكار العربية مهما كان نوعها.

- تطوير تعليم اللغة العربية للناطقين ولغير الناطقين بها، مع حسن استغلال تجارب بعض الدول الناجحة في ذلك.

- النهوض بالترجمات المتعلقة بالكتب والأبحاث والمقالات والنصوص الرقمية الأجنبية خدمة للعربية، ومواكبة للتطور والازدهار الفكري والحضاري، بتطوير ما يسمّى بالمحلل الصرفي في اللسانيات الحاسوبية.

- تدريب الكوادر البشرية على هذا العمل الهندسي الدقيق الذي قد يستغرق زمنا وجهدا كبيرين.

- توثيق المراجع غير المعتمدة التي تعنى بالبحث العلمي العربي على الشابكة، وهذا بالتركيز على الربط بين اللغة العربية واللغات الأجنبية مع المحافظة بطبيعة الحال على خصوصيتها.

وتماشيا والوضع الهجين الذي تشهده اللغة العربية في عالم الشابكة الإلكترونية والهواتف والحوامل الرقمية وغيرها من الوسائط التكنولوجية، صارت ثقافة متداولة وموضة هذا العصر، غير أنّ هذا لم يمنع من وجود سياسة لغوية رشيدة لنخبة من حماة العربية ممّن يعكفون على حمايتها على مستوى الفضاء الرقمي، والتخطيط للارتقاء بها أمام هيمنة اللغات الأجنبية.

على أيّ حال، إنّ هذه الجهود المؤسساتية أو الفردية نريد لها المزيد من العناية بها، وتنشيطها وتشجيعها من لدن الأفراد والحكومات حتّى تقوم بدورها الطلائعي في ازدهار اللغة العربية ازدهارا عصريّا، يقوم على الإبداع والتأصيل أكثر ممّا يرتكز على التعريب والترجمة.

**بيبليوغرافيا البحث:**

1- علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية،**فريال مهنا**، (2002)، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط1.

2- اللسانيات العربيــة في الثقافـة العربيـة، حفريـات النشـاة والتكـوين، **مصطفى غلفان**، (2002م)، دار توبقال للنشر والتوزيع، الربـاط، المغـرب، ط:1

3- اللغة...تدريسا واكتسابا، **محمود علي السيد**، (1988م)، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، ط:.1

4- المصطلح العلمي في اللغة العربية، عمقه التراثي وبعده المعاصر، **رجاء وحيد دويدري**، (1431هـ- 2010م.)، دار الفكر، دمشق، دط.

5- المعالجة الآلية للغة العربية جهـود الحاضـر وتحـديات المسـتقبل، أبـو الحجاج محمد بشير، دت، على الرابط: www.almadenahnews.com

6- هل تنجح صناعة المحتـوى الرقمـي العربـي؟ **شـحرور غسـان**، مجلـة المستقبل، ليبيا، (ماي 2016)، على الرابط:

lhttp://www.libyaakhbar.com/libya-news/94764.htm

7- الأمازيغية أكثر اللغات عرضة للتهجين اللغوي، **صالح بلعيد**، مارس 2010، على الرابط:http://www.djazairnews.info

8- برنامج الخليل الصرفي، **منصور الغامدي**، (2011م)، المنظمة العربية للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم (الأليســـكو)، علـــى الـــرابط: http://www.alecso.org

8- فجائع تأخر اللغة العربيـة في زمـن الكمبيـوتر، **حبيـب سـروري**، (جوان 2014)، على الموقع:

http://ara.reuters.com/article/idARAKBN0DI07W20140502

10- مستقبل اللغة العربية وحقوق الملكية الفكرية في ظل الرقمنة،**محمـد التفرواتي**، على الرابط: http://azhar-ali.com/go

11- الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية بين الواقع والمـأمول، **إبـراهيم صلاح الهدهد**، (14و16 يناير 2013م)، مقال ضمن أشغال الملتقى العلمي الدولى لتعلـيم اللغـة العربيـة لغـير النـاطقين بهـا رؤى مسـتقبلية، الأزهـر الشريف، مصر، على الموقع: http://azhar-ali.com/go

12- اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية.. بين الواقع والمـأمول،**خـاطر السيد حمد الشافعي**، (15 مايو 2015)، مـؤتمر حـروب الفضـاء السـبراني ( أول مـؤتمر إلكترونـي في مصـر والـوطن العربـي ) ، علـى الـرابط: https://seconf.wordpress.com

13- العضوية في مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على تحسين الـوعي السياسي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية، **لينا العلمي**، (2010، 2011)، إشراف: **سام الفقهاء**، كليـة الإقتصـاد والعلـوم الإداريـة، جامعـة النجـاح، نابلس، فلسطين، (مخطوط).

-14http://www.yamli.com.

-15 http://www.ar.smex.org

- -16 Hunspell (us): http://hunspell.sourceforge.ne/

-17http://ayaspell.blogspot.com/

-18http://perso.menara.ma/~kebdani/ayaspell-dic/consignes.html

-19**http://www.alyaseer.net**

-20http://www.yamli.com .

http://www.arabworldbooks.com -21

http://www.us.undp.org/WashingtonOffice/UNDPFactSheet2012.pdf-22(

-23**www.arab-ewriters.com**

# دور الإعلام في دفع اللغة العربية نحو التطور والازدهار

د. عمر بورنان
جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة

لا يخلوبيت من وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة (المكتوبة، السمعية، السمعية البصرية)، وإن كانت كلها ذات أهمية كبيرة، وتأثير لا يخفى على عاقل، فإن الانترنيت بمعناها العام، ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص أكثر تأثيرا في لغة الأفراد، لأن الشخص لا يكون فيها متلقيا فحسب، وإنما يكون مرسلا مرة ومستقبلا مرة أخرى، وبذلك تتحدد اللغة التي يستعملها ومدى تمكنه من نظامها هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تظهر أهمية الانترنيت وخطورتها لكونها مقياسا من المقاييس المعتمدة في ترتيب اللغات من حيث التقدم والتأخر، فكلما كثرت المنشورات بلغة ما على الانترنيت، وكلما كثر عدد مستعمليها دل ذلك على تطورها ونموها، وكلما قلت المنشورات بلغة ما وقل مستعملوها دل ذلك على تأخر تلك اللغة.

تبعث فينا بعض الإحصاءات الخاصة باستعمال اللغة العربية على شبكة الانترنيت شيئا من الأمل، ونوعا من الطمأنينة، وضربا من الأنس، إذ «تعكس نتائج "توقعات أعداد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي 2014-2018" مدى التوسّع الكبير الذي يشهده قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في ظل التقديرات بأن يصل عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في الدول العربية إلى نحو226 مليون مستخدم بحلول العام 2018. ويتوقّع

التقرير أن يرتفع معدل إنتشار الإنترنت في المنطقة من حوالى 37.5 بالمائة في العام 2014 إلى أكثر مـن 55 بالمائـة في العـام 2018، أي بنسـبة 7 بالمائـة أعلى من المعدّل العالمي البالغ 3.6 مليار وفقاً للبيانات الأخيرة الصادرة عن الشركة البحثية المستقلة "إي ماركتير"[1]»، في حـين لا يمكننـا أن نطمـئن لنسـبة المحتوى العربي على الانترنيت، إذ «أظهر تقرير صادر عـن الاتحـاد الـدولي للاتصالات أن حجم المحتـوى العربـي علـى الإنترنـت لا يتجـاوز 3٪، وأن المملكة الأردنية احتلت المرتبة الأولى من حيـث نسـبة مسـاهمتها في صـناعة هذا المحتوى[2]» هذا من جهة المستعملين العرب لشبكة الانترنيت، ولكن هذا لا يعني استعمال العربية، لأن المستعمل العربي قد يفضـل لغـة غـير العربيـة عند استعماله الانترنيت، وذلك ليس بالأمر المستغرب ونحن نشـهد ذلـك في الحيـاة اليوميـة ونلاحظـه، ولـذلك نجـد في مقابـل الإحصـاءات السـابقة إحصاءات أخرى تزرع في نفوسنا بذرة التشاؤم، وتحيي فينا الإحساس بالقلق والشعور بالخطر، إذ كشفت «لجنة الأمـم المتحـدة الاقتصـادية والاجتماعيـة لغرب آسيا "الإسكوا"، في دراسة صادرة لها عن وجود ندرة شديدة للمحتـوى العربي على شبكة الإنترنت؛ حيث لا يتعدى المحتوى العربـي علـى الشـبكة الثلاثة بالمائة من إجمـالي المحتـوى العـالمي؛ ممـا يشـير إلى أن ضـعف المحتـوى العربي على الانترنت يمثل تناقضا صارخا مع إسهامات وإنجـازات الحضـارة العربية عبر التاريخ؛ مما دعـا الأمـم المتحـدة لإطـلاق دعـوة بضـرورة اتخـاذ

---

[1] قتصاد المعرفة العربي2015-2016

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2016/03/29/893366.html

[2] http://www.aljazeera.net.(2017 -03 -14)

مبادرة إنشاء بوابة المحتوى العربي الرقمي؛ لتعزيز استخدام التكنولوجيا الرقمية في مجالات الثقافة والأدب والتاريخ والاجتماع [1]» ثم إن هذه النسبة الضئيلة جدا المقدرة بـ (3٪) فيها الغث الذي لا ينفع اللغة العربية بشيء سواء من حيث مستوى محتوى المنشور أم من حيث سلامة اللغة المستعملة، ولهذا فإنه لا يعكس النسبة الحقيقية التي تقدم الخدمة للغة العربية وتدفع بها نحوالتطور والازدهار، إذن فالخطر لا يكمن فقط في عدم استعمالها ولكن «الخطر في عدم استخدام اللغة العربية السليمة في وسائل الإعلام المختلفة وفي الفعاليات الثقافية المتنوعة [2]»، وعلى هذا يجب توجيه وسائل الإعلام إلى خدمة اللغة العربية إلى جانب أداء وظيفتها الأساسية المتمثلة في نشر الأخبار، والعمل على تقريب الناس بعضهم من بعض وغير ذلك من المهام المنوطة بها.

---

[1] - 03- 2017) (بتصرف. http://www.arab48.com (14)

[2] مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، العربية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر: 2013، ص20.

* تعليم قواعد اللغة العربية نحويا وصرفيا من الأصول التي لا يمكن التخلي عنها بحال من الأحوال، ليتمكن الناشئة من فهم اللغة العربية فهما علميا دقيقا، ولكن هذه الطريقة لا تساهم في نشر اللغة العربية على نطاق واسع، وإنما تمس شريحة واحدة من المجتمع وهم المعدودون ضمن زمرة المختصين في علوم العربية دون غيرهم من أهل العلم، وأما ما نرمي إليه في هذه المداخلة فهوتعميم استعمال اللغة العربية على جميع أفراد المجتمع على اختلاف تخصصاتهم وعلى تفاوت أعمارهم كبارا وصغارا، كما أن تلقين القواعد النحوية والصرفية لا يسهم في نشر المصطلحات الحديثة ولا في إذاعة الألفاظ الحضارية من أسماء الأطعمة والألبسة والأواني والأسلحة وألفاظ السياسة والرياضة وغير ذلك، وكل ذلك يكتسبه المتلقي من لغة الإعلام المسموعة والمكتوبة دون شعور منه عن طريق السماع.

لإدراك الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية، والطريقة الأصح لجعلها تؤتي أكلها على أكمل وجه يجب الانتباه إلى المسائل التالية:

أ. **السماع اللغوي:** إذا كان علماء العربية القدامى لا يأخذون اللغة ممن ثبت عنهم مخالطة العجم، خشية أن تكون ألسنتهم قد دخلها شيء من العجمة، فإن واقعنا اليوم يفرض علينا منطقا آخر غير الذي ذهب إليه الأولون لإبقاء اللغة العربية في مصاف اللغات المتطورة، ذلك لأن الانطواء على الذات، وعدم مخالطة الأعاجم، أوتجنب مخاطبة الذين فسدت لغتهم، أوالتأثر بكلامهم بات أمرا مستحيلا، لغزواللغة الإعلامية على اختلاف أنواعها (المسموعة والمقروءة) بيوت الناس، ومخاطبتهم صغارا وكبارا، ولم يعد من الممكن الاقتصار على تلقين الناشئة القواعد النحوية والصرفية للمحافظة على سلامة اللغة العربية ودفعها نحوالازدهار والتطور، وجعلها تتبوأ مكانة محترمة بين لغات العالم* لأن الناس يكتسبون اللغة التي تطرق أسماعهم يوميا ليلا ونهارا، فاللغة استعمال وتوظيف وهذا ما أشار إليه العلامة ابن خلدون رحمه الله بقوله: «السمع أبوالملكات اللسانية [1]» وقال في موضع آخر بعبارة أكثر تفصيلا وبيانا: «...فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد

[1] عبد الرحمن بن خلدون، ضبط خليل شحادة، بيروت: 1431هـ، 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص754.

في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم [1]» وعندما يرسخ في أذهان أفراد المجتمع نظام لغوي معين يترجمونه في حياتهم اليومية بالاستعمال، وبذلك يدفعون بتلك اللغة إلى الانتشار الواسع الذي هومقياس من مقاييس الازهار، ولنا أن نستثمر أهمية السماع في تعليم اللغة وتطويرها ونشرها، ونستغل وسائل الإعلام المختلفة لخدمة اللغة العربية، وتجنب ما يمكن أن يلحق اللغة العربية من هجين نتيجة الاستغلال السيئ لوسائل الإعلام.

إن تعليم اللغة العربية بتوظيف لغة وسائل الإعلام سماعا عمل يندرج ضمن التخطيط اللغوي، الذي «يكون على مستوى التعليم باختلاف المراحل ثم على مستوى الإعلام ووسائله والصحافة المكتوبة [2]» وتنعكس الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام في اللغة الناتجة عن سماع لغة سليمة في إحدى النقاط التالية:

أ. **الاستعمال الصحيح للغة العربية:** من مظاهر تطور اللغة العربية وازدهارها استعمالها استعمالا صحيحا فصيحا متماشيا مع متطلبات العصر الحديث، ومحافظا على أصالة اللغة العربية إفرادا وتركيبا، وهذا ما يمكن تحقيقه أوتحقيق جزء منه بواسطة تنقيح لغة وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، إذ يمكن الاهتمام بالتدقيق اللغوي اهتماما كبيرا، وتشجيعها على الالتزام بالصحيح من العربية من غير إفراط في الرقابة، وذلك لإكساب

[1] نفسه، ص765.

[2] أحمد بناني، "حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائر"، أعمال الملتقى الوطني حول: التخطيط اللغوي، 03، 04، 05 ديسمبر 2012، ج2، ص28.

المتلقي الملكة اللغوية العربية، وتجنب تلك النماذج التركيبية الركيكة الناتجة عن الترجمة الفورية لبعض النصوص غير العربية، ولنا في العربية بديل عنها، لأن (اللغة تتأثر أيما تأثر بالعملية الإعلامية، فقد تزداد رقيا وحضارة، وقد تنحدر إلى الحضيض، وهي في الحالتين ستنتشر وتتكرس في أوساط المجتمع، فبقدر رقي لغة الإعلام ترتقي لغة المجتمع، وبقدر تخلف لغة الإعلام تتخلف لغة المجتمع، ومن هنا يظهر دور الإعلاميين وتأثيرهم الذي لا يستهان به في اللغة [1]) وتوجيه المتكلمين وإكسابهم نمطا لغويا موحدا، فتقترب اللهجات العربية المختلفة بعضها من بعض، وكأن وسائل الإعلام تنحوبالمجتمعات العربية إلى توحيد اللغة والفكر، قال: «وفي إجمال وإيجاز نقرر في هذا المقام أن وسائل الإعلام – بصفة عامة، والتلفاز بصفة خاصة- تعد من عوامل توحيد الأفكار والمشاعر بين الناس، وتوحيد عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم لأن الآلاف منهم يشاهدون نفس المؤثرات، فهويساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير والثقافة والأذواق الجمالية [2]»، ومن الظواهر اللغوية البارزة ترسيخ عبارات جاهزة في أذهان المتلقين حتى تشيع بينهم شيوع الأمثال السائرة قولهم: (الأكثرية الساحقة)، و(القطرة التي أفاضت الكأس)، و(الحل الوحيد)، و(السؤال المطروح) وغيرها، والأجدر برجالات وسائل الإعلام إيثار العبارات العربية لربط حاضر المتلقي بماضيه.

---

[1] رحمون حكيم، مستويات استعمال اللغة العربية –بين الواقع والبديل- رسالة ماجستير، إشراف صالح بلعيد، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، السنة الجامعية: 2011، ص53. (بتصرف)

[2] جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، دط. المدينة المنورة: 1418هـ، نادي المدينة المنورة الأدبي، ص85.

وهذا الأمر ينطبق تماما على الألفاظ المفردة، فكثيرا ما نسمع ألفاظا مترجمة حرفيا وفي العربية ما يعبر عن معناها، كقولهم: ناطحات السحاب، للتعبير عن الأبنية العظيمة ذات العلوالشاهق، وقد جاء في القرآن الكريم لفظ (الصرح) المعبر عن المعنى نفسه، قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) (غافر: 36، 37)، فحري بالإعلاميين نشر الألفاظ العربية التي نطق بها القرآن الكريم، وتكرار بعض التراكيب لترسيخها في أذهان المتلقين كبارا وصغارا، وتكون بذلك قد خدمت العربية بالمساهمة في المحافظة عليها في الاستعمال اليومي للمجتمع.

ب. **إثراء المعجم العربي:** تسهم وسائل الإعلام عن قصد أوعن غير قصد، في إثراء المعجم العربي بألفاظ مستحدثة لم تكن معروفة في السالف من الزمن، بعضها عربي المادة وبعضها ألفاظ أعجمية معربة دعت الحاجة إلى تعريبها، فمن الألفاظ المحدثة التي شاع التي استعمالها في كلام الناس بفضل وسائل الإعلام بطاقة السحب الإلكتروني، أوبطاقة الدفع، البنك، الحراق (وهي كلمة من وضع عامة الناس، يقصد بها كل من هاجر أوحاول الهجرة بطريقة غير قانونية)، المنتخب الوطني، الفيديرالية، البارون، سيناريو، وغيرها من الألفاظ التي انتشرت بفضل وسائل الإعلام حتى أصبحت جزءا من كلام عامة الناس، وعلى الأساس ينبغي على أصحاب القرار، تشجيع وسائل الإعلام على استعمال الألفاظ التي أقرتها المجامع اللغوية العربية، والعمل على توحيدها في كل الأقطار العربية لجمع العرب على لغة مشتركة أو متقاربة فيما بينها إلى حد يسهل التفاهم والتواصل بينهم.

ج. **إحداث تراكيب جديدة في اللغة العربية:** يمس التطور اللغوي جميع المستويات اللغوية بدءا بالأصوات إلى الألفاظ فالتراكيب، وذلك وفق نواميس محددة تقتضيها طبيعة التطورات الاجتماعية والثقافية والحضارية للمجتمع، وبتأثير مجموعة من العوامل منها وسائل الإعلام التي تتعمد صياغة الخبر بطريقة تستهوي القارئ وتجذب انتباهه، وقد يكون ذلك تقليدا للصحافة الأجنبية وإسقاط بعض سنن كلام العجم على كلام الإعلاميين العرب، والهدف منه في كل الحالات التشويق وجذب أكبر عدد من القراء، لأن مهنة الإعلام مهنة تنافسية دعائية تقتضي التلاعب بالألفاظ، وصياغة العناوين بأسلوب جذاب، ولا ضير في ذلك فالأمر من مستلزمات الصناعة، ومن متطلبات العصر، ولا مانع من أن تكتسب اللغة العربية بعض الأساليب الجديدة إذا كانت لا تمس الأصول، ولا تؤدي إلى فساد في الألفاظ والتراكيب، والتجديد في هذا المستوى يكون على شكلين اثنين:

- **الشكل الأول:** إحداث تراكيب سهلة بسيطة الفهم يألفها الناس ويتلقونها بالقبول وإن كانت للعرب تراكيب تعبر بها عن معناها، ولكنها ليست مفهومة لدى جميع المتلقين، قال جابر قميحة مبينا بعض إيجابيات لغة وسائل الإعلام: «هي لغة سهلة واضحة تنزهت عن الإغراب، فلم تعد تستخدم الغريب الوحشي أوالمهجور أوالممات من ألفاظ اللغة... تستخدم: وقد اشتدت المعارك بين المتقاتلين، بدلا من: اشتد أوار الحرب، أو: حمي الوطيس. وتستخدم: انتهت الحرب: بدلا من: وضعت الحرب أوزارها. وتستخدم: وشكره على هديته القيمة، بدلا من: وقد لهج لسانه

بشكره... [1]»، غير أنه يجب الاحتراز من تفضيل عبارة حديثة لسهولتها على عبارة استخدمها الأولون لصعوبتها أوجزالتها، والضابط الذي يجب الوقوف عنده هوتقديم العبارات المستعملة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على غيرها، فقوله: (وتستخدم: انتهت الحرب: بدلا من: وضعت الحرب أوزارها) فيه نظر، لأن هذه العبارة نطق بها القرآن، يحفظها الناس ويسمعونها من حين إلى حين، قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) (محمد: 04). ولا تستعصي على الناس عبارة تتكرر على أسماعهم، بل إن المطلوب من رجال الإعلام استعمال العبارات التي نطق بها القرآن لتساعد المتلقين على اكتساب الفصاحة والبيان، وتمكنهم من فهم القرآن الكريم.

- **الشكل الثاني**: تحدث البلاغيون القدامى عن التشويق وبينوا أهميته وتأثيره في المتلقي، وله عدة وسائل منها الإبهام أولا ثم تفسيره ثانيا، وهومتوزع على عدة أبواب في البلاغة العربية، غير أنه محتاج إلى أن يجمع في باب واحد، قال يحيى بن حمزة العلوي «ألا ترى أنك إذا قلت: هل أدلك على أكرم الناس أبا، وأفضلهم فعلا وحسبا، وأمضاهم عزيمة، وأنفذهم رأيا، ثم تقول: فلان، فإن هذا وأمثاله يكون أدخل في مدحته مما لوقلت: فلان الأكرم الأفضل الأنبل، وما ذاك إلا لأجل إبهامه أولا، وتفسيره ثانيا [2]»،

---

[1] نفسه، ص87.

[2] يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز، ط1. بيروت: 1423هـ، 2002م، المكتبة العصرية، ج2، ص44.

وهذا عينه استعمله الإعلاميون في عناوين مقالاتهم لتشويق المتلقين وجذب انتباههم، ويتحقق لهم هذا الضرب من الكلام بإحدى طريقتين:

- **الطريقة الأولى:** عَود الضمير على متأخر، وهومن عيوب الكلام عند القدامى، إذ سموه ضعف التأليف، قال القزويني رحمه الله: «فالضعف كما في قولنا: "ضرب غلامُه زيداً" فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هومتأخر لفظا ورتبة، وقيل يجوز، لقول الشاعر:

**جزى ربُّه عني عديَّ بن حاتم ** جزاء الكلاب العاويات، وقد فعل** [1]»

ولكن المقاييس تتغير من عصر إلى عصر، وذلك لما يطرأ على الحياة البشرية من تغيرات وتحولات تستوجب التغيير في بعض الأنماط اللغوية التي لا تمس جوهر اللغة، ولا تؤدي إلى انغلاق النص القرآني، وإنما تخدم اللغة العربية، وتثري تراكيبها، وتتماشى والحياة المعاصرة للناس، وهذا ما نجده في كثير من العناوين البارزة في الصحف المكتوبة الورقية والإلكترونية. فقد ورد في جريدة الشروق اليومي عنوان هذا نصه: «دعاهم إلى تقبل الأمر الواقع والتجند لإنجاح قوائم الأفلان. ولد عباس: أيها المقصون لا تغضبوا.. دوركم بعد 5 سنوات! [2]» فالقارئ للجزء الأول من العنوان المتمثل في

(دعاهم إلى تقبل الأمر الواقع والتجند لإنجاح قوائم الأفلان) يتساءل قائلا:

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دط. بيروت: دس، دار الكتب العلمية، ص07.

[2] جريدة الشروق اليومي، العدد 5401، السبت 18 مارس 2017، ص01.

- من هوالفاعل ومن هوالمفعول؟ فيتولد لديه شيء من الفضول ليعرفهما، فيقرأ الجزء المتبقي من العنوان المتمثل في (ولد عباس: أيها المقصون لا تغضبوا.. دوركم بعد 5 سنوات!) فيدرك أن المقصود من العبارة السابقة: (دعا ولد عباس المقصين إلى تقبل الأمر الواقع والتجند لإنجاح قوائم الأفلان، قائلا: المقصون لا تغضبوا.. دوركم بعد 5 سنوات!)، غير أن المتأمل في العبارتين يجد الأولى أحسن وإن خالفت قواعد جمهور النحاة، لأنها تشد انتباه القارئ، وتجعله يتطلع إلى معرفة مزيد من المعلومات، أما العبارة الثانية فإنها تعطيه المعلومة مباشرة دونما تحفيز، وهذه سنة في اللغة العربية نطق بها القرآن الكريم وإن لم تكن بالأسلوب نفسه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف: 10- 13). إذ سألهم ثم بين لهم، بغرض التشويق وجذب الانتباه.

وعود الضمير على متأخر شائع الاستعمال في لغة وسائل الإعلام، وليس من الصواب أن نعد هذا الأسلوب من اللحن تحكيما للقواعد اللغوية، إنما هوفي أسوأ الحالات من الضرورات التي اقتضتها الصناعة الإعلامية، إن لم نقل إبداع وتطوير لأساليب اللغة العربية، لاسيما وأن لها أشباها من كلام العرب قديما، وغالبا ما يكون ذلك في العناوين الأصلية والعناوين الفرعية، على النحوالتالي:

- يحمل العنوان الأصلي كلمة أوكلمتين تجعل المتلقي حائرا لا يستوعب المقصود منه تماما وتدعوإلى التساؤل لمعرفة المزيد، ومثال ذلك: العنوان الأصلي: «أحدهما سافر سابقا إلى لندن لملاقاة زعيمها [1]». عنوان غامض لعدم معرفة من هوالذي سافر، ولا قصة الزعيم المذكور في نهاية العبارة.

- يزيل العنوان الفرعي الإبهام الموجود في العنوان الأصلي: «توقيف شقيقين بحوزتهما مناشير تدعولاعتناق الأحمدية بتلمسان [2]» وهنا يفهم القارئ أن الذي سافر إلى لندن هوأحد الشقيقين الذي ضبطه رجال الأمن وبحوزته مناشير متعلقة بالأحمدية، والزعيم المذكور سابقا هوزعيم هذه الفرقة الدينية المسماة الأحمدية.

- **الطريقة الثانية:** غير أن هذا الإبهام أولا والتشويق ثانيا، لا يكون بعود الضمير على متأخر فقط، ولكنه يكون بقرائن أخرى كالرتبة، وذلك بتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، وقد يكون بهما معا (عود الضمير على متأخر والرتبة معا)، والأمر نفسه بالنسبة للعلاقة بين العنوانين الأصلي والفرعي، جاء في جريدة الشروق اليومي الجزائرية عنوان هذا نصه: «ضُبط رفقة شركائه على متن سيارة وبحوزتهم السموم. طالب جامعي ضمن شبكة تتاجر في المخدرات بعين تيموشنت [3]» وسر المسألة في هذا التركيب، ترجع إلى تأخير نائب الفاعل (طالب جامعي) وهذا ما استلزم تقديم الضمير على ما يعود عليه، ولوصيغت العبارة على الرتبة الأصلية

[1] نفسه، ص07.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص06.

لجاءت على النحوالتالي: (ضُبط طالب جامعي رفقة شركائه على متن سيارة وبحوزتهم السموم. ضمن شبكة تتاجر في المخدرات بعين تيموشـنت)، ومـع هذا يبقى التشويق قائما، لأن المتلقي سيتساءل عن حقيقة السـموم المـذكورة وكأنه يقول: ما نوع هذه السموم؟

وتفتح أمامه عدة احتمالات: فقد تكون مبيدات الحشـرات المسـتعملة في الزراعة، وقد تكون موادا غذائية فاسدة، وقد تكـون مخـدّرات، وقـد تكـون سموما حقيقية، إلى مـا هنالـك مـن الاحتمـالات، فيـأتي العنـوان الفرعـي ليوضح نوعية هذه السموم، فيزيل ما كان يجده المتلقي من غمـوض وإبهـام، وذلك عندما يقرأ (ضمن شبكة تتاجر في المخدرات بعين تيموشنت)، وهـذا ما يجعله يشتري الجريدة ليطلع على هذا الخبر أوذاك.

د. **نحت كلمات جديدة:** تلجأ لغات العالم إلى توليد كلمات جديدة كلما دعت الضـرورة إلى ذلـك، وثمـة عـدة طـرق لاسـتحداث كلمـات لم تكـن معروفة من قبل، منها ما يسمى بالنحت، الذي هو«إنتاج كلمة واحدة جديدة من كلمتين أوأكثر بواسطة حذف بعض حـروف إحـدى الكلمـات المشـكلة للنحت أومن بعضها [1]»، وهذا مسلك معروف في اللغة العربية منذ القـديم، قال أبومنصور الثعالبي رحمـه: «العـرب تنحـت مـن كلمـتين وثـلاث كلمـة واحدة، وهوجنس من الاختصار، كقولهم: رجل عبشمي، منسـوب إلى عبـد

[1] مشتاق عباس معـن، المعجـم المفصـل في فقـه اللغـة، ط1. بـيروت: 1422هــ، 2001م، دار الكتب العلمية، مادة (نحت).

شمس [1]»، غير أن الكلمات المنحوتة في العصور الأولى لا تفي بالغرض في عصرنا هذا، لذلك لا بد من نحت كلمات جديدة تساعد على الاختصار والإيجاز اللذين تتطلبهما اللغة العلمية، والمشكلة التي تعيق تفعيل هذه الخاصية اللغوية تتمثل في أحد أمرين:

- الأمر الأول: كيف يتم النحت؟

- الأمر الثاني: ما السبيل إلى نشر الكلمات المنحوتة، وجعلها تخرج من الوضع إلى الاستعمال؟

هذان السؤالان أزاحتهما وسائل الإعلام جانبا، ولم تلتفت إليهما البتة، لأنها تعمل على نشر الأخبار في أقرب وقت ممكن، ولا تبالي بالقواعد اللغوية الدقيقة الصارمة، وأما الانتشار فإن الكلمة المنحوتة ستصل رفقة الخبر دون جهد ولا عناء. وسأذكر في هذا المقام أمثلة لألفاظ منحوتة لم تكن معروفة في اللغة العربية الفصحى، استعملتها وسائل الإعلام حتى صارت معروفة لدى أغلب الناس لكثرة استعمالها، وغالبا ما تكون معبرة عن حزب سياسي، أومؤسسة وطنية أوعالمية، مثل كلمة (الأفلان) الدالة على حزب جبهة التحرير الوطني، فقد جاء في مقال في جريدة الشروق الوطني هذا النص: «يتخوف الآفلان من مقاطعة الانتخابات التي تنطلق بصفة رسمية يوم 9 أفريل القادم [2]» والملاحظ أن النحت تم من العبارة الفرنسية (Front de libération national)، بل من المختصر المستعمل في اللغة الفرنسية

---

[1] أبومنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبط وتعليق ياسين الأيوبي، ط2. بيروت: 1420هـ، 2000م، المكتبة العصرية، ص428.

[2] جريدة الشروق اليومي، المرجع السابق، ص03.

(FLN)، وهذا مأخذ على لغة وسائل الإعلام، فكان بإمكان صاحب المقال أن يستعمل لفظا منحوتا من عبارة عربية، ويتفادى اللفظ الفرنسي خدمة للغة العربية، وعملا على تطويرها، ومثله كلمة (الأفامي) الدالة على (صندوق النقد الدولي) (Fonds monétaire international)، فقد جاء في جريدة الشروق اليومي: «ماذا يريد "الأفامي" والبنك العالمي من الجزائر في عز الأزمة؟ [1]»، ومثل ذلك بالنسبة لكثير من المؤسسات الوطنية ككلمة (كاسنونس) الواردة في هذا النص: «مدير "كاسنوس" دفع الاشتراكات يضمن الخصم من الضريبة [2]»، وغالبا ما يكون النحت من عبارات غير عربية، ونادرا ما يتم النحت من عبارات عربية كالمثال التالي: «... وقد لوحظ على كلمة رئيس حمس أنه أطلق إشارات نحوخصومه [3]»، إذ نجد الكلمة المنحوتة (حمس) من العبارة (حركة مجتمع السلم)، وهذا دليل على إمكانية النحت من العبارات العربية، والاستعمال وكثرة التكرار كفيلان بجعل المتكلمين يتقبلون هذه الكلمات كما تقبلوا المنحوتة من العبارات الأجنبية.

هـ. **إيثار العربية على غيرها في الاستعمال:** هذا شرط أساس لتطور اللغة العربية، فإن كان العرب أنفسهم يعبرون بلغة غير العربية فلا ننتظر أن يكون للعربية مستقبل زاهر، لأن اللغة إنما تتطور بجهود متكلميها، وإيثار استعمال لغة على لغة دليل على أن المتكلم ينظر إلى تلك اللغة على أنها لغة علم وحضارة، ويدل ترك استعمالها واستبدالها بغيرها على أنه ينظر إليها نظرة احتقار، وكأنه يعتقد بأنها لا تصلح للعلوم الحديثة، ولا تمكن المجتمع

[1] نفسه، ص05.

[2] نفسه، ص05.

[3] جريدة الخبر، العدد6068، ص6.

من الرقي والتطور، وهذه آفة لغوية شديدة الخطورة على اللغة، لأن العامل النفسي للفرد تجاه لغة ما، ونظرته الإيجابية إليها هوالذي يدفعه إلى العمل على استعمالها بل وتطويرها، ولهذا اشتكى ابن منظور رحمه الله من أهل عصره، لما رآهم يحتقرون اللغة العربية ويفضلون غيرها عليها، ودعاه ذلك إلى تأليف معجمه الخالد (لسان العرب)، قال: «...وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية... [1]» . وإنما يدل استعمال لغة دون غيرها من اللغات على حبها، قال أبومنصور الثعالبي رحمه الله: «فإن من أحب الله، أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب النبي العربي، أحب العرب، ومن أحب العرب، أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب؛ ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها... [2]»، ولعل أهم وسيلة إعلام تعكس مدى إيثار المتكلمين العربية هي الانترنيت وعامة، ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة، وذلك لمشاركة المتلقين في نشر أفكارهم، والتعبير عن آرائهم، في حين لا تمنح بقية الوسائل الإعلامية هذه الفرصة لجميع المتلقين، ولهذا سأحاول تسليط الضوء على بعض الظواهر اللغوية المنتشرة على الفيسبوك.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3. بيروت: 1419هـ، 1999م، دار إحياء التراث العربي، ج1، ص19. (من المقدمة)

[2] أبومنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص29.

يحاول الناشرون استعمال اللغة العربية، فيقتربون من الاستعمال الفصيح، ولكنهم مع ذلك يميلون إلى استعمالات هي أقرب إلى لغة الشارع منها إلى لغة العلم والمعرفة، وبتصفح سريع لصفحة طلبة الأدب العربي بجامعة البويرة، ألخص واقع اللغة العربية على الفيسبوك.

1. **استعمال اللغة العربية استعمالا صحيحا:** غالبا ما يكون ذلك عند نشر نصوص فصيحة مقتبسة كأقوال العلماء والشعراء، وليست من كلام الناشر نفسه، من أمثلة هذا الضرب منشور لطالبة هذا نصه: «يقال إنه أقوى بيت شعري في اللغة العربية، وهوللمتني، يا ترى هل تعرفون معناه؟

**أَلَمٌ أَلَمَّ أَلَمْ أُلِمَّ بدائه ****  إنْ أنَّ آنٌّ آنَ آنُ أوانه** [1]»

نسبة هذا البيت للمتني فيه نظر، ولكنه كثير التكرار على مواقع التواصل الاجتماعي، ومع ذلك فقد أسهم في نشر كلمات عربية الأصل على موقع الفيسبوك، مع ما فيها من صعوبة لتنافر الحروف، وغرابة الألفاظ المذكورة، ومثل هذا البيت قصة لا أعلم مصدرها يتناقلها رواد مواقع التواصل الاجتماعي، بلغة عربية يمكن القول إنها سليمة إفرادا وتركيبا مقارنة بغيرها، جاء فيها: «رأى قيس بن الملوح كلب ليلى، فأسرع خلفه حتى يدله على مكان محبوبته. فمر في طريقه بقوم يصلون، ولما رجع مر بهم فسألوه: لماذا عندما مررت بنا ونحن نصلي لم [تصلي] معنا؟

قال: والله ما رأيتكم. ووالله لوكنتم تحبون الله كما أحب ليلى لما رأيتموني. أنتم كنتم بين يدي الله ورأيتموني، وأنا بين يدي كلب ليلى ولم

---

[1] https://web.facebook.com/groups/998861483541532

أركم، أعيدوا صلاتكم.. [1]» فكل الكلمات المستعملة عربية الأصل، غير أنها لا تحمل جديدا، وهي لا تزيد على أن تسهم في الاستعمال الصحيح للغة العربية على الانترنيت لتنافس اللغات الأخرى، وهذا النوع من المنشورات لا يقل أهمية عن القصص والروايات إن لم نقل إنه أهم منها، لأنه يخاطب شريحة واسعة من المجتمع بل إنه يخاطب كل العرب على اختلاف بلدانهم وتباين ألسنتهم، وتباعد أوطانهم.

2. **استعمال العامية:** يعجز الناشر في كثير من الأحيان على أن يكتب باللغة العربية كل منشوره، فيجنح إلى استعمال العامية، وهنا ينقص دور وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية، لأن تلك المنشورات تؤثر في لغة المتلقين فيقلدونها بشعور منهم أوبغير شعور، فيتراجع بذلك مستوى استعمال اللغة العربية، وإذا نظرنا إلى المسألة نظرة شاملة، فإننا ندرك بأن العامية –مع ما فيها من إيجابيات – تعد وسيلة تفريق بين العرب، لأن لهجات بعض الشعوب العربية غير مفهومة لدى بعضها الآخر، ولا شيء يربط بين العرب على اختلاف أوطانهم بعد الرابط الديني مثل اللغة العربية الفصحى، ومن النصوص التي استعمل فيها الناشرون العامية قول إحدى الطالبات: «سلام** عليكم أخواتي إخواتي تعيشومن فظلكم الله يعطيكم ماتتمناوأرجومساعدتكم عندي مذكرة تخرج سنة ثالثة وهي عبارة عن بطاقة قراءة لكتاب الحكاية والتأويل (لعبد الفتاح كيليطو) من فظلكم ارجوالمساعدة انا تائهة أريد من يعطيني كيف أبدأ في هذا الموضوع وشكرا

[1] https://web.facebook.com/groups/998861483541532

**– نقلت العبارة دون تغيير، محافظا بما جاء فيها من أخطاء لغوية وإملائية.

لكم جزاكم الله خيرا اجركم على الله [1]» وإن كان هذا المنشور مزيجا بين العامي والفصيح، فإن بعض المنشورات عامية كلها، ويأتي ذلك –حسب ما يبدو– عن قصد من الناشر لا عن عجز منه، وهذا نص منشور لطالب يسأل إذا ما كانت نتائج السداسي الأول قد ظهرت: «سلام عليكم شكون لي سمع كاش خبر وكتاش يفيشيونا المعدلات تاع سومستر 1 وشكرا مسبقا [2]»، وهذه الظاهرة لا تخدم العربية بحال من الأحوال، لأن رقي اللغة العربية لا يكون إلا بتضافر الجهود وتوحيدها، ولا يمكن للعامية أن توحد شعب وطن واحد، فكيف نطمع في أن توحد الأمة العربية جميعها؟

**3. كتابة العربية بالخط اللاتيني:** الأدهى والأمر من انتشار العامية على مواقع التواصل الاجتماعي، كتابة العربية بالخط اللاتيني، مع أن العربية في غنى عن ذلك، ومع أنني لم أجد منشورا –في الموقع المدروس– مكتوبا بالخط اللاتيني، إلا أنني لاحظت وجود تعليقات كلماتها عربية ورسمها لاتيني، أذكر منها: «Hhhhh walh dahk bsah [3]t9iss»، والمعنى (والله، تضحك، ولكنها تؤثر)، وقد تعود هذه الظاهرة إلى أسباب أذكر منها:

- بعض أجهزة الإعلام الآلي، والهواتف النقالة لا تحوي الحروف العربية في مفاتيحها - وهذا الاحتمال ضعيف جدا - ومع ذلك يمكن للمستعمل العربي الغيور على لغته، تجنب اقتناء الأجهزة غير المزودة بالحرف العربي، وهويملك عنها بديلا.

---

[1] https://web.facebook.com/groups/998861483541532

[2] https://web.facebook.com/groups/998861483541532

[3] https://web.facebook.com/groups/998861483541532

- تفضيل الناشر الحرف اللاتيني على الحرف العربي: وأحيانا يكون الجهاز المستعمل مزودا بالحرف العربي، ولكن الناشر على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي هوالذي يفضل الحرف اللاتيني على الحرف العربي، ولا يعود ذلك إلا لسبب نفسي بحت، إذ يشعر الناشر بشيء من التطور، ونوع من التحضر عندما يستعمل الحرف اللاتيني انبهارا منه بالحضارة الغربية، وهذا أسوأ تشويه يمس العربية على شبكات الانترنيت، حتى وضع بعض الباحثين كتابة العربية بالحرف اللاتيني تحت عنوان (محاولات الهدم والتخريب [1]) بل يمكننا القول: إن العربي الذي يستعمل لغة أجنبية استعمالا صحيحا، متقنا لها، خير من العربي الذي يستعمل العربية ويكتبها بخط دخيل عليها، فيتولد عن هذا الاستعمال لغة هجينة ما لها من قرار.

II. **انتشار اللغة بفضل الإعلام:** لم تعد العربية الفصحى مستعملة في البيوت والأسواق والشوارع ووسائل النقل والمستشفيات وغيرها، واقتصر استعمالها على بعض المؤسسات الرسمية كالمدارس والجامعات، أوفي الخطب الدينية والسياسية، ومعنى هذا، أن حيز استعمال اللغة العربية ضيق جدا، وهنا تبرز أهمية وسائل الإعلام في نشرها، وتوسيع مجالات استعمالها، وتقريبها من المتلقين، قال سمر روحي الفيصل: «ولكنّ المفيد أن أشير إلى أن تعميم التعليم، وافتتاح الجامعات والمعاهد العليا والمتوسّطة، وانتشار وسائل الإعلام الحديثة وتنوّعها، والتّحرُّر من الاستعمار القديم، أثَّر في الفصيحة والعامية معاً، فضيَّق الشُّقَّة بينهما، وخلَّص العامية من شوائب كثيرة علقت بها أيّام الانحدار والاحتلال الأجنبيّ، ونزل **بالفصيحة إلى الاستعمال اليوميّ** في الصُّحف والدَّوريّات والإذاعتين المسموعة والمرئيّة.

[1] جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، ص35.

والنتيجة أن الفصيحة السّائدة في عشرينيّات القرن العشرين تبدّلتْ كثيراً، حتى غدا من اليسير الحديث عن لغة الصّحافة، ولغة الأدب، ولغة التلفاز، ولغة التّجارة وغير ذلك . وهذا ينمّ على مستويات من الفصيحة لم تكن معروفة، **لكنّ الاستعمال أقرّها وجعلها شائعة** دون أن يُبعدها عن جذرها الفصيح وخصائص العربية [1]»، ولا ينحصر انتشار اللغة العربية بفضل وسائل الإعلام في الوطن الواحد، ولا تعمل على تقريبها من عامية مجتمع واحد، ولكنها تقرب لهجات العرب على اختلاف أوطانهم، وتنشرها في البلدان العربية والبلدان غير العربية، وقد انتشرت اللغة الإنجليزية عبر الانترنيت انتشارا واسعا في البلدان العربية «يقول الباحث زاهر الغريب في هذا الإطار... أحب أن أقول: لوأن احتلال إنجلترا للدول العربية استمر إلى الآن، ما تمكنت من نشر اللغة الانجليزية كما فعلت الانترنت [2]»، فالأمة التي تريد ازدهار لغتها، وتصبوإلى تطويرها، عليها ألا تستهين بالإعلام عامة والانترنيت خاصة، وأن تستشعر الدور الذي يؤديه لخدمة اللغة أولهدمها.

تتحدد مرتبة أي لغة في العالم بين أخواتها من اللغات بعدة معايير منها استعمالها على شبكة الانترنيت، ولكن يجب أن يكون استعمالا نوعيا، من حيث المحتوى ومن حيث سلامة اللغة إفرادا وتركيبا، وذلك لا يكون إلا بالتوجيه والتخطيط، والعمل المستمر الدؤوب، وتحسيس الناشرين عامة والمختصين منهم خاصة بأهمية احترام أصول اللغة نحوا وصرفا وكتابة.

---

[1] سمر روحي الفيصل، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، الإمارات: 2009م، ص130.

[2] مليكة بوخاري، "دور التنوع اللغوي في تماسك هويات المجتمعات ضد العولمة الكونية وانهيار اللغة العالمية"، أعمال الملتقى الوطني حول: التخطيط اللغوي، 03، 04، 05 ديسمبر 2012م، ج2، ص223. (بتصرف)

## خاتمة:

يطول الحديث عن وسائل الإعلام ودورها في خدمة اللغة العربية، ووظيفتها في دفعها نحوالازدهار، لتنوع هذه الوسائل وتطورها، وغزوها البيوت، ومخاطبتها الناس على اختلاف أعمارهم صغارا وكبارا، وتفاوت مستوياتهم العلمية من الأميين إلى العلماء والباحثين، وتنوع اهتماماتهم، وتباين صناعاتهم، وتباعد أماكن إقامتهم أو تقاربها، ولهذا فلا مفر من تأثير وسائل الإعلام في اللغة؛ ويمكن تلخيص أهم المسائل والأفكار المعروضة في هذه المداخلة بطريقة مختصرة موجزة، في نقاط محددة يسهل الرجوع إليها، والإلمام بمحتواها:

1. اللغات في صراع من حيث الترتيب، فاللغة التي تستعمل أكثر على شبكة الانترنيت ترشح للتقدم على غيرها من اللغات.

2. يجب الانتباه إلى أن عدد المستخدمين العرب للانترنيت، لا يعكس بصورة واضحة مدى استعمال العربية وانتشارها، لأن العربي قد يستعمل لغة أخرى غير العربية، ولهذا يجب تشجيع استعمال العربية على الانترنيت، وفتح المواقع العلمية والفكرية باللغة العربية.

3. تسهم وسائل الإعلام في تطور اللغة العربية إن كانت لغتها سليمة لا تتعارض والأصول المعروفة في علوم العربية.

4. يمكن أن تؤثر وسائل الإعلام في لغة المتلقين، لأنهم يتلقونها سماعا لا صناعة بتلقينهم القواعد النحوية والصرفية، فلغة وسائل الإعلام تكسبهم الملكة اللغوية، ولهذا يجب أن تستغل أحسن استغلال.

5. يجب أن تخضع لغة وسائل الإعلام للتدقيق اللغوي، كي لا ينقلب أثرها في اللغة العربية سلبا، وهذه العملية (توجيه لغة الإعلام توجيها صحيحا لخدمة اللغة العربية) تندرج ضمن التخطيط اللغوي للأمة.

6. يجب ألا يكون التدقيق اللغوي مبالغا فيه، لأن العصر الحديث يتطلب التعامل مع اللغة بشيء من التسامح ما لم تمس الأصول المعروفة في علوم العربية.

7. تخدم وسائل الإعلام اللغة العربية بالتقريب بين لهجات الوطن الواحد، أوبالتقريب بين لهجات أوطان عربية، وبذلك تكون وسائل الإعلام أداة للتوحيد بين الشعوب العربية.

8. تثري وسائل الإعلام معجم اللغة العربية بألفاظ لم تكن من قبل اقتضاها العصر الحديث، وذلك بتوليد ألفاظ عربية الأصل، أوبتعريب كلمات أعجمية، أوباقتراض كلمات أعجمية، وهذه الحالات كلها معروفة في تراثنا اللغوي فلا مانع من ذلك.

9. يجب تشجيع الإعلاميين على استعمال الألفاظ التي أقرتها المجامع العربية، والعمل على توحيدها في جميع الأقطار العربية.

10. أحدثت وسائل الإعلام تراكيب عربية جديدة تتفق والصناعة الإعلامية، أحيانا تتفق وقواعد النحاة واللغويين، وأحيانا تختلف، ولكن العصر يتطلب تلك التراكيب فلا مانع من تقبلها، إذ إنها لا تمس أصلا لغويا، ولا يشوه العربية بوجه من الوجوه.

11. يسرت وسائل الإعلام اللغة العربية وجعلتها في متناول أغلب الناس، لاستعمالها المفردات المألوفة والتراكيب السهلة.

12. اجتهد الإعلاميون فنحتوا كلمات عديدة من عبارات عربية أوغير عربية، وهذا ضرب من إثراء المعجم العربي، ويحسن تشجيعهم على النحت من العبارات العربية دون غيرها، لأن النحت من عبارات غير عربية عمل مستنكر يأباه الذوق، وتنفر منه الطباع السوية لما فيه من ابتعاد عن سنن العرب في النحت والاشتقاق.

13. لتخدم وسائل الإعلام اللغة العربية، وتدفع بها نحوالتطور والازدهار، يجب أن يكون المتكلمون يؤثرون لغتهم على غيرها من اللغات، فيستعملونها على مواقع التواصل الاجتماعي ليسهموا في نشرها، وترسيخ الألفاظ العربية المعبرة عن المعاني الحضارية من أطعمة وألبسة وأوان وأسلحة وغيرها.

14. استعمال العامية في وسائل الإعلام ظاهرة سلبية تحد من انتشار العربية الفصحى، لذلك يجب على أصحاب السلطان وأولي القرار حث الإعلاميين على تجنب استعمال العامية ما لم يدع إليها داع موضوعي.

15. كتابة العربية بالخط اللاتيني خطر يشوه اللغة العربية، وهي في غنى عنه.

16. تسهم وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية على نطاق واسع، وإخراج بعض الألفاظ من المعاجم إلى الاستعمال، فهي أحسن وسيلة لتعميم استعمال اللغة العربية إن وجهت التوجيه الحسن.

ومهما يكن الأمر، فإن وسائل الإعلام واحدة من الوسائل التي تسهم في تطور اللغة العربية وازدهارها، يضاف إليها المدرسة، والجامعة، والمسجد، والمجامع اللغوية، والباحثون على اختلاف تخصصاتهم، وبالجملة تتطور اللغة العربية وتزدهر بتضافر الجهود.

# أزمة اللغة العربية في دهاليز مواقع التواصل الاجتماعي
# ـ توصيف للمشاكل ومحاولة تقديم حلول ـ

د/ إيمان جربوعة
أستاذة محاضرة قسم "ب"
قسم الآداب واللغة العربية /جامعة منتوري قسنطينة

**الملخص:**

تعدّ اللّغة مقوما هاما من مقومات الأمم، فهي الوعاء الذي تصب فيه أفكار شعوبها وتأملات أفرادها، لذا فهي معبر التواصل بين بني البشر، وهذا ما يجعلها تخرج من الكيان الذهني إلى التجسيد العملي عن طريق الممارسة اللغوية، بيد أنّ ممارسة اللغة لمدْعاة للاهتمام والنظر في استراتيجيتها المتبعة، إذ ليس كل من يستعمل اللغة يعد متمكنا منها، بل بات ذلك الاستعمال عاملا تشوبه جملة من الأسئلة تتعلق بواقع اللغة ورهاناتها المستقبلية في ظلّ تعدد مجالات الاستعمال في عصرنا الحديث وتعدد الوسائط المساهمة في عملية التواصل.

لقد أصبحنا نرى ممارسة لغوية على مستوى العالم الافتراضي أومواقع التواصل الاجتماعي بأنواعها كالفيسبوك وتويتر ...كبيرة وواسعة تكاد تتحدّى الممارسة اللغوية على مستوى العالم الواقعي، فنرى آلافا من البشر يوميا -فضلا عن مؤسّسات المجتمع باختلاف تخصصاتها وأطيافها -تباشر في فتح صفحات تواصل خاصة بها عبر الوسائط الإلكترونية لكي تمنحها فضاء

جديدا للتعبير والتواصل مع الغير في مختلف الأمور،بيد أن هذه الممارسة لا تخلومن أخطاء يرتكبها المتعاملون وهوما يؤثّر سلبا على لغتهم العربية إذ لا يخفى على أحد منا أثر هذه الوسائط الالكترونية على حياة الفرد المعاصر بكل مستوياته.

**وبناء على ما ورد أعلاه جاء موضوع هذه الورقة البحثية ليروم تتبّع الصعوبات التي تواجه اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي، والتعرّف على أهم العقبات التي تحول دون الاستخدام السليم لها في تلك المواقع، وتحديد الأسباب التي تدعومستخدمي مواقع التواصل للجوء إلى لغة بديلة، مع تقديم مقترحات لكيفية مواجهة العقبات المطروحة للنهوض باللغة العربية في هذا المجال الحيوي.**

**وتتغيّا هذه الدراسة بذلك الإجابة عن بعض التساؤلات لعل أهمها:**

**ـ ما هي أهمّ الإشكاليات التي تواجه اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي؟**

**ـ كيف يمكن تجاوز هذه العقبات ؟ وكيف يمكن النهوض باللغة العربية لتصبح اللغة المتداولة بين مستخدمي الوسائط الالكترونيّة على اختلاف أصنافها؟**

## توطئة :

أدّى التطوّر المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال في العالم اليوم إلى إحداث ثورة تكنولوجية هائلة، وتغيّرات جوهرية في جميع مجالات الحياة البشرية ظهرت أثارها على مستوى الجماعات والأفراد، وكان لما بات يُعرف اليوم

بشبكات التواصل الاجتماعي الأثر الواضح في الأحداث اليومية، بعدما تحوّلت هذه الشبكات إلى مواقع اجتماعية إلكترونية تواصلية على الإنترنت تتيح لمستخدميها إنشاء مدوّنات إلكترونية، وإجراء محادثات، وإرسال رسائل في شكل نسق لغوي أونسق أيقوني أوتشكيل أيقوني لساني.

## أولا ـ مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:

غدت شبكات التواصل الاجتماعيّ في الوقت المعاصر ذات انتشار واسع في خدمة التواصل بين فئات مختلفة من بلدان مختلفة خلال السنوات الأخيرة وتعدّدت وتنوّعت محاولة تقديم العديد من الخدمات وتحقيق مختلف الإشباعات ويأتي في مقدّمتها موقع فيسبوك وتويتر ويوتيوب وغيرها.

وقد تعدّدت تعريفات مواقع التواصل الاجتماعي واختلفت من باحث إلى آخر، حيث يعرّفها "زاهر راضي" بقوله: "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها[1]

ويعرّفها أيضا "بالاس" « BALAS » 2006 على " إنّها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الانترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض لعديد من الأسباب المتنوعة "[2]

وتُعرّف أيضا على أنّها" مواقع إلكترونية تسمح للأفراد بالتعريف بأنفسهم والمشاركة في شبكات اجتماعية من خلالها يقومون بإنشاء علاقات اجتماعية، وتتكوّن هذه الشبكات من مجموعة من الفاعلين الذين يتواصلون مع بعضهم ضمن علاقات محددة مثل: صداقات، أعمال

مشـتركة، أوتبـادل معلومـات وغيرهـا، وتـتمّ المحافظـة علـى وجـود هـذه الشبكات من خلال استمرار تفاعل الأعضاء فيما بينهم " [3] فهي شبكات" تـوفّر لمسـتخدميها فرصـة للحـوار وتبـادل المعلومـات والآراء والأفكـار والمشكلات من خلال الملفات الشخصية وألبومات الصور وغرف الدردشـة وغير ذلك " [4]ومن ثمّ فمواقع التواصل هي عبارة عـن عمليـة التواصـل مـع عدد من الناس (أقارب، زملاء، أصدقاء،...) عـن طريـق مواقـع وخـدمات الكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع.

هذا وتقـوم الفكـرة الرئيسـية للشـبكات الاجتماعيـة علـى جمـع بيانـات الأعضاء المشتركين في الموقع ويتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة والذين يبحثون عن ملفات أوصـور ...الخ، أي أنها شبكة مواقع فعّالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعـة من المعارف والأصدقاء. [5]كما تُمكِّن هـذه المواقـع الأصـدقاء القـدامى مـن الاتصال بعضهم ببعض وبعد طول سنوات تمكنهم أيضا من التواصل المرئي والصـوتي وتبـادل الصـور وغيرهـا مـن الإمكانـات الـتي توطـد العلاقـة الاجتماعية بينهم.

### ثانيا: أهمّ أنواع مواقع التواصل الاجتماعي:

منذ الظهور الأول لمواقع التواصـل الاجتمـاعي تعـدّدت وتنوّعـت بـين شبكات شخصية وعامة تطمح لتحقيق أهداف محددة؛ كأن تكون تجارية مثلا ومنذ بدايتها اختلفت المواقع التي تتصدّر القائمة بين سـنة وأخـرى، فتاريخيـا كان لموقع "سكس ديفريـز" أهميـة كـبيرة وصـدى واسـع مـع بداياتـه الأولى،

وكذلك موقع " أوماي نيوز" وغيرها، ومع تطور مواقع التواصل الاجتماعي أصبح تصنيفها يأتي بالنظر إلى الجماهيرية حيث تتصدّر القائمة عددًا من الشبكات ومن أهمها : " الفيسبوك" "تويتر" " يوتيوب" وهي المواقع التي نتحدث عنها باعتبارها أهم مواقع التواصل الاجتماعي في الوقت الحالي وكذا بالنظر إلى اختلاف تخصّص كل موقع.

### 1 ـ موقع فيسبوك:

يعرِّف" قاموس الإعلام والاتصال فيسبوك " Dictionary Of Media " And "Communications على أنّه موقع خاص بالتواصل الاجتماعي أسّس عام 2004 ويتيح نشر الصفحات الخاصة (profiles ) وقد وضع في البداية لخدمة طلاب الجامعة وهيئة التدريس والموظّفين، لكنه اتسع ليشمل كل الأشخاص"[6] ويُعدّ موقع الفيسبوك واحدًا من أشهر المواقع على الشبكة العالميّة ورائدا في التواصل الاجتماعي، وأصبح موقع الفيسبوك اليوم منبرا افتراضيا للتعبير، واتخذّه الشباب اليوم بديلاً للأحزاب السياسية العاجزة الفاشلة.

### 2 ـ موقع تويتر:

هوموقع شبكات اجتماعية يُقدّم خدمة تدوين مصغر والتي تسمح لمستخدميه بإرسال تحديات tweets" عن حالتهم بحد أقصى 160 حرف للرسالة الواحدة، وذلك مباشرة عن طريق موقع" **تويتر** "أوعن طريق إرسال رسالة نصية قصيرة " "sms أوبرامج المحادثات الفورية أوالتطبيقات التي يقدمها المطورون، وتظهر تلك التحديثات في صفحة المستخدم ويمكن

للأصدقاء قراءتها مباشرة من صفحتهم الرئيسية أوزيارة ملف للمستخدم الشخصي، وكذلك يمكن استقبال الردود والتحديثات [7].ويمثّل" **تويتر** " شبكة معلومات آنية مدعومة من الناس في جميع أنحاء العالم تسمح بمشاركة واكتشاف ماذا يحدث الآن، حيث يطرح الموقع في واجهته السؤال :ماذا يحدث الآن ( What's happening now?)

ويجعل الإجابة تنتشر إلى الملايين عبر العالم على الفور[8].وقد أخذ "تويتر" اسمه من مصطلح "تويت" الذي يعني "التغريد" واتخذ من العصفورة رمزا له.

3 ـ **موقع اليوتيوب** : تأسّس" **يوتيوب** "كموقع مستقل في الرابع عشر من فبراير من عام 2005 بواسطة ثلاثة موظفين ؛ هم الأمريكي "**تشاد هيرلي** "والتايواني" **تشين** "والبنغالي" **جاود كريم** " يعملون في شركة " **pay pal**" المتخصصة في التجارة الالكترونية، بيد أن " **جاود كريم**" ترك رفقاءه للحصول على درجة علمية من كلية ستانفورد، ليصبح الفضل الحقيقي في ظهور" **يوتيوب** "الذي نراه اليوم للثنائي الآخرين اللذين نجحا في تكوين أحد أكبر الكيانات في عالم الويب الحالي"[9] فهوموقع على الإنترنت متخصص بمشاركة الفيديو، مملوك من قبل" غوغل"، يسمح للمستخدمين بتحميل ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو، يستخدم تقنية "أدوبي فلاش" ولعرض مقاطع الأفلام، والتلفزيون، الموسيقى، وأشرطة الفيديوAdobe Flash"التعليمية، وما شابه ذلك، ويقوم موقع" يوتيوب " على فكرة مبدئية هي :"بث لنفسك أوذع لنفسك "broadcaste yourself [10] حيث يوضع هذا الشعار في الصفحة الأولى من الموقع.

**ثالثا : مميزاتها**: تتميّز الشبكات الاجتماعية عن غيرها بعدة مميزات لعل أبرزها : [11]

1- **العالمية** :حيث تلغي الحواجز الجغرافية والمكانية، وتتحطم فيها الحدود الدولية، حيث يستطيع الفرد في الشرق التواصل مع الفرد في الغرب، في بساطة وسهولة.

2- **التفاعلية** :فالفرد فيها كما أنّه مستقبل وقارئ، فهومرسِل وكاتب ومشارك، فهي تلغي السلبية المقيتة في الإعلام القديم، التلفاز والصحف الورقية وتعطي حيزًا للمشاركة الفاعلة من المشاهد والقارئ.

3- **التنوع وتعدد الاستعمالات**، فيستخدمها الطالب للتعلم، والعالم لبث علمه وتعليم الناس، والكاتب للتواصل مع القراء... وهكذا.

4-**سهولة الاستخدام** :فالشبكات الاجتماعية تستخدم بالإضافة للحروف وبساطة اللغة، تستخدم الرموز والصور التي تسهل للمستخدم التفاعل.

6- **التوفير والاقتصادية** : فهي اقتصادية في الجهد والوقت والمال، في ظلّ مجانية الاشتراك والتسجيل، فالفرد البسيط يستطيع امتلاك حيّز على الشبكة للتواصل الاجتماعي، فهي بذلك ليست حكرًا على أصحاب الأموال، أوحكرًا على جماعة دون أخرى. كما تتميّز هذه المواقع التواصلية بأنّها تُعدّ مجالات مفتوحة أمام المستخدمين تتيح لهم إمكانية التواصل دون فرض إجراءات رقابيّة أووجود عقبات أمام حرية التعبير عبرها.

## رابعا : اللغة العربية ووسائل التواصل الاجتماعي:

تعدّ اللغة الأداة الفاعلة في عملية التّواصل بالنسبة إلى الكائنات بشكل عام والإنسان بشكل خاص ذلك أنّها أداة الفرد للاتصال بالآخر وتبادل المصالح معه، فالإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يوفّر لنفسه كل متطلبات العيش دون التواصل مع غيره. وبما أنّ ما ينطبق على اللّغات الطبيعيّة عامّة لا بدّ أن ينطبق بشكل أوبآخر على اللّغة العربيّة فمن المفترض أن تكون لغتنا الفصحى هي وسيلة التواصل الحيوي للمجتمعات العربية. وليس ذلك من باب المجازفة في بناء الفرضيّات اعتباطا وإنّما لأنّ المبرّرات كثيرة لعلّ أبرزها عندنا أنّ هذه اللغة قد قُدر لها أن تكون وعاءً لكلام الخالق عزّ وجلّ أي للقرآن الكريم الذي جعله الله تعالى دستور حياة للناس أجمعين فتكون لغة خطاب كونيّ وتقطع عن العرب حينئذ أيّ سبيل للاحتجاج على العدول عنها إلى غيرها في تفاعلهم مع الآخر أيّا كان.

لكن يبدوأنّ هذه اللغة قد تأثّرت بما شاب المجتمعات العربيّة من تداخلات وتقاطعات مع الآخر فرضتها العولمة وما أفرزته الأنساق الثقافيّة المتقاطعة خلالها والتحولات الّتي شهدتها بسبب الدّفق التكنولوجي القادم من الغرب. فقد بتنا نرى تغيّرا ملفتا في المجال الحيوي للمجتمعات العربيّة نلمسه في واقع الأشياء معلنا تراجع العربيّة لحساب لغات أجنبيّة أبرزها الفرنسيّة والإنكليزية اللتان تضربان بقوّة في الشّارع العربي لا استعمالا شفويّا فحسب وإنّما في المكتوب بمختلف أشكاله. ومن ذلك نلاحظ مثلا تفشّي ظاهرة الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات التجارية، فضلا عن التسابق في استخدام الكلمات الأجنبية على حساب الكلمات العربية في

التّواصل اليومي بين الأفراد حتّى داخل العائلة حيث يفترض أن تكون العربيّة أوإحدى لهجاتها لغة الحوار بلا منازع. وإذ نلفت الانتباه إلى هذه الظّاهرة فلأنّها تمثل عندنا أحد أبرز أوجه الغزوالثقافي وأخطره. فالغرب متفوق علينا علميّا وتقنيّا وصناعيّا ولذلك فلا غروأن يكون المصدر للتكنولوجيا وتكون الدول العربية مجرّد مستورد لهذه التكنولوجيا وما تحمله من ثقافات وافدة. [12] وما من شكّ في أنّ هذا الوضع قد أفرز انعكاسات سلبية أضرّت بالاستخدام السليم للغة العربية، خاصة في ظلّ غياب المسؤولية وانعدام الوعي بخطر تراجع حظّ العربية من الاستعمال في مجتمعاتنا سواء في الشأن العام أم الخاصّ، الرّسمي وغير الرّسمي، أوبسبب غياب الإرادة في تطوير العربية لتواكب ما تشهده اللغات الأجنبية الأخرى في ضوء الحراك المعرفي الّذي لا يفتر، وتساوقا مع ذلك نُلفي في الوقت الراهن كثيرا ممن يستخدمون مصطلحات أجنبية لضعف الترجمة في بعض مجالات المعرفة أوغيابها في مجالات أخرى، وإن كان لهذا دلالة فدلالته لا تفارق أحد احتماليْن: فإمّا أن يدل على عدم وجود ما يقابل تلك المصطلحات في اللغة العربية، وهذا مستبعد باعتبار العربيّة لغة اشتقاقيّة ذات قدرة خارقة على تشقيق الكلمات لتعبّر عن المفاهيم ويكفي للاحتجاج على ذلك أنّها ما عجزت عن تحمّل الزّخم المعرفي زمن الازدهار الحضاري والتنوّع الاجتماعي في عهد العباسيين الأول، وإمّا لسهولة استخدام المصطلحات الأجنبيّة، وهذا كذلك يُستبعد باعتبار أنّ تعوّد الإنسان العربي فطريّا على استعمال الكلمات العربيّة يجعله منطقيّا أميل إلى استعمالها من استعمال الكلمات الأعجميّة . ومن ثمّة نفترض أنّ السّبب نفسيّ بامتياز

يذكّرنا بتلك المصادرة الخلدونيّة أي "المغلوب متأثّر أبدا بالغالب". ولن يستقيم أمر العربيّة لغة استعمال حينئذ إلاّ إذا استقام الأمر لأبنائها في العلم والمعرفة ومختلف أسباب الحضارة.

ويُعدّ التواصل السريع أو"التآنس" الذي أتاحته وسائل التواصل الاجتماعي أوالإنترنت والهواتف النقالة واحدًا من المجالات التي هيمنت فيها اللغات الأجنبيّة، ونقصد ها هنا اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة اللّتين تهيمنان على نسبة مرتفعة من التفاعلات الافتراضيّة على حساب اللغة العربية الّتي يقلّ استعمالها في هذه التفاعلات خاصّة إذا تعلّق الأمر بالفصحى التي يفرّط في استعمالها بشكل هائل فإن لم يكن ذلك لصالح اللغات الأجنبيّة المهيمنة على الفضاء الافتراضي للتواصل فلصالح اللهجات العامية التي يُتوهّم أنّها أخفّ وأكثر إجرائيّة، وقد يؤول الأمر في أحيان كثيرة إلى العامية الركيكة المفرطة في البعد عن الفصحى.

وقد أضحى استخدام مزيج من الحروف والأرقام اللاتينية بدل الحروف العربية شائعا، ويظهر ذلك خاصة خلال تفاعلات التعارف والمحادثة على شبكات التواصل المعروفة مثل "فيسبوك وتويتر وواتساب" عبر إيجاد بدائل للأحرف العربية التي لا وجود لها بين الأحرف اللاتينية، مثل: العين، والضاد، والخاء. واستحالت بذلك الحروف العربية مجرّد رموز وأرقام، فصارت الحاء "7"، وأصبحت العين "3"، وما إلى ذلك ممّا يثير الشكّ في تلقائيّة ما يحدث ويدفع إلى الاعتقاد في أنّ المسألة تنضوي ضمن مخطّط يستهدف اللغة العربيّة ويقصد إلى إضعافها عبر العدول عنها بأكثر استعمالاتنا تواترا إلى غيرها من اللغات المكتسحة لعالم افتراضي مفتوح،

وإيهام المستعمل العربي لوسائط التواصل بغلظة العربيّة وقصورها عن استيعاب الحراك السّريع للمتغيّرات،في وقت تكبر أجيال متعاقبة من الشّباب العربي على لغة مواقع التواصل الّتي أحدثت بينه وبين العربيّة قطيعة واضحة، ونعتقد ها هنا أنّ مثل تلك الدّراسات التي يروّج لنتائجها في الأوساط العربيّة مصطنعة ووهميّة، لا يعدومقصدها تثبيط عزائم المنشغلين بوضع العربيّة من التّائقين إلى أن تستردّ إشعاعها الكوني بما تحمله من حضارة الإنسان عبر التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

والملاحظ وهوممّا قد يؤكّد مذهب التشكيك في نوايا الدراسات والأبحاث المستهدفة للعربية في بلاد الغرب، أنّ الشباب العربي في مواقع التواصل أخذ يصنع لغة مخصوصة يرى أنّها ترفع من سقف حرية الحوار، معتمدا على السرعة وسهولة الكتابة، وعمل لأجل ذلك على كسر القواعد اللّغوية وخلق حالة من التآلف مع طبيعة جديدة للكتابة والنطق ربّما الملفت فيها أنّها تنأى بالاستعمال عن الصرامة اللغويّة الّتي تميّز العربيّة الفصحى. فإذا تأمّلنا العبارات المتواترة في التفاعل الافتراضي لاحظنا أنّها في الغالب الأعمّ مفردات من معجم شبابي جديد تمّ استحداثه عن طريق الإنترنت[13]

ويرى عدد من الخبراء أن هذه اللغة المزيج بين اللغة العربية والأجنبية لا يمكن أن يطلق عليها لفظ لغة، وإنما هي ظاهرة كتابية تفتقر لمقومات اللغة الحقيقية، فهي مجرد خلط للأرقام بالحروف اللاتينية لتمثل أصوات مجتمعة ليس لها قواعد تتميز بالثبات والدّقة، كما أنها ليست لغة عرفيّة تحوي مفردات واضحة متعارف عليها من الجميع، بل هي عبارة عن شفرات قد يفهمها بعض المستخدمين ولا يفهمها بعضهم الآخر [14]. وهذا مما يشكل

خطرا كبيرا على اللغة العربية التي تمثّل صميم الهوية وجوهرها، بل حاضنة حضارة كانت وما انفكّت تشكّل جزءا لا يتجزّأ من حضارة الإنسان . والدّليل على ما يمكن أن يثيره مثل هذا "النّحت اللغوي" من خطر على العربيّة لغة هويّة أنّها قد انتشرت بسبب سيطرة الثقافة الغربية على عقول الشباب العربي وضعف الشّعور بالانتماء لديهم .

*** ـ أسباب تراجع اللسان العربي في مواقع التواصل الاجتماعي:**

ولعلّ هذه الأزمة تعود إلى عدة أسباب يمكن إيجازها في ما يأتي:

ـ أنّ "المغلوب متأثر دائما بالغالب" على حدّ عبارة ابن خلدون، فالعرب لا يزالون متأثرين بكل ما هوأجنبي على جميع الأصعدة وفي كلّ الميادين، بل هم يفضلون تقليد الغرب حتى في لغة المحادثة. وذلك نابع من تفشي الشعور بالنّقص إزاء ما يفد علينا من أسباب الحضارة ضمن مستخدمي شبكات التّواصل الاجتماعي من الشّباب خاصة ظنّا منهم بأنّ استعمال العربية علامة تخلّف عن الركب الحضاري، فهؤلاء الشّباب قد أضحوا رهائن مقولات عديدة تُقزّمِ لغتهم منها أنّ زمن العربيّة قد ولّى وانتهى، وأنّها لا يمكن أن تجاري نسق ما أبدعت لغات العالم المتقدّم من كلمات واصطلاحات استوعبت منتجات الحضارة الغربيّة، مما أفقدهم الثقة في لغتهم بالرغم من غناها وثراء زادها المصطلحي الّذي يمكن أن تحيّن دلالاته تساوقا مع الانثيال المستمرّ لعوامل الحضارة، وبالرّغم من قدسيتها الّتي تستمدّها من قدسيّة نصّ ارتبطت به وارتبط بها تاريخيّا ولا يقوى أحد على إنكار فضله في حفظ العربيّة.

وكان نتيجة ذلك الانكسار النفسي الّذي أصاب الشباب العربي وأثّر بقوّة في طبيعة تفاعلاته على شبكات التواصل حيث اختار لهذه التفاعلات لغة غير الفصحى، فتعطّل نمو ملكة الإبداع وسادت حالة التبعية الفكرية وحلّ ذوبان الذّات الحضارية محلّ الاستقلال والاعتزاز بالذّات، مما أدّى إلى صعوبات في نشر الثقافة العلمية باللسان العربي، وأصيبت اللغة العربية بحالة من الجمود والقصور عن التطوّر الحضاريّ ومسايرة الرّاهن.

ـ إنّ استخدام اللهجات العامية لغة للتفاعل اليومي في مختلف المجتمعات العربيّة ألقى بظلاله وبشكل قوّي ومؤثّر على التبادل التواصلي أوالتشارك الاتصالي في وسائط الاتّصال على اختلافها.

ـ ضعف المستوى اللغوي لدى الغالبية ممن يرتادون مواقع التواصل الاجتماعي، واحتكام القلّة القليلة من ذوي المستوى اللغوي المقبول إلى أحكام تلك الغالبيّة في اختيار لغة الحوار والتفاعل.

ـ كما أنّ إدارة المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل تعود في أغلب الأحيان إلى من ليس لديهم اهتمام باللغة العربيّة، مما شكّل أرضيّة خصبة للانفلات اللغوي، كما أنّ أغلب المواقع الإلكترونية العربية التي تهتم بالتآنس لا يعنيها موضوع اللغة إطلاقا.

ـ ظهور لغة مصطنعة؛ وهي لغة مختصرة واقتصادية تواضع عليها مستعملوشبكات التواصل الاجتماعي، لكنّها تفتقر إلى أي منطق للتقعيد اللغوي، منها مثلا:

- اختزال عبارة "ليلة سعيدة" في الرّمز المزجي: ( B8 ).
- اختصار عبارة "أنا بخير" في العبارة الرمزيّة (B1 ).

ولئن أُعتبر ذلك سبيلا نحوربح الوقت واقتصاد الجهـد، إذ يـرى بعضـهم أنّها أسهل من الكتابة باللغـة العربيـة الـتي تتميـز كلماتهـا عنـدهم بـالطول وتفرض عليهم نوعا مـن الصّـرامة في الـنّظم، فإنّـه لا يمكـن أن يخفـي ميـل الشباب إلى استسهال هـذه اللغـة دون أن يكـون واعيـا بانعكاسـاتها علـى شخصيته المعرفيّة وهويّته الثقافيّة بصفة أعمّ.

ـ خطـاب وسـائل الإعـلام التقليديّـة الـذي مـن المفـترض أن يرتقـي بالجمهور، إلاّ أنّه-حسب ما نلاحظ باسـتمرار- كـثيرا مـا يسـتخدم اللغـة نفسها التي تُستخدم في تلك المواقع الافتراضيّة، وهوما مـن شـأنه أن يـؤثّر على الهويّة العربية، ويتأكّد ذلك في صـفوف المتـابعين مـن الشّـباب العربـي على وجه التخصيص ؛ فاللغة -كما لا يخفى على أحد- تتأثّر بقوة أهلـها وضعفهم.

ـ المناهج المعتمدة عربيا لتدريس اللغة العربية لا تزال عاجزة عن الفعّـال وغير قادرة على استمالة الطالب للتعاطى بمحبة وشوق مع قواعدها النّحوية والإملائية، بل لا يتوفّر ضمن هذه المناهج أي احتفاء بجماليات اللّغة وفرادة بلاغتها بما يجذب مشاعر الطالب إليها، فلا نسمع إلّا الحديث عن الصعوبات سواء من جانب الطلبة أم حتّى أولياء الأمور.

ـ ضعف الترويج للغة العربيّة بغياب الإعداد لمواقع الكترونية تُسـاهم في التعريف بها وبقيمتها في إثراء المعارف الكونيّة والحثّ على تعلمها وإتقانهـا، وتحسيس متعلّمي اللغات من أبنائها ومن غيرهم بحاجتهم لتعلّمها وإتقانها.

ـ طبيعة ومنشأ وسائل تكنولوجيا الاتّصال كالهواتف النقالة التي تصنعها في الغالب الأعمّ شركات أجنبيّة لذلك تكون مزوّدة بلغات كثيرة قد لا تكون العربيّة من بينها .

**خامسا ـ بعض الحلول المقترحة للارتقاء بالعربيّة في وسائل التواصل الاجتماعي :**

نروم فيما يأتي تقديم بعض الحلول للنهوض باللسان العربي في شبكات التواصل ويمكن إيجازها في ما يأتي:

– نشر الوعي بين أفراد الجيل الجديد من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي بأهمية اللغة العربية ودورها في الحفاظ على هويّة الأمّة وحفظها باعتبارها لغة القرآن، والتنبيه إلى ما يتهدّد هذه اللغة من مخاطر في الدّاخل والخارج قد تؤدّي إلى تهميشها أوإفقارها من أيّ قيمة في عالم البقاء فيه للأقوى.

ـ العمل على تطوير الاقتصادات الوطنيّة للدّول العربيّة، ولِمَ لا التّفكير في نموذج اقتصادي موحّد يكفل البقاء ويفرض اللّغة العربيّة لغة تعامل رسميّة على المستوى الأمميّ، ومن ثمّة يكون فرض الثقافة العربيّة بديلا كونيّا عن ثقافات أخرى غزتنا كما غزت الأمم الأخرى، حتّى أصبحنا نتحدّث عن النموذج الأمريكي في مختلف الميادين، بل صار الجميع يقرّ "بأمركة العالم" ممّا أتاح للغة الإنجليزية أن تكتسح كلّ شبر من المعمورة، وعمّم تدريسها منذ سنوات متقدّمة في التعليم الأساسي . فإن كان العرب يريدون للعربيّة أن تنتشر رقعة استعمالها ويؤخذ بها لغة علم وأدب وثقافة فيجب أن تتكاثف الجهود، وتُصرف الاعتمادات في سبيل أن يكون لها موطن قدم في

جميع ميادين الحياة المعاصرة وخاصّة الميدان الالكتروني الّذي يختزل اليوم كلّ مظاهر الوجود الحيوي لأيّ لغة.

ـ العمل على تحسين طرائق تدريس اللغة العربية ومناهجها من الطور الابتدائيّ إلى الجامعيّ، ورسم خطط عمل تُقرّ بضرورة توفّر الرغبة في توجيه الطلبة إلى أقسام العربية فضلا عن توفّر حدّ مقبول من التحصيل المعرفي، فلا تُخرّج الجامعات من أقسام العربيّة حينئذ إلاّ من يحب هذه اللغة ومن يجد في نفسه القدرة على منحها ما تستحق، لأنّ اللغة هويّة، ولذلك يختلف أمر تعلّمها أكاديميا عن جميع الفروع الجامعية الأخرى.

ـ العمل على تنمية القدرات التعبيريّة لمختلف شرائح المجتمع وخاصة الطلاّب والناشئة وتوجيههم إلى أساليب التخاطب والكتابة السليمة، إذ تثبت الوقائع الحيّة في مجتمعاتنا العربيّة أنّ كثيرا من الطلبة يتخرجون من أقسام اللّغة العربية بيد أنّهم لا يجيدونها، وهوما يتسبّب باستمرار في ضعف إطار التدريس، ويؤثّر على موقع أقسام العربيّة في الجامعات، وهكذا.

- العمل على الاستفادة من وسائل التّواصل الاجتماعي بكافة أنواعها في تكوين الشخصية اللّغوية الناضجة، والوقوف على المخاطر والعقبات التي تحدق بلغة مستخدمي وسائل التواصل في ظل اختلاف المستويات الثقافية واللغوية للمستخدمين، وفي ظلّ انفتاح التفاعلات الافتراضيّة على نماذج ثقافيّة لا بدّ أنّها تقف من العربيّة موقف المنافس الّذي يسعى إلى إزاحة منافسه عن حلبة الصّراع الحضاري.

وعملا على تأكيد البعد العملي لهذه الحلول التي اقترحناها، ومن أجل أن تظهر في صورة الممكن تحقّقه رأينا ألاّ بدّ من توصيف لواقع العربيّة في ضوء

انتشار ضروب التواصل الافتراضي على شبكة التواصل في الوسائط الالكترونيّة، وإبراز بعض سبل تطويرها والنّهوض بها. وتلخيصا لذلك نقول:

- إنَّ اللغة العربية لم تواكب هذا الانتشارَ بالقدر الذي يجعلها تتطور على نحوسليم وتحافظ على نصاعتها وقوتها.

- إنَّ اللغة العربية قد اعتراها الضّعف نتيجةً للاستخفاف بتطبيق القواعد اللّغوية والتساهل الذي بلغ درجة انتهاك قانون اللغة الطبيعيّة وتجاوز ضوابطها كما بيّنا آنفا.

ـ إنّ اللّغة لا ترقى إلاّ بجهود أبنائها، والتنمية اللغوية جانب مهم من جوانب التنمية الشاملة المستدامة، لا يقلّ أهمية عن التنمية البشرية والاقتصادية والعلمية والصناعية والتقنيّة، فالحياة متغيّرة باستمرار ومن ثمّ يتطلّب التعبير عنها توسيعا متجدِّدا لمفردات اللّغة.

ـ إنّ من سبل النّهوض بالعربيّة اليوم رسم الخطط النّاجعة لتعريب العلوم المستحدثة مع الاهتمام بالبحوث اللّغوية ذات البعد التقني، وتقييس استعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في اللغة العربية والترجمة.

ـ إنّ من سبل تطوير العربيّة كذلك فتح مواقع للتواصل الاجتماعيِّ مختصّة في اللغة العربية تعريفا بها وتعليما لها ودفاعا عنها، تكون فرصةً سانحةً لخدمة هذه اللغة لما فيها من خصائص التفاعل الحيّ وعناصر الجذب، وإتاحة الفرصة للجميعِ، من خلالِ حساباتٍ متنوعةٍ في مواقعِ

التواصل الاجتماعي تعملُ على تقريب الفصحى وتيسيرِها لعامّة النـاس، وتسعى في خدمةِ اللهجات وتهذيبها وتفصيحِها، وتُعنى بالترجمة وتعريـب المصطلحات ليستفيد منها مستعملوها أومتعلّموها من غير المتخصصين.

وختاما نقول :

ــ إنّ اسـتثمار الإقبـال الكـبير علـى الانترنـت وشـبكات التواصـل الاجتماعي في الوقت المعاصر أصبح أكثر من ضروريّ، والاستفادة منها في نشر المفردات والمصـطلحات العربيـة وسـط الشـباب صـارت مـن صـميم الواجب اليومي، ولذلك فلا بدّ من وضـع تصـوّر لمرجعيـة تقويميـة علـى الشـبكة العنكبوتيـة تُمكّـن المسـتخدمين مـن الاسـتفادة في كتابـاتهم مثل"المصحح أوالمدقق اللغوي والإملائي".

**هوامش الدراسة :**

1 ـ زاهر رامي : استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربـي، مجلة التربية،ع 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص.23

2ــــ ينظــر faculty.mu.edu.sa/download.php?fid=159049 شوهد يوم 09 ـ 04 - 2017

3 ـ ينظر :مريم ناريمان نومار : استخدام مواقع الشبكات الاجتماعيـة وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر، ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضـر، باتنـة، الجزائر ص 66

4 ـ ينظر:عبد الكريم علي الدبيسي / زهير ياسين طاهات : دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، قسم الصحافة والإعلام، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 40، ع01، 2013، ص68

5 ـ ليلى احمد جرار: الفيسبوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح، عمان، 2012، ص38 .

6 ـ ينظر :مريم ناريمان نومار، مرجع سابق، ص55

7 ـ إيمان حنين شين : لغة التواصل في مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في الجذب السياحي -الفيسبوك أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، 2014-2015 ص 21

8 ـ ينظر:مريم ناريمان نومار، مرجع سابق ص59

9 ـ ينظر :عبد الرزاق محمد الدليمي، الإعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1 ، 2011، ص15 .

10 ـ ينظر :مريم ناريمان نومار، مرجع سابق ص 64

11 ـ ينظر: مقال تقنيات التواصل الاجتماعي الاستخدامات والمميزات، www.alukah.net شوهد يوم 05 ـ04 ـ2017

12- ينظر: نصر الدين عبد القادر عثمان / د .مريم محمد محمد صالح : إشكاليات اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي دراسة تطبيقية

على عينة من مستخدمي الفيسبوك في الفترة من فبراير 2012 إلى فبراير 2013، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للغة العربية ص 20

13 ـ ينظر faculty.mu.edu.sa/download.php?fid=159049
شوهد يوم 09 ـ 04 - 2017

14 ـ ينظر horytna.net/Articles/Details/177/113120
شوهد يوم 09 -04-2017

# تكوين المعلّمين ضرورة ملحة نحو مستقبل زاهر للّغة العربيّة

**د. صحرة دحمان**

**جامعة الجزائر** 2

أثبتت العربية من خلال تاريخها الطّويل أنّها لغة قادرة على مواجهة التّحديات والصّعوبات التي تواجهها، واستيعاب العلوم والمعارف؛ فقد كانت في عصور الرّقي الفكري والحضاري لغة الإدارة والدّواوين والعلوم المختلفة بامتياز. لكنّ النّكبات التي مرّت بها الأمة العربية الإسلامية: كالحروب الصّليبية، والتّتار،والمغول والصّراعات الدّاخلية وسقوط الخلافة الإسلامية، والهيمنة الاستعمارية زجّت بالشّعوب العربية في غياهب الظّلام والأمية، خاصة في الجزائر التي لم يشهد التّاريخ مثيلا للممارسات الاستدمارية الفرنسية التي دلّت على بشاعة من نوع خاص بقيت آثارها إلى يوم النّاس هذا.

وإذا كانت كلّ شعوب العالم تحتفي بلغاتها وتعمل على نشرها ورقيّها وازدهارها، فإنّنا اليوم - وأكثر من أيّ وقت مضى – معنيون جميعا **برفع التّحديات لتواكب العربية التغيّرات الحاصلة في العالم.** لذلك تروم هذه الورقة البحثية إلى **تناول جانب مهم** يمكن اعتباره من **أهم الآليات** التي تسهم في ازدهار العربية، هذا الجانب هو **تكوين المعلّمين.**

ولمباشرة هذا الموضوع طرحنا جملة من الأسئلة تمثّل إشكالية الدّراسة، مرتكزين على سؤال جوهري هو: إلى أيّ مدى يسهم تكوين المعلّمين في رفع التّحديات التي تواجه العربية؟

ثمّ أسئلة فرعية:

- ما هي **العلاقة بين تكوين المعلّمين** وازدهار العربية؟

- ما هي مقاييس انتقاء المعلّمين؟ - كيف يُنظر إلى معلّم اللّغة العربية؟

- لماذا ينفر المتعلّمون في مدارسنا – في غالب الأحيان – من حصص اللغة العربية؟

ودون أن ننسى الدور الذي يمكن أن يؤديه مكوّن المكوّنين في إحداث التّغيير ورفع مستوى المعلّمين.

ونشير إلى أنّ مجال **التّكوين** قد عرف تطوّرا كبيرا في الدّول المتقدّمة التي تعير شأن تكوين المعلّمين أهمية بالغة؛ حيث تُغيّر من خططها واستراتيجياتها في هذا المجال الحيوي؛ لأنّ له علاقة مباشرة بالتّطوّر العلمي والاقتصادي والثّقافي والتّقني والتّكنولوجي، ذلك أنّ التّطوّر لا تصنعه مدرسة لا تجدّد معارف معلّميها وطرائق تعليمهم. فالتّطور التّكنولوجي هو نتاج لعوامل مختلفة أهمها مدرسة ناجحة. وإن قلنا مدرسة ناجحة فنحن نقول معلّم ناجح.

وعليه أليس جديرا بناأن نعمل على إصلاح المنظومة التّربوية من أجل تحقيق تكافؤ ضروري مع المنظومات العالمية؟

ولمعالجة الموضوع وضعنا الخطّة الآتية:

1. **مدخل**
2. **مفهوم التّكوين**
3. **معايير انتقاء المعلّمين**
4. **تكوين المعلّمين وازدهار اللغة العربية**
5. **الاقتراحات**

## 1. مدخل:

إنّ تناول موضوع التّكوين بوجه عام، وتكوين المعلّمين بوجه خاص يحيل إلى جوانب متعدّدة؛ ذلك أنّ هذا المجال هو جزء مهم من إصلاح المنظومة التّربوية التي لا يمكن تحقيق إصلاح شامل إذا أغفل العنصر البشري. فالإصلاح ينبغي أن يرتكز على ملامسةكل ما له علاقة بتطوير التّعليم: البرامج والكتب المدرسية شكلا ومضمونا والحجم السّاعي... غير أنّ معالجة هذه القضايا في دراسة واحدة بعيد المنال. لهذا ركّزنا على مجال تكوين المكوّنين لأنّه من وجهة نظرنا المدخل الأساس لإصلاح المنظومة التّربوية. وربما تكون لنا وقفات مع الجوانب الأخرى المتعلّقة بتكوين المعلّمين في دراسات لاحقة إن شاء الله تعالى.

جاء في تقديم العدد 62 [1] من مجلّة علوم التّربيةالتي تصدر في المغرب وتعالج قضايا ترتبط بالمنظومة التّربوية المغربية الإشارة إلى هذه الأهمية، خاصة وأنّ العالم يشهد تحوّلات سريعة في كلّ يوم،ثمّ الإشارة إلى أنّ الإصلاح لا يمكنه أن يتحقق بين عشية وضحاها، بل يحتاج إلى التّفكير في أن يكون [إصلاح المنظومة التّربوية]إصلاحا ذو رؤية شمولية مأمولة ومرغوبة، تُعنى في البداية بوضع نواة الإصلاح، المتمثّلة في الرّكائز الكبرى المؤسسة والموجّهة لسياسة المنظومة في أبعادها الأساسية.**المتعلّقة بشكل خاص بمواردها البشرية** وبمناهجها ومضامينها ولغتها ومؤسساتها. يلي هذه المرحلة

---

[1] أوزي محمّد، التقديم، مجلّة علوم التّربية، دورية مغربية متخصّصة، ع/ 62، يونيو 2015، ص.5 وما بعدها.

الإصلاحية مراحل أخرى متتالية، يتم خلالها تفتق النّواة وتوسّعها بما يجعل منها منظومة متميّزة ومبدعة، حتى تغدو مخرجاتها التّربوية متّسمة بالجودة ومحققة للتّكافؤ المرغوب مع نظيراتها العالمية" [1].

إنّ ارتباط التّعليم بالمعلّم ودوره الفريد في بناء المعارف لدى المتعلّمين وصناعة الثّقافة ليس وليد عصر بعينه، بل إنّ الحاجة إلى المعلّم لازمت كلّ العصور والأزمنة؛ ذلك أنّه على الرّغم من الثّورة التّقنية والتّحولات الكبيرة الطارئة في مجال التّعليم بوجه عام، والتّعليم اللغوي بوجه خاص، وذلك لظهور بدائل تعليمية؛ فإنّ دور المعلّم ظل ضروريا وسيظل ضروريا في اكتساب المعارف والعلوم. وهو ما يجعل المتعلّم دائما في حاجة إلى التّوجيه للوصول إلى تحقيق غاياته وأهدافه. ذلك أنّ نجاح عملية التّعلّم مرهون بشكل مباشر بكفاءات المعلّم وميله للتّعليم وحبه له.

ونظرا للمكانة الهامّة التي يحتلها المعلّم في المنظومة التّربوية بوجه عام، وفي تعليم اللغة العربية بوجه خاص انطلقت من إشكالية تلامس الواقع وتحاول البحث عن الحلول؛ ذلك أنّ مواجهة التّحديات التي تواجه العربية ترتبط - في غالب الأحيان - بإيجاد آليات كفيلة تجعلها لغة قادرة على استيعاب العلوم والمعارف، وقبل ذلك إيجاد آليات تمنح المعلّم القدرة على تعليمها والمتعلّم القدرة على تعلّمها بشكل عفوي. لأنّ مهمة التّعليم هي تسهيل عملية التعلّم.

[1] المرجع نفسه، ص.5.

فالتغيّر الحاصل في المجتمعات والعالم يفرض أن يسايره المعلّم وتسايره مؤسسات التّكوين، خاصة في ما يتعلّق بالغايات التي تسعى كلّ دولة، أو كلّ أمة لتحقيقها من خلال التّربية. فلكل مجتمع مشروعه الخاص الذي يأخذ بعين الاعتبار الانتماء إلى مجال جغرافي معيّن، ومجال حضاري أيضا. فـ"التّداخل والتّشابك بين المهام الوظيفية للمدرّس وبين مشروع المجتمع، بكل ما يرمز إليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية وفلسفية، وبين الضّغوطات الحضارية الكونية، بالإضافة إلى ما تتعرّض إليه مهام المدرّس من نقد وعدم الاستقرار، [جعل المهتمّين بمجال تكوين المعلّمين يعتبرونه] إحدى القضايا الأكثر أهمية والأكثر صعوبة في البحث التّربوي"[1] فمن جهة يمثّل المعلّم عنصرا رئيسا في الوضعية التّربوية فهو أحد الأقطاب المهمة في العملية التّعليمية – التعلّمية، ومن جهة ثانية يرتكز دوره العلمي والمعرفي على الوضعية التّربوية التي ترتبط هي بدورها بعوامل أخرى حاصلة في المجتمع الذي يبدو أنّه غير ثابت على حال وفي حركة دائمة.

وعليه، فإنّ تحقيق نتائج مرجوة من العملية التّربوية والتّعليمية يقوم على الالتزام بتكوين فعّال للمعلّمين، حيث يمثّل هذا التّكوين الرّهان الحقيقي للنّجاح في التّعليم بشكل عام وتعليم اللغة العربية بشكل خاص.

لذلك يعدّ تكوين الموارد البشرية – بوجه عام –مقوّم "من مقومات التّنمية الاجتماعية التي أصبحت مطلبا حضاريا في عصرنا الحاضر [حيث تتطلب]

---

[1] مادي لحسن، **تكوين المدرّسين نحو بدائل لتطوير الكفايات**، نـاداكم للطّباعة والنّشر، ط/ 1، المغرب، 2001، ص.6.

التّنمية الاجتماعية إعداد أفراد المجتمع إذ للأخذ بأسباب التّطـور الحضـاري، والتّكوين هو الوسيلة التي تهيئ الفـرد لأداء مهامـه... بكفـاءة عاليـة يكـون مردودها إضافة جيّدة في البناء العام للمجتمع الذي يعيش فيه هذا الفـرد"[1]، ويعدّ تكوين المعلّمين بوجه خاص أحد أهم مقوّمات هذه التّنميـة، ذلـك أنّ مجال **تكوين المعلّمين هو** أحد أهم القضايا الـتي تسـعى الـدول المتطـوّرة إلى الاهتمام بها وإعطائها الأولوية في السّياسات التّعليمية، لأنّه لا يمكن تصـوّر نهضة علمية وثقافيـة واجتماعيـة واقتصـادية دون وجـود **منظومـة تعليميـة متطوّرة** ترتكز على تكوين الموارد البشرية، وهو ما ذكرناه آنفا.

## 2. مفهوم التّكوين:

يعلن جيل فيري Gilles Ferry في مقدّمة كتابـه «مسـار التّكـوين» عـن الأسباب التي جعلته يهتم كلّ هذا الاهتمام بتكوين المعلّمين، حيث يرى بأنّه يمكن الجزم أنّ تكوين المعلّمين هو المعضلة الأساسية في النّظـام التّربـوي، إذ سيتحدّد بناء على هـذا التّكـوين توجّـه المدرسـة، سـواء أ كـان ذلـك علـى مستوى تلقين المعارف أم على مستوى المحافظة على ثقافة معيّنة [2].

**فالتّكوين إذن** هو سيرورة لتنمية الفـرد المكـوَّن – كمـا يـرى جيـل فـيري Gilles Ferry – حيث يهدف إلى تمليـك قـدرات لـدى المكـوَّن وتطويرهـا،

---

[1] مفهوم التّكوين (التّدريب) ودوره على مستوى المؤسسة،

الرّابط: https://hrdiscussion.com/hr115979.html بتاريخ: 18 أفريل 2017.

[2] G. Ferry, Le Trajet de la formation, Edition Dunod – Bordas, Paris, 1986, p.2.

كقدرات التّخييل والابتكار والفهم والتعلّم وسرعة البديهة، وحسن التّصرف في المواقف الصّعبة...إلخ. وكلّ ذلك ليصير قادرا على أداء مهامه كمعلّم.

ويشمل التّكوين **تدخّلا واعيا في جوانب مختلفة** لشخصية الفرد المكوَّن. ويكون هذا التّدخل محدّدا بأمرين **الأول حيز زمني** قد يكون سنة أو سنتين أو أكثر. **الثّاني** تسطير **جملة من الأهداف** تقوم على إحداث عدّة تغييرات في سلوك المكوَّن [1].

وعلى الرّغم من أنّ عصرنا هو عصر التّقنية بامتياز، حيث تنتشر المعرفة بوسائل متعدّدة، لم يعد المعلّم يشكل مصدرها الوحيد؛ فقد بات من الضّروري أن يسهم المعلّم إسهاما واضحا في إعانة المتعلّم على الاستغلال الجيّد لهذه الوسائل والوسائط والمصادر، ثمّ العمل على توجيهه إلى الاستفادة مما هو نافع لنموّه ونمو مجتمعه، وكذا ما يمكن أن يكون مفيدا له في مستقبل أيامه. ولن يتأتى ذلك ما لم تضع الدّولة استراتيجية واضحة في مجال تكوين المعلّمين.

ويشير «هايسون ومايرز» في تعريفهما للتّكوين عامّة بأنّه عملية تهدف إلى إحداث آثار معيّنة في مجموعة أفراد تجعلهم أكثر كفاءة ومقدرة على أداء أعمالهم الحالية والمقبلة وذلك بتكوين عادات فكرية وعملية مناسبة واكتساب مهارات ومعارف واتّجاهات جديدة. ما يجعل مفهوم التّكوين يرتبط بمفهوم التّدريب الذي يعدّ الوسيلة التي من خلالها يتم اكتساب الأفراد العاملين – في أي مجال – المعارف والأفكار الضرورية التي تساعدهم على

---

[1] ينظر: مادي لحسن، مرجع سابق، ص.12.

القيام بعملهم، حيث يمنحون القدرة على استعمال وسائل جديـدة بأسـلوب فعّال أو استعمال نفس الوسائل بطرائق أكثـر كفـاءة مما يـؤدي إلى إحـداث تغيير في سلوكهم واتجاهاتهم ويعرفون التّكيّف مع المواقـف بطريقـة جديـدة ومختلفة [1].

وأهم تلك التغيرات التي تحصل للشخص المكوّن هي:

1) شعور المكوّن نفسه بحصول تغيّرات في شخصيته.

2) التغيّر الطارئ على سلوكه الاجتماعي وسلوكه اللغوي، **حيث يصبح قادرا على استعمال اللغة بشكل جيّد في جانبيها: المنطـوق والمكتـوب**، وفي وضعيات خطابية مختلفة.

3) أن يرتكز تكوين المعلّمين على أساسيات مشتركة بين كـلّ المعلّمـين في جميع التّخصصات، ثمّ التّركيز على خصائص كلّ مجال أو تخصّـص، فجعْـلُ المكوّن يدرك أنّ التّكوين يقوم على **مفهوم التّكوين الدائم أو المستمر** الـذي لا ينتهي بانتهاء مرحلة التّكوين المحدّدة زمنيا، أمـر مشـترك لا يخـص معلّمـا بعينه. وذلك بـ:

✓ **الخروج من الأنساق المغلقة** لفعل التّكوين، والـتي تعـني مـنح المكـوّن معطيات جاهزة يتم التأكـد منهـا في نهايـةالتّكوين عـن طريـق الاختبـارات العادية القائمة على الأسئلة والأجوبة الكلاسيكية.

---

[1] ينظـــــر: مفهــــوم التّكـــــوين (التّـــــدريب) ودوره علـــــى مســـــتوى المؤسســـــة، الرّابط: https://hrdiscussion.com/hr115979.html بتاريخ: 18 أفريل 2017. (بتصرّف)

✓ والدخول في **الأنساق المفتوحة** Les systèmes ouverts التي تسمح بتبادل التأثير مع المحيط الخارجي حتى تساير كلّ التحوّلات التي تطرأ على هذا المحيط [1].

وهذا ما يساعد على جعل مؤسسات التّكوين (كالمدارس العليا ومؤسسات التّكوين) **أدوات وعناصر نشيطة وفاعلة** لها مكانها في ذلك المحيط؛ حيث لا تكون هناك قطيعة معه؛ لأنها وُضعت لخدمته وخدمة أفراده.

وذلك كلّه حتى **لا يُنتِج المجتمع**، مجسّدا في مؤسسات التّكوين، **قوالب جامدة من المعلّمين.** لهذا اعتبر لحسن مادي: «التّكوين الدائم عاملا للتّجديد البيداغوجي من حيث إنّه يمكّن المكوّن من معرفة تصوّر جديد للدور المنوط به، فيطالب بمراجعة اختصاصه وسلوكه» [2] ويطالب كذلك بمراعاة خصائص متعلّميه.

ولكي نتبيّن أهمية استغلال المعلّم لمفهوم التّكوين المستمر الذي يجعل المعلّم قادرا على مراجعة اختصاصه ومراعاة المتعلّمين الذين يشرف على توجيههم وتعليمهم سألنا مجموعة من التّلاميذ السؤال الآتي: ما هي الصّفة التي تحبذها في معلّمتك أو معلّمك؟

فكان جواب أغلبهم: أن يكون **نشيطا وحيويا** ومبتسما، ثمّ **قادرا على تبسيط الدروس** لنفهمها دون صعوبات، **ودون ملل.**

---

[1] ينظر: مادي لحسن، مرجع سابق، ص.15.

[2] مادي لحسن، مرجع سابق، ص.16.

فالملاحظ أنّ المتعلّمين **لم يركّزوا على المعرفة عند المعلّم**، بل ركـزوا علـى **معلّم متفاعل يملك طريقة مشوّقة في التّدريس**، لأنّ أغلـب الـذين سـألتهم أجمعوا على نفورهم من حصـص اللغـة العربيـة؛ لأنّهاحصـص تجلـب لهـم الضّجر والملل. فكـثير مـن المعلّمـين يملكـون معـارف، ولكـن قليلـون مـن يوظفون استراتيجيات التّواصل.

لذلك يعدّ التّكوين المستمر حـلا لمشـكلات كـثيرة في الواقـع التّعليمـي؛ حيث يرتكز على قاعدتين أساسيتين هما:

1. التّكوين الذاتي للمعلّم أثناء الخدمة.

2. التّقويم الذّاتي أثناء الخدمة أيضـا، حيـث سـيحيّن معلوماتـه وحتـى طرائقه واستراتيجياته لتتناسب مع متعلّميه. وهو بذلك يراعي خاصية مهمة جدا وهي خاصية **الفروق الفردية لـدى المـتعلّمين** في الصّـفوف التّعليميـة. وذلك لأنّ المنهاج التّعليمي **ليس وصفات جاهزة** بقدر ما هـو آليـة تسـاعد المعلّم على أداء مهامه التّعليمية. حيث هو اهتمـام بنمـو الشّخصـية في كـلّ جوانبها المتعدّدة الأبعاد.

إنّ التّكوين ليس مجرّد تعليمات يتلقاها المعلّمـون في دورات تكوينيـة، أو ندوات تقيمها مؤسسات التّعليم، بقـدر مـا هـو تلـك الجهـود الهادفـة الـتي يقصدها المعلّم المكوّن ليتزوّد بالمعلومات والمعارف التي تكسبه مهـارة في أداء مهنة التّعليم، وتنميـة مهاراتـه ومعارفـه وخبراتـه وتطويرهـا باتبـاع برنـامج خاص، مما يرفع من مستوى أدائه في ممارسته لمهمة التّعليم.

وينبغي أن يسعى التّكوين إلى **إنتاج معلّم مبادر ومبدع يتكيّف مع جميع الظّروف** التي تواجهه أثناء أدائه لمهامه في قاعة الدرس، «كما يستوعب المتكوّن خلال التأهيل معطيات تسمح له بالتطوّر والتلاؤم مع محيطه، **وتسمح له كذلك بالانفتاح على الحضارة الإنسانية**»، بحيث تصبح لديه رؤية واضحة ترتكز على مجموعة من الخطوات المدروسة في تعليم العربية.

هذا المعلّم الذي يعمل بدوره على الاهتمام بالتّربية الإبداعية التي ترتكز على الفكر والذهن كمصدرين مهمين من مصادر الطاقة الفعّالة والمنتجة. "ومن هذا المنطلق يجب على جميع المتدخلين في العملية التّربوية والمسؤولين عنها الاقتناع بأهمية الإبداع في تطوير عمل المؤسسة التّعليمية وإشعاعها المجتمعي والحضاري، وكذلك الاقتناع بأهمية المبدعين كأسلحة للتنافسية العالمية لاسيّما في عصرنا الرّاهن الذي لا يعترف إلاّ بالكفاءات العلمية والقدرات الإبداعية"[1]. وهو ما يسمح للمؤسسات التّعليمية بالسّير قدما والخروج من أزماتها الرّاهنة التي تتخبط فيها بفعل الممارسات العشوائية لفعل التّكوين.

إنّ اعتماد المنظومات التّكوينية والتّعليمية على التّربية الإبداعية العلمية الخلاقة هو الذي يمدّ "المجتمع بالأفراد المبدعين والمؤهّلين للمساهمة الفاعلة في كلّ نهضة مجتمعية، من خلال القدرات الابتكارية والمهارات الإبداعية التي يمتلكونها، والتي يمكن اعتبارها رأس المال الحقيقي لكلّ مجتمع متطلّع نحو

[1] بلهادي محمّد، «**نحو تربية إبداعية في منظومتنا التّعليمية**»، مجلة علوم التربية، مرجع سابق، ص.17.

التّنمية والتّقدّم" [1]. وإنّ المدرسة الجزائرية اليوم بحاجة إلى ذلك المعلّم المبدع الذي يصنع متعلّما مبدعا قادرا على مجابهة صعوبات الحياة ابتداء من مرحلة ما قبل التّمدرس وانتهاء بالمرحلة الجامعية التي يحقق فيها المتعلّمون طموحاتهم وطموحات مجتمعهم من خلال التّخصصات التي انتموا إليها.

### 3. معايير انتقاء المعلمين:

يتطلّب التّعليم بشكل عام وتعليم اللغات بشكل خاص، وتعليم العربية بشكل أخص، توافر جملة من المواصفات التي يقوم على أساسها انتقاء المعلّمين لأداء مهامهم على أكمل وجه في قاعة الدرس، ذلك أنّ الوقوف على هذه الخصائص من شأنه أن يعين المعلّمين على الاتّصاف بها، ومحاولة الالتزام بالقدر المعقول بتلك الموصفات.

وفيما يلي جدول [2] يبيّن أهم المزايا المرغوب فيها في شخصية المعلّم، والتي يتم وفقها انتقاء هيئة التّدريس.

---

[1] المرجع نفسه، ص.16.

[2] يُنظر: دحمان صحرة، «**التّعليم الإبداعي للغة العربية**»، المجلس الدّولي للغة العربية، المؤتمر الرّابع، الإمارات العربية المتّحدة – دبي، ماي 2015، ص.

| المزايا النّفسية | المزايا المهنية | المزايا الجسمية والاجتماعية | المزايا العقلية والمعرفية |
|---|---|---|---|
| 1. أن يكون قادرا على التّواصل والتّفاعل مع الآخرين (المتعلّمون، أسرهم، أعضاء المدرسة أو المعهد). | 1. القدرة على الإبداع والأمانة ولإخلاص، والحزم في غير عنف، واللين في غير ضعف. | 1. أن يكون خاليا من عيوب النّطق والكلام، سليم الحواس. | 1. أن يتصف بقدرة على حل المشكلات التي تواجهه أثناء أداء مهامه، في المواقف المختلفة. |
| 2. أن يكون واثقا في نفسه ومحبا لمهنة التّعليم وملتزما بأخلاقياتها. | 2.الكفاية في التّخطيط والتّنفيذ في كيفية إدارته للموقف الصفي. | 2. أن يتمتع باللياقة البدنية ليشارك المتعلّمين الأنشطة المختلفة. | 2. أن يكون قادرا على الإبداع والتّجديد.ولديه القدرة أيضا على التربية الإبداعية لدى المتعلّمين. |
| 3. الصبرعلى المتعلّمين مهما أخطأوا. | 3. الحرص على النّمو المهني والسعي لتحقيقه بصورة مستمّرة. | 3. صفاء العقل والكياسة واللطف واللباقة والتّعاطف، والقدرة على قيادة الصف وإدارته. | 3. أن يكون قادرا على إشباع حاجات المتعلّمين المعرفية بوجه عام واللغوية بوجه خاص. |

إنّ اشتراط اتّصاف المعلّم ببعض المزايا الخُلُقية مطلوب لكونه مربيا، وليس للرّفع من قدراته وكفاياته التّعليمية، وذلك لأنّ صفاته تنتقل إلى المتعلّمين بالمحاكاة والتّقليد، خاصّة الصغار منهم.

وارتكازا على المواصفات، السّالفة الـذّكر، الـتي تمثـل عمـود الانتقـاء في سلك المعلّمين في جميع الأطوار ينبغـي اختيـار المعلّمـين الـذين يوجهـون إلى الميدان، ليصبحوا فاعلين في العملية التّعليمية - التّعلمية والتربوية بوجه عام.

وأهم معيار يرتكز عليه انتقاء المعلّمين - كما ذكر محمّد الأوراغـي- هـو إقامة «**معيارالفرزالفطري**» [1]، وجعله ضمن «مقاييس الانتقـاء» الـتي ينبغـي التّقيّد بها خلال اختيار المعلّمين لتعليم اللغة العربية، وتعليم غيرها من المواد الأخرى.

يؤكّد محمّد الأوراغـي أهميـة اختيـار هيئـة التّـدريس، لأنّ نتـائج تطبيـق المنهاج يتأثر بهذا الانتقاء؛ حيث يكون له:

- **مردود جيّد** إذا نفّذه شخص **أكثر ما يشعر بالارتياح وهو مدرّس.**
- **مردود مقبول** نسبيا إذا تولاه مدرّس **يعتبر التّعليم مهنة كسائر المهن.**
- **مردود ضعيف** على العموم إذا **تحمّله شخص أتعس ما يكون وهو في الفصل الدراسي** [2].

إنّ هذه الحقيقة يلاحظهـا المتخصّـص وغـير المتخصّـص، وقـد كـان لنـا حضور في عدّة مؤسسات تعليمية أثناء معاينتنا الميدانيـة ونحـن نعـدّ أطروحـة الدّكتوراه، ذلك أنّه على الرّغم من عدم توافّر الظروف الملائمـة لأداء مهـام التّعليم، كعدم توافر الوسائل التّعليمية المناسبة، لاحظنا أنّ عددا من المعلّمين

[1] الأوراغي محمّد، **اللسانيات النّسبية وتعليم اللغة العربية،** منشورات الاخـتلاف ودار الأمـان، ط/ 1، الرباط، 2010، ص.50.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص.51.

يتجاوزون الصعوبات ويحققون النّتائج المسطّرة فكان للتّعليم **مردود جيّد لأنّ الذي** نفّذه شخص **أكثر ما يشعر بالارتياح وهو مدرّس**. في حين حصل العكس إذ على الرّغم من توفر الوسائل الضّرورية إلاّ أنّ النتائج كانت متوسّطة أو ضعيفة؛ لأنّ الذي نفّذ التّعليم شخص يعتبر التّعليم مهنة كسائر المهن. أو شخص **أتعس ما يكون وهو في الفصل الدراسي**.

## 4. تكوين المعلمين وازدهار اللغة العربية:

إنّ مجال**تكوين المعلّمين** مجال **يتميّز بالتّعقيد**، لأنّه مجال متعدّد الأبعاد. فالتّكوين معضلة يصعب التّطرّق إليها منفردة أي بمعزل عن العوامل المحيطة بها. وفي هذا الصّدد يقول گاستون ميالاري Mialaret. G: "فمن البديهي أن تغيير إعداد المدرسين يعتبر مسا بالنّظام التربوي برمته. والعكس صحيح، إذ لا يمكن أن يكون هناك نسق من الغايات للنّظام التّربوي وآخر لتكوين المدرسين"[1].

وعلى هذا فتكوين المعلّمين هو **جزء من إصلاح المنظومة التّربوية والتّعليمية**، ولا يمكن إحداث تغيير في البرامج والمناهج والمقاربات التّعليمية دون إعادة النّظر في تكوين المعلّمين وتأهيلهم. فالنّظام التّعليمي وفق هذا التّصور، هو **عبارة عن منظومة متشابكة العناصر**، وكلّ مس بعنصر من عناصرها يستلزم التأثير في العناصر الأخرى. بالتّالي إذا أحدث تغيير في جزء منها تطلب إحداث التغيير في الأجزاء الأخرى.

---

[1] گاستون ميالاري Mialaret. G نقلا عن مادي لحسن، تكوين المدرّسين، ص.48.

**ويرى** گاستون ميالاري [1] أنّ التّكوين ينقسم إلى قسمين أساسيين:

قسم خاص **بالتّكوين الأكاديمي**، وقسم خاص **بالتّكوين البيداغوجي.**

**فالأول** عبارة عن سيرورة، ويؤدي إلى كفاية دقيقة في مادة معيّنة أو مواد – كاللغة العربية وآدابها – فاللغة العربية لا يقتصر تعليمها على القواعد، بل لابد من كفاية في عدّة مواد: البلاغة، العروض، تقنيات التّعبير الشّفوي والكّتابي وتحليل النّصوص وغيرها من المواد التي تدخل في تعليم اللغة العربية.كما يحتاج المتكوّن إلى ما يسمى بالثّقافة العامّة التي تساعده على التّفتح على المجالات والثّقافات الأخرى.

**أما الثّاني** فهو عبارة عن مجموع السّيرورات التي تقود الفرد إلى ممارسة مهنة التّعليم؛ إذ ليس من المعقول أن يوضع بين أيدي معلّمين لا يملكون أية تجربة، وبدون تكوين بيداغوجي أجيالا من المتعلّمين هم صانعو المستقبل.إذكيف يمكن للمعلّمين أن يجابهوا مشكلات من كلّ نوع وهم فاقدون لعناصر هذا التّكوين؟

**أ- العناصر الأساسية للتكوين البيداغوجي:**

**حدّد** گاستون ميالاري العناصر الأساسية **للتّكوين البيداغوجي** في أربعة ثوابت يمكن أن تدور حولها المعرفة البيداغوجية للمتكوّن (المعلّم) وهي:

[1] المرجع نفسه، ص.48 وما بعدها.




وبشكل عام ينبغي أن يتدرّب المتكوّن على ما يلي:

- أنّ تعليم العربية لا يعني أبدا تعليم قواعدها بل يعني إمكانية استعمالها في مواقف مختلفة ويرتكز تعليمها على التّفاعل والتّحاور داخل قاعة الدرس.
- أن يتدرّب على أنّ المعرفة باللّغة ونظامها لا يكفي للاتّصال، بل لابد – كما يرى هايمز –من القدرة على استعمال اللغة في سياقاتها الاجتماعية. ثمّ تعليم العربية باحترام هذا المبدأ.

ذلك أنّ اختيار طريقة معيّنة مرهون بمدى فاعليتها وملاءمتها لمواقف تعليم اللّغة وتعلّمها وأقربها تحقيقا للأهداف. ومرهون كذلك بقدرة المعلّم على تطبيق ما فهمه تطبيقا ملائما لمتعلمي كلّ صف[1].

وعليه يعدّ مجال تكوين المعلّمين بوجه عام وتكوين معلّمي العربية بوجه خاص أحد أهم مشكلات النّظام التربوي والتّعليمي، لأنّ أهداف هذا النّظام مرتبطة بشكل مباشر بأداء المعلّمين في قاعات الدروس.

لذلك يمثّل تكوين المعلّمين وفق أسس علمية مدروسة **الرّهان** على ازدهار اللغة العربية، خاصّة إذا ركّز برنامج التّكوين على **الكفاية التّواصلية** للغة العربية، بحيث تصبح لغة سهلة الممارسة في جميع الميادين؛ ذلك أنّ القدرة التّواصلية تتدخّل في تشكيلها عدّة مكوّنات أخرى إلى جانب اللغة وهي:

- ❖القدرة النّحوية المتمثّلة في قدرة الفرد على إنشاء جمل سليمة لغويا.
- ❖القدرة السّوسيولسانية التي ترتبط بمعرفة الفرد بالممارسات اللغوية المقبولة والمتداولة لدى جماعة لغوية ما.
- ❖القدرة الاستراتيجية التي ترتبط باستخدام اللغة لبلوغ أهداف ومقاصد معيّنة.

## 4. اقتراحات:

نصل في الأخير إلى جملة من الاقتراحات أهمها:

---

[1] ينظر: دحمان صحرة، **الإعداد لتعليم مهارات اللغة العربية: الاستماع، التعبير، القراءة والكتابة وتعلّمها في المرحلة التّحضيرية**، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2، 2013.(مبحث طرائق التّعليم)

✓ إعادة الاعتبار إلى مراكز تكوين المعلّمين، القائمة على انتقاء خاص للمكوّنين الذي يعتبر مشكلا آخر يحتاج إلى علاج جذري.

✓ إقامة «معيار الفرز الفطري»، وجعله ضمن «مقاييس الانتقاء» التي ينبغي التّقيّد بها خلال اختيار المعلّمين في مجال تعليم اللغة العربية.

✓ تعزيز بيئة التّكوين من خلال التّكنولوجيا المتاحة.

✓ حث المعلّمين على استعمال التّقنية في تعليم اللغة العربية وتوفيرها.

✓ التّكوين قبل الخدمة، حتى ولو كان طالب مهنة التعليم حاصلا على شهادات عليا، ثمّ التكوين أثناء الخدمة الذي يساعد المعلّم على تحسين أدائه في تعليم اللغة العربية.

✓ إدخال التّعليم المصغّر في برنامج تكوين المعلّمين ليساعدهم على تقييم أنفسهم.

حيث يرتكز التعليم المصغر على مهمة تدريسية محدّدة مثل التمهيد للدرس، أو التدرب على تحليل نص أدبي لتجاوز صعوبات التعليم والتعلّم. ويتم تسجيل الدرس ليتمكن المتدرّب من الرجوع إليه وتصحيح أخطائه. ويمكن لمتدرّبين آخرين الاستفادة من هذا الدرس.

✓ **إنشاء مؤسسة اعتماد المعلّمين**، وهي مؤسسة أنشئت في دول متقدّمة مثل كندا، دورها منح تراخيص مزاولة التّعليم، وضمان جودة أداء المعلّمين في الميدان. حيث لا يمنح الترخيص إلاّ بعد التأكد من صلاحية المعلّم للتعليم. وينبغي أن تكون هذه الهيئة مستقلة من أجل تكافؤ الفرص.

✓ استبدال النّدوات التي تقام في المدارس بورش العمل والحلقات الدّراسية التي تمكّن المعلّمين من زيادة خبراتهم. وإنشاء هيئة رقابية تراقب سير العمل في هذه الورش.

## قائمة المصادر والمراجع:

1) الأوراغي محمّد، **اللسانيات النّسبية وتعليم اللغة العربية**،منشورات الاختلاف ودار الأمان، ط/ 1، الرباط، 2010.

2) أوزي محمّد، التقديم، مجلّة علوم التّربية، دورية مغربية متخصّصة، ع/ 62، يونيو 2015.

3) بلهادي محمّد، «**نحو تربية إبداعية في منظومتنا التّعليمية**»، مجلة علوم التربية،دورية مغربية متخصّصة، ع/ 62، يونيو 2015.

4) دحمان صحرة: -«**التّعليم الإبداعي للغة العربية**»، المجلس الدّولي للغة العربية، المؤتمر الرّابع، الإمارات العربية المتّحدة – دبي، ماي 2015.

- دحمان صحرة، **الإعداد لتعليم مهارات اللغة العربية: الاستماع، التعبير، القراءة والكتابة وتعلّمها في المرحلة التّحضيرية**، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية الآداب واللغات، جامعة الجزائر2، 2013.

5) مادي لحسن، **تكوين المدرّسين نحو بدائل لتطوير الكفايات**، ناداكم للطّباعة والنّشر، ط/ 1، المغرب، 2001.

6) G. Ferry, Le Trajet de la formation, Edition Dunod – Bordas, Paris, 1986.

### الموقع الاكتروني:

مفهوم التّكوين (التّدريب) ودوره على مستوى المؤسسة، الرّابط:https://hrdiscussion.com/hr115979.html بتاريخ: 18 أفريل 2017.

# اللّغة العربيّة
# ووجاهتها في آلية تبسيط المعرفة وتعميمها

**أ. يوسف مقران**

**المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة**

**ملخّص** / تعرِض هذه المداخلة المفهوم المطلق عليه بالفرنسية (vulgarisation scientifique) والذي يتعثّر دون بزوغه ـ أووضوحه ـ في الثقافة العربية (نسبة إلى اللغة). إنّ هذا الاتّهام يومئ بحقّ إلى ركامٍ من الحقائق التي ستفصل فيها هذه المقالة: إذ تشرع أوّلاً في تبرير هذا الاتهام. فتعرِّج على بعض التعريفات الواهية. ثمّ تخلص إلى وضع جملة من مقترحات قابلة للنقاش والنقد. وعليه، تصحب هذه المحاولة نزعة تحليليّة صارمة تستهدف إعادة تشكيلة التسميات والمفاهيم المتعلِّقة ضمنيّاً أوالموثّقة رسميّاً ضمن سنن تعامل الثقافة المعنية بمجموع الخطابات الناتجة عنها بما فيها النمط الذي يخصّنا ههنا.

**كلمات مفاتيح** / خطاب ـ تبسيط ـ علم ـ معرفة ـ إعلام ـ تعليمي ـ تكييف ـ نشر ـ ثقافة ـ تحسيس–

**Résumé** / La langue arabe et sa pertinence dans la vulgarisation de la science et de sa généralisation

Cette communication rend compte du concept appelé " vulgarisation scientifique " qui peine à émerger, sinon à s'éclaircir, dans la culture à tradition arabe, en référence à la langue. Il y'a du

tout dans cette accusation: d'abord l'article se penche sur la justification de ladite " accusation". Un détour de définitions pourtant flottantes va de soi. Ensuite notre essai se verra assigné un essor de suggestions dont le produit ne va pas être à l'abri des critiques. D'où l'esprit d'analyse et de reconfiguration des dénominations et des concepts qui s'y rapportent implicitement ou catalogués officiellement dans les rites des discours propres à la culture en question.

**Mots-clés** / Discours – Vulgarisation – Science – Connaissance – Médias – Didactique – Adaptation – Diffusion – Culture – Sensibilisation ___________

**Abstract** / This paper seeks to explore the concept known as "scientific vulgarization" which struggles to come into sight, if not to become clear, in the culture with an Arab tradition (with reference to language). It's made here all sorts of accusations: first, the article reviews the explanation of the assumed "accusation". A detour of floating definitions goes without saying. Then our essay will be assigned an upsurge of suggestions whose product is not going to be immune from criticism. So must go with the character of analysis and reconfiguration of denominations and concepts that are implicitly or formally cataloged in the rituals of discourse specific to the culture in question.

**Keywords** / Discourse − Popularization − Science − Knowledge − Media – Didactic('s) − Adaptation − Disseminating − Culture – Awareness ___________

## توطئة

أيّها الحضور الكريم، السّلام عليكم ..

وبعدَ الاستقبال والتحيّة، نتساءل في مستهَلِّ الحديث: ما جدوى ما نعرِّفه تبعاً ـ خلال هذه المداخلة ـ مِن » التّبسيط العلمي « ؟ ومَن هم أهلُها ؟ وكيف تجري ؟ وما وجاهةُ العربيّة في شأنِها ؟

إنّ مسوِّغات هذا التّساؤل المباشر والطويل واضِحة، هي من قبيل مقتضيات المنهجيّة. بيدَ أنّ الإشكاليّة المفروضة بناءً على الدّعوة إلى الإسهامِ في ازدهار العربيّة لغةَ حياةٍ ودينٍ وعلمٍ .. وتواصلٍ، هي أضرَب في أعماق المجتمعات العربيّة عددَ أعماق قلوب لأفراد المكوِّنين لها. من جوانبها المظلمة التي تتخبّط هذه الأخيرة في مشكلات التواصل العادي وما أدراك بالتواصل المتخصّص المتفاعل ـ أوالمنفعل ـ على إثر منتوجات العلم الكبرى والمتراكمة. وكذلك هي مِن نواتج النواحي الكالحة التي تزدحم على فكرٍ يبدوسديماً في عهد النّقاء التقني والفني والعلمي والثقافي. لأنّه حيثما ورد ذكرٌ لفعل » نشر المعرفة « ـ أوبالأحرى حوصلة البحث العلمي ـ تطفوقناة » الكتابة العلميّة « بجدارة إنباءً بهَمّ التّعميم المرغَّب فيه.

ولكن يبدوأنّ تمركز الكتابة العلميّة هذه في دائرة كمشة مِن الأخصّائيِّين من شأنه أن يحدّ مِن أفاق ذلك النّشر فيقضى على مجال التّعميم قبل انبساط إمكاناته وتيسير وسائله. وهوما لا يُلقى له تفسيرٌ سوى الإصرار على الرّغبة في الحصر بدافع أنانيّة الاحتكار ـ من جهة، واستثقال خوض الغمار ـ من جهة ثانية. ومن غير الإيهام بأكثر ما يحتمله هذا الحكم نرى أنّ ما انزاحت

إليه تلك الكتابة من أنواع التسميات التي تنمّ ـ من جهة ثالثة ـ عن وعـيٍ في الممارسات الخطابيّة والنصيّة لأسرة العلمـاء، علـى غـرار: التحريـر العلمـي والتوثيق العلمي، قد لا يكفي لتبرير قناعة تـوفّر جـومن التعمـيم والتبسـيط العلميّيْن.

بناءً على هذا التّوصيف الإجمالي لإشكالية ورقتِنا، فإنّ هذه الأخيرة تجنح إلى إبراز وجاهة العربيّة الدّامغة لغةً كفيلةً بأداء مهمّة التّبسـيط العلمـي، مـع بيان انعكاسات هذا التّفعيل التّواصلي الثّقافي الفكري على تلكم اللّغة ذاتها من حيث تنمية رصيدها ـ ولاسيّما فيما يخصّ الصّعيد المعجمي المصـطلحي الـذي يتمـاسّ مـع البُعـد التّـركيبي الأسـلوبي. وهمـا يشـهدان حيويّـة بزوغ«موَلَّداتٍ » من قبيل المتلازمات اللّفظيّة والمصطلحيّة الـتي تنشـط عـادةً وآليّـاً في بيئـة النصـوص العلميّـة، وكـذا العبـارات المسكوكة النّاجمـة عـن استعمالها لغةَ علمٍ، ولوفي زيّ خطاب تبسـيطٍ علمـيٍّ للوهلـة الأولى. وهـذا ليس بقليل الشّأن ـ كما سيتّضِح بعد إعمـال روحٍ نقديّـة وبمحاولـة تحاشـي الميل إلى المثاليّة في التصوّر. لهذا فإنّ مقاربتي في هذه المداخلة ليست من النّوع الوصفي الرّتيب ـ نأيّاً عن السّائد، بقدر ما هي استشعاريّة استشـرافيّة علـى قدر ما تعرِض مِن أسباب التوقّع: ذلك أنّي لا أعود كـثيراً إلى إحاطـة واقـع العربيّة وصفاً وتفلسفاً ـ إلاّ في حدود الاستشهاد اللاّزم ـ وفي نطاق ما يهمّني الاضطلاع به مِن مهمّة« توجيه النّصيحة » مِن موقِـع مـا اختبرتـه في شـأن الموضوع الذي سبق لي أن أصرفت له الاهتمام مِن باب البحث المصطلحي؛ لأنّ حال العربية فيما يخصّ تعاملها مع العلم ـ أوبالأحرى تعامل أبنائها معه ـ حال مخزٍ ومَهول ومستهتر. وهذا لا يخفى على أحدٍ ولا يحتاج إلى مزيدٍ من اللفّ والدّوران، وما لا يحتمل القول المعاد.

## أهداف المداخلة

تحاول هذه المداخلة اختبار مفهومٍ فضفاضٍ لم يأخذ حقَّه من الدّراسة والمعالجة الجادّتيْن على مستوى الفكر العربي. وهوما سنطلق عليه أدناه « التّبسيط العلمي التّعميمي» كمقابل عربي لما شاع في الفرنسيّة ـ مثلاً ـ تحت تسمية (Vulgarisation scientifique). لقد همّنا هذا المفهوم بعدما لاحظنا القفر الذي أصابه في الكتابات العربية: مقالاتٍ وكتباً ومعجماتٍ لغويّة أومصطلحيّة أومفهوميّة أوموسوعيّة ..الخ، ومِن منطلق لفت الانتباه إلى أهميّته؛ ولاسيما أنّ المكتبات الحافظة للتّراث المدوَّن والمسجَّل بالفرنسية والإنجليزيّة والإسبانية ..الخ، عامرة كلّها بنصوص وخطابات ومراكز تبثّ أنماطاً متنوِّعة من هذا الوسيط وهي تنبض حياةً. كما أولينا اهتماماً لهذا الموضوع في سياق تفكيرنا حول الخطاب التعليمي. وأيّ مفارقة كتلك التي مؤدّاها أنّ الدّارسين لهذا الأخير قلّت إشاراتُهم إلى النّمط الذي يعنينا في هذه المحاولة ؟

ربّما تندرج هذه التعمية ضمن طبيعة الثقافة العربيّة التي يعاني فيها النّمط الآخر مِن الخطاب« العلمي» ـ هذه المرّة ـ أنواعاً من التهميش، فما بالك بما ينزل منزلة الخطاب المبسِّط لهذا الأخير والمعمِّم له. مِن هنا نستطلع مسوغات الإجابة الابستيمولوجيّة التي نريد التّركيز عليها خلال العرض والتّحليل. لعلّ القارئ يدرك حينئذ أنّ تلك الثقافة (العربية) لا تزال في عهد لَمِّ شتات الموضوع لإنشاء تعريفٍ يمكن تبنّيه على الأقلّ لدى الباحثين الذين يتلقّون المحاولة بجفاوة النّقد والاسترسال في الرّد.

وللوهلة الأولى يبدوأنّه بعدما يتمّ هـذا التحديـد، سـيعلم القـارئ بعـض مبرِّرات ما يساورِنا من القلق إزاء هذه الوضعيّة المتردية. ولكن، في الحقيقـة، يجب الاصطلاح بدايةً على أيّ تبسيطٍ يتعلّق الأمر به، وقبله: علـى أيّ علـمٍ ننشده في حدود هذه الثقافة التي إن تتجرّأ الـنّفس علـى جـسّ نبضـها، فقـد تتحرّج بما تسوّله مِن عتابٍ وينازعها من تنديدٍ بعد وضعها حقّ موضعها.

في خِضمٍّ النّشاط الفكري والعقلي الذي يضطلع بـه العلمـاء في مخـابرهم وما يُنتِجونه من الخطابات العلميّة الدقيقة، تعرف اللغات نضجاً علـى قـدر تفاعلها مع ذلك النتاج. وكلّ لغةٍ يُستعان بها في هذا السياق تُصـبح عرضـةً للتطوّر والصرامة والدقّـة. وهـذا التقـاطع بـين الفكـر واللّغـة لم يعـد مجـالاً للسِّجال. واللغة العربيّة كغيرها من اللغات التي انفتحت على هذا التحـدّي قد شاركت في تشييد الحضارة الإنسانية بنصيب ـ ولا تزال تحـاول النّهـوض ببعض واجباتها في هذا الخصوص. وكلّ قيمة مضـافة في هـذا الإطـار تبقـى مشروطة باستعمالها في هذا الشأن (العلمي والفكري ..). كما سبق أن قيـل: كلُّ قصورٍ في الخطاب ـ وليس اللغة ـ هوقصورٌ في الفكر.

بيد أنّ الرهان الجديد الذي يوازي التحدّي الذي انسـقنا إليـه بـالعموم ـ ويكمِّله، هوتبسيط المعرفة وترويجها وتعميمها وتيسيرها بفعلٍ قصديٍّ مخطَّـطٍ له، وبمختلف الأشكال والأدوات وعلـى جميـع الجبهـات الفكريّـة والثقافيّـة والتربويّة والتعليميّة، أي لصالح المتعلِّم في الوضعيات الرّسميّة، ولغيره مـن المتعاملين كثيراً مع التربية والثقافة والأعراف الاجتماعيـة خـارج الصـفوف المدرسيّة، وعلى كافّة الأصعِدة من الإعلام (المقروء / المرئي ـ المسموع) وفي المساجد والنّشاط الجمعوي والحزبي، وفي أوسـاط التنميـة البشـريّة كريـاض الأطفـال والملاعـب والورشـات والمصـانع وفي جميـع أنحـاء المحـيط العـام

(والخاص) .. وغير ذلك من البقاع التي يتمّ فيها نقل المعرفة والحكمة والعلم بوسيط مختبر اللغة العربية، شاملةً حتّى الخطابات اليوميّة العادية، شريطة ابتعادها عن الرطانة العلميّة الدقيقة الخبيرة، مع ضرورة تنزُّهها عن الأداءات اللغويّة اللّهجيّة والسقطات الهجينة التي أخذت ـ للأسف ـ تُعشِّش في الخطابات الإعلاميّة سواء بجديّة بادية أم مِن باب التّرفيه أحياناً ..

## 1 تعريف " التّبسيط العلمي "

### 1.1 في التسمية المحللة المعللة وإيحاءاتها السّلبيّة

#### 1.1.1 مِن ناحية المعجم

يُسمّى التّبسيط العلمي بالإنجليزية "**Scientific Vulgarization**") (Popularizing Science/، ويدعى بالفرنسيّة (Divulgation, popularisation, vulgarisation de la science / Vulgarisation scientifique)، ويُطلق عليه بالإسبانية (La divulgación científica / Divulgación de la ciencia) وبالإيطالية (Divulgazione scientifica / Divulgazione della scienza)[1]. وكذلك تُسنَد إليه في العربيّة ـ علاوةً على تسميّة (التبسيط العلمي) ـ سِمة التّثقيف العلمي نسبةً إلى (الثقافة العلمية) و(الثّقافة العلمية الشّعبية)؛ وهوما يمكن وسمه أيضاً بالتّعميم

[1] يُنظَر:

Joël de Rosnay, L'écologie et la vulgarisation scientifique : de l'égocitoyen à l'écocitoyen, Ed. Fides / Musée de la civilisation, Montréal, 1994, p.08.

العلمي. وهناك مَن ينعت (المعرفة) بكونها عالمة [1] وهي ما يتكفّل بها الخطاب العلمي؛ وثمّة مَن يصفها بكونها تعليميّة [2] ويُشرِف عليها كلٌّ من

[1] هومقابل عربي لـ (Savoir savant) المصاغ على مقاس (culture cultivée)أي (الثقافة العارِفة) التي هي الأدب والموسيقى والفنّ التشكيلي، الخ، أي كافّة ما يمكِن أن يُجمَع، منذ التقليد الذي أرساه بيير بورديوP. Bourdieu، تحت تسمية culture cultivée لكن الثقافة تشمل كذلك طرق المعيشة وأنماط السلوك كلّها، التي تُحشَر في اسم الثقافة الانتروبولوجية culture anthropologique. كما توحي كلمته الداعِية إلى إسناد لعلم الاجتماع مهمّة التمكين بالعدّة (السلاح) بدل أن يُصدح بدروسه التي قليلاً ما تبلغ الآذان فما بالك بأن يؤتَمَر بها أويُنتَهى؛ P. Bourdieu, Questions de sociologie, Ed.Cérès, Tunis, 1993, p.95. ويسمِّي (جاليسون) النّوع الثّاني (Culture courante)أيضاً أو(Culture partagée) ويصفها « بالثقافة المشتركة التي طالما ميّزها التستّر، وأخذت اليوم تتبدّى ويُسفَر عنها وتكتسِح حيِّزاً شاسِعاً في أرضيّة التعليميات ». ويطلِق على النوع الأوّل اسم (Culture savante)، التي يصفها بأنّها « أرستقراطية ولا تزال تتفيّأ باللّغة ». نحيل هنا على مداخلةٍ له ألقاها بمناسبة ملتقى حول « استِعمالات التكنولوجيات الحديثة في تعليم اللّغات الأجنبيّة » في 28 ـ30 مارس 2002، حيث يعود إلى هذه المصطلحات:

Robert Galisson, Regards croisés sur l'usage des technologies pour l'éducation : La disciplinarité (partie 1), ELA, n° 134 (Usage des nouvelles technologies dans l'enseignement des langues étrangères : Colloque UNTELE de l'Université de Technologie de Compiègne, les 28-30 mars 2002), Ed. Klincksieck, Paris, Avril-juin 2004, (p.137-150), p.143.

[2] ذلك أنّ المعرفة العلميّة السابِقة على المعرفة التعليميّة تُسهِم في بناء المتعلِّم ثقافيّاً وعلميّاً ومع ذلك فهناك قيودٌ لازِمة مهما يكن قصد الاستجلاب التعليمي كوجود فجوة تقتضي تكيّف المتعلِّم مع المعرِفة التعليميّة قبلَ المعرِفة العِلميّة وهوما تكرِّسه العولمة بطابعها الشّمولي. ما يعني في المقام الأوّل ظهور مفاهيم فوق محليّة وأشكال جديدة من الثقافة تكاد تكون عالمية. فمن وجهة نظر العولمة هذه فلا شيء يمكن أن يكون أكثر تخصيصاً وحميميّة ولاسيما في مجال المعرفة. فبالتالي لا يمكن التغاضي عن السبل التي تعتمدها العولمة في نشر كلّ ما يمكن نشرُه بدءاً من العلامات التجارية التي وعلى الرغم مِن التفاني في عولمتها فلا يمكن حصر العولمة فيها لوحدها، مروراً بمحاولات توحيد الاقتصاد العالمي مع الإقرار بالقدرة التنافسية للمؤسسات، وصولاً=

الخطاب التعليمي ـ في شقّها المؤسّساتي الرّسمي، والخطـاب التّبسـيطي ـ في شقّها الآخر الذي يمكن توصيفه بالجماهيري (الشّعبي).

وإلى المعنى الأخير تنصرف جميع التّـأثيلات اللّفظيّـة الـتي أحلنـا إليهـا في اللغات المذكورة أعلاه والمشتقّة من أصليْن هما: (– populus) و –vulgus) بوضوح صلة (Populirisation) بعموم الشعب والجمهـور الواسـع. ولـيس هذا فحسب، بل حتـى الكلمـة (vulgarisation) المؤصَّـلة لاتِينِيّـاً (vulgus) حيـث تنـدرج الدلالـة السـلبيّة كـدأب اللغـة في احتمالهـا لحمـولات إيديولوجيّة [1]، كانت تدلّ على حشدٍ من السواد الأعظم من الرعيّة في مقابل الشعب السيّد الذي يستأثِر بالإدلاء بصـوته ويملـك حـقّ الانتخـاب.. ومـع اقتفاء تفرّعاتها يطفوهذا المعنى بالطّبيعة حتى لتكـاد تتعـزّز الفكـرة في اللغـة العربيّة ولاسـيّما إذا أسـقطنا المفهـوم علـى الثنائيـة (الرسمـي ـ الفصـيح /

=إلى ما يُروَّج له من الأنظمة التعليمية العالميـة، وكـذا عولمـة جميـع جوانـب الحيـاة الاجتماعيـة والحركات الاجتماعية، ولكن يظلّ جوهر المسألة التي نتناولها ــ مهمـا نسـتطرد في الموضـوع ــ ممثّلاً في *اعتبار التعليم قناة من قنوات نشر الأفكار العولمّية ونزيد على ذلـك فكـرة الاسـتجلاب المعرفي التعليمي لكي لا يذوب الفرد المتعلّم ولا يستهلك مجرّد استهلاك*، هذا ليقيننا بأنّ التربيـة تستهدف في المقام الأوّل بناء الشخصية الصاعدة وتكوين الفرد وتمكينه مـن مواجهـة الصـعاب بكلّ أشكالها.

[1] ينظـر: Yves Jeanneret, Écrire la science : formes et enjeux de la vulgarisation, Ed. PUF (Coll. Science, histoire & société), Paris, 1994, p.14. وهويرى أنّ هذه الدّلالة لصـقت بهـذا الخطـاب فعزّ اعتباره نمطاً علميّاً خالصاً ولا أدبيّاً خالصاً حتى ظلّ يعاني أنواعاً من الاستهجان ولم يُشرِف على مراتب العرفان ولم يتشرّف ببلوغ منزلة الحكامة.

الشعبي ـ العامي) أوثنائيّة (المثقّفين / الجماهير)[1].وكذلك أصبحنا نعتاد اقتران تسميّة التّبسيط العلمي سياقيّاً وتركيبيّاً ـ معجماً أوصرفاً أودلالةً ـ بمصطلحاتٍ مِن قبيل (مجتمع الثّقافة) و(مجتمع المعرفة) و(اقتصاد المعرفة)، حرصاً على بناء جسور بين العلماء والمجتمع بفضل التّبسيط العلمي. وكذلك ترتبط التّسمية بكلٍّ مِن (التحرير العلمي) و(التوثيق العلمي) و(تعليميّة العلوم) و(الإعلام العلمي) و(الخيال العلمي) بل أحياناً (الثّقافة الشّعبيّة / العرفيّة)؛ وأكثر مِن ذلك، نُلفي إضافات ذات صلة تدلّ بالزيادة على الطموح كمركّب (دمقرطة الثّقافة) مِن باب توسيع آفاق التبسيط العلمي وتشريع أبوابه أمام جمهور فسيح ومتنوّع.

ومن جهةٍ أخرى نسجّل إرداف متوالية« التّبسيط العلمي» ببعض أحكامٍ سلبيّة تتخلّل الحديث عن التسميات في ظروف تقديمها أوصافاً توحي بالحرج أكثر ممّا يمكِن تبريرُها منهجياً. ومِن هذا القبيل ما يطلَق له العنان في مجال اللّسانيات بالفرنسيّة ـ مثلاً ـ في سياق الإنباء بمعضلات التضخّم والتضخيم التي تشهدها بعض النّصوص التبسيطيّة ولكن بشيءٍ من الاستخفاف، فنقرأ: dans la « littérature » linguistique، أي: *في* فلسفات أوفي أدبيات *اللّسانيات*.. فتعليقات مِن جنس عبارات: phraséologie linguistique

[1] ويأبى همّ التفصيل إلاّ أن أحيِّن هذا التقابل ضمن السياق الآتي حيث يقول بروس مازليش (Bruce mazlish) مثلاً ــ متحدِّثاً عن الحضارة: « كان يُنظَر إلى الحضارة، حتى ضمن المثقّفين، فضلاً عن » الجماهير «، على أنّها كلّها خيرٌ لا يرقى إليه الشكّ وإنجازٌ أوروبي ». يُنظَر: بروس مازليش، الحضارة ومضامينها، ترجمة عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة (412)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو2014، ص.81. التّسطير من وضعنا.

أو linguistique littérature أو linguistique de terminologie __nouvel avatar لا تشرِّف أيّاً مِن الفرقاء العاكفين على إقامة صرح العلوم الإنسانيّة والاجتماعية واللّغويّة التي تعاني مثل هذه النَّظرة الدّونيّة [1]؛ أليس هكذا يُساء إلى الفلسفة والأدب واللّسانيات، ربّما مِن حيث لا يدري الواحِد؛ والغريب أن تصدر الإساءة مِن أبناء وبنات الاختصاص [2]؟

---

[1]يُنظَر للاستزادة من الشواهد: يوسف مقران، الخطاب اللّساني وتفريعاته المفهومية والمصطلحية، حوليات جامعة الجزائر، ع.30 ــ 2، ديسمبر 2016، (ص.263 ــ 306)، ص.269 ــ 273.

[2]لاحِظ هذه العيّنة التي اقتبسناها من موسوعة

Encarta: الإلكترونية « Outre embrayeurs, on peut rencontrer dans la « littérature » linguistique les termes déictiques,indicateurs,indices, pour désigner les éléments dont il est ici question » يُنظَر: Mot-clé : embrayeurs, Section : terminologie, in Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation. أوكما جاء في تعليلٍ لـ أرليبا سوفاجو Aurélien Sauvageot, (1897-1988) لضرورة تفاديه الولوج في تعريف مصطلح الكلمة إلاّ في حدود ضيِّقة (وهولساني): « Toute une littérature a été déjà publiée sur la définition du mot et il ne saurait être question de revenir ici sur ce problème autrement que pour établir quelques constatations de portée générale »: A. Sauvageot, Du mot, in La structure du langage, Ed. Publications de l'Université de Provence, Aix-en- Provence, 1992, (p. 127-135), p.127.

أوكما جاء في هذا التعليق حول إلحاح البعض على استبدال مصطلح(Discours) بمصطلح (Parole):« Le discours n'y est pas autre chose qu'un nouvel avatar de la (parole) » : Michel Pêcheux et Catherine Fuchs, Mises au point et perspectives à propos de l'analyse automatique du discours, Langages, n° 37, CNL, Ed. Larousse/Armand Colin, Paris, 1975, (p. 7-80), p.79.

وعليه، فغالباً ما يُنتقَص مِن الاستعمال الشّائع عبرَ لفظ«خطاب تعميم العلوم» ، على اعتبار هذا الأخير مِن صميم *لغة* القاصرين مِن « الجهّال» والخاملين مِن« ضعاف التّفكير». ولكن تجاهل أساسيات هذا التّبسيط وفنونه ـ باسم التخصّص الدّقيق وتحت دواعٍ أخرى ـ وكذا عدم ألفته رغم شيوعه، هوما مِن شأنه أن يخلّف الظنّ بعجزه وابتذاله بدل تصوّره وسيطاً تواصليّاً معرفيّاً منصِفاً للنُّهى المتدبِّرة بما يُفطِّن العقل ويثري الفكر ويُفيد التّواصل ويُحيي اللغة معاً. ولتوطيد الاعتقاد المضادّ لهذه الفكرة الشّائعة والباطِلة في آنٍ، يحسن مقاربتها كمفارقة مبطَّنة أي بصفتها من الموضوعات السّائدة قديماً مع جوانب الطّرافة الخفيّة الـتي يهمّنا استكشافها إحقاقاً لحقّ النّسق البديل المذكور ههنا خطفاً. وكذا لأجل التحقّق مِن أنّ آلية التبسيط لغرض التّعميم تعدّ مِن أرقى وأرحب إنجازٍ يقوم به منتِج الخطاب بعيداً ـ شيئاً ما ـ عن دائرة المفاهيم المفعمة بالإبهام والـتي تحيط ببعض الخطابات والنّصوص العلميّة، وقريباً بما يستطاع من الجمهور الـذي يفكّر في إفادته على قدر اكتراثه بموضوع خطابه التبسيطي المتخلّل لكلِّ سيّاقٍ تواصليّ يحدث: فيكفّ عن مسايرة عقدة الزعامة الفكريّة لصالح الشراكة الثقافيّة ويخرج من منطق الجحود بفضائل خدمة البشريّة قاطبة، بما يكثّفه مِن جهودٍ في سبيل تقريب تلكم المفاهيم التي كثيراً ما تُبتلى بأنواع الغموض، فتبدومستعصية في بعض أشكالها المتراكمة والمنصهرة في العلميّة والمحمولة بلغة المنطق المتقشّف وبرموزٍ رياضيّة وجداول ورسوم صمّاء إلى حدّ الاستثقال.

هذا ومع مساعي التّعليل المحلَّلة في هذا المطلَب، فقد يهمّ إثارة ـ لاحقاً [1] ـ ما لاحظناه ههنا من بعض العواقب المستفحلة ـ بل المساوئ ـ الناتجة عن آفة تحصيل مقولة » انطباق الاسم على المسمّى «. ولكن آن أوان اضمحلال العقبات والصّعاب بتطبيق الجملة الاعتراضيّة » لا مُشَاحَةَ في الاصطلاح « ولا تشديد. ومن ثمّ نمضي إلى المطلب الثّاني عملاً بحكمة: إنّما يُخرج من التّيه والحيرةِ ــ لا محالة ــ التعرّضُ للمفهوم من بابه الواسع بعد بوّابة التسمية الضيّقة [2]، وبعبور عتبة التحليل الصّرفي للمصطلح المكرَّس في العربيّة من وجهة نظرٍ خاصّةٍ معلَّلة ومبرَّرة علميّاً وعمليّاً (مع الحاجة إلى الشّيوع الفعلي [3]).

[1] كقضيّة الرّفض الذي نعود إليه والذي مني به التبسيط نظراً لابتذاله وانعكاساته السلبيّة على النموالذهني والفكري للمتشبِّثين به بحسب ما سنعرضه من حجج أصحاب هذا الرأي ونناقشه منها.

[2] وهذا من شأنه أن يحيلنا إلى المقاربتيْن اللّفظيّة والمفهوميّة وأثرهما في مقامات التبسيط. كما سنرجع إلى ذلك أدناه.

[3] وذلك تزكيةً لمبدأ أحقية الشيوع على غيره وشرعيّته في باب الاصطلاح وشرعيّته في منطق الذّكر على الألسنة .. ولا أتبنّى المقولة الشّائعة المميِّعة للفكر البشري قاطبة: « خطأٌ شائعٌ أفضل من صواب مهجور » ولا أدعوإليها رغم شيوعها؛ لأنّ الصواب (مع نسبيّته) لا يُهجَر إلاّ إذا لم يعُدْ صواباً. أمّا ما دام داخلاً أومُدخَلاً في باب الصّواب فليس أصوب من إحيائه ولفت الانتباه إليه وجعله بديلاً لما يبدوأنّه حُكِم عليه بأنّه خطأ شائع (أم أنّ الكلمات تقول ــ وتُقوَّل ــ ما لا يوحي بالحقيقة ولا يعكِس الواقع ولا يدعوإلى » كلمة « حقٍّ). ذلك أنّ الأنساق إنّما تُعتمَد في ضوء التسميات التي لا يراد بها باطِلٌ إلاّ وأبطِل، وتتولَّد هذه مع مجاري تيار وضع الأنساق (paradigme) ومجرياته. ثمّ إنّ مقولة » لا مشاحة في الاصطلاح « المستنَد إليها أعلاه تتعارض مع ادّعاء تقديم الخطأ على الصواب مهما تكن نسبة شيوعه والتشيُّع به. فالأحرى أن تراجع العبارة بالتصحيح » ما يبدوأنّه خطأ وهوشائع أفضل مما يبدوأنّه صواب وهويبدومهجوراً. فإعمال هذه المتتالية تقدِّم حلولاً ضمنيّة قدرُها عظيم ــ في حال التصوّر في الأقلّ.

### 2.1.1 مِن ناحية الصّرف (مصطلحاً)

رُبَّ مشكلاتٍ واقعةٍ ـ لا مفرَّ ـ على مستوى الاستعمال اللغـوي، يمكـن تفاديها أخذاً بمقترَح تسميّة المفهوم المقصود ـ خلال عرضنا هذا ـ بـ (التّبسيط العلمي التّعميمي)، بمعيّة ما يقدِّمه مِن بدائل الاستعمال المتأقلِمـة في مختلـف السياقات، وهي المختصرات المضبوطة في هذا التسلسل العقدي:

- خطاب التّبسيط العلمي التّعميمي ⇐ الخطاب التبسيطي التّعميمي ⇐
- الخطاب التبسيطي ~ الخطاب التّعميمي

⇐ التّبسيط العلمي ~ التّعميم العلمي.

⇐ (التّبسيط) / (التّعميم)

وتتراءى لنا حسنات هذا المقترَح في ما يأتي:

1. يخلِّصنا من وطأة العطف الذي يشـتِّت المصـطلح (خطـاب التبسـيط والتعميمي).

2. يختزل موضوع التبسـيط ـ أوّلاً ـ وهـوالعلم / المعرفـة / البيانـات / النظريات / التطبيقات = مفعولاً به مضافاً إليه كمقولتيْن نحويّتيْن (صرفيّتيْن تركيبيّتين) هامة في مسألة العمل النحـوي الـتي تعتمـدها الإضـافة أوتلغيهـا (ظاهرة الإلغاء في النّحوالعربي).

3. يسبق بمسار التّبسيط الذي يدلّ عليه مصدر فعل بسَّـط المزيـد الـدّال كما رأينا على البسط / النّشر (العلاقة الرّياضيّة المنشودة ثنائيَّةً تقابليّة تحمـل قيّماً مفهوميّة غزيرة وعزيزة على حيـث العامـل المشـترك هوالمفعَّـل ولـيس

القاسم الفاصل = علاقة التّنافر). مـن أمثلـة المشـكلات اللغويـة التواصـلية التركيبية المخلّة بالنّظام المعرفي والتي يحلّها هذا المقترَح: أ. مشكلة الإضافة مع الاحتفاظ على العطف. في العربية = خطاب التبسيط والتعميم. ب. مشكلة. وعلى الرغم من كلّ ما سبق، فإنّ المقترح لا يخلومن بعـض العيـوب وعلـى رأسها كون التّسمية مركّباً إضافي نعتي يتكوّن من ثلاث لفظاتٍ (مونيمـاتٍ). أمّا التعقيب على هذه السمة السلبيّة، فبالذّكر أنّ المصطلح بسيط ومركّب في العربية. حسبنا اعتياده لكي نتقبّله. ولا نعدم التراجع عـن مقترحنـا هـذا في حال عثورنا على استعمالٍ أنجع.

## 2.1 في المفهوم ورواجه الذّرائعي

بعد هذه الوقفة في محراب التّسمية نستخلص نفحاتٍ لصالح المفهوم. وفي مستَهَلِّ هذا التّعريف ـ ولتفادي مشكلاتٍ مرتَقَبة على مسـتوى الاسـتعمال اللغوي ـ التّركيبي خاصّةً [1]، نقترح تسميّته (التّبسيط العلمي التّعميمي) عملاً بمـا جـاء أعـلاه (1.1). ولفائـدة التبسـيط ننطلـق مـن التّعريـف الـوارد في

[1] ونرى حسنات هـذا المقـترَح في مـا يـأتي: 1. تخلّصـنا مـن وطـأة العطـف (خطـاب التبسـيط والتعميمي). 2. يختزل موضوع التبسـيط أوّلاً وهـوالعلم / المفرفـة / البيانـات / النظريـات / التطبيقات = مفعولاً به كمقولة تركيبيّة هامة في مسألة العمـل النحـوي الـتي تعتمـدها الإضـافة أوتلغيها (ظاهرة الإلغاء في النّحوالعربي). من أمثلة المشكلات اللغوية التواصلية التركيبيـة الـتي يحلّها هذا المقترَح: أ. مشكلة الإضافة مع الاحتفاظ على العطف. في العربية = خطـاب التبسـيط والتعميم. ب. مشكلة. وعلى الرغم من كلّ ما سبق، فـإنّ المقـترح لا يخلـومن بعـض العيـوب وعلى رأسها كون التّسمية مركّباً إضافي نعتي يتكوّن من ثلاثة لفظاتٍ (مونيماتٍ). أمّـا التعقيـب على هذه السمة السلبيّة، فبالذّكر أنّ المصطلح بسيط ومركّـب في العربيـة. حسـبنا اعتيـاده لكـي نتقبّله. ولا نعدم التراجع عن مقترحنا هذا في حال عثورنا على استعمالٍ أنجع.

القاموس الفرنسي (Le petit Robert) الذي يعتبره «عملاً يقوم على تكييف معارف تقنيّة وعلميّة بحيث تصبح في متناول القارئ العام »[1]. ولكي نستبين معالم هذا التّكييف أكثر ننطلِق من بسط التعريف نحونشره من ثلاثة مناظر منهجيّة: 1 ـ منظور شركاء هذا التبسيط 2 ـ غاياته 3 ــ المستفيدون منه. وفق التّفصيل الآتي.

### 1.2.1 مِن منظور شركاء التبسيط العلمي

يُقصد بالتّبسيط العلمي التّعميمي العملية التّحسيسيّة التي يمارسها ـ بشكلٍ أوبآخر ـ كلٌّ مِن المعلِّمين في الصّفوف المدرسيّة، والإعلاميين عبر وسائل الإعلام، والخبراء بما يصدرونه مِن الكتب العلميّة ويحرّرونه من المقالات التّبسيطيّة التّعميميّة التي تضطلع بنشر المعرفة وبتوعيّة الرأي العام حول الكمّ الهائل مِن نتائج العلم ومنجزات العلماء في شتّى المجالات العلميّة والتقنيّة. لهذا فلا تعدم هذه العمليّة التحسيسيّة التوعويّة المعتمدة هذه المصادر الثلاثة نوعاً من السلوك التعليمي أوـ كما يسمِّيها جويل دي روسني (Joël de Rosnay) ـ « بيداغوجيا مكيّفة لمختلف طبقات الجمهور الفسيح، تُستعمَل فيها سجلاتٌ وأعرافٌ مرتبطة بالمفاهيم العلميّة المستهدفة بالتبسيط، وتُشغَّل وسائل متواشجة وتابعة لبعضها البعض، على غرار: وسيط الكتابة والتحرير، والسمعي البصري، والحاسوبيات التفاعليّة، والنقاش والحوار.

[1] Le Petit dictionnaire *Le Robert* de la Langue Française : dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Ed. Dictionnaires le Robert, 2004. p.2812.

فالتبسيط بالنسبة إليّ [ يواصل صاحب المقتبَس ] ترويضٌ وشكلٌ مِن التّربية والبيداغوجيا » [1].

ذلك أنّ مكانة البيداغوجيّا المدعَّمة بسنَد التعليميّة هذه تُعزِّزها حقيقة مفادها أنّ لكتابة العلوم بصيغة شارِحة للغتها المتخصّصة تستدعي مِن المتطلّبات ما تتحدّد بها على أنّها عمليات تحويليّة وطرق ملتوية خاصّة في استخدامها للاتّصال والنِّقاش المسخَّر كلاهما مِن أجل توفير أكبر عددٍ ممكِنٍ مِن المعلومات العلمية لفائدة الفرد أيّاً كان [2]، وإحالة هذا الأخير على مصادرها المختلفة إلى أن اقتضى الأمر تدوين موسوعاتٍ في موضوعاتٍ علميّة شتّى وتنصيب متاحف وتشييد مكتبات وفتح مدارس وبناء جامعات؛ غرضها إحداث الاستئناس بين القراء والمفاهيم العلميّة، من غير الإغفال عن حقيقة أخرى مؤدّاها أنّ « المهارات المطلوبة لأداء معظم المهن والأعمال إنّما تُكتسَب في ميادين العمل الفعلي » [3]. لهذا فإنّ ثقافة الشّركاء العاملين في ميدان التّبسيط العلمي تتوقّع رصداً لغويّاً جسيماً وموثوقاً فيه ليدعِّم مسار رصدهم للمعرفة العلميّة بنزعة استقصائية وبجانب من الانتقائيّة التي سنحسمها أدناه، أي بما يتلاءم ومستوى التقدّم العلمي وينسجم وروح العصر ـ من جهة، وبما يؤهَّلون به في سبيل تفكيك شفرات العلماء وتقريب

---

[1] Joël de Rosnay, Op. cit. p.08.

[2] يُنظَر: Pierre Lerat, Langue de spécialité, Ed. PUF, Paris, 1995.

[3] جيروم كيغان، الثّقافات الثّلاث: العلوم الطّبيعيّة والاجتماعيّة والإنسانيّات، ترجمة صديق محمد جوهر، سلسلة عالم المعرفة (408) ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت) بالتعاون مع المركز القومي للترجمة (القاهرة)، يناير 2014، ص.326.

ألغازهم ورطانتهم إلى السواد الأعم من مختلف الطبقات الاجتماعيّة في طبق التناول المستساغ ـ مِن جهة ثانية.

### 2.2.1 مِن منظور غايات التبسيط العلمي

من المعلوم أنّ معظم الوسائط والمناسبات المشار إليها أعلاه تُسدَى خصِّيصاً إلى عيّنات منتقاة سلفاً [1] على غرار ـ مثلاً ـ فئة الأطفال والشّباب الذين يعزّ التخصّص الدّقيق في مثل أعمارهم، وكذلك يتعذّر عليهم متابعة الدراسات المرتبِطة بالعلومِ الوعرةِ دروبُها في مثل هذه المرحلة الحرجة بدون الابتداء بتلقين الأبجديات الأساسيّة المتعلِّقة بالفنّ المستهدَف: وهومِن اختصاص التّبسيط العلمي (المستعصي) بامتياز؛ ولاسيّما في حال انتفاء سبل التّكييف اللّغوي ذي المستوى المطلوب من حيث المرونة والبساطة والعمق في آن. ناهيك عن كون التلقّي العلمي بمثابة عمل جماعي واجتماعي يلعب التّفاعل فيه دوراً لا يقلّ أهميّة، بالإضافة إلى ضرورة نسج العلاقات التي تتقابل وتتفاضل المعرفة المنعكسة في مراياها العاكسة. وهوما توفِّره هذه الوسائط الطيِّعة، وتكرِّسه المناسبات الترفيهيّة الحيّة والمحيِّنة للنصوص والحوارات العلميّة والمتزامنة مع ما يُستجدّ في باب العلوم [2]. بل بالكاد تتحوّل « العروض»العلميّة إلى مقامات الفرجة والاستعراض، ما يدعونا إلى التّأمّل في جلسات المناقشات التي تُعقَد حول الأطروحات الأكاديميّة، وكذا ما

---

[1] أي تنطلق من فرضيّة مؤدّاها أنّها قد تجد تجاوباً وإقبالاً كما يمكن أن تصادم بعزوف ونفور، ما يحدوها إلى بذل الجهود على مستوى شدّ الانتباه والإعجاب والإمتاع والإثارة ..الخ.

[2] حتّى أنّ في الجزائر هناك مناسبة رائعة اسمها يوم العِلم (16 أفريل)، لولا أنّ الأوصياء والأولياء يعرفون قيمة هذا اليوم ..

يقدَّم من المداخلات العلميّة في الملتقيات تحت أجواء التصفيقات العجيبة علامة على « الإعجاب»الانفعالي طبعاً؛ وذلك نظراً أيضاً إلى الفضل الذي يغطّيه استيعاب المفاهيم الجوهريّة للعلوم والفنون والتقانة في إنماء الدّافعيّة نحوالتألّق الذي يرنوإلى الحدّ مِن التخلّف والفقر والانزواء والعطالة والبطالة، وعلى سبيل تمكين المواطنين من الإسهام بصورة فعّالة في خلق فرص النّجاح وافتعال عمليات التّنمية الاقتصاديّة. ما حدا إلى تكريس هذا الهدف النّبيل في المناقشات والقرارات المتّخَذة والمتعلِّقة بميدان العلوم.

مع أنّ هذا الاستيعاب مشدود إلى تذليل الصِّعاب التي قد يُتوهَّم أنّ المتسبِّب فيها حشدٌ مِن المصطلحات التي ـ ومع ذلك ـ ليست طبيعتها في آخر المطاف سوى لغويّة: ما يعني أنّها لابدّ كانت ـ ولا تزال ـ مجرّد كلمات أوأدلّة لغويّة لا تزيد عن كونها ذكِّرت فقط بوظيفتيْها المرجعيّة والموجوديّة الزّائدة على باقي معجم اللغة [1]. «وقد انتشرت هذه الكلمات بطبيعة الحال على هذا النطاق الواسع بفضل تقدّم وسائل الإعلام والاتصال التي ساعدت على سهولة التدفّق المعلوماتي. وبعد أن كانت هذه المصطلحات والمعلومات حكرًا على فئة متميِّزة من العلماء والأكاديميين المتخصِّصين في المجتمعات المتقدِّمة علميًّا، وتكنولوجيًا، شاعت حتى في المجتمعات القبلية المتخلِّفة، التي كانت حتى عهدٍ غير بعيد تستمدّ كلَّ معارفها ومعلوماتها من الكبار عن طريق الرواية الشفهية إلى أن عرفت طريقها إلى الراديوثمّ التليفزيون ومن بعدهما الفيديو. وظهر نتيجة لذلك ما يمكن اعتباره لغة مشتركة بين معظم

[1] وهما وظيفتان عزيزتان على المصطلحيات. يُنظَر: يوسف مقران، في تعدُّد أبعاد المُصطلح، مجلَّة اللّغة العربيّة، ع.29، المجلِس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2012، (ص.35 ــ 76)

مجتمعات العالم من ناحية، ومختلف قطاعات وشرائح المجتمع الواحِد من ناحية أخرى » [1]. بحيث يتوسَّم في هذه اللغة المشتركة دور المدخل إلى المفهوم المستقدَم والمرجع الذي نشأت مِن صلبه كلُّ التنويعات والاشتقاقات التابعة. وكذلك من خلال تقدير وضعيّة الوساطة بين العلماء والتقنيّين من جهة والمتطلِّعين إلى المعرفة من المتعلِّمين وعامّة النّاس المستعملين والمستهلكين والفضوليين ـ من جهة أخرى. وخاصّةً إذا عرفنا أنّ هناك مَن لا يزال يعتبر العلميين والعلماء والفنيّين والتقانيّين لا يُتقنون التواصل بمفهومه المغرض أي لا يحسنون إيصال رسائلهم العلميّة إلى الجمهور الواسع، بل يحدث التّضييق التخصّصي في مجال تبادلاتهم اللّفظيّة وغير اللّفظيّة [2]. ولعلّ ذلك يرجع إلى نأيهم القليل أوالكثير عن ممارساتهم الخطابية التي كادت أن تنقطِع عن الجمهور الواسِع. وهذا بحسب التّحديد الذي قدّمه ميشال فوكو (Michel Foucault) لمفهوم *الممارسة الخطابية* وهويحصره في مجموعة مِن القواعِد الخفيّة والتّاريخية التي تتحدّد دائما في الزمان والمكان، والتي تعيِّن، في فترة معينة، ولرقعة اجتماعية واقتصادية وجغرافية أولسانية معيّنة، شروط ممارسة الوظيفة التّواصلية [3]. وهي لا تنأى من هذه الناحية عن مفهوميْ التعاقد التواصل والوضعيّة التواصليّة اللّذيْن سنأتي على عرضهما أدناه.

---

[1] أحمد أبوزيد، هل تقوم لغة عالميّة واحِدة ؟، ضمن المعرفة وصناعة المستقبل، سلسلة كتاب العربيّ (61)، وزارة الإعلام (مجلّة العربيّ)، الكويت، 15 يوليو2005، (ص.14 ـ 23)، ص.14.

[2] يُنظَر: يوسف مقران، في سبيل تكريس الملكة التواصلية، دوريّة الممارسات اللغويّة، ع. 11، مخبر الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي ـــ وزو، 2012 .

[3] نظَر: Michel Foucault, Archéologie du savoir, Ed. Gallimard, Paris, 1968, p.153.

### 3.2.1 مِن منظور المستفيدين مِن التبسيط العلمي

هكذا، مع العلم أنّ المستفيدين مِن التّبسيط العلمي ـ كما سبقنا ببعض الإشارات ـ شريحة عريضة من الجمهور الذي يقلّ فيه عدد حاملي الشهادات، غير أنّهم مِن المتوقَّع أن يكونوا قد اكتسبوا في الصفّ ـ أوعصاميّاً ـ بعض المبادئ المفيدة في كيفيّة قراءة نصٍّ بسيطٍ على الأقلّ، وكذا نزرٍ قليلٍ مِن فنيات تناوله وفهمه ولوسطحيّاً.

كما يندرج في خانة المستفيدين جميع الأفراد الذين يغيب عنهم الشيء الموصوف علميّاً بما تتعذّر عليهم مسالك التجريب مما يمكن لهم أن يُعاينوه منها وما لا يَعنِيهم من شأنها. وفي هذا الإطار يعدّ كلّ من عزّ عليه خوض غمار التجربة والاختبار جزءاً مِن هذا الجمهور العريض ـ على الرّغم مِن إمكان تخرّج بعضهم من الجامعات والمعاهد والمدارس العليا برصيد من معرفة لا بأسَ به وبما حصدوه من قبيل تّكوين علمي قد لا يكفي ليكفل لهم سبل الرقي إلى **مصاف الرّاسِخين في العلم**.

ويجدر التّنويه هنا بما يكتسبه الأدب ـ هوالآخر ـ مِن حقٍّ في التّبسيط العلمي وفضلٍ في حذقه لفنون نشر العلم ـ كما يأتي أدناه ـ مِن باب تجسيد صور الواقع، وتيسير الولوج إلى عالم المصطلحات والمفاهيم العلميّة. وذلك بفضل السّرد العلمي الذي يتصرّف به كاتب النصوص الأدبية، فتُشرَع عن طريقه أبواب الخصوصيّة أمام فضاءات عموميّة تنتشر فيها المعرفة وتذاع في المشاهد التي يصفها، وبطولِ وعرضِ لوحات البطولات التي يُسندها إلى روادها الفاعلين وذوي الآثار في الحقول العلميّة المتشعّبة. وذلك كلّه في

غياب الشّيء والموضوع الواقِعيْن تحت مجهر الفحص العلمي الدقيق وبعيداً عن الرقابة الخبيرة المشهود عليها بالتّقرير المحرَّر والمتناهي في العلميّة والمستفيض في المعطيات [1].

وتمتدّ في النّصوص الأدبية التي تخوض في الموضوعات العلميّة آفاق الاستجلاء العلمي مما يرخِّص للتّأويل من سبل الإفاضة في زخم العلامات والسمات المنتِجة للمعاني والدلالات والمفاهيم الملتفّ بها حول العالم والملفتة إلى الكون بأسره. لهذا التفتت بعض الدراسات إلى البعد السيميائي للنص التبسيطي الذي ينوَّع فيه بين الحرف والشّكل البياني والصورة واللّون مثله في ذلك مثل ما يقوم عليه الخطاب الإشهاري حيث أضحى فيض كأس الإبداع في مساحاته الواسِعة أمراً مشروعاً يؤكّده الجمهور نفسه. ونجد مثله أيضاً فيما يعنينا هنا من تسخير الأدب في التبسيط العلمي الماثل فيما ينطوي عليه من المجازات والتشبيهات والاستعارات وفنون القول المراد بها تجسيد الظواهر العلميّة وتقريبها إلى العقول باللغة التي تألفها هذه العقول الجماهيرية التي سعة كلّ مفردٍ منها لا يزال العلماء في حيرةٍ مِن أمرهم بسببها. وكلّما أفل رأيٌ حولها لقدمه ظهر آخرٌ في حديث يدهِش أكثر مما يقنع.

ثم ليس يجهل المستمع فضل اللغة الموحية في تدعيم الفكر ولاسيما بما تمليه عليه من الصور وما تتركه في النّفس من الانطباعات. والصور التي يتكرّم بها الأدباء تنبض حياةً بحيث لا يمكن الإعياء من مطالبتها بقدر ما يعترينا الملل من

---

[1] يُنظَر:

Barthes Roland. L'effet de réel, Communications, n° 11 (Recherches sémiologiques le vraisemblable), Paris, 1968, (p.84-89).

مطالعة الصور النمطيّة الجوفاء. وذلك لكون الأولى مشوِّقة وممتعة بما يُضفى عليها مِن طابع فنّي نغمي جمالي يتوافق مع روحانيّة بني آدم وأشواقه.

بالتالي فمن مساوئ التصرُّف التقصير في النصّ الأدبي وخطابه كقناةٍ أصيلة برهنت نجوعها منذ قرون. بل يجب أن يُقرَّ بطابعهما القانوني كوسيط تبسيطيٍّ علميٍّ مخصّص لهواة الإبداع الأدبي الذين لا تستسيغ ذائقتهم نصوصاً ولا خطابات غيرها ولوفي مقام التشبّع العلمي. من هنا يبدولنا المهرجانات والهدايا التي تمنح بخصوص تشجيع الإنتاج الأدبي أصبح من المألوف أن يخصَّص منها جزءٌ معتبر لما يستحقّ تسمية « لإبداعات الأدبية العلمية » من المسرح والرواية وحتى الشعر بدون أيّ خجل بما أنّها ذات أغراض علميّة نبيلة ثمّ نظراً لجمهورها المكون أساساً من فئتيْ الأطفال والشباب. وتستمرّ التظاهرات في هذا الشأن حتى أوشك أن تتحوّل إلى مهرجانات خاوية بفعل الموضة القاتلة التي قد تحوِّلها إلى مهرجانات تترك المرء كمن اطّلع على حديقته خاوية على عروشها [1].

بالطّبع إنّ هذا الرأي قابل للمناقشة إلى حدّ طغيان الاعتقاد في صرامة المعرفة العلميّة ـ مِن جهة، ومجازيّة اللغة الأدبيّة ـ من جهة ثانية. ولابدَّ أن

---

[1] ولكن كما يقول رولان بارت فالموضة إذا امتنع تبنِّها بالكامل نظراً لبعض أكاذيبها التي تعتِّمها جماليتها فلا تُدع كلّها لأنّها تحمل آيات صدقها وقد ينتفع الناس بها بل تنح سبل البحث في التاريخ والحفريات المتوغّلة في التراث والثقافة، كشأن البحث في تواريخ ظهور الأطرزة والألبسة. يُنظَر هذا التأكيد:

Olivier Burgelin, Barthes et le vêtement, Communications, n° 63 (Parcours de Barthes), Paris, 1996, (p.81-100), p.86.

يشكّل هذا وجهاً من التعارض الذي لا يمكن مجانبته إلاّ عن عنجهيّة. غير أنّ الردّ على هذه المعارضة المتوقَّعة هوبتذكير كلّ من اختار التقوقع في زاويتها الحادّة بضرورة مراعاة السياق الذي يعتدّ فيه بالأدب في سبيل نشر العلم نكرّر ذلك للفائدة رغم أنف مقولة التكرار فن الحمار. وهوسياق التعلّم والتعليم الذي يتّسع للشّرح وتدقيق التفاصيل ويتمّ عادةً بمعيّة مورد بشري عاقل وعالم قبل تبوئه مكانة الأنبياء بالتشبيه.

وعليه، نكون قد تصفّحنا بعض الأسباب التي يقوم لوجودها واجب الارتكاز على المعلِّمين والأساتذة والمكوِّنين في إمدادهم بمراجع تساعدهم على تكوين ذخيرة علميّة يستمدّون منها مادّتهم العلميّة والمعرفيّة تسخَّر في أداء واجباتهم المهنيّة فيما يخصّ تكوين تلامذتهم وطلبتهم وتوجيههم وتيسِّر عليهم مهام التحقّق من سريان المعلومات وتتبّع تطوّرات العلوم والفنون. وهذا ليس بيسير مقارنةً مع وضعٍ تندر فيها المراجع نظراً لقلّة العناية بفعل التبسيط العلمي الذي نعتبره من هذا المنطلَق فعلاً ثقافيّاً بامتياز وعلامة على التقدّم الحضاري الذي تتحلّى به أيُّ ثقافةٍ تضطلع بشؤونه.

## 2 التّبسيط العلمي بين التحقير والتّبرير والوسطيّة والتأديب

### 1.2 عظمة الرهان العلمي وحقارة التبسيط العلمي

إذن نستنتج من التحليل السابق أنّ الرِّهان ليس بالهيِّن ولا يرضى بإمهال رفعه. لعلّ هذا ـ وعلى الرّغم ممّا تقدّم مِن الإيحاء ـ ما حدا ببعض الدّارسين إلى التّأكيد على أنّه لا يستقيم **التّبسيط** ولا يمكن له أن يكون **ناجعاً** إلاّ إذا أسنِد إلى **العلماء** ذوي التخصّص الدّقيق بصفة خاصّة وحصريّة وبرهاناً حيّاً

على أداءاتهم المنفردة: إمّا بوصف إنجازاتهم بأنفسهم أوبالحديث عن الإنتاجات والكتابات العلميّة لغيرهم من الأقران المعاصِرين، والزملاء الغابِرين من العلماء والأساتذة [1]، سواء في سياقات التكوين أم في مقامات الإعلان عن نتائج بحوثهم المثمرة أم في صدد إجاباتهم عن أسئلة الإعلاميِّين في المقابلات الصِّحافيّة أوفي العديد من المناسبات التي يُلتمسون فيها ويُستقدَمون ويُستفتون، وحيث يحقّ لهم أن يطمحوا إلى أسمى التّرقيات بحصولهم على براءات الاختراع وأوسمة التفوّق العلمي الجزيئي والاستثنائي. وإنّما كان ذلك كذلك ـ بحسب رأي أولئك الدّارسين دائماً ـ بسبب خبرات هؤلاء الأخصّائيِّين الأفذاذ ونجاحاتهم في مجالاتهم المختلفة، وتحكّمهم في لغة العلم بشكلٍ أفضل وأعقل مِن غيرهم، وبدافع سعة آفاقهم الخياليّة ورحابة صدورهم الاستكشافيّة ورهافة حسّهم الإبداعي والنّقدي معاً، وباسم الملكيّة الفكريّة في النهاية [2].

والحال أنّ هذا الرّأي ضعيف الحجّة رغم عدم تورّع أصحابه في توزيع هذه الأخيرة توزيعاً لانهائيّاً. وذلك ـ كما سنكشف لاحِقاً ـ فإنّ قضيّة التبسيط العلمي مِن قبيل الشّغل متعدّد ومتداخل التخصّصات، ويقع في

---

[1] ومعنا مثال عن هذا الصّنف ما ذكّرنا به أحد الباحثين المصريين من فضلٍ للعالم أحمد زكي في نشره لما أسماه« الثقافة العلميّة » عربيّاً. وهويذهب إلى أنّ فلاحه في هذا الشّأن إنّما تحقّق بفضل تخصّصه ونبوغه علميّاً مع تعاطيه للكتابة الأدبية التي ألهمته كتابة علميّة. يُنظَر: محمد المخزنجي، فنون الأدب في مقال الثقافة العلمية: هل يسمر تأثير الدكتور أحمد زكي، ص.330.

[2] يُنظر مسوِّغات هذا الرّأي:

Paul Caro, La vulgarisation scientifique est-elle possible ?, Ed. Presses Universitaires de Nancy (Coll. Les Entretiens de Brabois), 1990, p.29.

ملتقى طرق العديد من الأخصّائيّين الشّركاء والمتعاضِدين (منهم الابستيمولوجيون والإعلاميون والمعلِّمون وعلماء الاجتماع والبيداغوجيون .. الخ، المدعَّمون كلّهم بوصفات وخبرات المتخصّصين في المجال المعني بالتبسيط). وكشأن كلّ ميدان ذي بعدٍ متعدّد التخصّصات والرهانات تنزل في رحابه اتّجاهات عديدة ديدانها التّكامل كما حرص على ذلك أشهر المقعِّدين لنظريّة المعرفة وهوإدغار موران [1]. وإلاّ كيف يتسنّى للمتاحف العلمية والمعارض، وما يقام مِن المحافل والمهرجانات، وما يُنظَّم مِن المسابقات (العلميّة الشّعبيّة) أن تضطلع نزاهةً وجدارةً بدور التبسيط العلمي ؟ وكذلك فما شأن كافّة ما يُنصَّب مِن المعسكرات الموضوعاتية ويُعصَر من المقولات والنّظريات التي يُستخلَص منها ما لا نهاية من التطبيقات الميدانيّة العظيمة بمختلف النوازع والاتّجاهات والأذواق، وما يَنصبّ في بوتقة الخيال العلمي المحوَّل إلى إسقاطات واقعيّة، وما يُلفت مِن الملصقات الشيِّقة، ويُنشَر مِن المجلاّت العلميّة التبسيطيّة الهائلة والمريحة، ويُبثّ مِن الحصص العلميّة التلفزيونيّة والإذاعيّة في حلقات مروِّحة، ويخصّص مِن الجوائز في سبيل تحسين المستوى العلمي تحت شعار ومبدأ التثقيف العلمي الممتِع في أوساط جماهيريّة متنوّعة وعلى الرغم من عدم تجانسها بالفعل؟

---

[1] يُنظَر:

Patrick Charaudeau, Pour une interdisciplinarité "focalisée" dans les sciences humaines et sociales, in Questions de Communication, n°21, 2012, ؛ وكذلك: Béatrice Fleury et Jacques Walter, « Interdisciplinarité, interdisciplinarités », *Questions de communication* [En ligne], 18 | 2010, mis en ligne le 01 décembre 2012, consulté le 03 mars 2017. URL : http://questionsdecommunication.revues.org/409.

وذلك إذا اكتفينا بمناقشة هذا الرّأي الذي ليس وحيداً في دائرة الآراء التي تنبذ « التّبسيط العلمي»وتضعه في قفص الاتّهام. ذلك أنّ هناك رأياً أكثر تطرّفاً يمكن التّعريج عليه لكونه يتنكّر لمسعى هذا التّبسيط بعللٍ واهية بالمطلق، على غرار ما يُزعَم من تكريس التبسيط العلمي لحرمان عامّة الناس ـ وحتى المتعلِّمين منهم ـ مِن المعرفة التي لا تصلح في صيغتها التبسيطيّة وبالتالي إبقائهم تحت سيطرة ممتلكي المعرفة ومحتكريها مِن الطّبقة الأرستقراطية ذات النّفوذ والمراتب العليا ومحترفيها من الأساتذة أصحاب الأيادي الطولى؛ ذلك أنّ العلم ذوطابع طَبَقي ونخبوي كما سبق لبيار بورديوأن أفاض في هذه المسألة مِن منظور علم الاجتماع ولكن مِن غير أن يستنتج ما يدّعيه رواد فكرة رفض « التّبسيط العلمي»، وهم يستشهدون بآرائه حول التفاوت الطبقي الذي تكرّسه المدرسة اجتماعيّاً بمداومة الرصيد الثّقافي المتوارث جيلاً عن جيل. بحيث يستلّون هذه المقولة قسراً مِن سياقها لغرض تزكيّة موقفهم المضلِّل من ظاهرة التّبسيط العلمي فإخضاعها لأهوائهم. وهوموقِفٌ نُلفيه متناثِراً في كتابات عديدة. ذلك أنّه إذا سايرنا بريق هذا المنطق، فحينما يعجز قارئٌ ما عن فهم نصٍّ علميٍّ ما ـ بالتّالي ـ يلجأ إلى الخطاب التبسيطي متوسِّطاً به ومتوسِّلاً، بعد علمه أنّ هذا الأخير يشكّل مفتاح بعض ما استغلق من ذلك النّص، أيعني ذلك ـ إذن ـ أنّه انحطّ إلى أسفل السافلين في مستواه أم تحرّى التدرّج الذي يعدّ مساراً تعلّميّاً سليماً، بل ربّما قد يرجع ذلك الغموض الذي يكون قد اعترى النصّ العلمي إلى أنّ صاحبه لم يأخذ بهذا المبدأ التعليمي الأساس الذي يعتبر من أبجديات التعليميات وبالخصوص تعليميّة العلوم والرياضيات.

## 2.2 التبسيط العلمي والمبرَّر الابستيمولوجي

وإذا رغبنا في استحضار التبرير الابستيمولوجي نقول إنّه ليس يسلَم مِن الأخطاء مناقشة المضامين المعرفيّة والنظريّات العلميّة والموادّ الفكريّة بنفس اللّغة التي كُتبت بها أوّل مرّة ـ أوبتعبير أصحّ ـ بنفس الخطاب العلمي الذي أنتجها في صفاء وكثافة وتركيز وبروح علميّة وثقة وثبات وبداهةً وبإثباتٍ مبرهن أونفيٍ معلّل. فكما يقول موريس ميرلوبونتي (Maurice Merleau–Ponty):

« إنّ الطّريقة الوحيدة للتّفكير بالتّفكير هي أوّلاً أن نفكّر بشيءٍ ما [ وهوما يحمله الخطاب العلمي كمضمون يختلف عنه ]، ويصبح جوهريّاً لهذا التّفكير أن لا يأخذ ذاته كموضوع [ لهذا فالخطاب التبسيطي لا يستهدف الشيء بقدر ما يستهدف الخطاب العلمي فيبسِّطه وينشره من باب التعريف والتثقيف والإحاطة والإفادة والإنارة في آن ] »[1]. بل هناك من ذهب ـ تدعيماً لضرورة الفصل بين النّمطيْن مِن التّفكير ـ إلى أنّ المعرفة بما أنّها تنتج أنساقاً ومفاهيم في تجدد مستمر، فهي تنطوي على سلطة تقدّرها على إنتاج لغة موازية لهذه الأنساق[2].

---

[1] يُنظَر:

Maurice Merleau-Ponty, La phénoménologie de la perception, Paris, Ed. Gallimard (Coll. NRF / Bibliothèque des idées), Paris, 1945, p.453.

[2] يُنظَر:

Nicolas Adel, Anthropologie des savoirs, Ed. Armand Colin (Coll. U / Sciences Humaines & Sociales), Paris, 2011, p.193.

وعليه، فبهذا الشّرط فقط يمكن تحاشي تعكير الأفكار الذي يوشك أن يتسبّب فيه اختلاط لبوسها العلمي بزيّها التبسيطي، ولاسيما على إثر التّداخل في الصّلاحيات، وهوما قد يزيدها غموضاً في الوقت الذي يتوقّع أن يُكسيها سلاسةً ووضوحاً كرونق المياه (Limpides) بتحديد الحالتيْن مع إمكان الجمع بينهما أوالتناوب في اعتماد هذه أوتلك. إذ لا يختلف الوجهان المتناظِران نسبيّاً إلاّ من ناحية ما يتطلّبه الخطاب العلمي من استقرار عوده ونمطيّته والإجماع المعقود حولَه، ومن جهة المتلقّي الذي يتوافد على النّمط الثاني من حيث انفتاحه وكونه سديماً لا يمكن تمييزه إلاّ بموجب ما يتوسّمه صاحب الخطاب التبسيطي من آيات الإقبال وعلامات التجاوب، فيقرّر حول طبيعة أسلوبه وعدد تعاريفه ودرجات تعقيد ـ أوتبسيط ـ مصطلحاته وأنواع التدرّج الممكنة في الشّروح والحوصلات والتطابقات والصياغات والترادفات والمجازات والتمثيلات والإحالات التي تستهدف كافّتها المفاهيم العلميّة المراد تقريبها إلى الجماهير بمختلف تنوّعاتها وتوجّهاته ومشاربها [1].

وسيراً دائماً في اتّجاه التّبرير واستناداً أيضاً إلى صحّة قيام لغة خاصّة بالعلم، نستعين بوظيفة من وظائف اللغة وهي ما يمكن تلخيصها في « تفسير اللغة الطّبيعيّة لغيرها من أنظمة التبليغ » [2]. إذ ننطلق من اعتبار العلم نظاماً مِن أدلّة مشفَّرة فيها ما يعود الفضل فيه إلى تلكم اللّغة الطبيعيّة في نسبتها

[1] وهي ما سنضبطها أدناه.

[2] فهكذا لا يمكن تعليم قانون المرور إلاّ عبر اللغة الطبيعيّة التي هي أمرن وأكثر طواعيّة من قانون المرور نفسه الذي يعدّ لغة يتواصل بها السائقون فيما بينهم وبين هؤلاء والمارّين، ولكن لا يضطلع بأكثر من التبليغ عن بعد وفق قناة متعدّدة الأبعاد (الحرف / الصّوت اللغوي وغيره / اللّون / الاتّجاه / الأشكال / الضّوء / ..الخ. وهوقابل للتطوّر والتعديل (خاصية الثبات أونقيضها عند دي سوسير)، ولكن العلاقة فيه بين الدال والمدلول معلّلة في أكثر الحالات ولا تعد الاعتباطيّة.

الكبيرة، وفيها ما يعدّ من جنس مـا يمكـن وسمـه بالتقابـل مـع هـذه اللّغـة الطبيعيّة باللغة الاصطناعيّة. فلا يضطلع بتفسير هذه اللغة وتفكيك شـفراتها سوى لغة أخرى تختلف عن هذه الأولى، فلتكن الخطاب التبسيطي [1].

## 3.2 الحذر والوسطيّة والتعليميّة في رفع تحدّي التبسيط العلمي

ولكن قبل طيّ هذا الموضوع المختلَف فيه نشير إلى أنّه هناك حتّى مِن كبار الفلاسفة مَن شكّك في جـدوى التّبسـيط العلمـي بسـبب بـاب الاستسـهال والتسكّع الذي يفتحه أمام المترفين كما يـؤثر عـن فـولتير (Voltaire) نفسـه إبطاله للتبسيط المفرط على الرغم من تعاطيه النسبي لـه. وأخـذ يقيّـد نفسـه بالحذر والتحفّظ حينما تصدّى لمناقشة كلّ من ديكارت (René Dscartes) ونيـوتن (Isaac Newton) وباسـكال (Blaise Pascal) حـول آرائهـم العلميّة الفيزيائية والرياضية ـ بل الفلسفيّة ـ في موضوع« المادّة » وغيره. فعبّر عن ذلك بأسلوبٍ فيه من السلاسة ما يغري ومن الصرامة ما قد ينفِّر. ومـن ثمّ علّل ذلك بإقراره أنّ حدث التبسيط قد يؤدّي إلى وصف نفـس الظـواهر بفرنسا وإنجلترا ولكن بإطلاق حقائق مختلفة باختلاف الموطنيْن. وهذا بالطّبع تزييف وضلالة ناجميْن عن ابتذال المعرفة بفعل التعميم السّطحي الذي اتّخذ منه موقـف الـتحفّظ وكـذلك لابتعادهـا شـيئاً فشـيئاً ـ تحـت تـأثير النقـول التبسيطية ـ عن مصدرها وشـرعتها السـليمة [2]. ويمكـن ذكـر مـن المفكّـرين

[1] يُنظَر: يوسف مقران، مدخل في اللسانيات التعليمية، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013، ص.153.

[2] يُنظَر هذا الموقف الشائك ما عرض جزئيّاً في:

Alain Niderst, Les Lettres anglaises de Voltaire : une vulgarisation méthodique et imprudente, Revue d'histoire des sciences, T.44 / n°3-4, Ed. PUF, Paris, 1991. (p.313-323), p.318-320.

المحدثين جورج ستاينر (Georges Steiner) وما عُرف به مِن موقف الحذر تجاه التبسيط المقيَّد عنده بشروط أوضحها في كتاب مشترك مع سيسيل لاجالي (Cécile Ladjali)، محتفِظاً على موقفه المضاد لابتذال المعرفة بفعل التعميم السطحي ذاك وناقش بإسهابٍ الآثار النّاجمة عن الفنتازية والضلالة المصاحبتيْن ـ لا محالة ـ لحدث التبسيط [1].

لهذا فقد عرف ديدرو [2] (Denis Diderot) بموقفه الميّال إلى تحرّي الكتابة العلميّة المبسِّطة للمفاهيم الأكثر إغراقاً في التعقيد بجذرٍ حصيف، حتى جرى اسمه على الألسنة الشاهدة والدّالة على فضله في نشر المعرفة والبيانات التي جمعها ووثّقها وهويترأّس تحرير مواد موسوعة أطلق عليها « موسوعة العلوم والفنون والحرف» [3]؛ حيث انكبّ على استبقاء مآثر عصره وتحصيل مفاخره بحماس شديد ومهارة نادرة المثال. ونشر من المقالات التبسيطية التي غمرها بتحليل مستفيض وبأسلوبٍ أكاديميٍّ هادئ. وعلى الرّغم من غزارة ما تفرّغ له من التبسيط فهولم ينفصل ألبتَّةَ عما جمعه من آراء ومعارف وحقائق تنصبّ كلّها في قالب قضايا متفرِّعة من أوّليّات العلم وما انتهى إليه من أسباب ثقته

---

[1] يُنظَر:

Georges Steiner et Cécile Ladjali, Eloge de la transmission : Le maître et l'élève, Ed. Albin Michel (Bibliothèque Idées), Paris, 2003.

[2] وهوفيلسوف وكاتب وموسوعي فرنسي (1713 ــ 1784). وهوأيضاً مسرحي وكاتب مقالة، من قادة حركة التنوير.

[3] وهي الموسوعة الفرنسيّة المنشورة من 1751 إلى 1772 تحت إدارة ديدرووألامبير (Alembert) تحت تسمية L'**Encyclopédie ou Dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers**

به وممّا هوخليق بأن يوصف بالصحّة على الأقلّ إلى حين عصره الذي استقرّ قراره يومئذٍ من سند أخبار الكتب السالفة ذات النسب وثيق الإسناد.

هكذا وحيثما ورد ذكرٌ لفعل « نشر المعرفة»ـ أوبالأحرى حوصلة البحث العلمي ـ تطفوقناة «الكتابة العلميّة »بجدارة إنباءً بهَـمّ التّعمـيم المرغَّـب فيـه دون إسهابٍ ولا تسيُّب. ولكن يبدوأنّ تمركز *الكتابة العلمّيـة* هـذه في دائـرة كمشة مِن الأخصّائيِّين من شأنه أن يحدّ مِن آفاق ذلك النّشـر فيُقضـى علـى مجال التّعميم قبل انبساط إمكاناته وتيسير وسائله. وهوما لا يُلقى لـه تفسـيرٌ سوى الإصرار على الرّغبة في الحصـر بـدافع أنانيّـة الاحتكـار ـ مـن جهـة، واستثقال خوض الغمار ـ من جهة ثانية. ومن غير الإيهام بـأكثر مـا يحتملـه هذا الحكم نرى أنّ ما انزاحت إليه تلك الكتابة من أنواع التسميات التي تنمّ ـ من جهة ثالثة ـ عن وعيٍ في الممارسات الخطابيّة والنصيّة لأسـرة العلمـاء، على غرار: التحرير العلمي والتوثيق العلمي، وحتى الترجمة العلميّـة، قـد لا يكفي لتبرير قناعة توفّر جومن التعميم والتبسيط العلميّيْن.

ويتّصل التوثيق العلمـي بمـا يعـرف بـ «البحـث الوثـائقي»الـذي يتنـاول التحـرّي السـياقي والتناصـي في كتابـات ذات طـابع تخصّصـي أي تـرتبط بمجالات متخصصة ودقيقـة. كمـا يضـطلع الباحـث الموثّـق بمهمّـة مراجعـة المقالات العلمية والخطاب التبسيطي والوثائق التي يحررها أهل الاختصاص. وهوما يهدف إلى استيعاب محتوى الموضـوع المعـالَج والاسـتئناس بأسـاليب الأخصّائيّين وخطاباتهم، وبمجرّد الاحتكاك بمقامات تخاطبهم. علماً أنّـه مـن شأن هذا الضـرب مـن البحـوث المكتبيّـة والميدانيّـة التسـجيليّة ـ في آنٍ ـ أن يسهّل على المتعلّم النّاشئ ـ مثلاً ـ اكتساب رطانـة التخصّـص عـلاوة علـى

معرفة طرق إيجاد المصطلحات المتداولة في المجال المطروق وكيفيّة استخراجها من مضانها. وكذلك هوحريٌّ بأن يحميه من شراك المعجمات المزدوجة الـتي يُكتفى فيها بإقامة تقابلات خارج السياق وبعيداً عن مقام التواصل العلمـي. كما يظهر فضل التدوين والتوثيق فيما ييسِّره في اعتماد آلية البحـث النصـي والسياقي والتناصي (نسبةً إلى النص الرابط / Hypertexte). وهوما يتجلى أيضاً وأكثر عندما يتعلق الأمر بمصطلحات يبدوأنّها غير مدونة في المعجمات المصطلحية والمفهومية والموسوعيّة.

### 4.2 التبسيط العلمي حَلقة وصل بين الأدب والعلم

إنّ الأدب وعاءً وفكراً وموهبةً وفناً وتصوّراً لا يعـدم المعطيـات العلميّـة حتى اتُّخِذ منه إطاراً للتأمّلات الفكريّة بكلّ منازعها، وقاد دعوات التّحديث والحداثة في أعزّ أمجاده وفي أكحل أزماتـه، واسـتعيرت مِـن نصوصـه ألـوانٌ وأشكالٌ مـن فنـون التعـبير. فهومنـذ الإبـداعات الأولى الـتي خرجـت مِـن مدرسته أبدى الاستعداد لأن يأخذ على عاتقـه مهمّـة نشـر العلـم ومواكبـة مسيرته الطّويلة في إرهاصاته وفي جميع أحقابه الخامدة والنّاضِـجة. وللتـاريخ أن يشهد ولوبنزرٍ قليل علـى نبوغـه في هـذا الـدور الـذي أدّاه بوصـفه مـن سواعد المبتكرين الحقيقيّين من العلماء.

بيد أنّ ما حدث في القرن التّاسع عشر طريـف وغريـب في آنٍ؛ إذ ذهـب بعضهم في أوربا [1] إلى القول إنّ الطفرة العلميّة التي أخذ يشهدها مع بدايتـه، مِن شأنها أنّ تدفع الأدباء ـ في المستقبل القريب ـ إلى احتراف العلم المنتصِـر

[1] وهم المدعوون (Les Saint-Simoniens).

والتبرّؤ مِن مواهبهم إلى حدّ مغادرة نشاطهم الأدبي. ولكن سرعان ما تبيّن لهم بطلان هذا الادّعاء وسخافته أضغاثَ أحلامٍ عاقرة، بل حدث تطوّر معاكس ـ شيئاً ما ـ لذاك الاتّجاه، بحيث صار الأدب هوالذي يُسخَّر في خدمة العلم بقلمه المهتدى بنور العقل والمتّقى بحكمة من ضلال الخيال المفرط. وليس أدلّ على ذلك من معاينة ما توفّره قرائح الأدباء من الاستعمالات المجازيّة وتولّده من الكلمات ذات الإيحاءات الخاصّة وتنحته أفكارهم من تصوّراتٍ عن الوجود هي مِن أرومة التفكير البشري وتعدّ أدلّة حيّة على عبقريّة أصحابها الذين ليسوا سوى مبدعين عرفوا المجد ثمّ كادوا أن ينزلوا إلى الحضيض تماماً تحت انبهارهم المعنوي الشّديد بإنجازات العلوم التي كادت أن تُسكتهم بينما حالفت روّادها في تحقيق أمجادهم [1]. حتى صار هؤلاء يستعيرون منهم أشكال السرد والشرح العلمي الذي تطوّر إلى شكلٍ كتابيٍّ ما فتئ يحظى بأنواعٍ من التفريع.

ثمّ وقعت المصاهرة بين المجالين المتكاملين ـ مرّةً أخرى ـ في ظلّ ما عرفه النّقد الأدبي من استقطاب المناهج العلميّة في دراسته للأعمال الأدبيّة وتحليلها وتقييمها. فظهر في ضوء هذا التّفاعل أسلوبٌ جديدٌ مَتَحَه خطباء التّبسيط العلمي يهمّ التّعامل معه باستقراء أوجه استعمالاته في ثنايا التّعبير الشفاهي وفي صلب التعبير الكتابي. واليومَ نشهد تحوّل وسائط التبسيط العلمي إلى قِبلة للعلماء أنفسهم يتولّونها لأغراض النشّر فيها والتعريف

[1] يُنظَر:

Jeanneret Yves. Le choc des mots : pensée métaphorique et vulgarisation scientifique. Communication et langages, n°93, juillet-septembre, 1992m p. 99-113.

بأعمالهم حتى عمد البعض إلى تأسيس مواقع إلكترونية يبثّون فيها إنتاجاتهم الفكريّة بذلك الأسلوب العلمي المتأدّب الذي يستأثر به منطق التّبسيط العلمي في كلّ اللغات التي لم تحجم عن التّعاطي معه.

## 3 خطاب "التبسيط العلمي" و(التعاقد[1] التواصلي)

يقول باتريك شارودو[2] (Patrick Charaudeau):

« لا يمكن تمييز خطاب – التبسيط العلمي – بهذه الصّفة سوى مِن حيث صلته بما يمكن أن يُحدَّد على أنّه *خطابٌ علميٌّ* (DS). وبالتالي يَنْطرح ـ ههنا ـ سؤالٌ أوّليٌّ مِن أجل معرفة إذا ما يمكن اعتبار خطاب التّبسيط بمثابة ترجمة، أوإعادة صيّاغة، أوإعادة تشكيل الخطاب القاعدي الذي ليس سوى خطابٍ علميٍّ »[3].

---

[1] نفضّل لفظة (التّعاقد) على (العقد) لأنّ في الصّيغة الأولى دلالة على « المشاركة والتبادل » الحادثيْن بين أطرافٍ ما. وينجم ذلك التعاقد ذاته عن ذيْنِك (أي المشاركة والتّبادُل).

[2] وهوباحث وأستاذ جامعي فرنسي؛ متخصِّص في مجال تحليل الخطاب الإعلامي والسيميائيات والتعليميات، واللسانيات قبل كلّ شيء. له منجَزاتٌ علميّة ثريّة في هذا الصدد. نحيل القارئ إلى مرجعيّته المجموعة في صفحات موقع إلكتروني هذا رابطه: http://www.patrick-charaudeau.com/

[3] يُنظر:

Patrick Charaudeau, "Le contrat de communication dans une perspective langagière : contraintes psychosociales et contraintes discursives", in *Psychologie sociale et communication*, Bromberg M. et Trognon A (dir.), Dunod, Paris, 2004, consulté le 16 mars 2017 sur le site de *Patrick Charaudeau - Livres, articles, publications*. URL: http://www.patrick-charaudeau.com/Le-contrat-de-communication-dans,89.html

ولمّا قام التّبسيط العلمي ـ وهويتكفّل بنشر المعارف في وجه جمهورٍ واسعٍ جدّاً ـ ليظهر خارج جماعة المتخصِّصين التي نعلم أنّ المصطلح العلمي يستعصي على الفهم ـ نوعاً ما ـ إلاّ في دائرتها، فهوبالتالي مِن شأنه أن يتجلّى ـ وفق قيده التعريفي ـ ضمن وضعيّة تواصل متميِّزة عن تلك التي يظهر فيها الخطاب العلمي، وإلاّ فما الغاية من تبسيط هذا الأخير؟ وهوالسّؤال الذي يُصرّ باتريك شارودوعلى طرحه؛ بحيث يمكن اقتباسه في هذا السياق لمعرفة **خاصيات الوضعيات التي تظهر فيها الخطابات العلميّة وخطابات التّبسيط العلمي**.

ويمكن الإجابة عليه ـ من جهتنا ـ أوّلاً برفع لبس التعارض بين النّمطيْن (الخطاب العلمي في مقابل الخطاب التبسيطي). وذلك بالتّذكير بداءةً بأنّ فعل الاصطلاح ـ ومع سيطرة الآليات المنوَّه ببعضها أعلاه [1] ـ لا يُستبعد بالكلّ لحساب ما يُعتقَد مِن واجبات التّبسيط العلمي. وهذا يعود إلى ما أشرنا إليه أعلاه [2] وما يمكن الإفصاح عنه بدافع « حاجة الإنسان إلى المصطلحات لتسمية الأشياء والمفاهيم» [3]. وقد شرع هذا الأخير في حدث التسمية بدءاً مما وضعه مِن أدواتٍ عمليّة انطلاقاً مِن أبسطها إلى الأجهزة الضّخمة والدّقيقة، والمعقّدة في تركيباتها، والمحكمة في أنظمتها، والمحدّدة وظائفُها، وذلك على إثر ما أملته عليه الظروف الطّبيعيّة القاسيّة التي سخّرها

---

[1] أي: ترجمة، أوإعادة صياغة، أوإعادة تشكيل الخطاب القاعدي ..الخ، وسيأتي إيضاحها أدناه.

[2] ينظر : *2.2.1 مِن منظور غايات التبسيط العلمي.*

[3] نظر : Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, Linguatech (Montréal Québec, l)/ CILF (Paris), 1980, p.13.

في وجهها معبِّداً لنفسه الطريق نحوالتّقدّم العلميّ والتّطوّر التّقنيّ، وقد بدأ يهتدي إليها بينما كان في صراعٍ مع هذه الطّبيعة التي ما انفكّ يحاول التّحكّم فيها، فوضع يدَه على بعضِ سننِها واكتشف مصادر الطّاقة، وتعاقبت الاختراعاتُ العجيبة، فعرف بذلك تحسّنا في معيشته، وتنامت متطلّباته على قدر ذلك التّحسّن أوأزيد، كما تعمّقت تصوّراتُه للحياة والعالم والإنسان ذاتِه، وأصبح يتفلسف في معتقداته وإيمانه بالله وبوجودٍ آخر، فنتج عن ذلك كلّه ضرورة العمل على تكييف لغته مع كثافة الرّصيد المعرفيّ، وتكاثر الموجودات. فأمعن في التخصّص والتفرّع الذي أحدث نوعاً من التعقيد في التواصل بين نخبة تتحكّم في مقاليد التخصّص وفئة أخرى أمرها يحتاج إلى التيسير والتبسيط والتعميم حتى اقتضى الاحتكام إلى ما يدعى التعاقد التواصلي الذي يدعونا باتريك شارودوإلى تسخيره قائلاً:

( فإذا صحّت تبعيّة خطاب التبسيط العلمي، نظراً لخاصياته النّوعيّة، لشروط الوضعيّة التواصليّة التي يندمج فيها، فالسّؤال يُطرح لأجل تبيّن صحّة قيام ضرب واحد من الوضعيّة، أوالعديد من الوضعيات، ومن ثمّ لتبيّن ـ إذن ـ مدى قيام نمط واحد أوأكثر من الخطابات الموكول إليها مهمّة التبسيط العلمي. للإجابة على هذه الأسئلة، سنعتمد نموذج « التّعاقد التّواصلي »، الذي يخضع هوبالذّات للكيفيّة التي يمكن للوضعية التواصليّة أن يتمّ تصوّرها بمعيّة كافّة العناصر العضويّة المتّصلة بها ) [1].

---

[1] P. Charaudeau, Le contrat de communication dans une perspective langagière : contraintes psychosociales et contraintes discursives, in Psychologie sociale et communication (*dir.* M. Bromberg et A. Trognon), Ed. Dunod, Paris, 2004.

## 1.3 عِند مفهوم التعاقُد التّواصُلي

يعرِّف باتريك شارودو(التّعاقُد التَّواصلي) على أنّه « مجموع الظروف والشّروط التي يتحقّق فيها كلّ حدثٍ تواصليٍّ (مهما يكن شكله: شفاهي أوكتابي أوأحادي التلفّظ « مناجاة » أومتبادل التلفّظ « حوار»). وهوما يسمح للشركاء في عملية التخاطب بأن يتحدّدوا ـ كلٌّ في مقابل الآخر ـ باعتماد ملامح شبيهة ببعضها البعض بحيث تحدّدهم على أنّهم فاعلي هذا الحدث التواصلي (الهويّة). كما تخوّل لهم التعرّف على أهداف هذا الحدث الذي يحددهم بدقّة متناهية (الغاية)، ويسعفهم على التفاهم حول ما يشكّل موضوع التخاطب (الحديث) وعلى اعتبار وجاهة المقتضيات المادية التي تحدد هذا الحدث (الظروف) » [1].

فهكذا يَبرُز الوضعان المتلازِمان المتمثّلان في الوضعيّة التّواصليّة والتّعاقد التّواصلي على أنّهما شيءٌ واحِد. وذلك بسبب ما يُفهَم مِن تسميّة (التّعاقد التّواصلي) على أنّها تشير إلى جملة العوامل المتواتِرة، والتي تظهر ـ حتماً وعادةً وبالاعتياد ـ في مظاهرَ تسمّى شروطاً أوظروفاً هي التي تميِّز أيّ *وضعيّة تواصليّة* على حدة.

وبينما يُعيِّن اصطلاح (الوضعيّة التّواصليّة) ـ خلاصةً لما بلورَه باتريك شارودو ـ جميع ما تتشكّل منه شروط التبادلات اللّفظية وغير اللّفظيّة التي ستُنتِج لاحِقاً ما يتسمّى « التّعاقُد التّواصُلي »المنتوج عن ذلك الاعتياد والتواتر؛ ويتدخّل في تركيبتها كلٌّ مِن الشّركاء المتبادِلين والأمكِنة والأزمِنة

---

1 P. Charaudeau, Ibid.,.

عامّةً، وما يرتبط بموضوع التواصل وهدفه وكيفياته اللغويّة وغير اللّغويّة المتنوِّعة على وجه الخصوص، وهي الشّروط التي تستخلص ـ بصورة منتظمة دائماً [1] ـ مِن عمليات التّواصل المتواترة في مقامات معيّة ثمّ يُعتدّ بها على أساس أنّها تشكِّل ما يمثِّل نوعاً من قواعد ومبادئ تنهض بتأطير ذلك النّمط التواصلي المسمّى نسبةً إليها كأن يقال التواصل العلمي والتّواصل الإعلامي والتواصل التعليمي.

وعليه فليس الأمران سيان على وثاقة الصّلة بينهما. وفي سبيل تزكية التمايز بينهما نتساءل ـ تجنّباً للتكرار: ما هوالدّور الخِطابي التّخاطُبي [2] الذي يضطلع به كلٌّ مِن المعلِّم والإعلامي والعالم (المتوسّط / همزة وصل) [3]، بوصفهم ـ كما سنرى ـ حجرَ زاوية « التّبسيط العلمي» والحبل الوريد النّاقل للمعرفة بشتى نواتج قذائفها المتفجّرة بركاناً فوّاراً ونشِطاً ؟

وبعدُ، نجيب بالقول: إنّه يُتحرّى في وصف الثّوابت التي تُشكِّل **وضعيّة التّواصُل** الخاصّة بمطلب « التّبسيط العلمي»، تمييزاً له كإطارٍ مُفعِّلٍ ومُعبِّئٍ

[1] وهذا مِن مميِّزات أيّ عُرفٍ تواصليٍّ ومن شأن ما يرشّ أن يستوي على كرسي النّظاميّة في ملاحق تطوّراته.

[2] إنّ هذا الاستعمال ليس بدعة. فقد، ويمكن استمدادُه من. يُنظَر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتّخاطُب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.

[3] أسميناه هذه التّسمية نسبةً إلى وظيفة *الوساطة* التي يضطلع بها العالم بين ما يحمله من العلم ويُنتجه من الفكر والجمهور الواسع الذي يغرف من نبعه. ويمكن أن يتطابق هذا القيد التعريفي مع مفهوم المستوى العلمي الذي نعرف أنّه يتنامى بالاحتكاك بالبحث ويتضاءل بمقتضى التجافي الذي يحدث بين العالم وعالَم البحث.

للمقتضيات النّفسيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة التي تتعالق بتلك الوضعيّة، شريطةَ مداومة هذه الأخيرة بحيث تتطلّع إلى التّعالي حتى تلج باب التّرسُّخ في تقاليد التعامل التي يستجلبها ذلك المطلب من أجل تسويغ مقامه الابستيمولوجي (العلمي الفني العملي) [1]. يجري الحديث هنا عن تلك الوضعيّة التي يجب على شركاء التبادل اللّفظي أن يأخذوها بالاعتبار على أكمل وجهٍ ممكن. وإذا تعطّلت حتميّة الأخذ بها فيُترقَّب استحالة التفاهم المخمَّن فيه على هؤلاء الشّركاء الذين يطالَبون بتحسين الأداء التواصلي في كلِّ مقامٍ يقام لفائدة التبسيط العلمي خصّيصاً، وأن يتحسّسوا تلك المقتضيات القسريّة التي ما هي بقواعد ولا معايير نهائيّة [2]. وإنّما هي مجموع الاصطلاحات الضروريّة التي على الرغم من ذلك فهي غير كافية ولا تقوم بوحدها. لا تتمّ هذه الهَيْكلة والبَنْيَنة (Structuration) المشتركة والمتبادلة بطريقة عشوائيّة. وإنّما يُعمَد إليها ضمن وضعيّات مآلها الاستقرار والتنميط (أي: إلى غاية حدوث قولبتها في أشكالٍ قارّة)، وذلك بفعل التواتر؛ مشكِّلةً عدداً من المقتضيات وكمّاً من المعلمات لصالحٍ الشركاء المندمِجين في نسقها التّبادلي المتحرّى.

---

[1] يُنظَر مفهوم الاستجلاب المعرفي التّعليمي أوالنقلة التعليمية (Transposition didactique): يوسف مقران، أثر النّقلة التعليمية في إصلاحات التعليم العالي: نظام (ل م د)، ضمن إصلاحات التعليم العالي والتعليم العام: الرّاهن والتوقع (أعمال اليوم الدراسي المنعقد في جامعة البويرة بالشراكة مع مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، يوم 22 أفريل 2013)، مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي ــ وزو، 2013، (ص.37 ــ 52).

[2] وذلك على الرّغم مِن رميها إلى التقعيد والمَعْيَرة في نهاية المطاف.

فكذلك يُسهِم التّعاقُد التّواصلي في بَنْيَنَة وضعيّة تبادل لفظي تبعاً لشروط تحقّق أفعال الكلام، بحيث تتماشى ومقصديّة الفرد المتكلِّم وإمكانات الفرد المتلقّي والمؤوِّل على أن يؤوِّلها. نتواجد ههنا إزاءَ إشكاليّة التواضع والتعارف: أي حتميّة انطواء الشّركاء على مشترَك من المعطيات المعرفيّة، ليس بالنسبة لأفكار ما فحسب، ولكن بالنّسبة لمقتضيات علائقيّة تمكّنهم من التعرّف على السياق الذي يلتزمون التبادل في إطاره. إنّ تبيّن التّعاقد هوما يمنع القدرة على الرّبط بين النصّ والسياق، بين القول القول وسياق القول (المقام)، بحيث يصبح واجب التبيّن لا يشغّل المعطيات المعرفية وفنّ القول فحسب، بل إرادة القول والقدرة على القول.

فالتّعاقد إذن ـ يقول باتريك شارودو: « هوما يتكلّم قبل أن يكون أحدٌ قد تكلّم، هوما يتمّ فهمه قبل أن يسبق أحدٌ إلى قراءة شيء. وبتعبير آخر، فإنّ منظومة التعارف المتبادل بين مُنتِج أفعال الكلام ومتلقّيها، تلك التي تنبثق عن التعاقد تجعل النصّ المنتوج يدلّ أولاً بوساطة شروطه التواصليّة: فحينما نلمح لوحة إشهاريّة في الشارع، نكون قد أبصرنا معنى كلّ ما يتعلّق بالخطاب الإشهاري، قبل أن نشرع في قراءة خصوصيات اللوحة المعنيّة؛ وعندما نسمع بيان رجل سياسة في شاشة التلفاز، نكون قد استشرفنا فهم ما يحيل على الخطاب السياسي الخاصّ بمترشّح للانتخابات، قبل الإمعان في تلقّي ما يكون هذا المترشح في صدد التصريح به على وجه الخصوص؛ وكذلك حال الأستاذ الذي يشرع في إلقاء درسه في المدرَّج ويكون الطلبة قد استبقوا إلى ترسيخ في أذهانهم المعطيات التي يرتبط بها مثل هذا التعاقد التعليمي؛ وفي سياق استلام رسالة ما، فبموجب المؤشّرات التابعة لهذه

الأخيرة والتي ترتسم على صفحات الظَّرف (أوأعلى الصفحة) يتمّ استحضار التعاقد الخاصّ بالرسالة الإداريّة، والضريبيّة والمهنيّة، أوالحميميّة. فقسمٌ من المعنى يكون قد تمّ بناؤه قبل الولوج في خصوصيات النصّ، وهوما يُنجزه التعاقد التوالي، بحيث يتمّ من خلاله تحديد فاعلي التبادل تحديداً مبالغاً فيه نوعاً ما » [1].

## 2.3 الوضعيّة والتعاقد التواصلي الخاص بخطاب التواصل التبسيطي

إذا أخذنا في تأمّل مشهد الخطابات العلميّة التبسيطيّة من زاوية مطلب إنتاجها، فيمكن الحكم مسبقاً بأنّ الخاصيات الخطابية المتعلِّقة بالنّصوص التي تنتجها إنّما تخضع، في جانب كبير، لكيفيّة تمثّلها لإكراهات الوضعيّة التواصليّة التي تتواجد فيها. وعليه، أليس من الضروري، قبل تحديد هذا النمط من الخطاب، استعراض الوضعيات التي لها صلة ما بهذا الأخير، تلك التي تتعلّق بالخطاب العلمي والخطاب التعليمي والخطاب الإعلامي ؟

### 1.2.3 وضعيّة التواصل الخاصّة بالخطاب العلمي

إنّ غاية الخطاب العلمي تنطبع بوجهة البرهنة، أي عزيمة إقامة الحجّة الدامغة التي تستلزم نشاطاً حجاجيّاً يؤسِّس لنمطٍ ما من التفكير العقلاني (بناءً على مصادرات وقواعد)، وكفيل بأن ينتقي الحجج التي بالإمكان إحلالها محلَّ الشواهد. من هنا سينبلج خطابٌ وفقَ تنظيمٍ ثلاثي الأطراف: الشّكلنة (جرد

[1] P. Charaudeau, Le contrat de communication dans une perspective langagière : ..

جملة من أسئلة)، الموضعة (التزام الفرد بالحجاج حول موقف معتنق)، الإقناع (تحضير استراتيجيات الشواهد)، بمقتضى مقاربة افتراضيّة استنتاجيّة.

هويّة الشركاء هي هويّة الأقران، أي الأفراد الذين يفترَض أن يقوموا على مرجعيّات مماثلة من المعرفة المتخصِّصة، وأن يشتركوا في موقف الحياد الإيديولوجي الواحد. هكذا، حتى يمكن لمطلب إنتاج الخطاب العلمي الاستغناء عن بعض الشروح والامتناع عن استهلاك معجم متخصّص يُفرَض إدراكه من قبل مطلب التلقّي الملحّ. هذا، مع العلم أنّ الفرد العالِم، بينما يعبِّر شفاهةً أوكتابةً، يعي بأنّه يتوجّه لمتلقِّين على اختلاف أنواعهم، على الرغم من تموقع هؤلاء ضمن نفس المجموعة العالمة، أومجتمع المعرفة. بالطّبع، هم أنفسهم صور لمواقف متنوِّعة معزَّزة عن طريق نظريات مختلفة، فبالتالي على الفرد المضطلع بالخطاب العلمي أن يأخذ في الحسبان هذا التنوّع في التموقعات، ما يحمله على الردّ مسبقاً على بعض الاعتراضات التي يمكن أن تواجهه. وهوما يسفر عن ضرورة إعمال توافق بين الطابع الاستشهادي وهمّ المعارضة.

إنّ فحوى الخطاب العلمي، إذا أمكن القول، يظلّ دوماً ضحيّة الاستهداف، إذ يُسجَّل في إطار تيمة كبرى مكوَّنة من موضوع الدراسة ومن المادة العلمية التي تتصدّى له بالدراسة، والتي تشكِّل تركيبتها ما يمكن تسميته السؤال. فمثال التيمة الكبرى الموسومة « الإنجاب » يمكن دراستها من قبل اختصاص الكيمياء الحيويّة، فيزياء الجزيئات أومن قبل اختصاص تابع للعلوم الإنسانية والاجتماعية (علم النفس، علم الاجتماع .. الخ)؛ في خلال كلّ حالة من هذه الحالات، ستتخصّص تلك التيمة إلى تنوّع موضوعاتي.

أمّا فيما يخصّ الظروف المادية المحيطة بفعل الإنتاج، فهي ذات طابع الحديث الأحادي الطرف حينما تقوم على النّقل (الشفاهي أوالكتابي) بوساطة محاضرة أومقالات يتمّ نشرها في دوريات متخصّصة (أوعبر النيت)، أوذات طابع المناقشة الثنائية (ولكن نادرة جدا) لما يقع تبادل النقاش في الملتقيات أوبمناسبة لقاءات الباحثين.

### 2.2.3 وضعيّة التواصل الخاصّة بالخطاب التعليمي [1]

تختصّ غاية الوضعيّة التعليميّة، منظوراً إليها من زاوية الفرد الذي يتولّى مهمّة التعليم، بوجهة ثلاثيّة الحدود: فهي إعلاميّة وتنبيهيّة وتقويميّة [2]. تقوم الوجهة الأولى على نقل المعرفة (علماً أنّ هذه الأخيرة يمكن أن تمثّل معطيات علميّة أومهارة)، وذلك بهدف جعل المتعلّم ينتقل من وضع الجاهل (غياب المعرفة) إلى مقام ذي علمٍ. فالمعلّم يسجّل حضوره، وفق هذه الغاية، على أنّه وسيط بين المعرفة بما يتوفّر عليه من مرجعياتها، وبين التلميذ، قائماً على دوره موجِّهاً. والمعرفة التي يراد نقلها تأخذ طابع موضوعٍ ممثّلٍ للحقيقة

---

[1] تشمل النّزعة التّعليمية المقصودة ههنا كلاًّ مِن السياق المدرسي وغيره من السياقات التي يُحتكَم فيه إلى هذه النزعة من باب همّ الإخبار والإفهام والتحسيس والتوعية ..الخ؛ فليس من الضّروري أن يكون تعليميّاً (مدرسيّاً) خالِصاً؛ ولكن مِن الأحسن أن يصدر عن مورد بشري يقوم مقام المعلّم أوالمكوّن أوالأستاذ ..الخ.

[2] يُنظَر:

Patrick Charaudeau, "Le contrat de communication dans la situation classe", in *Inter-Actions*, J.F. Halté, Université de Metz, 1993, consulté le 17 mars 2017 sur le site de *Patrick Charaudeau - Livres, articles, publications*. URL: http://www.patrick-charaudeau.com/Le-contrat-de-communication-dans.html

(مهما يكن تحديدها)، فهي صالحة للإنسان (وإلاّ لم تكن أهلاً للتعليم). تقوم الوجهة الثانية على مواجهة العراقيل التي قد تعترض مسار التعليم والتعلّم التي توشك أن تصدر عن التلميذ الذي لا يرغب في التعلّم (الرفض، النسيان، شرود الذهن، الملل ..الخ)، أوجراء عدم استطاعة هذا الأخير (العجز العقلي والنفسي المشخَّص من قبل الشركاء المنضوين في المنظومة التربويّة). فيجب إذن على المعلِّم أن يحتكم إلى استراتيجيات لغرض إثارة اهتمام المعلِّم بل رغبته في التعلّم. أمّا الوجهة الثّالثة فهي تقوم على مراقبة مكتسبات المتعلِّم فيما يخصّ المعرفة والمهارات، وهي التي يتمّ تجسيدها عن طريق علامات أوملاحظات تقييميّة. بينما يسجِّل التلميذ حضوره في شكل العمل الذي يؤديه وهويبادر إلى تطبيق تعليمات المعلِّم (فالتعاقد يسقط في حال تبيّن أنّ التلميذ يرفض الانصياع والعمل).

فهويّه الشركاء، كما تسطِّرها هذه الغاية، هي تدخل في علاقة عدم تناظر. إذ أنّ المعلِّم، من جهة، هومكرَّسٌ بمقتضى سلطة مؤسّساتيّة، كما يراد منه أن يمتلك ملكة معرفية وأخرى مهاريّة ذات علاقة بغاية التعاقد المعني (أي ينطوي على معرفة كفيلة بالنّقل ويعرف كيف ينقلها). فبالتالي على التلميذ أن يأخذ على الكلام الذي يصدر عن المعلِّم ويعتدّ به على أنّه يمثِّل الحقيقة. ذلك أنّ التلميذ موكَل إلى تلك المكانة من قبل المؤسسة الاجتماعية باعتباره بمنزلة عديم المعرفة، ولكنّه صاحب همّة وعزيمة ورغبة في التعلّم (بحيث يبزغ مشكل كلّما كفّ هذا الأخير عن إظهار علامات الرّغبة، أي لا يعمد إلى تقدير التعاقد التعليمي).

إنّ فحوى الخطاب التعليمي يرضخ لطبيعة المادة التعليمية التي تخضع هي في ذاتها لتمفصُلٍ حتميٍّ عبر المنهاج. وهوما يمثّل إلى حدٍّ ما « موضوعات الحقيقة » التي يندب تعليمها.

أمّا الظّروف الماديّة فهي متنوِّعة، بما أنّه يمكن التعليم في مختلف الوضعيات وبوساطة مختلف السندات التي ينطوي كلٌّ منها على نوعيّة معيّنة من المطالب ذات الآثار على كيفيّة التعليم: وضعيّة الصف في جومن التفاعل بين المعلّم والمتعلّم، الكتاب المدرسي المرفق أوالمعوِّض، الدروس عن طريق المراسلة، السندات التكنولوجية المتنوِّعة ..الخ.

### 1.3.3 الخطاب الإعلامي وأهميّته في التبسيط العلمي

لقد شرعت فكرة التبسيط العلمي تقترن بوسائل الاتّصال والإعلام قاطبةً منذ أواسط القرن التّاسِع عشر مع صدور حشد من الجرائد التبسيطيّة وانتشار مجلاّت تعميميّة وظهور سلسلات علميّة ونزول موسوعات علميّة إلى السوق بدءاً من موسوعة ديدروالشهيرة. فانطلق شعار « وضع العلم في متناول الجميع» وأخذ عامّة الناس يقتنون كتباً ومجلاّت تعالج موضوعات ذات صلة بالمفاهيم العلميّة التي راجت قبل القرن وآناءه، بعدما كان العلم حكراً على الخاصّة وخاصّة الخاصّة.

ثمّ لا ننسى أنّ الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا خلال هذا القرن قد لعبت دوراً فعّالاً في استقطاب جمهور القرّاء من مختلف الفئات الاجتماعيّة، كما كان لصراع الطبقات دور في إذكاء الاهتمام بالعلم لدى الطبقة المتوسِّطة التي ظلّت ترتقِب فرص سانحة لتولّي مراتب عالية في المجتمعات الأوربية التي

ما انفكّت تحاول التخلّص من التبعيّة والنزوع نحوالحريّة وهوالمبدأ الذي اتّخذ عدّة مظاهر فتجلّى في الأدب والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ولاسيّما في المذهب الرومانسي تياراً جارفاً ترك آثاره على المنحى التبسيطي والتعميمي الذي ناشده العصر حينئذ على جميع المستويات بما فيها العلم.

ومع هذا الولوج الحاشد للتبسيط في عالم الإعلام الذي ما انفكّ يتزايد، فقد لاحظ باتريك شارودوأنّ الغاية تختصّ في الخطاب الإعلامي التبسيطي عموماً بازدواجيّة المنحى: منحى الإخبار ومنحى الإثارة [1]. يقوم منحى الإخبار على حمل المعرفة إلى الغير، أي المواطن الذي يُفترض أنّه لا يمتلك تلك المعرفة سابقاً. بيد أنّ هذا المنحى غير موحى إليه بتمليك المعرفة، كما هي حال وضعيّة التّعليم، بقدر ما هومسدّدٌ لغرض حيازة المتلقّي على فرصة تكوين فكرة معيّنة. ولتعليل هذا الفعل، وجب اختصاص تلك المعرفة بملامح الصحّة والصّدق. فهمّ الإعلام يُرغِم على « وصف الحقيقة وقول الحقّ»، ليس الحقّ الذي يزعم أنّه الحقيقة الوحيدة، ولكن الحقّ الذي يطابق هذه الحقيقة. وعليه، تعتزم أجهزة الإعلام على مجابهة مشكل المصداقيّة وحلّه. ما يضطرها إلى تسخير استراتيجيات في سبيل تأصيل الأحداث وإثباتها بشهادات ووثائق، ومكاشفات عن طريق مقابلات، وتحريات ومناقشات وسجالات، وتحاليل وتعليقات، تغطّي أسباب الأحداث وكيفياتها.

---

[1] يُنظَر:

Patrick Charaudeau, Le Discours d'information médiatique: la construction du miroir social, Ed. Nathan (Coll. Médias-recherches), Paris, 1997, p.74.

أمّا همّ الإثارة، فهي من قبيل وضعيّة التنافس الاقتصادي الـذي تتعـايش معه أجهزة الإعلام: تحت دواعي الضغوط المالية تحاول جاهـدةً علـى بلـوغ أرقام قياسيّة من حيث استقطاب القرّاء، والمستمعين والمتفرِّجين. ولحذق هذا المنحى، تتوسّل بإجراءات الإخراج الخطابي التي تميل إلى تضخيم الأحـداث ومسرحتها، معتمدةً عامل المعتقد الديني والشعبي وباللّعـب علـى العواطـف الجماهيريّة والتغنّي بها [1]. نلاحظ أنّ غاية التواصل الإعلامـي، مـع منحـاه المـزدوج (الإخبـار والإثـارة)، مطمـوسٌ بمنطـق ثلاثـي الأوجـه: الوجـه الديمقراطي، والوجه التجاري، والوجه التحريضي.

## 4 تفاوت صور التبسيط العلمي وتشكيلاته الخاصّة

نستخلِص مما سبق من العـرض المتعلِّـق بوضـعيات التبسـيط العلمـي أنّ الصورة التي تصل من هذا التّبسيط عبر الإعلام تختلف عن تلك التي يتولاها المعلِّمون. وتختلف كلتاهما عن نسخة العلمـاء. ولكـن لا يكـون الاخـتلاف شاسعا إلى درجة تمييع المعلومات العلميّـة وتشـويهها وتضـييعها، أوتعقيـدها وتحجيرها، أوتضخيمها، أوحتى تحجيمها والاستخفاف منها: وهي أبعـد مـا تكون من مقاصد تحجيزها. كمـا أنّ الوضـعيات الخطابيّـة ـ بحسـب باتريـك شارودوـ تلعب أدواراً مختلفـة وفـق المجموعـات الثّلاثـة، وهـي الحاسمـة في طرائق التبسيط وأشكاله ودواعيه وأهدافه.

[1] Rappelons-nous la façon dont les médias ont traité aussi bien la mort de la princesse de Galles que les guerres en Bosnie et au Kosovo. Voir P. Charaudeau (Éd.), La télévision et la guerre, Louvain-la-Neuve, Ina-De Boeck, 2001.

### 1.4 تشكيلة التبسيط العلمي بحسب التعليم

فالمعلِّمون لكونهم ينقلون صورة المعرفة العلميّة بشكلٍ رسميٍّ فهم مطالَبون بتنفيذ تعليمات المناهج، ويعملون تحت ضغوط أخلاقيات المهنة، ووفق بيداغوجيا تسلِّم بضرورة التدرّج قبل الخلود إلى التكوين العلمي النّهائي، وينتهون بنواهي وزارات التربية ويأتمرون بأوامرها ويعملون في حدود النّقلة التعليميّة (Transposition didactique) التي تكرّسها كلّ تعليميّة لأيّ مادة مدرسية كانت؛ ويُخضعون المتعلِّمين لأنواع التقويم قبل بلوغ مرحلة التّكليل بالتحصيل العلمي الختامي. فينتقل هؤلاء حينئذٍ إلى مستوى طلبة العلم ويتخرّجون مِن الجامعات بعدما كانوا طلبةً للعلم فيشتغل بعضهم في وظائف بحسب التخصّص الذي يتدرّبون في رحابه بالتنويع بين التدقيق والتعميم دائماً. وهم يتلقّون التعاليم مبسّطة مع تطوّر العلم بما يوحي إليهم بأنّهم يخرجون كلّ مرّة من عنق زجاجة الجهل إلى فضاء العلم ولوفي صورته المبسّطة، إلى حيث يتمّ اجتياز بعضهم لعقبة التخصّص واعتلاء آخرين مرتبة العلماء. فصناعة هؤلاء وقولبتهم يمرّ حتماً عبر المدرسة على الرغم من توفّرها لعوامل التبسيط هي الأخرى، ويستثنى بعض العصاميّين النّجباء الذي كثيراً ما يحتفل بهم الإعلام ـ كما سنرى ـ بيد أنّ التعلم ليس وقفاً على نخبة ولا حصراً على سنٍّ. فعلاوة على مبدأ الدمقرطة فقد عرفت البشرية توسيع دائرة التعلّم بتسخير وسائل البثّ العلمي الممكنة كالتعلّم عن بعد.

ومِن العوامل التي تقضي بالسّهر على التّبسيط العلمي حتى في السياق المدرسي نذكر عجز الكِتاب المدرسي عن تغطيّة حاجة المتعلِّمين مِن التلاميذ

والطلبة. ثمّ إنّ هؤلاء كثيراً ما يعوِّلون على ذلك الكتاب القاصر شكليّاً فحسب؛ وفي حال حدوث إقدامهم على قراءته فتحت سلطة المعلِّم ـ والأستاذ ـ الذي يعي هوالآخر محدوديّته، وبإيعازٍ من ضغوطٍ أخرى كقدَر الاختبارات التقويميّة المحتوم. وكذلك أمام تعقّد بعض المفاهيم واستعصائها ـ وفي ظلِّ كلّ المقاربات التي تخوِّل لهم استقلاليّة التعلّم [1] ـ يحسّ المتعلِّمون أنفسهم ضائعين كأنّ لا أحدَ يهتمّ بهم.

وعليه يبرز الإلحاح على ضرورة تدخّل المورد البشري المساعِد والحريص على إنتاج نصّ مبسِّط كفيلٍ برعايتهم كرفيق لعلّه يولِّد لديهم الرّغبة في القراءة. وهوالمورد الذي مع ارتكاسه إلى دورٍ ثانويٍّ فمِن شأنه أن يحرّرهم من بعض القيود والمخاوف التي تعطِّل عادةً ميولهم نحوالمطالعة المستمرّة؛ فيزوِّدهم بدعامة محبّة الاطّلاع، ويحفِّز فيهم الرغبة في القراءة، ويستثير عندهم فضول الاستكشاف وحسّ توسيع الآفاق الفكريّة.

وهوالأمر الذي يستدعي منّا العود على فكرةٍ سبق لنا أن ساندناها [2]، وهي ضرورة إسناد وظيفة الإيحاء والإيعاز للكتاب المدرسي علاوةً على وظائفه الأخرى المعروفة عالميّاً. وبتعبير آخر، نطالب من هذا السياق السعي إلى ضرورة جعل من الكتاب المدرسي حاوياً على النصوص التي من شأنها أن تكون إيحائيّة أكثر من كونها مضمونيّة، أي تحتوي على معلمات الإيعاز

---

[1] وذلك على غرار المقاربة بالكفاءات، وكذا نظام (لمد) ..الخ.

[2] يُنظَر: يوسف مقران، النصّ الأدبي سندٌ ممتاز لتعليميّة اللغة، وكذلك: كيفيات تكييف الكتاب المدرسي لمستجدات العصر، مداخلة قدّمت في الملتقى المغاربي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة،

والحثّ وتعبيد الطرق أمام المتعلِّمين تؤدّي إلى عناوين لكتاب وعلماء وسير الأعلام أكثر من استهدافها للمعلومات، وأفضل من اعتبارها مجرّد خزّانٍ تُستَنفد إمكاناتُه بسهولة، ويقرأ برتابة لا معنى لها سوى شهادتها على إمكانية تجاوزها زمانيّاً على الخصوص. كما يليق بالكتاب المدرسي أن يحوي نظرات إلى العالم والكون والإنسان ..الخ، تساوق الثقافة التي تؤطّر المتعلِّم منذ نعومة الأظفُر.

وعلى الرّغم من الوثوق في فكرة أنّ المعلِّم يعمل كلَّ ما في وسعه لاقتسام رصيده المعرفي مع المتعلِّمين الذين ينتظرون منه أقصى ما يمكن من العطاء الفكري والأداء التربوي، فإنّ الخطاب التعليمي الذي يمارسه لا ينزل دائما عند رغبات هؤلاء وعلى قدر إلحاح نزواتهم. فهويستجيب لنوعٍ من نمطيّة لا تيسِّر عليه مهمّة مراقبة مدى بلوغ المعلومات إلى الأذهان بَلْهَ عن التحقّق من تحوّلها إلى شكلٍّ من المعرفة التي تتميّز عن مجرّد المعلومة؛ « ذلك أنّ المعلومة إن كانت أداة للمعرفة، فهي ليست معرفة بالرّغم من ذلك. المعرفة معطى خام. إنّها المادة الأولية لبناء المعرفة »[1].

وقد سبق لكلٍّ مِن بيار بورديو(P. Bourdieu) وباسيرون (J.-C. Passeron) أن تبنّيا هذه الفكرة في مؤلّفهما المشترك (إعادة الإنتاج / La reproduction) حيث وضعا درس المحاضرة الذي يعتمده الأساتذة موضع الشكّ لكونه يستدعي فروقاً وفوارق في الوسط الطلابي وهوالراجع إلى

[1] عبد السلام بنعبد العالي، المعرفة والمدرسة، نـزوى، ع.73، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط (سُلطنة عمّان)، يوليو2012، (ص.256 ــ 258)، ص.257.

اختلاف المرجعيات بين هؤلاء والحال أنّ الأستاذ يتبنّى خطاباً كثيراً ما يُسقط عليه ثقافته الشخصيّة ما يساعد على توسيع هوة تلك الفروق الشخصيّة والفوارق الاجتماعيّة [1].

## 2.4 تشكيلة التبسيط العلمي بحسب الإعلام

أمّا الإعلاميّون فهم ليسوا ملزمين بعرض الثقافة العلمية باتّباع حلقات برامج حرفيّاً. بيد أنّ عنصر الإثارة الذي تحتكم إليه أجهزة الإعلام هوما يعدّ المحرِّك الأساس بدون منازع ولكن - أيضاً - بدون إعدام روح المبادرة والشفقة وحبّ خدمة المصلحة العامّة. ويتفاوت الإعلام من الصحافة المكتوبة والإعلام المرئي، وما يتمّ في رحاب الورشات والمنتديات والمقاهي العلمية والأدبية والفلسفيّة التي تقام في رحاب المكتبات والحصص التلفزيونية والإذاعيّة، وما يبثّ على الانترنت من الفيديوهات وما يكتب على صفحاته من مواد التبسيط العلمي على غرار اليوتيوب، وبعض المسودات والألواح والكاشفات المسموعات الإعلامية التبسيطية كموسوعة الويكيبيديا. علاوة على ما يقام من عروض مسرحيّة للأطفال غرضها التعليم بالترفيه. وكذلك يُسخَّر فنّ الرواية لهمّ نقل المعرفة. ما يكفل الاتّساع النسبي لحضور الأدب في الخطاب التبسيطي.

والحال أنّه ليس كلّ الإعلاميِّين مؤهَّلين على إيصال الثقافة العلميّة إلى عامة الناس. لذلك يلاحظ إقبال القراء أوعزوفهم بناءً على نوعيّة الخدمات التي يقدّمها الإعلام التبسيطي. وعلى الرغم من ذلك فإنّ المؤشّرات تشير إلى

[1] يُنظَر: P. Bourdieu et J.-C. Passeron, La Reproduction, Ed. Minuit, 1970.

أنّ معدّل القراء المقبلين على التبسيط العلمي الإعلامي أكثر بكثير من ذلك الخاص بالمتعاطين مع التبسيط العلمي الذي يتولاّه العلماء إلى درجة أنّ في الجامعات يعاني المشرفون على المذكّرات بشتى أنواعها وكذا يشكوالمناقشون من إفراط استعمال الإعلام والانترنيت كمصدر المعلومات العلمية وكمرجع يستشهد به. ولا نقصد من ذلك ما يكتبه العلماء الباحثون من مقالات ويتم نشرها في الانترنيت حيث تحجز ولصعوباتها وعلومستواها فإنّ الباحثين الناشئين لا يعرفون حتى كيفيات التوصّل إليها بل لا تجد عند كثيرٍ منهم إلماماً باستخدامات SNDL. في الجزائر. يعانون من مشكلة قوامها صعوبة المصطلحات وعدم توحّدها. لهذا ينصرف الكثير إلى مثل هذا الوسيط بدل، ويضيّعون الوقت والمال بحثاً على المعلومة بالمقارنة الحصيفة بين المصطلحات.

وحينما يُمعَن النّظر في منجزات الإعلام ولاسيما في باب الصحافة المكتوبة فليس لأحدنا إلاّ أن يقع ضحيّةَ الافتتان بانتصارات الكتابة بكلّ ثرائها وتعقيدها. وقد أوجد هذا التفنّن ـ بما تزخر به اللغة مِن طرائف ضمنيّة وما تتيحه من سبل ومظاهر وظواهر على مستوى التبسيط العلمي ـ أرصدةً أخذت تُستخلَص منها الدّروس ـ مجدَّداً ـ وظلّت وحياً للعديد من الحِكم والفرائد والفوائد، كحال كثيرٍ مِن المواقع الإلكترونيّة التي استُحدِثت لأغراض التّبسيط العلمي والتي ما فتئت تُسخَّر ـ مثلاً ـ مِن أجل حماية الطّبيعة مِن المخاطر المحدقة بها على غرار: الكوارث البشريّة مِن « التّلويث» ، واستنزاف ثرواتها باسم الاستثمار، والتمادي في سوء

الاستغلال بدون التفكير في البدائل [1]. وكـذلك نُلفـي منهـا مـا هومخصّـص للحفاظ على سـلامة الصـحّة البشـريّة والتهدئـة مِـن روع أنصـار الحـروب المشتعلة نيرانُها ولا تزال غير خامدة في بعض جهات العالم المتوتّرة. وتسخيراً دائماً للبعد التعليمي الذي ما فتئ يلازم التبسيط العلمي فقد تعدّدت مواقع الانترنت وتشعّبت في شـأن التّعليـم عـن بعـد وهـي تحمـل طـابع التثقيـف والتبسيط أكثر من التخصّـص والتبريـز بالشّـهادات. وقـد ابتكـرت في هـذا الإطار مجلاّت ذات غرض التوعيّة والتحسيس كشأن مجلّـة (Distances et savoirs) الصّادِرة بالشّـراكة مـع المركـز الـوطني للتعلـيم عـن بعـد أي [2] (CNED). ولا ننسى ما لعبته مجلّة (العلم والحياة / Science & vie) وتعدّ سلسلة (عالم العرفة) من أجود الكتب التي تعنـى بـالعلوم والثقافـة والفنـون والترجمة وكذلك العربي العلمـي. في فرنسـا هنـاك إعـلام مكتـوب ومرئـي متخصِّص في التبسيط نذكر على غرار المجلة المذكورة آنفاً متخصصـة في بـث حصص تحسيسية يطغى عليها طابع التبسيط العلمي على غـــــــــــرار France Culture, Sciences Humaines, Libération, Médiapart, Le Million, Science et Vie, Toute la science, Tout l'Univers,

---

[1] ينزَل مثلاً علـى: http://www.reseau-canope.fr/docsciences/Maitriser-l-energie-informer-et-convaincre.html وهوموقع تحت عنوان مستعار (DocSciences Junior). ويعنى بكلّ فئات من الصغار حتّى الشيوخ. يتصفّح مثلاً هذه الصفحة الخاصّة فئة القاصرين:

Accueil > Les numéros Junior > DocSciences Junior n°3 : L'énergie De nouveaux horizons

[2] le Centre National d'Enseignement à Distance حيـث تجـد هـذا الـرّابط معمـولاً لتوجيـه المتصفِّحين

http:// webo. refad. ca (cliquer sur : amorcer la recherche. Type de publication : revue)

Vous saurez tout, Je sais tout, Clefs des connaissances, Alpha, Spoutnik, Constellation, Sciences et Avenir, Atomes, etc.)

ذلك أنّ الصحافة ليست مجرّد إخبار ولكنها تقوم بتوجيه الأفراد لالتماس برّ النجاة من الطوفان. وعليه، فلا مانِعَ إن وجدت ضالتها في التّبسيط العلمي، لأنّ الإنسان يقتنع بالعلم أشدَّ اقتناع وبثقة عمياء. بيد أنّ هذا العلم بدون تبسيطه وهوواقع في أيدي نخبة من الناس لا يؤدّي وظيفته العمليّة العميقة. بالتالي، فعلى هذه الصحافة النّيرة أن تقوم بدور الإعلام والتثقيف في آن، بتكثيف منشوراتها التّبسيطية ومباشرة الاستثمار حتى في الإشهار الذي أطال البعد التبسيطي هوالآخر.

### 3.4 تشكيلة التبسيط العلمي بحسب العلماء

أما مجموعة العلماء الذين يمارسون التبسيط والتعميم وشيئاً من التوعيّة للصالح العام، فهم أولئك الذين يقفون بالمرصاد إزاء التطوّر العلمي ليصحبوه بمنشورات تبسيطيّة تكييفيّة استجابةً لسياسات واقتصاديات البلاد التي ينتمي إليها كلُّ فريق منهم، لأنّ المعرفة كنز واقتصاد ورصيد وقوّة؛ ودمقرطة الثقافة والعلم والمعرفة من الشرائع التي نصّت عليها القوانين الشرعية التي تسيّر البشريّة وليس اليونيسكوبدعاً في هذا الخصوص. بل لهذا الأمر أنشئ البحث العلمي في الجامعات والمراكز والوحدات العلميّة. وفي سنة 1944 تمّ التنصيص على حريّة التعبير في البحث العلمي منصرِفاً في قواعد حكيمة وإطلاقاً لأعنّة الاكتشاف والاستكشاف وهمم الإبداع والاختراع، وتكسيراً لبعض القيود التي كانت تسلّم مصير العلوم إلى أقليّة ولضغوط لا يستجيب لها سوى كمشة من العقول، بل كانت تزفّ به في أيدي المترصِّدين مِن المستغلّين له في المصالح الضيّقة جدّاً. وصموداً أمام

معاملات الحرمان التي تمارسها نخبة صغيرة من بعض المتواطئين مـن العلمـاء والخبراء والعملاء الاقتصاديّين والسياسيّين.

وعليه، فما هناك شـكٌّ في بصـمات العلمـاء فيمـا يخـصّ إعـادة تشـكيلة المعرفة بينما هي في طفرة متزايدة، وبينما هم عـاكفون علـى نشـرها مبسَّـطة مخفّفة. وبالمقابل هناك مِن الخدمات التي يُسديها التّبسـيط العلمـي التّعميمـي للعلماء أنفسهم ما يمكن تلخيصه في عضدهم في عمليّة التخيّل المعبَّـأة علـى المستوى اللّغـوي التّواصـلي وفي شـأن وضـع التسـميات وتبسـيطها. وهـي العمليّة التي يفتقر إليها هؤلاء بسبب ضيق أوقاتهم المخصّصـة أكثـر للعمـل الإبداعي الذي لا يعدم التخيّل مهما يكن مِن نوعٍ خـاصٍّ سـبق لكـثير مـن الابستيمولوجيين أن وصفوه بامتياز. إذ بينما تُشغَل الأوقـات لـدى العلمـاء وتُكرَّس للبحث العلمي لا يمكن لهم أن يعنوا بنفس الدّرجة الـتي يعنـى بهـا من يهب حياته كلّها ـــ وقـد يكـون مـن فئـة العلمـاء [1] ـ لشـأن التبسـيط. وكنتيجة لهذه الحالة فقـد لاحـظ محلِّلوخطـاب العلمـاء (الخطـاب العلمـي) المتأثِّر بنزعة التوعية والتحسـيس المسـتجلَبة عـن مطالـب خطـاب المبسِّـطين (تَعِت) [2] لطائف لغويّة تنمّ عن العبقريّة.

ولا يسعنا في هذا المضمار إلاّ أن نذكر إسهاماً عربيّاً ذا فضـلٍ كـبيرٍ علـى تشكّل القريحة العلميّة بالعربيّة وهوالعالم المصري الجليل علي مصطفى باشـا

[1] هذا، على الرّغم مِن أنّ فئة المبسِّطين المعمِّمين فئة غالباً ما تكتسي بالضبابية إلى درجة اعتبارها مفهوماً فضفاضاً. إنّ هذا المسألة قد سبق لنا أعلاه أن قدّمنا رأينا في شأنها.

[2] إنّ التعبير بتسـخير المختصـرات كـثيراً مـا اسـتبعد مـن الحـرف العربـي. وهـذا خطـأ فـادح. « الحروف الأولى التي تبتدئ بها بعض السور القرآنية ». فلواعتمد هذا لكتب له الانتشـار. كمـا أفدنا في سياق حديثنا عن التعاقد التواصلي. ينظَر: العربي، ع.

مشرّفة (1898 ـ 1950) الملقَّب بآينشتاين العرب والـذي يعـدّ أوّل عربـى نال درجة دكتوراه في العلوم (Phd)، والسبّاق إلى تأليف كتـب في التبسـيط العلمى يمكن الإشارة إلى بعـض عناوينهـا، وهـى الثلاثـة الآتيـة: مطالعـات علمية (1943)، والعلم والحيـاة (1946)، ونحـن والعلـم (1945). كمـا أقنع الإذاعة المصريّة بأن تقدّم بـرامج (أحاديـث علميّـة) تخاطـب الجمـاهير العامّة بحيث سجّل بين سنتيْ 1939 إلى غاية 1942 حصصاً إذاعيّةً تناولت شتّى نواحي الحياة مركِّزةً على علاقة العلم بالمجتمع، ونشـرت تحـت عنـوان سلسلة أحاديث كلية العلوم [1].

## خاتمة

ومما تقدم أحسب حساباً لأهميّة التبسيط العلمي وتعميم الثقافـة العلميـة في الأقطار العربيّة من قبل مختلف الشركاء: العلمـاء والمعلِّمـين والإعلامـيين الذين يعدّون باحثين وناقلين وحاملين لتلكم الثقافة. وذلك بعد تحكّمهـم في شؤون المعرفة والابتكار والاستكشاف المتجذِّرة في كافة الممارسـات الحياتيـة والعملية الثقافية الاجتماعية، وعنايتهم بأشكال تقـديمها وعرضـها وإيصـالها إلى النّاس عامّةً عبر إتقان الممارسات الخطابيّة الناجعـة لهـذا المسـعى. ولكـن دون أن يؤثر ذلك سلباً على مسار البحث العلمـي والاختبـاري والتجـريبي والتخميني ولا يمسّ جوهر الفلسفة التي تـتحكّم في تقدمـه ولا منطـق النقـد الميسِّر لاستمراره. مع العلـم أنّ تقـدم الأمصـار لا يـرتبط بعـدد باحثيهـا في مجالات العلم المتشعِّبة فحسب، بل يتعدّاه إلى عدد المنشـورات مـن المقـالات العلمية الوجيهة والوظيفيّة وما يُذاع تبعاً في صيغة التبسيط العلمي التّعميمي

[1] اطّلعنا على هذه المعلومات من خلال حصّة بثّت في قناة/*الجزيرة القطَريّة*، يُنصت لفيديورابطه:
https://www.youtube.com/watch?v=5qZnZrbjwcw

الذي يمهّد الطريق لأجيالٍ من الباحثين الذين يحملون مشعل التقدّم العلمي لاحقاً ومن جديد. وذلك علاوةً على تفعيل التوعية الموجّهة صوب عامّة الناس والمرتكزة على تقديم شروح حول كيفيّة الإفادة من المعرفة تطبيقيّاً بتسخير قاطرة التبسيط العلمي التّعميمي دائماً، وذلك لإثارة الاهتمام بالعلم وتعلّم اللغة المفكِّرة بربطها بالواقع والمجتمع الذي يتلهّف نحوتلقّي العلم من عيونه وينهله من مصدر التبسيط العلمي أيضاً.

# إسهام الطرائق النشطة في ترقية تدريس اللغة العربية
## - التعليم الثانوي أنموذجا -

د. شلوف حسين
أ. باحث بمخبر اللغات والترجمة
جامعة الإخوة منتوري، جامعة قسنطينة 1.

**مقدمة :**

أ – تعريفها

ب – حضورها في الفكر الانساني

1- مقومات الطرائق النشطة وخصائصها

2- وظيفية الطرائق النشطة

3- معايير الطرائق النشطة

أ- النشاط

ب- الحرية

جـ- التربية الذاتية

4- مجالات الطرائق النشطة

أ – تنشيط الدروس

ب – المناقشات

جـ- بناء المشاريع

**5-مزايا الطرائق النشطة وبعض نقائصها**

**6-الطرائق النشطة وتدريس نشاطات اللغة العربية في التعليم الثانوي العام والتكنولوجي بين الواقع والافاق .**

**أ- واقع ممارسة الطرائق النشطة في مراحل التعليم العام عموما والتعليم الثانوي خصوصا بالنظام التربوي الجزائري .**

**ب- افاق إسهام الطرائق النشطة في ترقية تدريس اللغة العربية**

**جـ- النشاطات المقررة في المنهاج**

1- النصوص الأدبية

1-1 قواعد النحووالصرف

1-2 البلاغة

2- المطالعة الموجهة

3- التعبير الشفوي

4- التعبير الكتابي

**د – على مستوى الطاقم الإداري هـ- على مستوى المحيط /**

## مقدمـــــــــة

لقد شهد العالم تقدما ملحوظا منذ بداية القرن العشرين في كثير من مجالات التنشئة الاجتماعية ورعاية المتعلمين والعناية بهم؛ مثل تقديم الرعاية الصحية، وتطوير المباني المدرسية ومرافقها والخدمات التي تؤديها وتحسين الوسائل التعليمية وتطوير الإدارة المدرسية. وإلى جانب هذا المجهود كله ظل التدريس محل اهتمام القائمين به يسعون دوما إلى البحث عن أنجع الأساليب لتيسيره وترقيته. وقبل التعرض إلى هذه الأساليب، عسي بنا أن نقف على مدلول التدريس من حيث هومصطلح، حيث إنه مصدر للفعل الرباعي "درّس" بتشديد الراء، إذ نقول: درّس، يدرِّس، تدريسًا. ومعناه قام بإعطاء الدروس عن خبرة وتجربة وحنكة وعلم.

وقد عرف "التدريس" من وجهة نظر تقليدية على أنه عملية تبليغ الحقائق والمعارف والمفاهيم إلى المتعلم داخل الحجرة الدراسية[(1)] .أما المحدثون من رجال التربية والبيداغوجيا فينظرون إلى التدريس على أنه عملية تفاعلية أوتواصلية ما بين المعلم والمتعلم يحاول فيها المعلم إكساب المتعلمين المعارف والمهارات والاتجاهات والخبرات التعليمية المطلوبة مستعينا بأساليب وطرائق ووسائل مختلفة تعينه على إيصال الرسالة مشاركا المتعلم فيما يدور حوله في الموقف التعليمي.

وفي الوقت الذي نجد التأكيد على أن وظيفة التدريس هي التواصل، نجد ما يؤكد على أن وظيفة التدريس هذه هي إحداث التعلم ومن أن التدريس سلوك غرضي مقصود يتيسر من خلال الأفعال التدريسية.

ومما سبق، يكون التدريس نشاطا مهنيا يقوم على ثلاثة أسس رئيسة هي: التخطيط والتنفيذ والتقويم ويستهدف مساعدة المتعلمين على التعلم وهذا النشاط قابل للتحليل والملاحظة والحكم على جودته، ومن ثم تحسينه(2). وينشط فعل التدريس المعلم، وهوالمكلف رسميا من قبل الهيئة الرسمية تعليم التلاميذ في إحدى مؤسسات التعليم (مدرسة، ثانوية، معهد، كلية...إلخ) بقصد تحقيق أهداف تعليمية تدريسية معينة. وحتى يكون هذا الفعل ذا فاعلية وجدوى فإنه يتطلب –فيما يتطلب- ما يأتي:

-أن يتوافر المعلم على كفاءات التدريس. وهي مجموعة المعارف والمعارف الفعلية والمعارف السلوكية والاتجاهات والمواقف اللازمة التي تمكنه من النجاح في أداء وظيفة التدريس. ومن أهم هذه الكفاءات:

- ✓ إتقان مادة التخصص التي سيقوم بتدريسها.
- ✓ المعرفة بالخصائص النفسية للمتعلمين.
- ✓ معرفة طرائق التعليم والتعلم.
- ✓ إتقان مهارات التدريس.

✓ توافر اتجاهات معينة خاصة بالمهنة (مثل الاتجاه الموجب نحوممارسة مهنة التدريس والاتجاه الموجب نحوإقامة علاقات حميمية شريفة مع التلاميذ، حيث إن المتعلم يزداد إقباله على التعلم عندما يشعر بأن المعلم يعامله معاملة لينة فيها رفق ومودة).

1- **الطرائق النشـــــطة:**

لقد تغيرت النظرة إلى التعليم اليوم، حيث لم تعد موقوفة على جمع المعرفة والتركيز عليها، بل أصبح التعليم اليوم يعنى بأساليب اكتساب المعرفة والقدرة على تفعيلها. وقديما قال ابن المقفع: "لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداوبه لم يغنه علمه"[03].

ويزيد ابن عبد ربه الأمر وضوحا فيقول: "العلم علمان: علم حمل وعلم استعمل، فما حمل منه ضرّ، وما استعمل منه نفع. فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثير يحفظه القلب"[04].وهكذا، يكون كل من ابن المقفع وابن عبد ربه قد اهتديا بالفطرة الصائبة والوحي الصادق إلى أن المعرفة الناجعة هي تلك التي يستطيع صاحبها أن ينزلها منزلة التنفيذ والتطبيق والتفعيل وإلا ظلت دون فائدة ودون جدوى.

وتبعا لذلك، تغير دور كل من المعلم والمتعلم في العملية التعليمية التعلمية، حيث صار المدرس موجها، مرشدا في سبيل إثارة فكر المتعلم وإذكائه لتمكينه من بناء معارفه وتفعيلها في مختلف مواقف الحياة المعيشة. بينما أصبح المتعلم يسعى إلى تفعيل مختلف ملكاته الفكرية لاكتساب المعرفة بنفسه والإبداع في تفعيلها واستفادتها؛ وذلك عن طريق البحث والتقصي. حيث إن "المعرفة خير من الجهل غير أن البحث والتقصي خير من المعرفة"[05]. وهذا ما تنادي به البيداغوجيات المعاصرة، التي كثيرا ما ارتبطت بالطرائق النشطة أي تلك الطرائق التي تسمح للمتعلم بتجاوز اكتساب المعارف إلى الوعي بالذات، واكتساب مختلف المهارات والقدرات والقيم والاتجاهات،

والقدرة على التفكير المنطقي وحل المشكلات وتقييم المفاهيم والثقة بـالنفس والاستقلالية.

أما والأمر على نحوما علمنا، فما الطرائق النشطة وما حضورها في الفكـر الإنساني البيداغوجي ومن هم روادها؟

**أ- تعريفها:**

إن إلزام المـدرس في تدريسـه بطريقـة معينـة وأسـلوب معـين في تنشـيط دروسه أمر لا يتفق والطرائق البيداغوجية الحديثة التي من مبادئها الدعوة إلى أن يكيف المعلم درسه ليوافق ظروف الموقف التعلمي الذي يواجهه بمـا فيـه من عوامل ومؤثرات. ولـذلك فلـيس هنـاك طريقـة معينـة يمكـن أن يتبعهـا المدرس في كل نشـاط بـل وفي كـل درس، وذلـك باعتبـار أن المـتعلم صـار مسهما فعالا في بناء معارفه عن طريق البحث والاكتشاف، فيكتسب قدرات ومهارات ومعارف فعلية وسلوكية، وإنما يتحقق كل ذلك بوسـاطة طرائق نشطة تتعدد فيها تقنيات التدريس وتتنوع بحيث:

-يدفع المتعلم إلى الاعتماد على النفس والتثبت مـن المعرفـة عـن طريـق البحث والاطلاع.

-يكون المتعلم محور العملية التعليمية-التعلمية ومركزها ومـن ثـمّ لا بـد من توجيهـه إلى أن يسـأل وينـاقش، يستفسـر، ويعـارض ويـثير الكـثير مـن التساؤلات ويستنتج.

-تثار المعلومات القديمة لأنها هي التي ستبنى عليهـا المعلومـات الجديـدة وتتلاحم معها وترتبط بها وتتفاعل معها وتكون مدركا جديدا.

**ب- حضورها في الفكر الإنساني:**

البيداغوجيا النشطة مصدر الطرائق البيداغوجية النشطة، ويرجع سبب ظهورها إلى المربي الألماني أدولف فيريير (Adolf Ferrière) حيث يرجع إليه الفضل في استعمال مصطلح المدرسة النشطة (L'école active) في منشوراته وذلك بدءا من أوائل القرن العشرين، ومثلت هذه المدرسة إحدى قواعد التربية الجديدة.

وجاء بعده فريني (1896-1964) Celestin Freinet فعمل على إذكاء فكرة المدرسة النشطة (L'école active) حيث كتب قائلا: "إن سبيل التحصيل المعرفي –لا يتم، كما نظن- عن طريق دراسة القواعد والقوانين ولكن عن طريق التجربة. وأن ندرس –أولا- هذه القواعد وهذه القوانين في اللغة الفرنسية، في الفن، في الرياضيات، في العلوم، معناه وضع العربة أمام الثيران". وبالنسبة إلى فريني، إن الطريقة في التدريس ترتكز على بيداغوجيا العمل؛ إذ إنه يرى بأن اللعب ليس هوالأمر الطبيعي للطفل بل العمل. فالطفل بحاجاته، ومصالحه وإمكاناته ينبغي أن يكون في صميم الفعل البيداغوجي.

وذلك لأن المدرسة، إنما تذكي التربية عن طريق التكفل بنشاطات ذات ارتباط بحياة المتعلم، ومن ثم فهي تسهم في تنمية الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية لديه. ولتحقيق هذا المبتغى، يوصي فريني بتنشيط الفعل التربوي بحيث يغلب فيه الجانب العملي التطبيقي على الجانب النظري. فيكون المتعلم في موقف بحث واكتشاف ومحاولة وخطأ وتجريب عملي متواصل

وتلمس الصواب والخطأ. وبهذا يصل إلى الشعور بالفاعلية الذاتية ومـن ثـم إلى الإبداع، وعلى المدرس أن يسعى إلى تطوير هذا الشعور باستعمال "التعلم البديل" بمعنى أن يزود المتعلم بمعالم تقنية أومفاهيمية هوفي حاجة إليهـا، وهنـا ينبغي على المدرس ألا يـبرزالمتعلم المـتمكن مـن عملـه علـى أنـه موهـوب أوظاهرة خاصة لأن هذا السلوك قد يشـعر المـتعلمين الآخـرين بـأنهم غـير مؤهلين للقيام بهذا العمل، اعتقادا مـنهم أن هـذا الإنجـاز خـاص بفئـة مـن المتعلمين دون غيرهم.

**وفي سياق التربية النشطة هذه، تظهر كذلك كوكبة من المربين منهم:**

**1-يوحنـا آمـوس كومنيـوس (1592-1670 Jean Amos omenius):**

فيلسوف تشيكي ولاهوتي، اشتغل في الحقل البيداغوجي فكانت لـه آراء ونظريات إصلاحية حيث إنه نـادى بتحويـل المدرسـة إلى "ورشـة إنسـانية / Atelier d’humanité" وهذا ما ورد في مؤلفه "التعليمة الكبيرة أوفن التعليم الشامل للجميع" الذي أصدره عام 1632 م، وفي هذا المؤلف يوصـي بـترك الطفل في العملية التعلمية، يكتشف، يناقش ويصنع دون فرض قيـود عليـه. وبالنظر إلى مكانة كومنيوس في عالم التربية والبيداغوجيا فقد سمـي "غـاليلي التربية" وإنه لمن رواد علم النفس البنائي ومؤسس البيداغوجيا الفارقية. ومن خلال أفكاره النيرة يمكن اعتباره من البيداغوجيين الأوائـل الـذين بحثـوا في الطرائق الناجعة لتفعيل التدريس وبالتالي يكون من مؤسسي اللبنات الأولى للطرائق النشطة في التربية والتعليم.

**2-جان جاك روسو(1779-1712 Jean Jacques Rousseau):**

يظهر روسوفي عالم البيداغوجيا مناديا ببيداغوجيا السعادة والحرية التي تستهدف الرضا بالفعل وحرية التعبير. وإن المرحلة الأولى للتربية عنده هي تلك التي تقي الطفل من الرذيلة والخطإ، وتمكنه من المعرفة والمعرفة الفعلية ويكون بمثل هذه الأفكار يتقاطع –في نظرته إلى التربية- مع المنادين بالتربية العملية. والمتفحص لكتابه إيميل أوللتربية (Emile ou de l'éducation) يدرك دون كبير عناء بأن روسويريد من الطفل أن يسهم في بناء تربيته وألا تملى عليه من غيره. لأن التربية الأصيلة البناءة هي تلك التي يتلقاها الطفل عن طواعية ورضا؛ وبالتالي تبقى راسخة في طباعه.

**3- مارية منتسوري (1952-1870) Maria Montessori** هذه الطبيبة الإيطالية التي كانت أول امرأة نالت دكتوراه في الطب عام 1896 م في إيطاليا، كانت ترى أن ذكاء الإنسان ينموانطلاقا من ممارسة التجارب الفعلية المجسدة؛ وبأن العملي ضروري للنظري. وأن التعلم الجيد متوقف على التعلم الذاتي. أي إن أي تعلم ناجع مفيد ينبغي أن يقحم فيه المتعلم وأن يكون عنصرا نشطا في بناء مكوناته، أما المدرس وهوالمنشط للفعل التربوي، فتنظر إليه منتسوري من حيث هوخلاق للجوالمناسب للتعلم والاستيعاب.

وعموما، فإن مارية منتسوري تنادي –في تنشيط الفعل التربوي- بتقوية حواس الطلاب، وجعلها مفاتيح المعرفة، وذلك حتى يظهر المتعلم مادة تعلمه بالفعل والإنجاز، وشعارها في ذلك "تأتي المعرفة عن طريق الحواس / **La connaissance vient par les sens**".

**4-أوفيد ديكرولي (Ovide Decroly 1871 /1932)**: وهوطبيب بلجيكي، وطريقته تتلخص في: "التربية من أجل الحياة وبالحياة / Une éducation pour la vie, par la vie". وعادة ما يتم التعلم عن طريق التقليد وبصورة شاملة كلية؛ ثم بالتدرج تكتشف جزئيات الأشياء وتفاصيلها، والمتعلم يقبل على التعلم بشهية بدلالة توافر عناصر اهتمامه في المادة التعلمية، واستجابة هذه المادة لانشغالاته. وهويرى أن الطريقة النشطة في التعلم تمر عبر ثلاث مراحل:

-**المشاهدة**: وفيها يدفع المتعلم إلى الاكتشاف، وتحديد عناصر التعلم.

-**الترابط**: وفيها يوجه المتعلم إلى الوقوف على الروابط بين مختلف العناصر المشاهدة.

-**التعبير**: وفي هذه المرحلة يستخلص المتعلم المادة التعلمية بجميع مركباتها وخصائصها.

**5-إيدوارد كلاباريد (Edouard Claparède 1873-1941)**: وهومرب سويسري، ومن مبادئ التربية التي ينادي بها أن كل بيداغوجيا يجب أن تؤسس على أساس التكيف مع المحيط الذي يعيشه الطفل. وذلك لأن كل فعل بيداغوجي يمارس بعيدا عن محيط المتعلم يبقى دون جدوى.

إن العمل على تكوين الطفل يستوجب العناية بانشغالاته واهتماماته والاستجابة لحاجاته. وللعب دور حاسم، ولهذا يستحسن تقديم المادة التعلمية في شكل لعبة مسلية، وعندئذ سنرى الطفل يبذل قصارى جهده من

أجل أن يتعلم. سنراه يبدع ويقترح ألعابا تربوية مختلفة برغبة وإقبال وحب وشغف، الأمر الذي سيحبب له الارتباط بعالم التعلم.

## 6-روجي كوزيني (1881-1973) Roget Cousinet:

وهوفرنسي اشتغل في عدة مناصب تربوية بدءا بمعلم في المدارس الابتدائية، فمفتش، ثم أستاذ البيداغوجيا. يؤثر العمل الجماعي، ويرى أن اللعب ليس هوالأصل في طبع الطفل وإنما العمل، حيث إن الطفل مفطور على الحركة. وإن دينامية الأفواج يمكن استثمارها في تنمية حوافز المتعلم ومبادراته، وحتى يأتي العمل الجماعي بالثمار المرجوة منه ينبغي أن يكون مبنيا على قواعد دقيقة، وأن النشاطات المختارة تكون من اختيار الجماعة وباتفاقها. ومن وجهة نظر كوزيني، فإن المربي الحق هوذلك المنشط الماهر الذي يبدع في اختيار النشاطات الصالحة للفوج الذي يعلمه، بحيث تكون هذه النشاطات مادة تعلمية خصبة ومفيدة للمتعلمين. إذ إن التربية الجديدة تستهدف النموالحر لشخصية الطفل أي النموالذي يسهم فيه الطفل بنفسه، لا أن يكون مملى عليه من غيره.

## 7-جون ديوي (John Dewey 1859-1952):

يعد جون ديوي –دون منازع- رائد التربية العملية حيث إنه أسس "المدرسة المخبر" وفيها أرسى تقاليد التدريس وفق حاجات الأطفال، كما أنه أكد على أن النشاطات اليدوية تمثل دعائم النشاطات الفكرية، وتجسيدا لأفكاره هذه قال ببيداغوجيا المشروع أوالتعلم بالمشاريع وهوأسلوب في التعلم يعتمد على

تشجيع المتعلمين على التقصي والاستكشاف والمساءلة والبحث عن حلول لقضايا شائكة، كما أنه يشجع على إظهار كفاءات ذهنية، تسمح بتوسيع دائرة معارف المتعلم من المجرد إلى الملموس. وشعاره في ذلك "Learning by doing" أي التعلم بالعمل (Apprendre en faisant).

وإجمالا، إن هؤلاء المربين في معظمهم يكادون يتفقون على خصائص مشتركة للطرائق النشطة في إدارة العملية التعليمية التعلمية وذلك من حيث:

-إن الأسلوب الأمثل للاكتساب لا يتمثل في المشاهدة أوالشرح والتدليل ولكن في التلمس التجريبي وهوالمسعى الطبيعي الملائم لفطرة الطفل.

-إن المكتسبات لا تحصل –كما يظن بعضهم- بدراسة القواعد والقوانين المتعلقة بالمادة التعلمية ولكن بالعمل على استنباطها واكتشافها بإجراء التجارب، وإن الذاكرة لا تكون فاعلة حقيقة إلا عندما تسهم في تفعيل التجربة وتثمينها.

-إن تقييم المتعلمين بالعلامات المنقوطة ثم العمل على ترتيبهم وفق هذه النقاط واتخاذ إجراءات عقابية ضدهم إذا كانت هذه النقاط ضعيفة تصرف تربوي خاطئ، لا يعالج شيئا في نقائصهم، إنه تصرف مذل ومن شأنه أن يغرس في المتعلم مركب نقص سيظل يسايره طوال حياته.

-منطق الطرائق النشطة يستوجب من المدرس الاقتصاد في الكلام وفسح المجال للمتعلمين كي يبحثوا ويجربوا ويكتشفوا من أجل بناء المادة المعرفية التي هم بصدد دراستها.

-النظام والانضباط والطاعة مكونات أساسية وضرورية لتنشيط الفعل التربوي بصورة مجدية وفعالة.

-إن الطفل يحب العمل الفردي والعمل الجماعي في إطار جماعة متآلفة، منسجمة ومتعاونة.

-إن الحياة الجديدة للمدرسة تتطلب التعاون المدرسي، يعني إشراك جميع العناصر الفاعلة في تسيير المؤسسة المدرسية.

-تدريب المتعلم على التفكير بوضعه في مواقف حل مشكلات، وبذلك يتمرس على اكتساب معارف جديدة وأساليب جديدة لمواجهة المواقف المعقدة، فتنمولديه ملكات الإدراك والتذكر والتخيل والفهم والابتكار.

-استهداف وضعية فعلية تتوافر على مشكلة، مبدأ الانطلاق في كل نشاط يقوم به المتعلمون(06).

من خلال هذا الاستعراض الموجز لأراء وأفكار هؤلاء المربين رواد الطرائق النشطة في التدريس،يتبين لنا حقا إنهم يتفقون إجمالا على ان المعرفة الحقة، الفاعلة لا تتم لا مرىء إلا بالعمل.

## 2- مقومات الطرائق النشطة وخصائصها:

تقوم الطرائق النشطة –أساسا- على إنجاز نشاطات فعلية، انطلاقا من المجهود المشترك الذي يبذله كل من المعلم والمتعلم، فعلى المعلم –من حيث هوالدليل الموجه في تنشيط الدرس- أن يحدّد استراتيجيا التعليم والتعلم، التي تبدوله أكثر ملاءمة لجعل المتعلم يكتسب مستوى أومستويات من الأهداف المرصودة للتعلم.

وضمن مسعى بناء هذه الاستراتيجيا، يحدد المدرس التعلمات -محور الدرس- والنشاطات التي ينجزها المتعلم وذلك في دائرة تنشيط الحصة التعلمية.

وما يجب على المتعلم أن يتعلمه، يصاغ بدلالة أهداف تعلمية تحقق في نهاية الحصة أوالمقطع التعلمي.

وما يجب على المتعلم أن يتعلمه يعبّر عنه بدلالة مهارات، والمهارة تصاغ بدلالة فعل إجرائي ومفعول به.

مثل يكتب نصا حجاجيا، والفعل الإجرائي يدلّ على المستوى المهاري، بينما المفعول به يدل على موضوع الدراسة.

وعموما، تقوم الطرائق النشطة على:

-إثارة التساؤلات لدى المتعلمين.

-توجيه المتعلمين إلى بناء معارفهم بأنفسهم بمختلف أنواعها.

-الاقتصاد في التلقين والإكثار من دفع المتعلمين إلى البحث والاكتشاف والتقصي.

-إكساب المتعلمين قدرات ومهارات ومعارف ومعارف فعلية ومعارف سلوكية.

-تدريب المتعلمين على الاستقلالية في العمل والمبادرة إلى الإنتاج.

وعموما، ترتكز الطرائق النشطة على الأسلوب الذي تبلغ به المعرفة؛ حيث لم تعد المعرفة محل اهتمام النظام التربوي بل التلميذ نفسه. ومن هنا لم

يعد المتعلم يتلقى المعرفة جاهزة عن طريق التلقين بل أصبح يوجه إلى اكتشافها، وبنائها عندما يشعر بحاجته إليها.

إن البيداغوجيا النشطة تتطلب تعلما فعليا أي تعلما أصيلا مبنيا على البحث والاكتشاف، وعن طريق هذا البحث والاكتشاف يصل التلميذ إلى بناء معارفه الجديدة شيئا فشيئا.

وللمزيد من الإيضاح، يجدر الوقوف على خصائص الطرائق النشطة التي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

-تنشيط العمل والتفكير ضمن الأفواج: في هذه الوضعية، يعتمد المدرس معارف المتعلمين القبلية ليعمل على تنميتها وتطويرها، كما أنه يسعى إلى جعلهم يتبادلون تجاربهم في نطاق حواري ثري.

-اعتماد بيداغوجيا الخطإ عن طريق وضعيات مشكلة.

يقرّ بعض المختصين في التعلم المنظم أن المتعلم يزداد تعلمه أكثر عندما يعاين الخطأ ويعمد إلى تصحيحه أوعندما يواجه صعوبات، لأن الوضعيات المشكلة تكون دائما متبوعة بتصور عن النجاح المرتقب، الأمر الذي يسمح بتنمية الشعور بالفاعلية الذاتية.

-تيسير العلاقة بين المعلم والمتعلم، وذلك بفتح مجال التعبير الحر.

-إقحام المتعلم في المشاركة والإسهام في بناء معارفه.

-اتخاذ القرار بشكل توافقي بين المعلم والمتعلم.

-إنتاج وضعيات قريبة من الواقع: هنا، يعمد المدرس إلى جعل المفاهيم المجردة مفاهيم مجسدة. ومن ثمة يتمكن بيسر تحويل الوضعيات المجردة إلى

وضعية حقيقية معيشة ذات ارتباط بالوضع المعيش للمتعلم؛ عندئذ يكون الفعل التعلمي ذا دلالة بالنسبة إليه، فيترتب عن ذلك تيسير الاستيعاب عنده.

### 3ـ وظيفية الطرائق النشطة:

إن النمط من التدريس الذي يرتكز على اتخاذ المتعلم محور الفعل التربوي ذوعلاقة وثيقة بالتيار البنائي المؤسس على فكرة أن موضوع المعرفة يكون قابلا للاستيعاب عندما يبنيه المعني بالتعلم.

إن المتعلم في هذا السياق، يقحم في العملية التعليمية التعلمية ويصبح عنصرا فعالا وفاعلا في بناء أحكام المعرفة ولكن دون إبعاد ما يمكن للمدرس أن يقدمه من توجيهات للمتعلم في سبيل بناء المعرفة أوالموارد المرصودة، حيث إن الإقبال على تعلم شيء ما، يتطلب دائما وساطة فاعلة، هذه الوساطة في دائرة البيداغوجيا تتمثل في المدرس.

والطرائق النشطة تسمح للتلميذ بأن يشعر بأنه معني بالنشاطات التي تمارس داخل الحجرة الدراسية، وتدعوه إلى تبيان إمكاناته الفكرية والمهارية.

### 4ـ معايير الطرائق النشطة:

إن الطرائق النشطة من حيث هي أسلوب تربوي يعتمد أساسا على نشاط المتعلمين، تسعى إلى جعل هؤلاء المتعلمين يواجهون المشكل الذي تتوافر عليه المادة التعلمية بأنفسهم ليكتشفوا المسعى المؤدي إلى الحل. غير أن هذا الكلام لا يعني إلغاء دور المعلم أوالتقليل من أهميته؛ حيث إن دوره يبقى هاما إذ إنه يختار أسلوب النشاط وينظمه، ييسر تبادل الآراء بين المتعلمين،

يوجه إلى الحل، يعمد إلى تذليل بعض الصعوبات، يشجع المبادرات، يدفع إلى الشعور بالثقة في النفس والتميز في الأداء. غير أن هذا التميز لا يتأتى من الفراغ في ضوء التحديات العالمية الجديدة، في عالم يتطلب الجودة الشاملة في كل مناحي الحياة ويسود بامتلاكه أرقى أنواع التربية والتعليم؛ بل يتأتى من مدخل المعايير. ومن هنا، رسم خبراء التربية للطرائق النشطة معايير، نوضحها فيما يأتي:

أ-**النشاط**: ويقوم على النشاط التعلمي الذي يقوم به المتعلم مدفوعا برغبته الذاتية بهدف تنمية استعداداته وإمكاناته وقدراته، مستجيبا لميوله واهتماماته بما يحقق تنمية شخصيته وتكاملها، والتفاعل الناجح مع مجتمعه عن طريق الاعتماد على نفسه، والثقة بقدراته في عملية التعليم والتعلم.

وفي سياق هذا النشاط، يتعلم المتعلم كيف يتعلم ومن أين يحصل على مصادر التعلم.

ب-**الحرية**: في ضوء الحديث عن الحرية من حيث هي معيار من المعايير للطرائق النشطة، لابد من التذكير بطريقة التلقين القديمة التي كان يقدم فيها المدرس المعارف ويقف المتعلمون موقف المستقبل دون إبداء أي رد فعل. وقد تبين أن هذه الطريقة لا تسهم في خلق تعلم حقيقي وهي أقرب إلى تقييد ملكة المتعلمين الفكرية وإبعادهم عن التفاعل الإيجابي مع المادة الدراسية. لذا، كان للطرائق النشطة أن أخذت تنادي بضرورة إقحام المتعلم في الفعل التربوي بكل حرية وتشجيعه على المبادرة الذاتية. ومن مميزات هذا المعيار:

-تشجيع المتعلمين على تطوير مهارات الاتصال.

-تمكينهم من تبادل الآراء والخبرات.

-إذكاء النقاش بين المتعلمين والتوصل إلى حقائق بالإجماع.

-حث المتعلمين على مواصلة التعلم.

-تفعيل المعارف القبلية في مواقف جديدة.

-تشجيع المتعلمين على تقديم جميع الإجابات أوالآراء الممكنة.

وإجمالا يقوم هذا المعيار على حرية التفكير ويستخدم من أجل توليد أكبر قدر ممكن من الأفكار لمعالجة موضوع من الموضوعات المفتوحة للدراسة أوحل مشكلة من المشكلات.

ج -**التربية الذاتية**: إن الطرائق النشطة، في جوهرها، تعتمد المعارف التي يبنيها المتعلم بنفسه بما يراه مناسبا وبتوجيه من المدرس. وهي تسعى إلى غرس في المتعلم مبدإ الاعتماد على النفس في تكوينه؛ ولهذا، فهي توجيه إلى البحث، إلى اكتساب التجارب، إلى اكتساب المهارات في النشاط الفكري من حيث اكتساب القدرة على التلخيص وتحرير عرض حال، والمساهمة في بناء المشاريع إلخ... تدعوه إلى استعمال وقته بصورة فعالة والسعي إلى الحصول على موارد عمله منفردا وتوظيفها توظيفا ملائما.

إن الطرائق النشطة قد أحدثت انقلابا في النظر إلى تربية النشء وتكوينه بحيث غيرت مدلول الفعل التعليمي، فصار يعني دفع المتعلم إلى بناء معارفه ومعارفه الفعلية بنفسه وإلى بناء شخصيته بكل مركباتها وبكل ما تتطلب من تماسك وثبات، شخصية قوية متفائلة نافعة للمجتمع.

وضمن التربية الذاتية التي تطبع البيداغوجيا النشطة، يأخذ المتعلم دورا إيجابيا ونشيطا في بناء ذاته وفي التعلم بحيث يسعى إلى إتقان المهارات

الأساسية اللازمة لمواصلة تعليم نفسه بنفسه ليستمر التعلم معه خارج المدرسة وحتى مدى الحياة ولاسيما أنه يعيش عصر الانفجار المعرفي.

إن هذه المعايير الثلاثة مجتمعة تشكل طابع الطرائق النشطة التي تميزها عن سائر الطرائق التعليمية أوالتعلمية(07).

## 5ـمجالات الطرائق النشطة:

الطرائق النشطة من وجهة نظر بيداغوجية تجد فضاءها في ميادين ثلاثة هي: تنشيط الدروس والمناقشات وبناء المشاريع.

### أ- تنشيط الدروس:

إن التدريس يعد من ألوان الخبرات الحيوية التي تستند في تكوينها ونموها ونضجها إلى أصول معينة، وأسس محددة، ومقومات واضحة، ومعنى هذا أن التدريس ليس محاولات عشوائية، أوأعمال ارتجالية، تؤدى على أية صورة دون ارتباط بقاعدة أوتقيد بنظام.

وبناء على هذا المفهوم، هل يمكن أن يعد التدريس علما بالمعنى الذي يحدده العلماء على أنه مجموعة من الحقائق التي وصل إليها العقل البشري بالتجربة والتفكير، أوأنه فن يتألف من ضروب مختلفة من المهارات، وينطلق من الذوق، وبالتالي يختلف الناس في تقويمه والحكم عليه.

إن وقفة تأملية في خصائص العلم المرتبطة بالحقائق المقررة، والقواعد الثابتة التي لا يتطرق إليها الشك، وخصائص الفن الذي يستند إلى الذوق، والذي هومجموعة من المهارات اليدوية، أوالحركية، أوالصوتية ليدرك أن

المقومات الأساسية للتدريس هي تلك المهارات التي يعلمها المدرس تلاميـذه من استماع وتعبير وكتابة وغير ذلك.

ومن هنا، فإن التدريس من الأمور التي تغلب عليه الصفة الفنيـة، إلا أنـه كغيره من الفنون، يرتبط ببعض العلوم بصلات وثيقة مثل علم النفس وعلم أصول التربية.

وإذا أقررنا بأن التدريس فن، فمعنى هذا الإقرار أن الدروس تنشـط –لا محالة– في دائرة الطرائق النشطة؛ ومن هنا، تنشط الـدروس –وفـق الطرائـق النشـطة– بالاسـتناد إلى البـدء بالجزئيـات واستقصـائها، وصـولا إلى الحكـم الكلي، أوالقاعدة العامة، وفيها تستخدم الأسـئلة لاسـتنباط القواعـد المـراد تدريسها؛ أوتعتمد على تحديد المعلم موضوع الدرس لتلاميذه، ثم يرشـدهم إلى مراجعه، ويكلفهم بالبحـث عـن جوانبـه، وحقائقـه، مكتفيـا بالإشـراف عليهم من بعيد.

وقد يقوم تنشيط الدروس على مبدإ أن التلميـذ يـتعلم الحقـائق الجديـدة بمساعدة الحقائق القديمة، الغرض منها توصيل المتعلم إلى الحقيقـة والأحكـام المتعلقة بالدرس عن طريق البحث والاستقراء، والاستنباط. فيتعود التلاميـذ على التفكير القويم، والتريث في الحكم.

ولعل أهم نشاط تظهر فيه الطرائق النشطة بشكل بياني، واضح هوإعـداد المشاريع، ويرمي هذا النشاط إلى تكوين شخصية المتعلم، وتعويـده الاعتمـاد على النفس في حل المشكلات. ومن مميزات هذا النشاط أنـه يمـرس المـتعلم على الحياة الاجتماعية التعاونية، ويثبت فيـه روح الابتكـار. فيجعلـه يحـس

بوجود مشكلة، ثم يسعى إلى تحديدها. ثم يضع فرضيات لحلها بعد ترجيح إحدى الفرضيات.

وفي هذا الأسلوب حرية للمتعلم، وعناية بشخصيته، وإتاحة فرصة التفكير الذاتي المنظم له، وتعويده على الصبر، والبحث، والتأني قبل إبداء الرأي والحكم.

وعلى وجه الإجمال، يستهدف تنشيط الدروس في ضوء الطرائق النشطة إلى:

-تحفيز التلاميذ على التفكير الحر، والحكم المستقل، وبخاصة في دروس التعبير والنص الأدبي.

-عناية المتعلم بالمادة التعلمية وإثارة دافعيته وميوله وتشجيعه على العمل الإيجابي والمشاركة الفاعلة.

-تنمية الرغبة في العمل الجمعي التعاوني لدى المتعلمين.

-المرونة في بسط المادة الدراسية والتنوع في التنشيط، فتارة تتخذ طابع المناقشة وتارة أخرى صورة المشكلات.

-شعور المتعلم بمتعة التعلم والمنفعة مما يتعلم(08).

**ب- المناقشات:**

مما يؤثر عن الجاحظ قوله: "محادثة الرجال تلقيح للألباب"، والمدرس عندما يبني نقاشا بين المتعلمين، فإنه يكون بذلك قد أسهم في إثراء حصيلة المتعلمين الفكرية. حيث إن التحاور ينتج عنه دوما تبادل الخبرات والتجارب

والأفكار حول الموضوع محل الحوار. وفي خضم الحوار، تراجع الأفكار وتصحح المواقف.

ولهذا، كانت المناقشة والحوار دوما من استراتيجيات التعلم النشط؛ إذ فيها إثارة للمعارف السابقة وتثبيت لمعارف جديدة، والتأكد من فهم هذا وذاك، وفيها استثارة للنشاط العقلي الفعال عند المتعلمين، وتنمية انتباههم، وتأكيد تفكيرهم المستقبل.

والمناقشة في أحسن صورها اجتماع عدد من العقول حول مشكلة من المشكلات، أوقضية من القضايا ودراستها دراسة منظمة، بقصد الوصول إلى حل المشكلة أوالاهتداء إلى رأي في موضوع القضية. وللمناقشة –عادة– رائد يعرض الموضوع ويوجه الجماعة إلى خط الفكر الذي تسير فيه المناقشة حتى تنتهي إلى الحل المطلوب.

ومن مزايا المناقشة الدور الإيجابي لكل عضومن أعضاء الجماعة، والتدريب على طرق التفكير السليمة، وثبات الآثار التعليمية، واكتساب روح التعاون والديمقراطية وأساليب العمل الجماعي والتفاعل بين المعلم والمتعلم وبين المتعلمين أنفسهم.

وتصلح المناقشة في جميع مراحل التعليم. وتأخذ في المستويات العليا، وخاصة في المرحلة الثانوية صورة الجدل وتبادل القضايا والاتفاق حول رأي موحد في أحد الموضوعات المطروحة للجدل. ويعتمد نجاح المناقشة على تحديد موضوعها بدقة ووضوح بحيث تكشف للتلاميذ الخطوات المراد إنجازها.والمناقشة أنواع، نوجز أهمها فيما يأتي:

-**المناقشة الفاحصة:** يؤكد هذا النوع من المناقشة على السؤال والجواب بشكل يقود المتعلمين إلى التفكير المستقل، وتدريب الذاكرة. فالأسئلة يطرحها المدرس وفق نظام محدد يساعد على استرجاع المعلومات المحفوظة في الذاكرة، ويثبت المعارف التي استوعبها المتعلمون ويعززها، ويعمل على إعادة تنظيم العلاقات بين هذه المعارف، وهذا النوع من المناقشة يساعد المعلم على اكتشاف النقاط الغامضة في الأذهان لدى التلاميذ، فيعمل على توضيحها بإعادة شرحها من جديد أوعن طريق المناقشة. فالمراجعة المستمرة للمادة المدروسة خطوة تتيح الفرصة أمام التلاميذ لحفظ الحقائق المنتظمة، وتعطي المعلم إمكانية الحكم على تلاميذه حول مدى استيعابهم للمادة الدراسية.

-**المناقشة الاكتشافية الجدلية**: يعتبر الفيلسوف اليوناني سقراط أول من استخدم هذه الطريقة. فهولم يكن يعطي تلاميذه حقائق جاهزة أوقواعد جاهزة، ولكنه كان بأسئلة تارة ومعارضته تارة أخرى يقودهم إلى اكتشاف الحلول الصحيحة والقواعد الثابتة. كما أن هدفه لم يكن إطلاقا إعطاء التلاميذ المعارف، وإنما كان إثارة حب المعرفة لديهم، وإكسابهم خبرة في طرق التفكير التي تهديهم إلى الكشف عن الحقائق بأنفسهم والوصول إلى المعرفة الصحيحة.

وهكذا استخدم سقراط طريقته المشهورة في الجدل والتي أطلق عليها اسم "التوليد" أي توليد الأفكار من الذاكرة، ففي محاورة "مينون" لأفلاطون، يسأل سقراط "مينون" هذا السؤال: "ما تعريف الفضيلة؟"، يستسهل "مينون" السؤال فيجيب: "إن الفضيلة هي أن يستطيع الإنسان أن يأمر أويوجه الآخرين؛

ويعترض سقراط على هذا الجواب قائلا: إن الطفل يمكن أن يكون فاضلا وكذلك العبد ولكنهما لا يأمران الآخرين، ويجيب مينون ثم يعترض عليه سقراط، وهكذا، إلى أن يصل مينون بنفسه إلى التعريف الصحيح للفضيلة.

وهكذا، فإن سقراط ولد تعريف الفضيلة من إجابات مينون حيث إن مادة التفكير في حوار سقراط ومينون هي المعرفة التي يتوافر عليها مينون نفسه. وقد سمي هذا الشكل التوليدي للأفكار والمناقشة بالطريقة السقراطية(9) .وفيها يطرح المدرس مشكلة محددة للتلاميذ، تشكل محورا تدور حوله الأسئلة المختلفة الهدف، فتوقظ فيهم هذه الأسئلة معلومات سبق لهم أن اكتسبوها، وتثير ملاحظاتهم وخبراتهم الحيوية، ويوازي التلاميذ بين مجموعة الحقائق التي توصلوا إليها، حتى إذا أصبحت معروفة وواضحة لديهم يشرعون في استخراج القوانين والقواعد وتعميم النتائج.

وهكذا، يصلون إلى اكتشاف عناصر الاختلاف والتشابه، ويدرسون أوجه الترابط وأسباب العلاقات، ويستنتجون الأجوبة للأسئلة المطروحة عن طريق الاستدلال المنطقي. وبهذا يستوعبون المعارف بأنفسهم دون الاستعانة بأحد.

-**المناقشة الجماعية الحرة:** وفيها تجلس مجموعة من التلاميذ على شكل حلقة لمناقشة موضوع يهمهم جميعا ويكون مثار اهتمامهم، يعين قائد المجموعة المدرس أوأحد التلاميذ أبعاد الموضوع وحدوده، ويوجه المناقشة؛ ليتيح أكبر قدر من المشاركة الفعّالة، والتعبير عن وجهات النظر المختلفة دون

الخروج عن موضوع المناقشة، ويحدد في النهاية الأفكار الهامة التي توصلت إليها الجماعة.

وحتى تكون المناقشة ذات فاعلية، فعلى المدرس أن يراعي ما يأتي:

-استعمال الحيرة لا لتعجيز التلاميذ بل لترغيبهم وتشويقهم للبحث والمناقشة والتعلم.

-عدم إذلال التلميذ أوالحط من قدرته ومعرفته.

-استعمال الوسائل المعينة مثل: المسجل –مثلا- أثناء الحوار والنقاش الأمر الذي قد يسمح للتلميذ من تحليل إجاباته والتعرف على مواطن الضعف والقوّة فيها، أوالعودة إلى مرحلة أونقطة محددة في النقاش لبحثها وتفصيلها.

-ترقية معرفة التلميذ ورفع مستواه بالحوار والنقاش.

وإن إدارة النقاش لتحتاج إلى مدرس جيد يمتلك مهارات التدريس والمفاهيم والمعارف الجديدة، والقدرة على التفكير المنطقي، وقيادة المناقشة ليشارك أكبر قدر ممكن من التلاميذ. ومن مهارة المدرس في تنشيط المناقشة حسن بناء الأسئلة وذلك وفق ما يأتي:

-أن يكون السؤال واضحا بسيطا موجزا في صوغه، ليثير التلاميذ بسرعة وشغف.

-أن تكون هناك علاقة منطقية بين السؤال المطروح وما سبقه من أسئلة بحيث يسير الدرس في نظام متتابع يثير نشاط التلاميذ، ويساعدهم على حسن الفهم.

-أن تكون لغة السؤال واضحة سليمة محددة؛ لتكون استجابات التلاميذ متقاربة أوواحدة.

-أن يكون إلقاء السؤال بشحنة انفعالية مناسبة تستثير التلميذ وتحفزه إلى البحث والإجابة بسرعة.

-ألا يعتمد السؤال عند إلقائه إلى مفاجأة التلميذ وإرباكه.

-أن توزع الأسئلة توزيعا عادلا بين التلاميذ؛ حتى يضمن المدرس المشاركة الفعالة لكل التلاميذ وشد انتباههم ناحية موضوع المناقشة.

-أن تهدف الأسئلة إلى وضع التلميذ في موقف مشكل يجعله يفكر ويبحث ويكشف الحل المطلوب.

وليس من المبالغة في شيء، إذ أقر المربون المختصون في طرائق التدريس وفنه أن أسلوب الحوار والنقاش يبقى من أجود الأساليب في تنشيط الدروس وبناء المعارف والمعارف الفعلية والمعارف السلوكية لدى المتعلمين وذلك لما له من مميزات وإيجابيات نحوصلها فيما يأتي.

-يشجع المتعلمين على المشاركة في عملية التعلم ويستثير قدراتهم العقلية، نظرا لحالة التحدي العلمي الذي يعيشونه في الفصل مع أقرانهم.

-يجعل موقف التلاميذ أكثر فاعلية حيث يتحولون من مجرد متلقين إلى فاعلين.

-يساعد على تنمية أفكار التلاميذ لأنهم بأنفسهم يتوصلون إلى المعلومات بدل أن يتلقوها جاهزة.

-إثارة اهتمام التلاميذ بالدرس عن طريق طرح المشكلات في صورة أسئلة ودعوتهم إلى التفكير في اقتراح حلول لها.

-يساعد على تكوين شخصية سوية للتلميذ لأنه يعتمد على نفسه في التعبير عن آرائه وأفكاره.

-ينمي في التلاميذ عادة احترام آراء الآخرين، وتقدير مشاعرهم حتى وإن اختلفت آراؤهم عن آراء زملائهم.

-يثير حماس التلاميذ ويساعدهم على مواجهة المواقف وعلى عدم الخوف والتردد.

-يوثق الصلة بين المعلم والمتعلم.

-يدرب التلاميذ على تقويم أعمالهم بأنفسهم.

-يكسب التلاميذ اتجاهات سليمة كالموضوعية والقدرة على التكيف.

-يولد في التلاميذ مهارة النقد والتفكير والربط بين الخبرات والحقائق.

-يشعر التلاميذ بالفخر والاعتزاز وهم يضيفون إلى رصيد زملائهم المعرفي معارف جديدة

-ينبه التلاميذ إلى أن المعرفة لا تكتسب من مصدر واحد فقط، وأن الاستماع لأكثر من رأي له فوائد عدة.

وأخيرا يفيد هذا الأسلوب تربويا في تعويد التلاميذ على ألا يكونوا متعصبين لآرائهم ومقترحاتهم؛ كما يفيدهم في تلخيص وحوصلة أهم الأفكار التي توصلوا إليها والتي تضاف إلى رصيدهم الفكري والثقافي[11].

**ج-بناء المشاريع:**

من النشاطات التربوية التي تظهر فيها الطرائق النشطة بشكل جلي بناء المشاريع. حيث إن عملية إنجاز المشاريع تندرج ضمن النظرة البنائية إلى التعلم، فهي نظرة تقرر أن المتعلم لا يكدس المعارف التي ترد إليه وإنما يبنيها. ولا يتيسر البناء إلا من خلال ممارسة المتعلم نفسه. ومن هنا تتجلى أهمية إنجاز المشاريع في عملية التعلم. فإنجاز المشاريع يرقى بخبرات المتعلم ويسمح له ببناء معارفه، ومن ثم يتيح له ما يأتي:

-الكتابة وإعادة الكتابة بحثا عن الإتقان والوضوح والدقة.

-إدماج المكتسبات المعرفية، والمكتسبات المتعلقة بتقنيات التعبير المختلفة.

-العمل الجماعي والتبادل ضمن الفوج.

-الاعتماد على وضعيات حقيقية تهيئ للحياة الاجتماعية ولمواجهة تحدياتها.

-مواجهة وضعيات مشكلة.

إن المشروع جملة من المهام يؤديها المتعلم لتفعيل مكتسباته وترسيخها وتجنيد مهاراته في إنجاز العمل المطلوب منه.

وإجمالا، يمكن القول بأن المشروع البيداغوجي يسخر في المتعلم مجموعة من القدرات مثل:

-البحث عن المعلومات.

-اختيار التوثيق المناسب.

-الإنجاز والمراقبة والنقد.

-التنظيم والتخطيط.

-التواصل مع الآخرين وحسن التصرف.

هذا، ويندرج بناء المشروع، من حيث هومجسد للطرائق النشطة، ضمن منظور إضفاء الفاعلية على المادة وتحضير المتعلم لتحمل ما ينتظره في الحياة بصفته راشدا وفاعلا في مجتمعه، وإذن فمن خلال تدرب المتعلم على إنشاء مشاريع صغيرة وإنجازها يرسخ في تقاليده ويسري في فكره الطموح إلى التخطيط للمشاريع الكبرى مستقبلا. ولاسيما إذا علمنا أن الإقبال على بناء مشروع يدفع المتعلم إلى المبادرة والاستقلالية ويشجعه على اختيار موضوع عمله بمفرده أوضمن جماعة، ويحثه على البحث والتفاعل مع الآخرين بشتى الأساليب والمهم أن يصل في النهاية إلى التعبير عن استقلاليته وقدرته على الخلق والإبداع.

ويمكن تلخيص أهداف بناء المشروع فيما يأتي:

-تكوين شخصية المتعلم بتفاعله مع غيره.

-الاعتماد على النفس والمبادرة بالسعي إلى البحث والتقصي.

-تثمين العمل الجماعي وما ينجر عنه من قيم.

-تحمل المسؤولية عند إنجاز المهام المسندة إليه.

-التبعية الإيجابية لأعضاء الفوج بالمساهمة المتبادلة.

-التعبير عن الاستقلالية والقدرة على الابتكار.

وإن بيداغوجيا المشروع تعد امتدادا للطرائق النشطة التي تجعل المتعلمين يبرهنون على قدرتهم المعرفية الفعلية، حيث تقترح عليهم إنجاز أعمال فعلية يدعون فيها إلى تسخير مختلف مكتسباتهم الملائمة.

**وهي تؤدي وظائف منها:**

-**وظيفة تحسيسية-تحفيزية:** حيث يكون المتعلم في وضعية تعلمية ذات دلالة تجعله يدرك أهداف العملية التعليمية-التعلمية، فيرتبط أكثر بالفعل التعلمي فيزيد إقباله على الدراسة.

-**وظيفة تعلمية**: حيث إن استغلال المعارف المكتسبة والقدرات والمهارات والكفاءات المأمول اكتسابها تحصل من خلال إنجاز المشروع.

-**وظيفة اجتماعية**: بإنجاز المتعلم لمشاريع ذات طابع اجتماعي يحصل على تكوين يهيئه لممارسة الحياة المدنية –مستقبلا- بصفته راشدا ومواطنا.

هذا، والجدير بالذكر أن كل مشروع بيداغوجي يمر بمسار للإنجاز على النحوالآتي:

-اختيار المشروع وتحديد أهدافه بإشراك التلاميذ، والتداول معهم في شأنه، وينبغي أن يكون المشروع:

- متوافقا مع ميول التلاميذ ورغباتهم.
- خصبا يثير أنشطة متعددة، ويمس مجالات عمل متنوعة.
- قابلا للتنفيذ.
- ذا ارتباط بالموضوعات المقررة، ومع بقية المواد الدراسية الأخرى.

-**تخطيط المشروع وتنظيمه**: يقوم المدرس بمعية التلاميذ بتخطيط المشروع في ضوء الاحتمالات الممكنة، وذلك لضمان عدم الإخفاق في تنفيذه، ويشمل ذلك تحديد الأهداف التي يجب تحقيقها من خلال

المشروع، ثم تقسيم المشروع إلى مراحل واضحة، وخطوات محددة، وبيان وسائل التنفيذ، ومصادر المعلومات، وكيفية الحصول على البيانات وأنواع الأنشطة، وتحديد المدة الزمنية لتنفيذه.

-تفويج المتعلمين حسب قدراتهم ورغباتهم.

-تنفيذ المشروع: تبدأ مجموعات التلاميذ في تنفيذ جوانب المشروع تحت إشراف المدرس ومساعدته، ووفقا لما تم الاتفاق عليه بالنسبة إلى التخطيط والتنظيم.

-تقييم المشروع: وتعد هذه العملية آخر مراحل المشروع، يناقش فيها المدرس التلاميذ فيما أنجزوه، فيقدمون إنجازهم وآراءهم. ويقيمون ما حققوه من أهداف، ومدى نجاحهم في عمليات التخطيط والتنظيم والتنفيذ، كما يتعرفون على مواطن الضعف، وأماكن الخطإ كي يعملوا على تفاديها مستقبلا.

وعموما، يجد المدرس في اعتماد بناء المشروع، استجابة لعدد من المستلزمات البيداغوجيا المترتبة عن النظريات التربوية البنائية للتعلم. فهولم يعد يحتكر المعرفة، بل أصبح دوره يتمثل في تنظيم الأنشطة والتوضيح من أجل انطلاق عمليات التعلم؛ غير أن هذا لا يلغي كونه يبقى المتصور لنشاط التعلم ومخططه ودليله.

بينما يجد المتعلم نفسه في وضعيات بناء تعلماته، فهومدعوإلى الإجابة عن الأسئلة أكثر منه إلى الإنصات. وإلى طرح الأسئلة أكثر من الاستعلام، وإلى تقصي جملة من الإجابات الممكنة أكثر من البحث عن السؤال الوحيد، وإلى بناء مسارات التعلم أكثر منه إلى تطبيق الصيغ الجاهزة. وإنما يتم كل ذلك في عمل بيداغوجي مفتوح ومتفاعل.

وعلى وجه التلخيص، فإن المتعلم في إنجازه للمشروع، يجند كل موارده من معارف ومعارف فعلية وقدرات ومهارات التي تقوده إلى تحقيق الأهداف المرجوة من المشروع(12).

## 6ـ مزايا الطرائق النشطة وبعض نقائصها:

تعتمد الطرائق النشطة على الموقف التعلمي الذي يستهدف تفعيل دور المتعلم من خلال العمل والبحث والتجريب، واعتماده على ذاته في الحصول على المعلومات واكتساب المهارات وتكوين القيم والاتجاهات. فهوموقف لا يرتكز على التلقين والحفظ، وإنما على تنمية التفكير والقدرة على حل المشكلات وعلى العمل الجماعي والتعلم التعاوني.

وللطرائق النشطة مزايا على الفعل التربوي نذكر منها:

-ارتباط التعلم بحياة المتعلم اليومية وواقعه وحاجاته واهتماماته.

-يحدث التعلم النشط من خلال تفاعل المتعلم وتواصله مع أقرانه وأهله وأفراد مجتمعه.

-يرتكز التعلم النشط على قدرات المتعلم، ووتيرة نموه وتطوره.

-يفتح التعلم النشط مجال المبادرة للمتعلم كي يبرز قدراته ومواهبه واستعداداته.

-يحدث التعلم خلال نشاط المتعلم وليس نتيجة له على عكس الطرائق التقليدية التي كانت تقيس تعلم التلميذ بكمية المعلومات التي يحفظها دون كبير عناية بعملية التعلم ذاتها أومسارها.

-استخدام استراتيجيات التدريس المرتكزة حول التلميذ.

-مساعدة التلميذ على فهم ذاته واكتشاف نواحي القوّة والضعف فيه.

-تنمولدى المتعلم اتجاهات وقيم إيجابية والقدرة على التفكير والبحث.

-يتعزز التنافس الإيجابي بين المتعلمين فتنموروح الاطلاع والتحصيل المعرفي.

-تتعدد مصادر الفعل التعلمي وتتنوع بقدر الحاجة إليها بمراعاة المستوى العقلي للمتعلم.

-يندمج المتعلم في مهمات تعليمية تعلمية تتناسب وحاجاته وقدراته الخاصة ومستوياته المعرفية والعقلية.

وتعرض المعارف بأشكال مختلفة، تتيح للمتعلم حرية اختيار النشاط الذي يناسبه من حيث خلفية المكتسبات السابقة وسرعة تعلمه، بغرض تحقيق الأهداف المرغوب فيها، إلى درجة الإتقان وتحت إشراف محدود من المدرس.

-المتعلم يشارك بشكل نشط في عملية التعلم ويولد المعرفة بتشكيل الارتباطات الفكرية بين المفاهيم، فعندما يحلل مادة جديدة، يدمج الأفكار

الجديدة بالمكتسبات القبلية وعندما تتطابق هذه بتلك يتم بناء علاقات وتراكيب جديدة لديه[13].ولعل تاج هذه الطرائق النشطة أنها تتيح للمتعلم فرصة التدريب العملي والممارسة حيث إن التركيز يكون منصبا على تكوين مهارات الاستماع والتعبير والقراءة والكتابة بوجه عام، والهام أن يصل المتعلم إلى التحكم في هذه الملكات الأربع، ويتعود على الابتكار والتجديد فيخرج بذلك من الموقف التعليمي الذي يكون فيه مستقبلا، مرددا لما اختزنه في ذاكرته.

وللطرائق النشطة مميزات على مستوى المتعلم والمنشط أوالمدرس والمؤسسة التربوية.

**أ-على مستوى المتعلم:** في التعلم النشط، يكون المتعلم مشاركا نشطا في العملية التربوية، حيث يقوم بأنشطة عدة تتصل بالمادة التعلمية مثل طرح الأسئلة، وفرض الفرضيات والاشتراك في المناقشات، والبحث والاطلاع والقراءة والكتابة والتجريب إلخ...

**ب-على مستوى المنشط أوالمدرس:** في التعلم النشط يكون دور المدرس أوالمنشط هوالموجه والمرشد والميسر للتعلم، فهولا يسيطر على الموقف التعلمي، ولكنه يديره إدارة ذكية بحيث يوجه المتعلمين نحوالهدف المطلوب، وهذا يتطلب منه الإلمام بمهارات هامة تتصل بطرح الأسئلة وإدارة المناقشات وتصميم المواقف التعليمية الشائقة والمثيرة وغير ذلك.

**ج-المؤسسة التربوية:** لم يعد دورها ينحصر في المجال الإداري الرتيب، بل يتعداه إلى متابعة نشاطات المتعلمين البيداغوجية وإعداد العدة لتمارس هذه

النشاطات في الفضاء البيداغوجي الملائم وبتوثيق تربوي ووسائل مادية رافدة للنشاط التربوي مثل الحاسوب، المسجل، الجهاز العاكس، أشرطة فيديوإلخ... بالإضافة إلى تنظيم رحلات وزيارات إلى أماكن من شأنها دعم مكتسبات المتعلمين النظرية.

لقد بات من الضروري اعتبار المؤسسة التربوية وحدة قاعدة يمكن تجنيدها لإحداث التغيرات التي تتماشى مع الطرائق النشطة. غير أنه ينبغي أخذ الحيطة والحذر من التغيرات السطحية التي لا تمس سوى التنظيم الداخلي، فالأمر يتعلق بإحداث تغييرات في الممارسات، الأمر الذي يتطلب دعم التكوين الداخلي أي تكوين الطاقم الإداري بغية امتلاكه للغة مشتركة في مجال النشاطات القائمة في المؤسسة.

وانطلاقا من هذا المسعى، يصبح دور رئيس المؤسسة مختلفا عما كان عليه من قبل، بحيث صار منوطا ببعث ديناميكية داخل الفريق الإداري والتربوي وإقامة جسر من التعاون بينهما لتحقيق تسيير أحسن للمؤسسة؛ مع إقحام التلاميذ شيئا فشيئا في تسيير شؤون المؤسسة والإسهام في تنمية وتطوير فاعليتها[14].

**ب-بعض نقائص الطرائق النشطة:**

إذا كانت للطرائق النشطة في المجال البيداغوجي امتيازات وإيجابيات على ممارسة الفعل التربوي مع المتعلمين، فليس معنى ذلك أنها في منأى عن بعض النقائص والصعوبات، على الرغم من أن جوانب الإيجاب تبقى هي الأقوى.

وبنقد بناء لأصول الطرائق النشطة، ونظر فاحص، ومعاينة لممارسة الفعل التربوي على أرضية الواقع، تجعل الملاحظ يقف على بعض صعوباتها وذلك من حيث:

-بعض المعارف لا يمكن للتلميذ أن يكتسبها بمنطق الطرائق النشطة، بل يضطر المدرس إلى تخطيها ليتعلق بطرائق بيداغوجية أخرى. وذلك بالنظر إلى طبيعة الموضوع، ولاسيما إذا كان هذا الموضوع يتمحور حول مفاهيم مجردة.

-للوصول إلى حلول أوتحقيق أهداف مأمولة، قد يتطلب ذلك وقتا أطول من الوقت المحدد وذلك بالنظر إلى طبيعة استيعاب المتعلم وقدرته على تجنيد موارده. فهناك من المتعلمين من يستوعب بسرعة ويدرك العلاقات بين الأشياء بذكاء وسرعة بديهة، وهناك من يأخذ وقتا أطول في التفكير والاهتداء إلى الأسلوب الأمثل للفهم والحل.

-بعض التلاميذ من ذوي الفهم البطيء، لا يستطيعون متابعة مراحل إنجاز النشاطات، الأمر الذي يتطلب من المدرس أن يأخذ بيدهم وأن يدربهم على التحكم في آليات الفهم والاستيعاب.

-الإفراط في إيثار مكانة المتعلم على مكانة المعلم، قد يؤدي إلى محوأوالتقليل من دور المعلم، الأمر الذي قد يمس بمصداقية الفعل التربوي القويم.

-منح المزيد من الاستقلالية للمتعلم قد يدفع به إلى شيء من الغرور والتباهي، الأمر الذي قد يبعده عن العناية بالمادة الدراسية والتحكم فيها.

-إذا كانت الطرائق النشطة تؤثر أهداف التحكم أي الحد الأدنى من الأهداف التي تمكن المتعلمين من الإلمام بالموارد التي تمكنهم من النجاح، فإن مثل هذا التصرف قد يضحي بفئة المتعلمين النجباء المتفوقين.

-وإذا كانت الطرائق النشطة المتبعة، تتبنى أهدافا عليا تسعى إلى تطوير ملكة المتعلمين الموهوبين فإن ذلك قد يحط من مكانة المتعلمين الآخرين ويجعلهم أقل حظ في الفهم والاستيعاب والنجاح.

-إذا لم يحدد المدرس موضوع النشاط بدقة، فقد تختلط عليه الأمور، ويضيع وسط تفصيلات تخرجه وتبعده عن صميم مهامه.

-إذا لم يضبط المدرس إدارة الفعل التربوي من جميع جوانبه. فإن الفائدة تضيع والحصة تنحرف عن الغرض المقصود.

-إذا لم يهتم المدرس بتسجيل وتلخيص أهم الأفكار بسرعة ومهارة، فإن ثمار عمله تذهب سدى.

-لابد على المتعلم أن يتوافر على المهارات الأساسية اللازمة لمواصلة تعليم نفسه بنفسه، ولكن هذا النوع من المتعلمين قلما نجده في مجتمع أصبح حافلا بأنواع المغريات التعلمية السطحية التي تضر أكثر مما تنفع.

-الطرائق النشطة تحتاج في بعض الأحيان إلى نشاطات لا صفية لتفعيلها وتحقيق أهدافها. غير أن بعض المؤسسات لا تتوافر على إمكانات تفعيل هذه النشاطات اللاصفية لأن تنفيذها يستغرق مدّة طويلة قد تمس بالمدة المرصودة للمنهاج، على نحوالقيام برحلات إلى المصانع والمؤسسات الثقافية

والاجتماعية والمشاركة في تنشيط النوادي العلمية والأدبية والكتابة في مجلة الحائط للمؤسسة إلخ...

## 7ـ الطرائق النشطة وتدريس نشاطات اللغة العربية في التعليم الثانوي العام والتكنولوجي بين الواقع والآفاق:

### أ- واقع ممارسة الطرائق النشطة في مراحل التعليم العام عموما والتعليم الثانوي خصوصا بالنظام التربوي الجزائري:

إن المتأمل في النظام التربوي الجزائري من الناحية البيداغوجية، يلاحظ أن التدريس بالمحتويات ظل يسيطر على الفعل التربوي منذ فجر الاستقلال؛ على الرغم من بعض المساعي إلى إصلاح المنظومة التربوية ومحاولة إخراجها من النمط التربوي الموروث عن النظام التربوي الاستعماري، وهذا الإصلاح كان يمس في غالب الأحيان الجوانب الإدارية والسياسية، كان ذلك في الفترة الأولى من استقلال البلاد (1962-1976) حيث تعتبر هذه الفترة انتقالية، إذ كان لابد لضمان انطلاق المدرسة من الاقتصار على إدخال تحويرات انتقالية تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي يساير التوجهات التنموية الكبرى ومن أولويات هذه الفترة:

-تعميم التعليم بإقامة المنشآت التعليمية، وتوسيعها إلى المناطق النائية.

-جزأرة سلك التعليم.

-التعريب التدريجي للتعليم.

وكانت عناية المسؤولين عن قطاع التربية موجهة نحورفع نسبة التمدرس للأطفال الذين بلغوا سن الدراسة.

وبصدور أمرية 16 أفريل 1976، التي تضمنت تنظيم التربية والتكوين، تكون الجزائر قد دخلت مرحلة إصلاحات عميقة وجدية فوجهت نظام التعليم في الاتجاه الذي يكون فيه أكثر تماشيا مع التحولات العميقة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد تضمنت هذه الأمرية أهدافا تتمثل في تنمية شخصية الأطفال وإكسابهم المعارف العامة والعلمية والتكنولوجية التي تمكنهم من الاستجابة لمتطلبات الحياة الحرة الكريمة.

ولكن طرائق التعليم ظلت مبنية على المحتويات والعناية بالحجم المعرفي؛ وذلك إلى غاية ماي 1993، حيث أصدرت وزارة التربية منهاجا جديدا لمادة اللغة العربية وغيرها من المواد هذا المنهاج مبني على المقاربة بالأهداف. ويشير هذا المنهاج في الفصل الخامس منه إلى الطرائق والوسائل فيتحدث عن الطرائق النشطة والتدريس بالأهداف. فينبه إلى مزايا الطرائق النشطة على النحوالآتي:

-تنمية عقل المتعلم، وإكسابه الدربة على العمل.

-تعويد المتعلم التفكير والتعبير المنطقيين.

-دفع الأستاذ إلى التجديد في أساليب العمل، حتى يتجنب الرتابة.

-استغلال ما أمكن من الوسائل المادية.

كما أن هذا المنهاج يشير إلى كيفية الإعداد لتطبيق الطرائق النشطة والتي يراها في:

-تخطيط الأهداف المتوخاة من الدرس وضبطها بدقة.

-تنظيم مضمون الدرس وجعله منسجما مع الأهداف المسطرة.

-اختيار الطرق النشطة والملائمة التي تمكن من بلوغ الأهداف، مع توظيف الوسائل والتقنيات الناجعة التي تساعد على تبليغ المعلومات إلى المتعلمين.

هذه هي رؤية منهاج سنة 1993 والمنهاج المعدل والمتمم له لسنة 1995م، ويمكن أن نلاحظ بأن رؤية هذا المنهاج للطرائق النشطة جد مختصرة وأنها تقتصر على الجانب النظري فقط دون أن تتعداه إلى جانب الممارسة والتطبيق والحال نفسه بالنسبة إلى الحديث عن الأهداف، الأمر الذي يجعلنا نقر بأن المنهاج يفتقر إلى أرضية بيداغوجية ثرية تمكن المدرس من فهم مكونات المنهاج والعناصر البيداغوجية التي يرتكز عليها والطرائق التي يتبناها.

أضف إلى ذلك، أن هذه المناهج التي اعتمدت التدريس بالأهداف، لم تكن مصحوبة ببرنامج تكويني جاد يغطي حاجات المفتشين والمدرسين في جميع مراحل التعليم. وكل ما رأيناه مجرد اجتهادات شخصية تظهر من حين إلى آخر ثم تختفي. الأمر الذي يجعل المتتبع لشؤون التربية يحكم بأن مديرية التكوين بوزارة التربية لم تكن تسير في برامجها التكوينية بتوافق وانسجام مع المناهج البيداغوجية وحرص على متابعة تنفيذها.

إن بيداغوجيا الأهداف المبنية على الطموح إلى تنظيم العملية التعليمية التعلمية بقصد الرفع من فاعليتها وبالتالي من مردوديتها وتجاوز نتيجة لذلك الممارسة التربوية القائمة على الحدس والتخمين تختص أساسا بما يأتي:

-تنظيم الفعل التعليمي-التعلمي بإخضاعه لأهداف دقيقة.

-إضفاء اللذة العقلية على الممارسة البيداغوجية.

-دعم فاعلية الممارسة البيداغوجية وتحسين مردوديتها.

-غرس أسس العقل النير في تفكير المتعلمين.

-التحكم في المادة التعليمية والتأكد من مدى تحققها.

وعلى الرغم من مزايا هذه البيداغوجيا، إلا أن تطبيقها على أرضية الواقع كان ضئيلا جدا ولا يكاد يذكر، وظل الفعل التربوي يمارس وفق منطق المحتوى والتراكم والحشو. وإنما حصل ذلك في غياب جهاز تكويني واسع النطاق يتكفل بتكوين العناصر الفاعلة التي تشتغل بالفعل التربوي من مفتشين ومدرسين.

في ضوء تنصيب اللجنة الوطنية للمناهج، أعيد النظر في المناهج الدراسية السابقة، وبحلول السنة الدراسية 2003-2004 م أخرجت وزارة التربية الوطنية مناهج جديدة مبنية على مقاربة بيداغوجية جديدة هي المقاربة بالكفاءات. وعلى الرغم من أهمية هذه المقاربة في ترقية الفعل التربوي ومسايرتها للوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المعيش إلا أنها لم تلق العناية المطلوبة من دائرة التكوين

بوزارة التربية الوطنية، فظلت مغيبة عن الممارسة الفعلية بيداغوجيا. بينما النصوص الرسمية توجب تطبيقها وتنفيذها، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا المفتش تلقى تكوينا مناسبا لتفعيل هذه المقاربة ولا المدرس. وما

هوملاحظ اليوم في الميدان أن التدريس المبني على المحتويات هوسيد الموقف مع كل أسف، والثقافة البيداغوجية الجديدة المتجددة غائبة.

والمقاربة بالكفاءات لوأنها طبقت تطبيقا فعليا لقدمت خدمات جليلة للمعلم والمتعلم ولرقي الفكر البيداغوجي في منظومتنا التربوية.

والمقاربة بالكفاءات إنما ظهرت في الساحة البيداغوجية بعد دراسات قام بها مربون مختصون بينوا بأن ثمة تلاميذ اكتسبوا معارف في المدرسة ولكنهم ظلوا عاجزين عن تفعيل هذه المعارف في مواقف الحياة التي تصادفهم يوميا، الأمر الذي جعل خبراء التربية يفكرون في إعداد بناء الفعل البيداغوجي على مبادئ تركز على ما هوأنفع وأفيد بالنسبة إلى المتعلم وأكثر اقتصادا لوقته.

ومن هنا ظهرت المقاربة بالكفاءات كرد فعل لبيداغوجيا المحتويات المثقلة بمعارف غير ضرورية للحياة ولا تسمح لحاملها أن يتدبر أمره في الحياة العملية وكذا لبيداغوجيا الأهداف التي تقدم المادة التعلمية مجزأة، مركزة في ذلك على فاعلية المحتويات. وقد سبق الحديث –في مقدمة هذا الفصل- عن خصائص هذه المقاربة وأبعادها التربوية.

وبالنظر إلى غياب العناية بهذه المقاربة البيداغوجية، فإن حظ تدريس نشاطات اللغة العربية في جميع مراحل التعليم لم يكن بذي بال، على نحوما هومعروف عن حال بيداغوجيا الأهداف؛ ما عدا بعض الاجتهادات المعزولة، هنا وهناك، من قبل بعض المفتشين وبعض المدرسين. أما تبني المقاربة بصفة جدية والسعي إلى تعميمها عن طريق برنامج تكويني شامل فهذا ما لم يحدث. ومن ثمة، ظلت نشاطات اللغة العربية تتناول في مجملها

بمنطق المحتويات، حيث إن النص الأدبي –مثلا– في مرحلة التعليم الابتـدائي والمتوسـط تـدعوالمناهج إلى تناولـه وفـق خاصـة الإدمـاج تبعـا للمقاربـة بالكفاءات ووفق المقاربة النصية من حيث هي مقاربة تعليمية إلا أن الممارسة الفعلية في الميدان تبين أن روافد النص ما زالت تدرس منفصـلة عـن الـنص مثل النحووالصرف، البلاغة. والأمـر نفسـه يصـدق علـى بقيـة النشـاطات الأخرى مثل المطالعة والتعبير الشفوي والتعبير الكتابي. وهـذا الأمـر نفسـه يصح على التدريس في مرحلة التعليم الثانوي[(15)].

وللمزيد من إيضاح مسألة تناول نشاطات اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي، نقف على حقيقة تدريسها قبل ظهور المنـاهج الجديـدة المبنيـة علـى المقاربة بالكفاءات التي تعد سليلة الطرائق النشطة، ومن هذه النشاطات:

-**النصوص الأدبية**: إن للنصوص الأدبية المكانة الأولى في إعداد الـنفس وتكوين الشخصـية وتوجيـه السـلوك بوجـه عـام. وهـي بـذلك مـن أليـق الدراسات بالتلاميذ في مرحلة التعليم الثانوي، لأنها الدراسة التي ترمـي إلى تنوير الفكر وتهذيب الوجـدان وتصـفية الشـعور وصـقل الـذوق وإرهـاف الإحساس. وكلنا لا يجهل أثر الأدب في تربيـة الشـعوب وتكـوين الأجيـال وإصلاح المجتمعات، والأمة قد لا تنهض بما تتوافر عليه من قوى مادية بقدر ما تنهض بأساليب التفكير والمبادئ والمثل، وإن الدراسـات التربويـة تقـر – اليوم– بأن النصوص الأدبية تمثل مركز ثقل المواد التي يدرسها أسـتاذ اللغـة على وجه العموم.

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا، هل طرائق تدريس النصوص الأدبية المعمول بها في مرحلة التعليم الثانوي تحقق للتلميذ السموالفكري والفني؟

إن الإجابة الصريحة عن هذا السؤال قد تدفع إلى شيء من التشاؤم، وذلك بالنظر إلى الطريقة المتبعة في تدريس النصوص الأدبية في التعليم الثانوي.

ومفاد هذه الطريقة أن الأستاذ يمهد للنص بتعريف وجيز بصاحبه والعصر الذي عاش فيه، فيما له علاقة بالنص مع الإشارة إلى المناسبة، ثم ينطلق في الدراسة الأدبية من حيث:

-**الفكرة العامة**: وطريقة استنتاجها أن يوجه الأستاذ عددا من الأسئلة تتناول المعنى الإجمالي للنص وتساعد على تحديد فكرته العامة.

-**شرح معاني النص**: وذلك بنثر أبياته، إن كان النص شعرا أوتلخيص فقراته إن كان نثرا بعد شرح الكلمات الصعبة والغريبة.

-**مناقشة المعاني**: وذلك من حيث وضوحها أوغموضها، سطحيتها أوعمقها، جدتها أوالتقليد فيها، تسلسلها ومدى ارتباطها فيما بينها.

تصويرها لشخصية الأديب والحياة العامة في عصره بما فيها من مؤثرات فكرية أوسياسية أواجتماعية.

-**العاطفة**: وتدرس من حيث نوعها ومصدرها أوالدافع إليها ثم الحكم عليها من حيث القوّة أوالصدق.

-**الأسلوب**: ويدرس من حيث:

***الألفاظ**: سهولتها أوغرابتها، عذوبتها وفصاحتها، ملاءمتها للمعاني، قدرتها على الإيحاء والتصوير.

***التراكيب**: قوتها وجزالتها، مرونتها وسلامة تركيبها، قصرها وطولها ما فيها من تقديم وتأخير وكثرة التنويع بين الخبر والإنشاء، التكرار وتأثيره في توضيح المعنى.

-**الصور البيانية**: وهي الصور التي يلبس بها الشاعر معانيه، وهل هي كثيرة أم قليلة؟، وما نوع هذه الصور، محسوسة أم معنوية؟ وهل هي مبتذلة أم مبتكرة؟ وهل هي قريبة أم بعيدة الإدراك؟

ومثل هذه الطريقة في تناول النص الأدبي، ظهرت في الكتب المدرسية منذ بداية القرن العشرين في المشرق العربي، ثم امتدت إلى المغرب العربي بعد استقلال دوله، ولا تزال قائمة رائجة في مدارسنا الثانوية وفي بعض جامعاتنا إلى اليوم.

## أوجه النقد الموجهة إلى هذه الطريقة:

إن إخضاع الدراسة الأدبية لقواعد ثابتة يستعين بها الدارس، لا يعدوأن يكون ضربا من الطريقة الجافة العقيمة التي تعني كل شيء إلا أن تكون مفتاحا لفهم نص أدبي، إذ إن نقد النص إبداع، والإبداع يتعالى عن الضوابط والقواعد، ولوكانت ثمة قواعد ثابتة يستعين بها دارس النص الأدبي لما كانت الحاجة إلى أستاذ. بل كان من السهل على كل قارئ أن يأخذ تلك القواعد ويطبق عليها ما يقرأه.

ولكن نحن أمام معرفة أدبية، والأدب فن، والفن لا قواعد له؛ إذ القواعد تفقده جماله وأسره، وإننا لا نبالغ في شيء إذا قلنا بأن هذه الطريقة في التدريس الخاضعة للقواعد والضوابط هي التي تفرغ النص من محتواه الفكري والجمالي وهي التي جنت على أسلوب التفكير عند تلاميذنا. ففي مادة هامة كالنصوص الأدبية حيث يفترض أن تبني في التلميذ الفكر الطليق وقوّة التمييز وملكة الإبداع نجدها خاضعة لقوالب نقدية جاهزة تميع المقصود وتنحرف عن الغرض وتدفع بالتلميذ إلى الشعور بالرتابة والابتذال، وقد نجم عن هذا الشعور ضيق التلاميذ بمادة النصوص بل والسخرية من مدرسيها -أحيانا- لأنها أصبحت قرينة التكرار وسماع الأحكام المعروفة المألوفة مثل:

-"الأفكار واضحة، سهلة الفهم، بسيطة في مجملها، تبعد عن كل غموض وإبهام".

-"العاطفة قوية صادقة".

-"الأسلوب جزل، قوي، لا تكلف فيه".

-"عبارات النص وألفاظه ملائمة للمعاني".

وكيف لا تكل أذهان التلاميذ ويضيقون ذرعا بالأدب؟ إذا كانت هذه الأحكام ترن في آذانهم في كل حصة من حصص النصوص الأدبية، فلا عجب إذن، إذا رأيناهم يتكاسلون عن هذه الحصة وينحرفون عن قبولها بل ويتمادون في هجرانها نفسيا، طالما أنها تبقي عقولهم جامدة وأفكارهم مقيدة ومبادراتهم محصورة.

وأمام هذه الوضعية في تدريس النصوص الأدبية، قد لا يوجه اللوم إلى الأستاذ بالدرجة الأولى بقدر ما يوجه إلى المشرفين على التوجيه التربوي خاصة وعالم التربية في بلادنا عامة. إذ إن الأستاذ وجد وضعا قائما فلم يسعه إلا أن اتبعه. ولاسيما أن مفتاح التغيير ليس بيده. وكل اجتهاد منه يبقى مرفوضا بحكم طبيعة التقويم الرسمي ومنه أسئلة البكالوريا، التي كثيرا ما يكون صوغها موافقا لطريقة التدريس الرائجة في كتبنا المدرسية وفي مؤسساتنا التعليمية.

وفي معرض الحديث عن أسئلة البكالوريا، جدير بالذكر أن الأغلبية الساحقة من المترشحين يسرعون إلى طرق الموضوع المتصل بدراسة النص ويعزفون عن موضوع المقال ظنا منهم أن الأحكام النقدية الجاهزة التي تعلموها في الثانوية كفيلة بأن تحقق لهم علامة النجاح.

وهذا التصرف من التلاميذ يعكس ظاهرة خطيرة، إذ يبين ضعف قدرتهم على التفكير عندما يعرضون عن موضوع المقال الذي كثيرا ما يطالبون فيه بإبراز كفاءتهم الفكرية في التصرف بالمعارف التي اكتسبوها خلال دراستهم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإننا كمربين، يشعرنا هذا التصرف بمدى حجم فساد الطريقة المتبعة في تدريس النصوص الأدبية، الأمر الذي يدفعنا اليوم- نحن المربين- أكثر من أي وقت مضى، إلى التفكير الجاد في إعطاء هذا النشاط-نشاط النصوص الادبية-ما يستحقه من العناية والرعاية حتى نتمكن من تسليح تلاميذنا بفكر نير وعقل راجح ونظر ثاقب يمكنهم من تسليط ذكائهم على الآثار الأدبية التي تقع بين أيديهم ويبدون فيها آراءهم

ويزنونها بميزان الذوق والعقل والشعور، وبذلك يكونون مؤهلين إلى الدخول في معترك الحياة بفاعلية وإيجابية.

-**النحو والصرف والبلاغة والعروض**: تدرس هذه النشاطات منفصلة عن النص الأدبي سواء عن طريق أمثلة أم نصوص قصيرة، وتركز -في غالب الأحيان- على كثرة الأحكام تماشيا مع التدريس بالمحتويات الذي يركز على سعة الحجم المعرفي.

-**المطالعة**: ويتناول هذا النشاط من حيث الخطوات الآتية:

***القراءة الصامتة**: وتعد خطوة القراءة الصامتة من أهم الخطوات في الدرس، إذ يعتمد على إجادتها فهم الموضوع، وقراءة التلميذ اللاحقة، ومن ثم يعطي لها المدرس الوقت الكافي بما يتلاءم مع طول الموضوع أوقصره، وسهولته أوصعوبته والمستوى التحصيلي للصف.

***المناقشة العامة**: يطلب المدرس من التلاميذ إغلاق كتبهم ثم يطرح عليهم مجموعة من الأسئلة السهلة الواضحة حول الأفكار الرئيسة في الموضوع، بقصد التعرف إلى مدى إلمام التلاميذ، مستقلين، بالأفكار والمعلومات الواردة في الدرس من خلال القراءة الصامتة، وتعويدهم التركيز على الفهم في أثناء هذا النوع من القراءة.

***قراءة التلاميذ الجهرية**: وذلك بمراعاة جودة النطق وحسن الأداء وتمثيل المعنى.

***مناقشة الأفكار الجزئية**: ويتم ذلك –عادة– بعد الاطمئنان إلى أن المتعلمين أوجلهم قد أجادوا القراءة وأتقنوها، وتشمل المناقشة الجوانب الآتية:

- ✓ شرح المفردات.
- ✓ الأسئلة الدقيقة.

-**التلخيص**: وهنا يلقي المدرس على التلاميذ مجموعة من الأسئلة يستهدف من خلالها تلخيص أهم ما ورد في نص المطالعة من أفكار ثم تسجل على السبورة.

-**التعبير الشفوي**: ويتناول في المناهج القديمة من حيث إكساب المتعلمين القدرة على طلاقة اللسان، وإتقان النطق، وتمثيل المعاني وحسن الأداء؛ وكذا إقدارهم على التعبير عما بداخلهم، وما يحيط بهم بدقة ووضوح وتأثير، بأسلوب حسن وترتيب منطقي.

-**التعبير الكتابي**: تنظر المناهج القديمة إلى التعبير الكتابي على أنه إقدار التلاميذ على الكتابة المترجمة لأفكارهم بعبارات سليمة، وتعويدهم على اختيار الألفاظ الملائمة والتعبير بأفكار ثرية مترابطة، متسلسلة، حول ظاهرة ذات طابع فكري، اجتماعي، ثقافي أواقتصادي.

وعلى الرغم من أن المناهج القديمة –كما سلف الذكر– تشير إلى الطرائق النشطة، إلا أنها لا تبين للمدرس كيف ينشط دروسه وفق هذه الطرائق، الأمر الذي جعل الأستاذ  لا يبالي بهذه الطرائق، فظل يساير التدريس بالمحتويات في ممارسته البيداغوجية[16].

**ب-آفاق إسهام الطرائق النشطة في ترقية تدريس اللغة العربية:**

إن تبني الطرائق النشطة تجعل المتعلم دائما في موقف المتفاعل النشط، ولذلك يجب على المدرسين أن يحفزوا تلاميذهم على القيام بأنشطة تعليمية يكتسبون من خلالها مهارات الابتكار والاكتشاف وحل المشكلات وتحليل المواقف.

إنها الأسلوب الأمثل لتعزيز التنافس الإيجابي والتعاون على مواجهة الأسئلة والتحديات.

وحتى تؤدي الطرائق النشطة الدور المنوط بها بفاعلية وإيجابية ينبغي أن تشمل جميع العناصر المكونة للفعل التربوي ومن ذلك:

**أ- المتعلم**: يعتبر المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية في التعلم النشط، حيث إن دوره لاينحصرفي التلقي والاستقبال بل هومشارك ونشط ومتفاعل وايجابي في المنهاج المبني على الطرائق النشطة، فهويتعلم بالنقاش والحوار وتبادل الأدوار،والتعلم التشاركي والتعاوني،وهذا ما يكسب المتعلم مهارات وإبداء الرأي واتخاذ القرار والتفسير والتعليل،والربط وجمع المعلومات،والتعلم الذاتي وحل المشكلات والإبداع.

**ب- المدرس أوالمنشط**: لما كان الحديث يتمحور حول الطرائق النشطة، فإن المربين يؤثرون استخدام مصطلح المنشط بدل المدرس، وذلك لأن كلمة المدرس قد توحي بالتلقين والإرسال. وليس بصحيح ما يقال أن الطرائق النشطة تقلل من دور المدرس أوتكاد تلغيه. بل بالعكس إنها تزيده مسؤولية أكثر وعملا أغزر، ذلك أن التنشيط البيداغوجي يتطلب منه تحضيرا جادا

وإطلاعا محينا في شتى مجالات المعرفة، ونجاحه في عملية التنشيط يستلزم منه التمتع بقدرات عالية في التفكير العلمي والتفكير الإبداعي والتفكير الناقد وحل المشكلات والتحليل والتطبيق والقدرة على التكيف مع الظروف والمرونة في معالجة المواقف واتخاذ القرارات، وحسن التصرف في المواقف المختلفة، والتقويم الموضوعي لأداء التلاميذ، والقدرة على فهم مختلف المعارف واستيعابها وتبسيطها وتوصيلها إلى المتعلمين. يكون متعمقا في مجال تخصصه، وعلى دراية بكل جديد في هذا التخصص عن طريق الاطلاع الدائم وقراءة الكتب والمجلات العلمية، وحضور الندوات العلمية؛ بالإضافة إلى درايته بالثقافة السائدة في المجتمع سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم تاريخية أم اجتماعية، وكذلك أن تكون لديه الرغبة في القراءة والاطلاع والاستماع، وعلى وعي بما يدور حوله من أحداث سواء على المستوى المحلي أم الدولي، والمدرس من حيث هومنشط في العملية التعليمية-التعلمية يحدد حاجات المتعلمين من تنشيطه والأهداف التعلمية الخاصة بحصة النشاط، وكذلك يعمل على:

-اختيار أساليب التنشيط المناسبة.

-تحديد الأنشطة التعلمية الملائمة لقدرات المتعلمين.

-تحديد الوسائل التعلمية المناسبة.

-إصدار توجيهاته بشكل واضح ومنطقي.

-استخدام أساليب التوجيه المناسبة لموقف التنشيط.

-توفير ظروف تسمح للمتعلمين بالقيام بأداء المهـارات التعلميـة فـرادى أوجماعات.

-مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين في ضوء قدراتهم وحاجاتهم.

-العناية بإكساب المتعلمين القيم، والاتجاهات الإيجابية.

-التنويع في الأنشطة التعلمية بشكل يتناسب واستعداد المتعلمين.

**وإن موقفه من حيث هوموجه ومرشد للمتعلمين في العملية التعليميـة-التعلمية يجعله:**

-يحافظ على انتباه المتعلمين أثناء التنشيط.

-يثير دافعية المتعلمين واهتماماتهم بالتعلم الجديد.

-يستخدم في تدريسه مهارات التواصـل اللفظيـة، وغـير اللفظيـة لتيسـير عملية التعلم.

-يستخدم مبادئ تعديل السلوك الإيجابي.

-يعمـل علـى تـذليل الصـعوبات أوالمعوقـات الـتي تحـول دون فاعليـة التواصل.

ومن خلال ما تقـدم، يمكـن القـول بـأن دور المـدرس، في ظـل الطرائـق النشطة، يكتسي أهمية تفوق أهمية دوره في ممارسة البيداغوجيات التقليدية.

### ج- النشاطات المقررة في المنهاج:

قبل أن نتطرق إلى الحديث عن النشاطات التي ترد في المنهاج والتي تشكل مادة تعلم التلاميذ؛ نتعرض إلى إيجاز الحديث عن المنهاج من زاوية الطرائق النشطة، وذلك إيضاحا للقصد ورفعا لكل لبس.

إن المدرسة مؤسسة أوجدها المجتمع للتربية والتعليم، وأداة المدرسة في عمليتي التربية والتعليم هوالمنهاج، والمنهاج هوالترجمة العملية لأهداف التربية وخططها، واتجاهاتها في المجتمع، والمنهاج بهذا الاعتبار هوالوليد الشرعي للمجتمع. فهوينبثق من طلبات المجتمع وحاجاته وآماله وأهدافه وتطلعاته وقيمه وثقافته.

والمنهاج بمفهومه الحديث، هومجموعة الخبرات المتنوعة التي تقدمها المدرسة إلى التلاميذ داخل المدرسة وخارجها لمساعدة الطفل المتعلم على إنماء جميع ملكاته وقواه، وتكييفها، وإيجاد التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها؛ وإظهار ملكاته الكامنة بغية إعداده للحياة الكاملة والنجاح فيها، بحيث يصبح مواطنا صالحا، مستقيم العقل، نقي الوجدان، منسق التفكير، حسن التعبير متعاونا مع غيره، محبا للخير وللإنسانية.

وهذا التعريف الواسع والحديث لمفهوم المنهاج يشير إلى مجموعة من الدلالات والمعاني المرتبطة بالطرائق النشطة وذلك من حيث إن:

-أهداف العملية التعليمية التعلمية لا تقتصر على المعرفة وحدها، بل تمتد لتشمل جميع جوانب السلوك الإنساني.

-النشاط المدرسي جزء أساسي من المنهاج، حيث إن مكونات المنهاج الحديث لا تقتصر على محتوى المادة الدراسية، بل تتسع لتشمل أهداف المنهاج ومحتواه، واستراتيجيات التدريس، وأساليبه وطرقه، والوسائل التعليمية والنشاط المدرسي، وعملية التقويم.

-الخبرة هي وحدة بناء المنهاج لا المعارف فقط، حيث إن الخبرة أشمل من المعرفة، فهي تضم بجوار المعرفة الجانب الوجداني والجانب المهاري إلخ...

-دور المدرس ليس التلقين والإلقاء، بل هوتهيئة المجال التعلمي أمام المتعلم وإثراء الموقف التعلمي بالمثيرات المناسبة والدوافع، فيصبح المدرس موجها، منشطا، قائدا للعملية التعلمية، والمحاور والمناقش.

**-دور المتعلم**: دور المتعلم -كما سبق ذكره- ليس دور المتلقي والمستقبل، بل هودورحيوي، حيث إنه لايكتفي بالاستماع والتخزين بل إنه يعارض ويؤيد، يثري النقاش ويعدل، يسأل ويتساءل إلخ... وهمه في ذلك الاستيعاب مع الاقتناع.

**-شمول عملية التقويم**، بحيث يتسع التقويم ليشمل كل جوانب المتعلم المعرفية والوجدانية والمهارية، ولا تقتصر على قياس المعلومات فقط. ويصبح الاختبار أداة موضوعية لقياس مدى تقدم المتعلم ومعرفة جوانب الضعف لعلاجها؛ أي إن الاختبار ليس هدفا للعملية التعلمية بل وسيلة للتشخيص والعلاج والوقاية، كما أن الخبرات الناشئة عن عملية التقويم هي بمثابة التغذية الراجعة، ينبغي أن تؤثر على كافة مكونات المنهاج، من أهداف

المنهاج، وملامح المتعلمين وأساليب التدريس ومحتوياته وأنشطته ووسائله التعلمية وكذا أدوات وأساليب التقويم نفسها، بحيث يتم تطوير المنهاج بصورة مستمرة إلى الأفضل؛ الأمر الذي يؤكد أن المنهاج منظومة ومجموعة من العناصر التي تقوم على علاقات متداخلة فيما بينها، وتغيير أحد مكونات المنظومة يؤدي إلى تغيير عناصرها الأخرى.

وبعد هذا الكلام الموجز عن طبيعة المنهاج التربوي المبني على الطرائق النشطة، يهمنا الآن أن نتعرف على نشاطات اللغة العربية المقررة-عادة- في منهاج اللغة العربية وأسلوب تناولها بالشكل الذي يسمح للمتعلم التفاعل مع هذه النشاطات وفق الطرائق النشطة.

لقد سبق الحديث عن واقع تدريس اللغة العربية، وقد رأينا الشكل النمطي المبتذل الذي تخضع له فروعها في التدريس، وما يهمنا الآن، هوأن نعمل على تبيان طريقة تناول نشاطات اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي في ضوء الطرائق النشطة، وذلك محاولة منا للإسهام في ترقية تدريس اللغة العربية. ولنبدأ بنشاط النصوص الأدبية.

### 1-النصوص الأدبية:

بداية، نقر بأن التقدم الذي عرفته نظريات المعرفة والعلوم الإنسانية، قد أسهم في تحويل مسار تحليل النص الأدبي. ولقد تمثل ذلك في استثمار نتائج هذه العلوم في جوانبها المنهجية بصورة خاصة. وقد حاولنا في دراستنا هذه استفادة هذه النتائج بما يتماشى وغايات تدريس اللغة العربية. وانطلاقا

من هذا الأساس، نرى أن دراسة النص الأدبي دراسة أدبية كاملة تتطلب اتباع المراحل الآتية:

أ-**اكتشاف معطيات النص**: والمراد بالمعطيات -هنا- ما يتوافر عليه النص من المعاني والأفكار، من المشاعر والانفعالات والعواطف، من التعابير الحقيقية والمجازية، من الأساليب التي يتخذها الأديب وسيلة للإقناع والتأثير، من موقف الأديب وغرضه من إنشاء النص.

وعلى العموم، كل ما ورد في النص من وسائل استعان بها الأديب لنقل أفكاره ومشاعره إلى الآخرين بمنطق أن العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سند لها، أي اكتشاف العناصر الفنية بالتعرف تدريجيا على الأدوات الجمالية.

ب-**مناقشة معطيات النص**: والمناقشة أهم مراحل الدراسة الأدبية، إذ في هذه المرحلة يوضع المتعلم في وضعية تسخير مكتسباته وتجنيدها ليسلط ملكته على المعطيات الواردة في النص. سواء أتعلق الأمر بالمعاني والأفكار أم بأساليب التعبير المختلفة أم بجماليات اللغة، على أن يكون النقد إبداعيا يعتمد تعيين الظاهرة ثم تقييم مختلف أبعادها الفكرية والفنية في ضوء الرصيد القبلي للمتعلم، والمهم ألا يكون النقد وصفيا، نمطيا، يغلب عليه طابع النمذجة والأحكام النقدية المسكوكة، وإنما يتيح الفرصة للمتعلمين أن

يتأولوا وأن يتوغلوا باقتراحاتهم في طرح أكبر قدر ممكن من البدائل والمعاني المختزنة في أنساق النص ومجازاته بما يفيد انفتاح النص على ما لا يحصى من الدلالات والمعاني.

وإجمالا، يدرس النص الأدبي بما يدعوإلى المبادرة والتفعيل وإعطاء شكل ينبض بالحياة من أجل تحويل المعرفة الأدبية إلى عمل والدرس الأدبي إلى إبداع.

**ج-تحديد بناء النص**: في سياق الحديث عن بناء النص، جدير بالذكر –مبدئيا– أن أي نص أدبي لا يظهر باعتباره نصا حجاجيا أوسرديا أووصفيا أوحواريا إلخ... ظهورا انتمائيا محضا لنمط من أنماط هذه النصوص. حيث إن عناصر وصفية أوحجاجية أوغيرها تتخلل النص السردي وكذلك العكس. وإذن، فمن باب الموضوعية القول بأن من أجدى خصائص النصوص هي اللاتجانس، ولكن رغم ذلك، فإن نوعا يهيمن على الأنواع الأخرى، وهوما يسمح بنعت نص بأنه سردي أوحجاجي أووصفي إلخ...

وهناك علامات نصية وبنائية ونوعية تسمح بالتعرف عل الطبيعة الغالبة على النص، فإذا كان عنصر السرد هوالغالب، المهيمن، فإن البنية الحجاجية –مثلا– تكون في خدمة البنية السردية.

واعتمادا على هذه المعطيات في تحديد نمط النصوص، يدعى الأستاذ إلى مساعدة تلاميذه على تحديد النمط الغالب على النص واكتشاف خصائصه؛ ثم تدريبهم –مشافهة وكتابة– على إنتاج نصوص من النمط المدروس.

**د-تفحص مظاهر الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النص**: النص منتوج مترابط في أفكاره، متوافق في معانيه، منسق ومنسجم وليس تجمعا اعتباطيا للكلمات، إذ قد نجد مجموعة متراصة من الجمل ولكنها لا تشكل نصا محكم البناء، وحتى يتحقق ذلك لابد من وجود روابط بين هذه الجمل.

ولا يحصل الانسجام لـنص مـا، إلا إذا كـان متسـقا، حيـث إن الاتسـاق شرط ضروري للانسـجام، فعنـدما يقـرأ نـص خـال مـن عناصـر الاتسـاق كالروابط –مثلا– فهذا يدل على عدم تحكم صاحبه في آليات تشكيل الـنص مثل القواعد النحوية التي عن طريقها توظـف العناصـر الـتي تراعـي تناسـق النص وانسجامه.

وعلى وجه الإجمال، فالاتساق هوذلـك التماسـك الشـديد بـين الأجـزاء المشكلة للنص، وحتى يكون هذا التماسك قائما، يتجه الاهتمام إلى الوسائل اللغوية (الشكلية) التي توصل بين العناصر المكونة لهذا النص، أي إلى الكيفية التي يتم بها تآلف الجمل لضـمان تطـوره، فالاتسـاق يقـوم علـى العلاقـات ويشير إلى مجموعة من الإمكانات التي تربط بين شيئين وهذا الـربط يـتم مـن خلال علاقات معنوية، التي تنتج بوساطة وسـائل دلاليـة موضـوعية بهـدف خلق نص.

بينما الانسجام نظـرة شـاملة، تضـع في الحسـبان مقاربـة الـنص في بنيتـه الدلالية والشكلية، إذ إنه يفترض أن الانسجام يدل على العلاقة بين الأفعال الإنجازية، فهولا يتعلـق فقـط بظـاهر الـنص، إنمـا أيضـا بالتصـور الـدلالي أوالمعرفي.

وعلى الأستاذ –بوصفه مديرا للنص– أن يعرف تلاميذه بعناصر الاتساق والانسجام من باب الدراسة الجمالية للألفاظ والتراكيب اللغوية مـن جهـة، ومن باب إطلاعهم علـى الأدوات المشـكلة لتماسـك النصـوص وتـدريبهم على محاكاة بنائها من جهة أخرى.

**هـ-إجمال القول في تقدير النص**: في ختام دراسة النص، يتوصل الأستاذ بالتلاميذ إلى تلخيص أبرز الخصائص الفنية والفكرية للنص مع التأكيد على إبراز خصوصيات في التوظيف اللغوي عند الأديب للتعبير عن أفكاره وكذا عن طريقته في الإفصاح عن معانيه وعن الوسائل الأسلوبية التي استعملها أوأكثر من استعمالها بوصفها من مميزات أسلوبه الأدبي وتعكس رؤيته الجمالية بالدرجة الأولى وتفرده عن غيره[(17)].

هذه، هي المراحل التي اجتهدنا في إقرارها بالنسبة إلى تناول درس النصوص الأدبية –من حيث هوالعمود الفقري في تدريس اللغة العربية وأيضا من حيث هومركز ثقلها- في مرحلة التعليم الثانوي.

ومع إقرارنا لهذه المراحل في تناول النص الأدبي، فإننا نؤمن بأن النص الأدبي معين لا ينضب، فهويتجدد وينبعث من خلال كل قراءة. وإذكاء روح التفكير والتعميق في دراسته دراسة إبداعية بنزعة عقلية وتفكير منطقي يجعل التلميذ يتعلق باللغة وآدابها، ما دامت تسموبفكره وترقى بعقله وتمتع مشاعره.

واللافت للنظر، أن النص الأدبي قد يبدوأول وهلة عالما صغيرا بسيطا غير معقد ولا متشعب، ولكن بالنظر الثاقب والدراسة المعمقة نكتشف مساحته الفكرية وحجمه الحقيقي، فالنص الأدبي –عموما- عالم منغلق ولكنه قابل للانفتاح، ومفتاحه لا يؤخذ في اليد لفتح أبوابه، وإنما يبحث عن هذا المفتاح في ثناياه ذاتها وذلك بفكرة اللاطريقة في دراسة النص الأدبي هي الطريقة*.

وبما أن التدريس في ظل الطرائق النشطة يتوجه إلى جعل المتعلم فاعلا في بناء معارفه، فإن هذا البناء لا يتم إلا بتنشيط الأستاذ لدرسه بوساطة أسئلة، هذه الأسئلة التي تعد عماد الفعل التربوي الناجح والفعّال، لأن هذه الأسئلة هي التي تمكن المتعلم من الاكتشاف والاستيعاب وترسيخ أحكام الدرس في الذهن، وقديما قيل: "إننا قد ننسى ما تعلمناه، ولكننا لا ننسى أبدا ما اكتشفناه". وإذا كان المربون –منذ القديم– قد أدركوا أهمية صوغ السؤال في تنشيط الدرس، فإن العناية بصوغ الأسئلة تزداد أهمية في ظل التدريس بالطرائق النشطة، حيث تصبح هذه الأسئلة تمثل استراتيجيا نجاح الدرس والتدريس إذ إنها:

-تحفز المتعلمين على التفكير.

-تثير حيويتهم وفضولهم ونشاطهم.

-توجههم إلى القضايا الهامة في الدرس.

-تبعث الثقة في نفوسهم، حيث يشعرون بأهمية مشاركتهم في بناء عناصر الدرس ودورهم في إثرائه وإغنائه.

مع العلم أن الأسئلة تستثمر لتلخيص دراسة النص في كل مرحلة من مراحله وتسجيل ما في مجاهله من كنوز وفي عالمه المعقد من كوامن المعاني والأفكار والفلسفات والنظرات*. الأمر الذي يجعل المتعلمين أكثر تعلقا بالنص وامتثالا لقيمه في سياق التفاعل مع هذه الأسئلة والإجابة عنها.

والخلاصة، إن دراسة النص الحقة تأبى الدخول إلى النص بأحكام مسبقة، إنها تبدأ بالفهم، فالتحليل لتنتهي إلى الاستنباط والاكتشاف. والتحليل لا يخضع لأحكام نقدية مسكوكة بقدر ما يتم عبر مناقشات موجهة تطرح فيها أسئلة هادفة، تلتزم حدود النص حينا، وتتخطاه أحيانا لتطل على موضوعات تتصل بواقع المتعلمين وتثير اهتمامهم. وإنما تفلح الدراسة بهذا الأسلوب إذا تمت وفق منطق الإدماج –أي إدماج مكتسبات الروافد اللغوية من نحووصرف وبلاغة وغيرها من الروافد الأخرى، ولهذا تقر الطرائق النشطة بتدريس هذه الروافد انطلاقا من النص الأدبي لا مستقلة عنه.

1-1-**قواعد النحووالصرف**: يستمر تدريس قواعد النحووالصرف في هذه المرحلة من التعليم الثانوي بغرض عصمة ألسنة المتعلمين وأقلامهم من الخطإ وإعانتهم على الدقة في التعبير والفهم وبالتالي فهي تدرس على أساس أنها وسيلة فقط وليست غاية ولذلك ينبغي ألا ندرس منها إلا القدر الذي يعين على تحقيق هذا الغرض. وهذا يعني النظر إلى هذا الرافد أوالنشاط التعلمي من منظور وظيفي تماشيا مع مبادئ الطرائق النشطة التي تميل إلى الوظيفية والتيسير. والواقع أن الجاحظ قد أدرك هذه الحقيقة منذ القرن الثاني الهجري حيث قال في إحدى رسائله: "وأما النحوفلا تشغل قلبه (أي الصبي) به إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن." [18]

وتجسيدا لوظيفة هذا النشاط، فإنه يدرس من خلال دراسة النص الأدبي بشكل لا يشعر فيه المتعلم بأنه يتلقى أحكام النشاط مفصولة عن دراسة النص، وبهذا الأسلوب تتحقق جملة من الأهداف بحيث:

-تـدفع التلاميـذ إلى الـتفكير وإدراك الفـروق الدقيقـة بـين التراكيـب والعبارات والجمل.

-تنظم معارف التلاميذ اللغوية تنظيما يسهل عليهم الانتفاع بها، ويمكنهم من نقد الأساليب والعبـارات نقـدا يـبين لهـم وجـه الوضـوح أوالغمـوض وأسباب القوة أوالركاكة في هذه الأساليب.

-تساعدهم على دقـة الملاحظـة والموازنـة والحكـم، وتكـون في نفوسـهم الذوق الأدبـي، لأن مـن وظيفتهـا تحليـل الألفـاظ والعبـارات والأسـاليب، والتمييز بين صوابها وخطئها، ومراعـاة العلاقـات بـين التراكيـب ومعانيهـا والبحث فيما طرأ عليها من تغيير.

-تمدهم بتدريبات شفوية تكـون مبنيـة علـى أسـس منظمـة مـن المحاكـاة والتكرار حتى تترسخ الحقائق النحويـة وتتكـون العـادة اللغويـة الصـحيحة وتحل محل النطق المغلوط أوالمحرف.

-تزيل ما علِق في أذهان المتعلمين من أن قواعد النحوصعبة فتقتصر على الأحكام العملية ذات صلة بلغتهم المنطوقة والمكتوبة.

وبهذا الأسلوب في التعامل مع قواعد النحو، يتخلص التلاميذ مـن عنـاء حفظ الأحكام النحوية والصرفية الكثيرة التي لا يجنون منها إلا تعبا وإرهاقـا والتي حفلت بها مناهج البيداغوجيا التلقينية دون تمييز بـين مـا هوضـروري منها وما هوغير ضروري بالنسبة إلى المتعلم.

وعلى العموم، يتناول نشاط قواعد النحووالصرف كغيره من النشـاطات الرافدة في ظل الطرائق النشطة خدمة لفهم النص وبناء المعنى[19].

2-1-**البلاغة:** مما لا شك فيه أن الأدب فن يمثل الوجه المشرق لجمال التعبير وأن علم البلاغة يوضح الأحكام والمعايير التي تحكم الأثر الأدبي، وتقدم الأسس التي تبرز هذا الجمال وتلونه وتبعا لذلك فمن غير المعقول أن ينظر إلى تدريس البلاغة بمعزل عن النص الأدبي، وهذا هوالمبرر العلمي الذي يجعل جدوى تقديم الدرس البلاغي تابعا لدرس النصوص الأدبية؛ يقدم عرضا من خلال سياق تعبير النص دون تكلف أوتصنع؛ وبالتالي يكون درس البلاغة خير مساعد للمتعلم على فهم الأدب وتذوق معانيه وإدراك بعض خصائصه والوقوف على أسرار جماله.

ومن خلال تنشيط درس البلاغة، يحرص المدرس على:

-تبصير المتعلمين بالأسس والأصول التي تقوم عليها بلاغة الكلام وجودة الأسلوب من حيث الجمال والقوّة والوضوح وروعة التصوير ودقة التفكير.

-تربية الإحساس بقيمة اللفظ وأهميته في تأدية المعنى المناسب.

-السموبالإحساس والوجدان من خلال الوقوف على ما في الأساليب من روائع الكلام.

-تنمية الذوق الأدبي للمتعلمين وإرهاف أحاسيسهم وتمكينهم من فهم الأدب فهما دقيقا ومن معرفة سماته ومزاياه.

-إدراك قيمة الأثر الأدبي في النفوس باكتشاف ضروب المهارة الفنية للأدباء وما يصوره أدبهم من حالات نفسية وانفعالات.

-تمكين المتعلمين من المفاضلة بين الأدباء ومن الموازنة بين الآثار الأدبية بعد التوضيح لهم أن الفكرة يمكن أن تؤدى بأساليب مختلفة، وأن اللاحق يمكن أن يأخذ عن السابق، فيسموعليه أويدانيه.

والمدرس إنما يصل بالبلاغة إلى غايتها من تكوين الذوق الأدبي عندما يتخذها وسيلة لبيان قيمة النصوص الأدبية وحظها من الفن.

وعليه، فالواجب ألا يكون للبلاغة درس خاص تشرح فيه قواعدها، وإنما يجب أن تعلم في حصص الأدب ومن خلال نصوصه ليتبين التلاميذ منزلتها الرفيعة من الدراسات الأدبية وليسهل على المدرس أن يتجه بها دائما اتجاها ذوقيا خالصا. وهذا ما يوافق بيداغوجيا الإدماج قرينة الطرائق النشطة[20].

**2-المطالعة الموجهة:**

للمطالعة مقام ممتاز لاكتساب المعارف وتحصيل المعلومات والتزود من الثقافات المختلفة، وتنمية الثروة اللغوية للمتعلمين وهي من أهم الوسائل لتربية ملكة الانتباه والإدراك لديهم. وهي توسع معارفهم وتنمي لغتهم وتزيد خبراتهم وقدراتهم وتصقل أذواقهم، ولكي يحقق هذا النشاط أهدافه، يجب تقديمه بطريقة حيوية نشطة، تمارس فيها عمليات الفهم والتلخيص والتقييم، مع مراعاة ما يأتي:

-عمل المطالعة الموجهة حر يجري جزء منه في القسم والجزء الأكبر خارجه.

-دور المدرس يقتصر على تصويب المسار والحكم الذي يفصل في المناقشات.

-ينجز المتعلمون عمل المطالعة فرادى أوجماعات حسب طبيعة العمل.

-تقويم إجابات المتعلمين بعلامات تثبت لهم في دفتر العلامات اليومية وفي ذلك تشجيع للقارئ المطلع وتحفيز لغيره على الجد والاهتمام.

والمدرس، في تنشيطه لدرس المطالعة، يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

-تنمية قدرة التلاميذ على فهم المقروء فهما صحيحا واسعا.

-القدرة على التمييز بين الأفكار الأساسية والثانوية في الأثر المقروء.

-تكوين أحكام نقدية عن المقروء وانتفاعه به في الحياة العملية.

-تعويد التلاميذ على البحث والاكتشاف وإغناء الموضوع بسندات تساعد على الفهم والإفهام.

-الفهم بعمق واستخلاص الأفكار المباشرة وغير المباشرة من الأثر المقروء.

-تدريب المتعلمين على التمييز في المعنى بين الكلمات المتشابهة رسما، المختلفة في الحركات.

-إذكاء روح الاعتماد على النفس لدى المتعلمين في التعامل مع الأثر المقروء من حيث شرح كلماته ومفرداته المستعصية والتعمق في مشكلاته اللغوية والفكرية والمعرفية.

هذا، والجدير بالذكر أنه على المدرس تكييف أسلوب طريقته في تنشيط حصص المطالعة الموجهة وفق منطق الطرائق النشطة ولا ينبغي له أن يجمد على طريقة واحدة يتقيد بها في جميع دروسه(21).

## 3ـالتعبير الشفوي:

نشاط التعبير الشفوي يؤدي دورا حيويا في حياة الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع. وإن التعامل الإيجابي للإنسان مع محيطه الاجتماعي لا يتم إلا عن طريق التحكم فيه. حيث إن التعبير الشفوي يعد وسيلة للتواصل مع الآخرين لتحقيق مطلب أواكتساب معرفة أوالإعراب عن أفكار وما إلى ذلك...

ويستمد المدرس –عادة– مادة تنشيط حصص التعبير الشفوي من مراجع متنوعة ومتعددة منها مواضيع المطالعة التي تتناول الحديث عن محاور مختلفة وأبعاد فكرية متنوعة. ومن هنا، يرتكز التنشيط على:

-تلخيص فصل من فصول الأثر المقروء.

-تحديد الموضوع الذي يعالجه الأثر المقروء.

-تغيير نهاية القصة وفق رؤية مغايرة لرؤية الكاتب.

-تحديد موقف الكاتب من القضية التي يعالجها ونقده.

-تحديد شخصيات القصة وتحليل تصرفاتهم من خلال الأدوار المنوطة بهم.

**وإن الطرائق النشطة لتظهر في تنشيط مواضيع المطالعة إذا عمل المدرس على:**

-الحرص على دفع التلاميذ إلى تحضير الموضوع في المنزل.

-توزيع الأدوار بين التلاميذ لإشراك أكبر عدد ممكن في الحوار والمناقشة وتشجيع الساكتين منهم على الدخول في التعبير، حتى لا يقتصر النشاط على فئة معينة من التلاميذ.

-التشجيع على تقديم إجابات مختلفة حول المعنى الواحد.

-تأكيد الإجابات ذات الأفكار الصحيحة والعبارات الفصيحة ترسيخا لها في الأذهان.

-الإشادة بالإجابات الجيدة تشجيعا لأصحابها والتعامل مع الإجابات الخاطئة بأسلوب تربوي لا يجرح المشاعر[22].

### 4-التعبير الكتابي:

التعبير الكتابي –من منظور الطرائق النشطة- ليس نشاطا لغويا معزولا عن باقي نشاطات اللغة، بل هومتشابك ومتداخل في مهاراته اللغوية مع نشاطات اللغة الأخرى إلى حد كبير، فهومتعلق بالقواعد النحوية والصرفية، متعلق بالإملاء والخط، متلاحم مع الأدب والنصوص، متشابك مع البلاغة.

وما يجدر ذكره أن التعبير الكتابي بين فروع اللغة يعد غاية. وهذه الفروع وسائل مساعدة، معينة عليه. ومعنى هذا أن التلميذ بقدر تقدمه ونموملكته في هذه الفروع، يكون تقدمه ونموه في مهارات التعبير الكتابي.

ولكن التعبير ليس فقط مجموعة من المهارات اللغوية المتنوعة التي يجب أن يتحكم فيها التلميذ حتى يصبح متمكنا مما يريد أن يعبر عنه في يسر، بل إن للتعبير بعدا آخر وهوالبعد المعرفي، وهذا البعد المعرفي يرتبط بتحصيل المعارف والحقائق والأفكار والخبرات عن طريق المطالعة المتنوعة الواعية،

وهذا البعد المعرفي يكسب التلميذ –عند الكتابة– الطلاقة اللغوية والقدرة على بناء الفقرات وترتيبها وعمقها.

وبمثول المدرس إلى الطرائق النشطة، فإنه يفعل هذا النشاط بحيث يقدر المتعلمون على:

-حسن انتقاء الألفاظ المناسبة للمعاني وكذا التراكيب والتعابير التي تخدم المطلوب.

-تعود السرعة في التفكير والتعبير، ومواجهة المواقف الكتابية الطارئة.

-التعبير الصحيح عن الأحاسيس والمشاعر والأفكار بأسلوب واضح رفيع ومؤثر يتوافر على التخيل والإبداع.

-الكتابة بمراعاة سعة الأفكار وعمقها، ترتيبها وتنظيمها.

-الدقة في مناقشة الأفكار والحرص على تأييد الرأي بالشواهد المناسبة.

-مراعاة الدقة في استخدام علامات الترقيم.

-الكتابة في مختلف النصوص.

وتزداد قابلية المتعلمين على الكتابة، متى عمل المدرس على استثارة الدوافع إليها وذلك عن طريق:

-اختيار مواضيع مستمدة من خبراتهم ومن صميم انشغالاتهم.

-دفعهم إلى إغناء خبراتهم ومعارفهم بمطالعة مختلف الآثار والسندات والوثائق والتردد على المكتبات.

-فسح المجال للتلاميذ كي يعبروا عن آرائهم وأفكارهم بحرية أثناء مناقشتهم للمواضيع الكتابية.

هذا، واللافت للنظر أنه لا يمكن الفصل بين نشاطات اللغة العربية ومهاراتها، وبخاصة التعبيرين الشفوي والكتابي، ولما كانت الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال والتواصل، فليس ثمة اتصال من دون تعبير شفوي أوكتابي ومن هنا تظهر أهمية العناية بهذين النشاطين في التدريس[23].

### د-على مستوى الطاقم الإداري:

تتبوأ الإدارة في التعليم الثانوي مكانة هامة في تمدرس التلاميذ، وتؤدي دورا أساسيا في تنشيط حياتهم الفكرية والجسمية، الثقافية والفنية والترفيهية. والطاقم الإداري للمؤسسة تحت إشراف المدير يؤدي دورا هاما في تسيير العملية التربوية وإنجاحها وهوالمسؤول عن توفير بيئة تربوية إيجابية وصحية تعمل على التطوير المهني للمدرسين وتحسين ظروف عملهم وتشجيعهم على تبادل الزيارات الصفية وتنمية قدراتهم وإشراكهم في المسؤولية والسلطة في إدارة المؤسسة وتشويق التلاميذ وتحفيزهم إلى التعلم بتوفير الجوالمناسب، وهوالمسؤول عن إشاعة النشاط في المؤسسة بما يخدم المتعلمين، حيث إنه حلقة اتصال وتواصل بين عناصر العملية التعليمية التعلمية، فهوالمحور البناء والفاعل والقائد بحكم إشرافه على جميع أعمال المؤسسة ونشاطاتها وسير العمل فيها.

واللافت للنظر أن إشاعة مختلف النشاطات في المؤسسة التربوية أصبح من دواعي التسيير الإداري الناجح، حيث إن النشاطات المدرسية تساعد على تكوين عادات ومهارات وقيم وأساليب تفكير هامة لمواصلة التعلم بفاعلية،

لقد أثبتت دراسات علمية أجريت على نسبة كبيرة من المؤسسات أن ممارسة النشاط المدرسي يسهم في رفع الذكاء وتيسير الاستيعاب. ومن أنواع هذا النشاط التي ينبغي على مدير المؤسسة أن يفعله في دائرة مسؤوليته ما يأتي:

-الأنشطة الثقافية التي تمارس في المكتبات المدرسية وفي مدرجات المؤسسة، ومن ذلك تنشيط ندوات وإلقاء محاضرات، تقديم مناظرات.

ويستحسن التأكيد، بصورة خاصة على المناظرات، وذلك لأن في المناظرة بسط للرأي والرأي الآخر؛ على اعتبار أن المناظرة تطرح موضوعا يحتمل وجهتي نظر ما بين المؤيد والمعارض وعلى المنظمين للمناظرة حسن إدارتها حتى تستطيع أن تحقق الهدف الذي أعدت من أجله، ولابد أن تختار موضوعات للتناظر تصلح أساسا لتحتمل وجهتي نظر التأييد والمعارضة. ومن أهداف المناظرة:

- إتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي والرأي الآخر.
- احترام رأي الآخرين في التعبير عن وجهات النظر المختلفة.
- تطوير مهارات الاستماع والتحليل والنقد واستخلاص الأفكار الرئيسة.

وعموما، على الطاقم الإداري أن يعمد إلى تنشيط الحياة الدراسية داخل المؤسسة بما يذكي الطرائق النشطة ويسهم في ترقيتها وغرس آدابها في سلوكات المتعلمين وبذلك:

-ترتفع درجة الإثارة والجذب للخبرات لدى المتعلمين.

-يرتفع مستوى التحصيل لديهم.

-تتحقق الأهداف التعلمية بنسبة كبيرة.

-تنمولديهم أنواع من التفكير مثل التفكير الإبداعي والتفكير الناقد، التفكير العلمي والتفكير الاستقرائي.

-تفتح أبوابا مختلفة أمام التلاميذ للتعلم، وكيفية الحصول على المعلومة بطرق جديدة.

-يندفع التلاميذ للحديث عن أنفسهم واهتماماتهم وقراءاتهم وهواياتهم وخبراتهم الشخصية، وبحيوية وحماس وتنافس شريف.

وإجمالا، تنظر الطرائق النشطة إلى إدارة المؤسسة من حيث هي مصدر هام للدافعية إلى التعلم وذلك بما تقدمه من حوافز مادية ومعنوية للمتعلم وبما تفعله من نشاطات متنوعة ومتعددة في المؤسسة حيث يندفع المتعلمون إلى الشعور برغبة داخلية لإرضاء ذاتهم، فيسعون وراء الشعور بمتعة التعلم. فيحصل لهم التعلم الذاتي ومن ثم التعلم مدى الحياة[24].

**هـ-على مستوى المحيط:**

إن المحيط الذي يعيش فيه التلميذ له تأثير عميق وفعال في حياته وتكوّن شخصيته، حيث إنه يكتسب مزاجه وأخلاقه وطريقة تفكيره من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه. وإلى هذا المحيط الاجتماعي يرجع الفضل في تنشئة الفرد وتوجيهه والإشراف على سلوكه وتلقينه ما وصل إليه من ثقافة وتحضر، حيث إن وظيفته لا تقتصر على أن يوفر له حاجاته ولكنه يؤدي له أيضا أخطر وأهم وظيفة ألا وهي نقل التراث الاجتماعي والثقافي من لغة وعادات وأعراف وتقاليد[25].

وهذا الأداء إنما يحصل عن طريق عدة قنوات منها:

-**الأسرة:** وهي المحيط الاجتماعي الذي ينموفيه الطفل ويترعرع في وسطه ويتأثر بأخلاقه وسلوكاته ويكتسب منه صفات وعادات وتقاليد. والوالدان من أم وأب يمثلان المصدر الأول لتنشئة الطفل، ولهذا كانت مكانتهما التربوية ذات شأن واعتبار في إكساب الطفل العادات الحسنة والسلوكات الإيجابية. ومن هنا، من الأهمية بمكان أن ترسى جسور التعاون المسبق بين المدرسة والأسرة، حتى تكون التربية التي يربى عليها الطفل تنسجم مع المبادئ التربوية التي سيتلقاها الطفل لاحقا في المدرسة، ولا يحصل تناقض أوتعارض. وبذلك تتيسر وظيفة المدرسة التربوية، وتنشرح نفسية الطفل لتقبل ما يأخذه عن المدرسة. فتصنع في نفسه صنيع الغيث في التربة الكريمة. وحينئذ ينشط، ويتفاعل –مستقبلا– مع ما يتلقاه عن المدرسة.

-**المجتمع**: وهوالمحيط الثاني الذي يتلقى الطفل ويحتضنه بعد أبويه وأسرته ويغرس فيه هويته، وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه. وفي المجتمع يجتمع كل ما يحمله وينتجه الأفراد من أفكار وعادات وتقاليد وأخلاق. كما أنه يعد الوارث الطبيعي للأسلاف والأجيال الماضية، وهوالذي ينقل إلى الجيل اللاحق ما كان عليه آباؤه وأجداده من أوضاع وطباع.

والدول المتحضرة لا تترك مجتمعاتها تسير على غير هدى، بل تضبط لها الضوابط وتسن لها القوانين لجعلها تعيش حياة اجتماعية مستقيمة. وفي مقدمة هذه الضوابط، أنها ترسم لها الأصول التربوية التي تمكنها من الاستعمال الإيجابي لكل مخترعاتها ومكتشفاتها. حيث إن التجارب قد أثبتت بأن كثيرا من المخترعات والمكتشفات تظهر على صعيد الحياة الاجتماعية بمظهرين: مظهر نافع، ناجع، ومظهر فاسد وضار. وإبعاد المظهر

الضار إنما يكون بتحصين الأفراد والمجتمعات بتربية أصيلة بناءة، حينئذ توجه هذه المخترعات إلى الخير والنفع والاستثمار[26]. ومن هذه المخترعات –على سبيل المثال لا الحصر- نذكر المسجل الصوتي والتلفزيون، والحاسوب والأنترنيت، وهي مخترعات يمكن اعتبارها وسائل تعلمية ذات فوائد جمة، قد تقدم خدمات جليلة للمتعلمين من حيث المساعدة على استيعاب المادة التعلمية ودعم تنشيطها ومن هذه الوسائل:

-**المسجل الصوتي**: يعد المسجل الصوتي من أهم وسائل التواصل السمعي التي يمكن استخدامها في تدريس اللغة العربية، حيث إن التسجيلات الصوتية تعتمد حاسة السمع لدى المتعلم في إكسابه المعارف والمهارات، إذ عن طريقها يتم إرسال الرسائل والمثيرات السمعية ليتلقاها المتعلم ويتفاعل معها فتؤدي إلى تعديل سلوكه.

ويستطيع المدرس توظيف المسجل الصوتي لتسجيل الدروس والمحاضرات والقصائد الشعرية والملحمية والخطب والقصص. فتقوى مهارة السمع لدى المتعلمين ويتدربون على محاكاة ما يسمعون.

-**التلفزيون التعليمي**: إن استخدام التلفزيون التعليمي في خلق الحيوية والفاعلية في حصة الدرس يسهم في تذليل الصعوبات التي تواجه تدريس اللغة العربية، وتهيئة الظروف المناسبة لتعلمها. ويمكن استخدام التلفزيون التعلمي في مجال تدريس اللغة العربية لتحسين مهارة المتعلمين اللغوية من حيث نطق الكلمات، وزيادة حصيلة الألفاظ واستخدام التراكيب اللغوية الصحيحة وإتاحة الفرصة لكل منهم لإبداء رأيه في الأفكار التي تضمنتها البرامج، حيث يؤدي ذلك إلى حيوية الاستماع والمشاهدة[27].

-**الحاسوب التعليمي**: إن استخدام الحاسوب كأحد أساليب تكنولوجيا التعليم يعزز التعلم الذاتي ويساعد المدرس على تحديد الفروق الفردية وبالتالي تحسين نوعية التعلم لقدرته على إثارة الانتباه وتشويق المتعلمين، الأمر الذي يخرج المتعلم من رتابة الحفظ والتلقين، فالحاسوب يقوم بدور الوسائل التعليمية من حيث تقديم الصور الشفافة والأفلام والتسجيلات الصوتية.

ويستطيع مدرس اللغة العربية استفادة مميزات الحاسوب وقدراته العالية في تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلمين وتطويرها عن طريق اختيار البرمجيات التعليمية التي تتفق وحاجات المتعلمين، وتحقق الأهداف التعلمية الخاصة بالدروس.

-**الأنترنيت**: يؤدي الأنترنيت دورا هاما في تغيير طرائق التعليم المتعارف عليها وذلك من حيث إن الأنترنيت قادر على الوصول إلى المعلومات في مختلف أنحاء العالم، وقدرته على الاتصال بالعالم بأسرع وقت وبأقل تكلفة.

ويمكن للأنترنيت أن يسهم في تنشيط ملكة التحكم في اللغة العربية لدى المتعلمين عن طريق:

-الاستفادة من المواقع التعليمية الخاصة بتعليم اللغة العربية وما تتضمنه من معلومات ومعارف تسهم في تنمية مهارات المتعلمين اللغوية.

-الاتصال الكتابي عبر شبكة المعلومات لمناقشة المادة التعليمية مع متعلمين من دول شتى في العالم.

-الاتصال الشفوي بين المتعلمين وهيأة التدريس في أي وقت ومن أي مكان، وفي ذلك إثراء لمعارف المتعلمين وتوسيع لثقافتهم.

-استخدام الصحف الإلكترونية لعرض إبداعات المتعلمين اللغوية والأدبية والنقدية، وفي ذلك تشجيع لهم على المضي نحوالعمل الدؤوب والنبوغ في رحاب الفكر والثقافة.

-المشاركة في مؤتمرات وطنية ودولية عن بعد مع متعلمين وهيآت تدريسية من جميع دول العالم لمناقشة قضايا فكرية ولغوية وتربوية عبر شبكة المعلومات[28].

**الخلاصة:**

إن تبني الطرائق النشطة في التدريس يعني تحقيق أكبر قدر ممكن من الفاعلية في ممارسة عملية التعلم الناجعة. إنها طرائق تضع المتعلمين في مقامات تعطي دلالة لما يتعلمونه وتجعلهم قادرين على تجنيد المعارف المكتسبة أثناء التعلم، وذلك عن طريق نموذج إدماجي من المهام العملية والوضعيات المشكلة.

إنها طرائق توجه التعلم نحوالحياة وذلك بأخذ مبدإ الدلالية في الاعتبار، من أجل ذلك، ينبغي أن يعي التلميذ بأن كل ما يتعلمه له دلالة بالنسبة إليه ويكون ذا فائدة عملية في حياته اليومية.

وهكذا، فإن التعلم يوجه نحوتنمية قدرات فكرية عليا مثل: التحليل والتركيب وحل المشكلات بوساطة الجهد الشخصي والتفكير.

وتتعزز الطرائق النشطة باعتماد بيداغوجيا المشروع وحل المشكلات لكونها عملية أساسها ربط مكتسبات المتعلم المدرسية بالحياة المعيشة وذلك بإثارة مشكلات من واقعه المعيش الأمر الذي سيولد لديه الرغبة في حلها باستخدام الوسائل اللازمة وجمع المعلومات المناسبة وتقديم النتائج المتوصل إليها.

وما يجدر ذكره في هذا السياق، أنه ليس هناك جدوى من تبني تصورات جديدة للتدريس والتقييم إذا لم تكن مصحوبة بتجديد لتكوين المدرسين، وحتى يقوم هؤلاء بدورهم في مثل هذه الظروف، يجب أن يكونوا مبدعين مستقلين ذاتيا، تلقائيين في سلوكهم، منصتين دوما لتلامذتهم، منشطين أكثر مما هم ملقنين للمعارف أومحاضرين أوقراء لمذكرات جاهزة؛ حتى يصلوا إلى نقل الفعل التربوي من عالم المعارف التقريرية إلى عالم المعارف الإجرائية، الإبداعية.

## المصادر والمراجع:

1- ينظر: د.محمود السيد سلطان: مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، 2008 م، ص 17 وما بعدها.

2- المرجع نفسه، ص 188.

3- عبد الله بن المقفع: الأدب الصغير، دار المعارف بمصر، د.ت، ص 17.

4- أحمد بن محمد بن ربه: العقد الفريد، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007، ص 161، ج

5- د.فكري حسن ريان: التدريس، أهدافه، أسسه، أساليبه، تقويم نتائجه، تطبيقاته، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 1999، ص 193.

6- Dictionnaire de pédagogie et de l'éducation, P. 256-257 (Louis Aremilla – Marie-Claire Rolland – Marie-Pierre Roussel et Bernard Gossot) Bordas, Paris, 2007.

7- د.محمود السيد سلطان: مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، 2008، ص 234.

8- عبد الرحمن فايد: رائد التربية العامة وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981 م، ص .107

9- ينظر: محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، مدخل إلى علم التدريس، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط 2، 1991 م، ص 43 وما بعدها.

10- الفاربي، عبد اللطيف –الغرضاف، عبد العزيز: كيف تدرس بواسطة الأهداف، سلسلة علوم التربية، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط 3، 1989، ص 37.

11- مخلوف عامر: تدريس العربية وآدابها، CM édition، وهران، الجزائر، د.ت، ص .9

12- د.محسن علي عطية: تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007، ص .66

13- المرجع نفسه، ص .82

14- Xavier Roegiers : Une pédagogie de l'intégration, Ed De Boeck, Bruxelles, 2000, P 110.

15- Christian De pover –Bernadette Noel : L'évolution des compétences et des processus cognitifs, De Boeck, Bruxelles, 1999, P 205.

16- Jean Château : Les grands pédagogues, P.U.F, 1972, Paris, P 112 à 140.

17- باور برونهوبر: مبادئ التدريس الفعال، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 1995، ص 80 وما بعدها.

18- د.العفيفي، محمد الهادي: قراءات في التربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 1973، ص 18 وما بعدها.

19- إسماعيل محمد إسماعيل: فاعلية التعلم التعاوني، دار الكتاب، بيروت، 1975، ص .10

20- محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 126 وما بعدها.

21- محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 126 وما بعدها.

22- عبد اللطيف الفاربي: تخطيط التدريس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص .12

23- د.عبد الفتاح حسن البجة: أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص .98

24- المرجع نفسه، ص .147

25- محمد حمود: مكونات القراءة المنهجية للنصوص، دار الثقافة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1998، ص .128

26- أحمد حسين القاني: مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2001، ص 160.

27- المرجع نفسه، ص .172

28- حسين الطوبجي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، ط 10، ص 180.

# أهمية التعليم وأثر مساهمته في ازدهار اللغة العربية.

إعداد : د/ الصديق حاجي.
جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة.

## مقدمة حول مكانة اللغة العربية، وأهميتها:

هناك محطات مفصلية في تاريخ المجتمعات ومسيرة الشعوب، تتفاعل فيها الأحداث، وتكون نتيجتها طرح إحدى القضايا الجوهرية الهامة، للبحث والنقاش، بشكل ملح وجاد، وهذا حال بلدان العالم العربي اليوم، مع مسألة اللغة العربية، وما تعيشه من تحديات وتراجع وتقهقر، وركود وتدهور، وما تتعرض له من مخاطر، وإهمال وقلة اكتراث، وما تعانيه من ضعف وتخلف ومضايقات تقنية رهيبة، نتيجة ما يعرفه عالمنا اليوم من انفجار معرفي، وتطور تكنولوجي مذهل، "وهوالأمر الذي يتبيَّن منه وجود أزمة على مستوى اللغة، باعتبارها وعاء للفكر والثقافة، ووسيلة للتواصل البشري، وعلى مستوى المجتمع الذي ينتمي أفرادُه إلى هذه اللغة" (1) . وعليه كان لابد " أن تتبوّأ المسألة اللغوية، الخاصة باللغة العربية منزلةَ الصدارة من اهتماماتنا الفكرية، وأن تُبنى لها استراتيجية خاصة كمشروع لغوي" (2) وحضاري

---

1 ــ حاضر اللغة العربية مع الترجمتين الإنكليزية والفرنسية، تأليف: د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، مطبعة الإيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، نسخة إلكترونية، ص: 13، 14.

2ــ محاضرات في قضايا اللغة العربية، صالح بلعيد، مطبوعات جامعة منتوري ـ قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص: 294.

عظيم، كي تستردّ العربية قوّتها ومكانتها، كما كانت أيام عزّها وازدهارهـا، لا سيما في هذا العصر الذي أصبحت فيه اللغة تشكل الركيـزة الأسـاس في بنـاء المجتمعات وتطورها، ومن أهم المؤشرات الدالة على قوتها ورقيهـا، ولا شـك أن هذه الحقيقة المنطقية تظل المعيار الأول، لتطـور وتقـدم المجتمـع الإنسـاني، والتي بدونها يفقد المجتمع هويته وحيويته وتفاعلـه، ووجـوده. ومـن يتأمـل في الدراسات اللغوية يدرك لا محالة أنّ اللّغة هي الحياة والإنسان، وكينونته.

"فبقدر قوة الأمة تقوى لغتهـا"[1]. ولهـذا كـان مـن الطبيعـي أن يكـون تطوُّرها انعكاسًا لتطوُّر المجتمع، وضـعفُها دلـيلا علـى تخلّفِـه. فهـي تعطـي بمقدار ما يُعطيها أهلُها من عناية واهتمام، وتتراجع بمقدار تراجُع أهلِهـا عـن مجال العلم والحضارة.

" ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب أن في ازدهـار اللغة ازدهارًا للحياة العقلية، وتقدمًا في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأن في قوة اللغة قوةً للأمة الناطقة بها، وأن اللغة تَكتَسِب قوتَها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة. وبعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعفٌ للأمة الناطقة بها، ويسري هذا الضعف إلى مفاصل المجتمع، وإلى مرافق الحياة جميعاً، فيكون التراجع الذي قد يؤدّي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة"[2] .

---

1ــ حاضر اللغة العربية مع الترجمتين الإنكليزية والفرنسية، تأليف: د/ عبد العزيـز بـن عثمـان التويجري، ص:31 .وينظـر، الاهتمـام بلغـة الأم ـــ العـبرة مـن الفرنسـيين ـ، صـالح بلعيـد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016، ص:20.

2ــ المرجع السابق نفسه، ص:7، 8 .

ومن هذا المنطلق، أصبح من المسلمات اليوم، أنّ البحث في سبيل تحقيق ازدهار الأمة للغتها، هوصون لذاتها وحفظ لكيانها، وتقدير لحاضرها، وبناء لمستقبلها، واستمرار لتراثها الحضاري الثمين. فأمةٌ لا تهتم بتطوير لغتها، أمة لا تحسن صياغة مستقبلها. " فقد ثبت أنه ما قامت قائمة لأية أمة بدون لغتها، ولم يسجل التاريخ أن أمة شقت طريقها للنهضة من غير الرهان على لغتها"[1] ومن ثمة أصبح الاهتمام باللغة قضية إستراتيجية في المقام الأول، وذلك لارتباطها بالأمن الثقافي والحضاري للأمة، ناهيك عن الدور الخطير الذي أضحت تضطلع به اليوم، في مختلف مجالات الحياة، إذ لم تعد مجرد وسيلة تواصل وتفاهم بين أفراد المجتمع، كما كان شائعا من قبل، بل أصبحت سمة دالة على مستواه الحضاري والإنساني، فالمجتمعات البشرية اليوم إنما تُعرَف بلغاتها، وأنّ العالم أصبح ينتمي إلى أولئك الذين يسمونه بلغتهم. لذا تعمل كل الأمم على التمكين للغتها وثقافتها والتخطيط لها عن طريق تعليمها وترقيتها ونشرها على نطاق واسع. ومما يدل على ذلك اهتمام الدول بالتعليم، حيث يعد هذا المجال الحيوي، أكبر ثروة تملكها المجتمعات، لما له من وظيفة أساسية وأهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، وبناء القوى البشرية، وتنمية هذه الثروة التي أصبحت تقع في موقع القلب من أي عملية تنموية، خاصة في ظل ثورة المعلومات والتقدم التكنولوجي.

ولقد أدركت الأمم أن هذا المجال ولا مجال سواه، يمكن أن يحقق نهضة شاملة، فهوأحد أهم العناصر الأساسية للتنمية، لِما له من دور جوهري

---

1 ـ الاهتمام بلغة الأم ــ العبرة من الفرنسيين ـ، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016، ص:155.

متشابك، وثيق الصلة بجميع مرافق حياة المجتمع. وليس أدل على ذلك من أن موقع أي دولة على سلم التقدم والحضارة، إنما يقاس بمدى تطورها وعنايتها بمجال التعليم.

واعتبارا لهذه الحقيقة المنطقية، جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ" **أهمية التعليم، ومساهمته في ازدهار اللغة العربية**" لتطرح جملة من **الإشكاليات والتحديات والرهانات، التي تتجلى خطورتها في هذا الظرف الدقيق الراهن، الذي تجتازه الأمّة العربيّة، وما تعرفه من تحديات، وتدهور في جميع المجالات، لا سيما في المجال اللغوي.**

**فالدراسات التشخيصية لواقع اللغة العربية في وطننا العربي تنذر بأزمة لغوية حادة، أزمةٍ على جميع المستويات، إبداعا ونقدا، استخداما وتوثيفا، تنظيرا وتعليما، نحوا ومعجما، وأن برامجَها ومناهجَها لا تعمل على الاقتدار المعرفي الذي يفرض مكانة بين الدول، وصولا إلى القدرة الإبداعية والإنتاجية، وإلى التمكن والسيطرة العلمية.**

**وتأتي تكنولوجيا المعلومات، لتضيف إلى هذه الأزمة بعدا آخر، يتعلق بضرورة معالجة اللغة العربية آليا بواسطة الحاسوب، في الوقت الذي تولي كثير من الأمم لغاتِها القوميةَ أقصى درجات العناية والاهتمام والتخطيطات اللغوية الطويلة المدى، وهوما يتعين على القائمين على اللغة وفقهائِها، وعلى كلِّ عربيٍّ غيور على لغته أن يكون شغله الشاغل المراهنة على خدمتها وتطويرها والعمل "على النهوض بها،** على جميع المستويات، لتستأنف الدور المؤثر النابض بالحياة، الذي قامت به في إغناء الحضارة

الإسلامية، التي كانت مصدرًا لتطور الحضارة الإنسانية"[1]. ولسنا في هذا المقام، بحاجة إلى العزف على عالمية وحضارة اللغة العربية، ودورها في المعرفة الإنسانية، بقدر ما نحن في حاجة إلى الوعي بموقع هذه اللغة، لنستقي المعرفة والزاد والعبرة، والتعريف بالواجب إزاءها، والعمل على كيفية تفعيلها وتطويرها. ولن يكون هذا بمتحقق إلا بالبحث عن آليات ازدهار هذه اللغة، لا سيما في الميدان التربوي والتعليمي، حيث يعتبر التعليم أحدَ أهم الآليات والسبل التي ينبغي استثمارها، في سبيل ازدهار اللغة العربية، والارتقاء بها لاستيعاب لغة العلم والحضارة.

وَمَا اسْتَعْصى على قومٍ منالٌ ** إذا الإقدامُ كانَ لَهُمْ رِكَابا[2].

## الوعي بمتطلبات الحاضر

إن العودة إلى اللغة، أوالانطلاق منها أضحى أمرا على جانب كبير من الأهمية، وذلك لتعتنق الجديد، وتعبّر عن خطوات المستقبل، وتكونَ عمادَ التطور، لأنها وحدها وسيلتُنا إلى ذلك، كما كانت وسيلةَ أجدادِنا إلى النهوض والتقدم والحضارة والازدهار، استثمروا فيها، فحوّلوها إلى لغة عالمية حاضنة للعلم والمعرفة.

فحياة اللغة وتطورُها وبقاؤُها، إنما هومرهون بتعليم تلك اللغة وتعلمها، لذلك آثرنا الحديث عن هذا المجال الحيوي، الذي يعد من أكثر الميادين أهميةً وأثرا في تطوير اللغة ورقيها، باعتباره مصدرا أساسيا لعملية النهوض، بل

1ـ المرجع السابق نفسه، ص:9 .

2ـــ ديوان أحمد شوقي، ص: 188.

رهان التحدي، وأهم أدوات التغيير والتطور. لا سيما في هذا العصر الذي استحق بامتياز صفة "ثورة الاتصالات"[1]. ومجتمع اقتصاد المعرفة والمعلومات[2]، والسرعة الخارقة، والتقدم التكنولوجي المذهل، الذي حوّل العالم إلى قرية كونية صغيرة، بل إلى بيت صغير مفتوح في الفضاء .

وإزاء هذا الكم الهائل من التقدم المذهل، والتطورات الرهيبة نجد الهوة واسعة، والفرق عميقا بين المجتمعات العربية، والإنجازات العلمية والتكنولوجية، التي تؤكد أنّ" قوة اللغة من قوة الأمة"[3]، تلك الإنجازات التي تعتمد على اللغة في تقنيتها ومصطلحاتها العلمية، وهنا يكمن أكبر الأثر في تخلف اللغة العربية عن اللحاق بركب اللغات العالمية في هذا المضمار، تلك اللغات التي برهن أهلها عن استخدام وتطبيق مثل هذه المنجزات العلمية، حيث أصبحت المعرفة مرتبطة كليا بهذه المنجزات، وغدا تعريف الأمية في بعض المجتمعات المتقدمة مرادفا لعدم استجابة الأفراد للتعامل مع المنجزات العلمية والتكنولوجية الحديثة.

وفي ظل هذا الواقع، من هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ البشرية، أضحت الاقتصاديات المبنية على المعرفة تشكل موردًا لا ينضب، تسعى

1ـ اللغة والحواس ــ رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية ـــ، تأليف: محمد كشكاش، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001، ص: 9.

2ــ الاهتمام بلغة الأمة ــ العبرة من الفرنسيين ــ، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016، ص: 156.

3ــ الاهتمام بلغة الأم ــ العبرة من الفرنسيين ـ، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016، ص:20.

المجتمعات والدول لاكتسابه والاستفادة من المزايا التي يوفرها لمنتجيه[1]، من هنا تبرز أهمية بناء نظام تعليمي" يشحذ طاقات كل متعلم وينمّيها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه، دون القبول أوالرضا بمستويات النجاح العادي"[2]، حيث يقدم للمجتمع خريجين متعددي المهارات، قادرين على التعلم الدائم، والتكيف السريع والتأقلم مع التبدلات الناتجة عن الطبيعة الاقتحامية والتحويلية للتكنولوجيا، التي كان لها بالغ الأثر على النظم الاجتماعية والثقافية والمعيشية، وعادات الاستهلاك، ومعنى العمل ومكانته.

وفي ضوء هذه المعطيات، ومن صلب هذا الواقع تنبثق جملة من الأسئلة الحاملة لإشكالية هذه الورقة، التي تروم إلى إثارة بعض القضايا الجوهرية قي ظل التحديات التي يواجهها التعليم، وذلك بهدف البحث في سبل تطوير وتحديث خطط وبرامج تعليم اللغة العربية، لتكون أكثر مواكبة لحاجات المجتمع ومتطلبات العصر ومقتضياته.

فما هوالدور الذي ينبغي أن يؤديه التعليم لترقية اللغة العربية؟

فإذا كانت الرسالة هي المنطلق وفي إطارها تحدد الغايات المستقبلية، والأهداف المرحلية والإستراتيجية لنظام التعليم، فماهي المخرجات التي نريدها منه؟

---

1ـ ينظر: Halsey, A.H. (1997). Education, culture, economy and society. Oxford; University Press.

2 ـ مواجهة العولمة في التعليم والثقافة،عمار، حامد، مكتبة دار الكتاب العربية، القاهرة، 2000، ص: 14.

ألا ينبغي أن تكون مناهج وبرامج اللغة العربية في ظل الواقع الذي نعيشه من المكونات الأساسية لرسالة التعليم ؟

ألا يجب أن نركز على إكساب جميع المتعلمين المهارات اللغوية، والقدرات على التعامل مع مستحدثات العصر التكنولوجية، مما يخول لهم القدرة على إنتاج المعرفة في مرحلة لم يعد المتعلم هوالفرد الذي يمكنه اختزان أكبر قدر من المعلومات، بل أضحت مهمته تحويل المعلومات إلى معرفة واستخدامها وتوظيفها في حل المشكلات؟

وفي إطار هذه الرسالة والغايات والأهداف يتبلور الدور الأساسي لتعليم اللغة العربية، ومن ثمة كيف يمكن للغة العربية أن تنهض في ظل متطلبات المرحلة الراهنة ؟

ماهي التحديات التي تواجهها في عصرنا الراهن، لاسيما في مجال التربية والتعليم ؟ وكيف ينبغي لها مواجهتها؟

كيف نؤسس لمشروع حضاري لغوي قومي، يجعل لغتنا لغة حاضنة للعلم والمعرفة والتقنيات الحديثة، تماشيا مع المرحلة الراهنة ؟

ما هوالدور الذي يمكن أن تقوم به الكفاءات والنخبة في مجال تطوير اللغة العربية، والبحث عن سبل ازدهارها، وبخاصة في المجال التربوي؟

أوليس الحاجة قائمة لأبناء العربيّة أن يعودوا إلى لغتهم، لتعيد إليهم بنية نفوسهم، وتقودهم إلى بناء مجتمع علمي سليم، يحمل في رحمه معالم التطوّر وأسباب النهوض الحضاري؟.

أوليس من أهم ما احتفظت به العرب من ذخائر ماضيها لسانها؟.

أولم يكن أشراف العرب من سكان المدن يرسلون أبناءهم إلى الأعراب بالبادية، ليحذقوا اللغة العربية وهم صغار، ويشبوا عارفين بجمال أساليبها وروعة فصاحتها، وسحر بيانها، وأثر بلاغتها؟

ألا يكفي دليلا على ذلك أن توج الله سبحانه وتعالى حياة العرب بالذي يميزهم: فكان القرآن الكريم الذي في معناه العام يعني البناء في كل شيء، وكانت **اقرأ** خير بداية تأمر بهذا البناء؟ وتلك دلائل قوية أودعها الله في هذه اللغة لتكون بانية الأمة وحارسها الأمين، وصانعة ركائز المستقبل، وهي المهمة التي كانت حاضرة في محطات تاريخية كثيرة، حضورا يثبت الدور الأصيل لهذه اللغة في الحفاظ على هوية الأمة وتاريخها ومقوماتها وخصوصياتها ومخزونها الحضاري، وهي لن تبخل بأداء هذه المهمة في زمننا الراهن.

إن لغة بهذا السمووالثراء والجمال والجلال والشرف والرفعة ينبغى أن تكون في الذروة بين لغات العالم. فعلى من تراهن هذه اللغة في بنائها الحضاري؟ وكيف يتحقق لها هذا الرهان؟

إن قضية اللغة العربية في رهانها وتحديها كما يقول الدكتور بلعيد صالح "تستدعي منا التعمق في بسط المسألة لتنال البحث العلمي المستفيض، وباشتراك كل الفعاليات الثقافية في الوطن العربي لأنها مشروع قومي" [1]، هذا المشروع الذي يثير بدوره جملة من الإشكاليات ولعل من أهمها:

---

1ـ محاضرات في قضايا اللغة العربية، صالح بلعيد،ص: 112.

ما هوواقع اللغة العربية في عالمنا اليوم ؟ وما مكانتها بين لغات العالم ؟ وكذا مكانتُها في قلوب أبنائها المتحدثين بها ؟ ما هى آفاق المستقبل لهذه اللغة ؟ هل سيكون مستقبلها عظيمًا كماضيها؟ وما هى خير الوسائل لترقيتها وتطويرها ؟

ماذا بإمكاننا أن نعمل لإنقاذ لغتنا العربية، وتعزيز مكانتها وإثبات حضورها وحيويتها، **وعمقها الحضاري،** وقدرتها الكامنة على الخلق والإبداع والنهوض لمواكبة متغيّرات العصر؟

إنها أسئلة عديدة تدور حول واقع اللغة العربية، والتحديات التي تواجهها، لمعرفة آفاق تطويرها وسبل ازدهارها والاستفادة من تجارب الآخرين في خدمة لغاتهم.

انطلاقا من هذا كله يمكن تحديد ملامح رؤية يمكن في ضوئها أن تزدهر اللغة العربية، وأن تتبوأ موقع الصدارة في ركب الحضارة الانسانية، ولن يكون ذلك إلا بإيجاد نظام تربوي وتعليمى راق، يتسم بالجودة والمرونة والفعالية، والاستفادة من كل ما هومتاح من وسائل وتقنيات تكنولوجية فعالة . بغية إحداث نهضة لغوية شاملة تسترجع فيها اللغة العربية وظيفتها الحيوية في ظل الحياة المعاصرة.

ولعل أول ما يستوقفنا قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، وفق ما تقتضيه منهجية البحث هوأن نلم بمفهوم كلمة **التعليم.**

**أولا ـ مفهوم التعليم:**

لطالما اقترن مصطلح التربية والتعليم مع بعضهما البعض، حتى حملت الأجهزة المكلفة بالتعليم اسما مشتركا "وزارة التربية والتعليم" فما المقصود بالتعليم؟

تشير كثير من المصادر إلى أن كلمة التعليم جزء من عملية التربية، وتشمل ذلك الجزء الخاص بالمحتوى والمهارات التي يجب أن يكتسبها الجيل النامي[1]

كما يعرف التعليم بأنه "جملة ما يكتسبه الفرد من حقائق معرفية عبر الوسائل المتاحة للتعلم"، والتعليم لغة كما ورد في لسان العرب؛ مشتق من الفعل الثلاثي عِلِم بالشيء بمعنى أحاطه وأدركه، وعلَّمه العلم والصنعة تعليما؛ جعله يتعلمها، ومن معانيه "الإتقان "فيقال :علم الأمر وتعلمه : أتقنه، وعلمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته"[2].

وقد ورد لفظ التعليم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوعليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ) سورة البقرة، الآية:151 ، ومنه قوله تعالى: **(**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)** [البقرة: 31].

1ــ موسوعة المعارف التربوية، مجدي عزيز إبراهيم ، عالم الكتب، 2007، ص 1082 .

2ــ ينظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة :علم.

والتعليم اصطلاحا كما تعرفه " موسوعة المعارف التربوية "هو " : ترتيب وتنظيم للمعلومات لإنتاج التعلم، ويتطلب ذلك انتقال المعرفة من مصدر إلى مستقبل، وتسمى هذه العملية بالاتصال ."ولأن التعليم المؤثر يعتمد على مواقف ومعرفة متجددة، فإن الحصول على تعليم فعال يستوجب تحقيق عملية اتصال فعالة بين أطراف العملية التعليمية، ويمكن أن تكون الوسائل التعليمية والتكنولوجية من العوامل المهمة في زيادة فعالية عملية الاتصال"[1].

لقد أعطيت له عدة تعاريف فقد عرّفه **(Gates)** على أنّه" :تغير في السلوك له صفة الاستمرار، وصفة بذل الجهود المتكررة حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضي دوافعه وتحقق رغباته "[2]. وهكذا يكون التّعليم هوعملية تعديل مستمرة في سلوك الفرد لتحقيق حاجاته ورغباته . كما ينظر إلى التّعليم أ نّه" :عملية تدفق للمعرفة من المصدر إلى المتعلم، وعلى أساس هذه العملية يحدث التعلم، وعليه يمكن القول إنّ التّعليم يعدّل من سلوك الفرد، ويجعله أكثر قدرة على التأقلم مع البيئة المحيطة به لتلبية حاجاته ورغباته، من خلال تنمية معارفه وتطوير أدائه وتحسين مستواه.

---

1ـ موسوعة المعارف التربوية، مجدي عزيز إبراهيم، 2007، ص 1082.

2 ـ هاشم فوزي دباس العبادي، يوسف حجيم الطائي، أفنان عبد علي الأسدي، إدارة التّعليم العالي :مفهوم حديث في .الفكر الإداري المعاصر، عمان :مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى2008 ، ص:34 .

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن التعليم عبارة عن تلك العمليـة المنظّمـة الـتي يُمارسها المُعلّم بهدف نقل ما في ذهنه من معارف ومعلومـات إلى المـتعلّمين، الذين هم بحاجة إلى هذه المعارف، وهذا يعني أن عملية التعلـيم هـي عمليـة يوجد فيها مـتعلم في موقـف تعليمـي، لديـه الاسـتعداد العقلـي والنفسـي، لاكتسـاب خـبرات ومعـارف ومهـارات واتجاهـات وقـيم تناسـب قدراتـه واستعداداته من خلال وجوده في بيئة تعليمية تتضمن محتوى تعليميا ومعلما ووسائل تعليمية ليتحقق الهدف التربوي المنشود .

ومما توافقنا الإشارة إليه في هذا المقام أن التعليم يعد جـزءا مـن التربيـة رغم استخدامه للدلالة عليها، على اعتبار أن التربيـة أشمـل مـن التعلـيم؛ فالتربية يقوم بها المعلِم وغير المعلم، أما التعليم فهومحدود بما يُقدم داخـل الفصل من معلومات ومهارات، وقد شاع استخدامه للدلالة على معنـى التربية عند بعض السلف في كتباتهم، مثل رسالة( العالم والمتعلم) للإمـام أبي حنيفة النعمان( ت 150 ه)، وكتـاب( تعلـم المـتعلم طريـق الـتعلم) لبرهان الدين الزرنوجي( ت 620 ه)، وأصبح استخدامه اليوم محصورافي الجانب المعرفي المتمثل في طلب العلم.

**مبادئ التعليم** : من المبادئ الأساسية التي لا بـد مـن أن يتضـمنها أي برنامج تعليمي لكي يكون التعليم أكثر فاعلية، المبادئ الآتية:

**1- المشاركة:** ويراد بها ضرورة إتاحة الفـرص للمـتعلمين للمشـاركة في عملية التعليم بشكل مباشر من خلال تبادل المعلومات، أوالعمل على مهـام محددة، ضمن البرنامج، ذلك أن مبدأ المشاركة يعكس التفاعـل والمشـاركة في

الأفكار بين المعلم والمتعلم، وعدم التركيز على دور المعلم فقط في التلقين، ودور المتعلم في التلقي .

**2- المناقلة** : أي تطبيق ونقل ما يتعلمه المتعلم بالواقع الفعلى، إذ أن التطبيق العملى يؤدي إلى تقليل الأخطاء . ومن الممكن أن يتم التطبيق لما يتعلمه المتعلم إما بشكل تدريجى أوبشكل كلى وشامل، فقد يكتسب المتعلم أكثر من مهارة ضمن البرنامج التعليمى، ولذلك يتم نقل هذه المهارات المتعددة إما بشكل كامل أويتم تطبيق كل مهارة في أوقات مختلفة .

**3- التعزيز**: أي تحفيز السلوك المرغوب فيه، والحد من السلوكيات غير المرغوب فيها، وهذا يتم من خلال تهيئة الحوافز الإيجابية والسلبية أمام المتعلمين في البرنامج التعليمي .

**4- التغذية العكسية ( الرجعية)** : تعد التغذية الرجعية أوالمعلومات حول أداء المتعلمين ذات أهيمه كبيرة في كل مرحلة من مراحل التعلم، إذ تساعد المتعلمين في تصحيح أخطائهم .

**5- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين**: حيث أثبتت الدراسات العلمية أن قدرات المتعلمين ومستوياتهم في الفهم والاستيعاب ودرجة الذكاء متفاوتة من فرد لآخر، وهوما يقتضى من المعلم مراعاة هذه الفروق الفردية قوة وضعفا حتى يأخذ كل متعلم ما يستحقه من المعرفة والتربية والتكوين، وهنا تكمن أهمية التعليم، ويبرز دوره الفعال في إعداد الفرد الإعداد الجيد للحياة، القادر على أداء الواجب، وتحمل المسؤولية.

**أهمية التعليم : تشير معظم الأدبيات المتعلقة بالتنمية إلى أن التعليم يعتبر حجر الأساس في عملية التنمية، وأن نجاح التنمية في أي مجتمع من المجتمعات يعتمد اعتماداً كبيرا على نجاح النظام التعليمي في هذا المجتمع.** فإذا كان هناك من تغيير يصبوإليه المجتمع فليتوجه إلى التعليم، ليحقق من خلاله هدفه الأسمى. **لذلك يعدّ التعليم من أهم روافد تنمية المجتمع في كافة المجالات، فالمجتمع الذي يحسن تعليم وتأهيل أبنائه يساعد على توفير الموارد البشرية القادرة على بناء مجتمع قوي سليم يسوده الأمن الاجتماعي والاستقرار السياسي والاقتصادي. لقد أثبتت الدراسات أن هناك علاقة وثيقة بين التعليم والتنمية المستدامة في كافة المجالات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية والبيئية، ولا تستطيع التنمية أن تحقق أهدافها إلا إذا توافرت القوى البشرية المدربة والمؤهلة، ولذلك يؤكد الخبراء والمختصون بأن إدارة التنمية المستدامة، لا تتم إلا من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية. ومن هنا يأتي التحدي التعليمي، والرهان على** تركيز الاهتمام على جودة التعليم، بما في ذلك محتوى التعليم وفائدته ونتائجه، **ودوره في** إكساب الأفراد للمعارف والمهارات والقدرات التي تؤهلهم لأداء دورهم في الحياة، إلى جانب الدور الهام الذي يلعبه عضوهيئة التدريس في تهيئة هؤلاء المتعلمين ليصبحوا أفرادا فاعلين في المجتمع، وهوما يؤدي إلى الاهتمام بجودة الخدمة التعليمية،وجودة عضوهيئة التدريس باعتباره أحد أهم مدخلات العملية التعليمية.

**فإن كانت مخرجات التعليم قادرة على التعامل مع تحديات العصر ومتطلباته المتجددة، ومواكبة المبتكرات العلمية والتكنولوجيا، يومئذ نقطف**

**نتائج وثمار جهد التعليم في تحقيق النقلة النوعية والجذرية التي تهدف إليها التنمية الشاملة المستدامة.**

لقد بات المسؤولون في الدول العربية على وعي تـام بأهميـة مفـاهيم ومبادىء الجودة في التعليم وفي إدارته. فقد جاء بالبيان الختـامي للمـؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ما يلي:

"لقد أصبح اهتمامنا منصبًا على جودة التعليم وتنمية الإبداع والابتكار وتعزيز دور البحـث والتجريـب والتجديـد في تطـوير التعلـيم .أصـبحنا مطالبين بتحقيق نوع من التميز التعليمي للجميع في إطار الجودة الشـاملة التي تعمل علـى تمكـين المـتعلم مـن كفايـات ومهـارات حياتيـة متطـورة تستجيب لحاجات العصر، وهذا يتطلب من أصحاب القرار العنايـة أكثـر بالكيف، وتطوير المناهج التعليمية وجعل غايـات التعلـيم أكثـر اسـتجابة لمجتمع المعرفة بشكل يطابق الفلسفة التربوية لتقرير " التعليم ذلـك الكنـز المكنون " حيث أصبحت هذه الغايات مرتبطة أكثر بـ " تعلم لتعرف، تعلم لتعمل، تعلم لتكون، وتعلم لتشارك الآخـرين "[1]. **ومـن منطلـق أهميـة التعليم في صنع الحضارة وبناء الإنسان، كان من الضروري أن يحظـى هـذا القطاع باهتمام كبير، وأن توضع له أسس وخطط لتحقيق الرقي والنهضـة المنشودة، ولن يتم ذلك إلا من خلال الاستثمار في رأس المال البشري. حيث يشكل التعليم محوراً أساسيا لكافة الخطط التنموية، كما أنه ركيزة مهمة من مرتكزات التنمية المستدامة، بالإضافة إلى المهام الرئيسـية الأخـرى المرتبطـة**

1 ــ المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب،2004 ، ص: 30.

**بالجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، التي تسهم بدورها في نهضة ورفعة وتقدم المجتمع.**

ولقد تميزت الآونة الأخيرة بمحاولات جادة لتطوير أساليب واستراتيجيات التدريس، وتحديث التعليم وتنويعه في كثير من الدول المتقدمة والنامية، وذلك سعيا للتغلب على نمطية الأساليب التقليدية في التعلم، حيث اجتهدت كثير من الدول، ومن بينها الدول العربية في تجريب استراتيجيات جديدة من التعليم، لجعله أكثر ملاءمة وتجاوبا مع حاجات الفرد ومطالب المجتمع .

حيث ركزت النظريات التربوية الحديثة على دور التلميذ فجعلته محور العملية التعليمية التعّلمية، بينما رأت أن يكون دور المعلم منظما ومحاورا ومرشدا.

وبالتالي فإن أهداف التعليم ازدادت وتعددت فلم تعد مقصورة على نقل المعارف إلى التلاميذ أوتدريبهم على بعض المهارات المحددة، بل أصبحت تتناول جميع أبعاد الشخصية الإنسانية، ينبغي أن يشهد التعليم تغييرا جذريا كي يستجيب بصورة أفضل لمتطلبات العصر، في عالم يشهد تغييرات وتطورات كثيرة وسريعة جدا، ويزداد فيه الترابط بين الدول وتأثير بعضها على البعض الآخر في إطار اقتصاد العولمة، وهوما يتطلب تفعيل بعض الآليات لتطوير وتحقيق الازدهار للغة العربية.

**من آليات ازدهار اللغة العربية في العصر الحديث :**

أثبتت الدراسات والأبحاث العلمية الرصينة في جل الحقول المعرفية المهتمة بالفكر واللغة والتربية أن التعليم يعتبر الخطوة الأولى في عملية

الإصلاح والتغيير، بل هورهان التحدي، وأساس عملية النهوض،" ولا يكون التعليم جيدا وفعالا إلا بالتجديد في المناهج، وفي طرائق التبليغ، وفي المضامين"[1] العلمية والمعرفية.

لقد أضحت متطلبات مجتمع المعرفة تشكل تحدّيات كبيرة تواجه المجتمعات البشرية، حيث لم يعد مجديًا للأمم المعاصرة تجاهل هذه الحقيقة أوالتأخر في أخذها بالحسبان. لقد أصبحت المعرفة اليوم من أبرز مظاهر الثروة والسلطة والقوة والتميز، فالدول التى لم تدرك بعد أن المعرفة هي العامل الأكثر أهمية لبناء القدرات والانتقال من التخلف إلى التطور، ستجد لا محالة نفسها على هامش الحياة، وهوما يتطلب إعادة النظر في أساليب التعليم وطرائق التدريس ومفردات المناهج، ونظم الدراسة، وكل ما تقتضيه عملية تحديث تعليم اللغة العربية"[2].لذلك "يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصيةالإنسان " **ومن هنا يأتى التحدي التعليمي، من خلال التركيز على الدور الفعال الذي ينبغى أن يضطلع به في إحداث تنمية شاملة، وذلك** من خلال الاهتمام بالمقومات الأساسية التالية:

**أولا : الاهتمام بالمناهج والبرامج الدراسية:** إن الاهتمام بالمناهج الدراسية يعد استثمارا حقيقيا لازدهار اللغة العربية، وآلية هامة من آليات تطويرها، ويتم ذلك عن طريق تعليم النشء طرقًا حديثة، تواكب التطورات الحاصلة في الوسائط التكنولوجية، والاهتمام بأطفالنا بدءا بالمراحل الأولى

1ــ الاهتمام بلغة الأم ــ العبرة من الفرنسيين ـ، صالح بلعيد،ص:261.

2 ــ اللغة العربية لغة حياة، أعضاء لجنة تحديث اللغة العربية، ص: 12.

في الحضانة ثم الروضة، ثم التعليم الابتدائى، وعلى الجهات المعنية أن تعنى بموضوع تعليم اللغة لأبنائها، أولغيرهم من الناطقين بغيرها، ممن يريدون تعلم العربية، مع تخصيص ميزامية لنخبة من الكفاءات المتخصصين في اللغة والتربية وعلم النفس، وطرائق التدريس والقياس والتقويم والتكنولوجيا الحديثة، مهمتهم تصميم مناهج تواكب العصر، وتستفيد من مناهج تدريس اللغات الأخرى، واستعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة في تدريسها.

**ثانيا : الاهتمام بكتب اللغة العربية** : نظرا للدور الخطير الذي تضطلع به كتب اللغة العربية في المجال المعرفي والوجداني والنفسى والسلوكى، التى من خلالها يتم" صقل شخصية التلميذ، وتزويده بأدوات المعرفة وأساسياتها، إذ هى التى تتولى إكساب التلميذ ــ منذ نعومة أظفاره ــ مهارات القراءة والكتابة التى تعد النافذة التى يطل منها على العالم من حوله، فيتفاعل معه، وينفعل به أخذا وعطاء، استقبالا وإرسالا" [1]. فإن ارتباط ذلك بطبيعة هذه اللغة لن يجعل من كتاب تعليم اللغة العربية "مجرد وسيلة تعليمية لتنمية مهاراتها، أوإتقان استعمالاتها، وإنما سيكون ناقلا لقيم أمة عريقة التراث، ومعبِّرا عن حضارة شعب متميز الملامح، ترتبط لغته بأعز ما لديه، وبأغلى ما عنده، إنها لسان عقيدته، ولغة كتابه المبين" [2] ؟

---

1ــ دراسة تحليلية للمضامين الأخلاقية في كتب اللغة العربية للصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية بدول الخليج،، حسن جعفر خليفة، مقال متاح على الأنترنت، موقع جامعة أم القرى.

2 ــ المرجع السابق نفسه.

ومن هنا تأتى أهميّة تعليم اللغة العربيّة لما لها من قدسيّة، ومكانة خاصة عند المسلمين، كونها لغة القرآن الكريم ولغة الدين. وعلى هذا الأساس فإن الحفاظ على هذه اللغة وحمايتها، والعمل على انتشارها وازدهارها والتمكين لها، ليس عملاً تعليمياً تربوياً، أونشاطاً ثقافياً أدبياً، أووظيفة من وظائف وزارات التربية والتعليم والمؤسسات والهيئات المختصة فحسب، بل هوعمل من صميم الدفاع عن أهم مقومات وخصوصيات الشخصية العربية .

لذلك فإن المسألة، في عمقها وجوهرها، تتطلب جهدا أكبر، وعملاً أكثر جدية وفعالية، وحشداً للطاقات الحية وللجهود المخلصة، في إطار التنسيق والتعاون، والعمل العربي المشترك على مستوى المنظمات والمؤسسات والجامعات والهيئات المختصة لخدمة وتطوير اللغة العربية. ذلك أن المجتمع ينتظر من أبنائه المتعلمين القدرة على تطوير الواقع نحوالأحسن في جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية، لأن زمام الأمور ستكون لاحقا بيد هؤلاء الأبناء، وإذا كان لابد من النهوض السريع بالمجتمع، فإن هذا النهوض لا يكون إلا بهم.

**ثالثا:** إعداد أساتذة متخصصين من ذوي الكفاءات والخبرات العالمية، للتخطيط المبنى على دراسات علمية جادة، لوضع مناهج في مختلف التخصصات باللغة العربية، وفق حاجات المتعلمين وحاجات البيئة، وملاحقة عالم التكنولوجيا. والبحث عن وسائل حديثة للتدريس بالاستعانة بالوسائط التكنولوجية الحديثة ووضع معايير للقياس والتقويم، تتماشى مع المعايير الدولية ليستطيع القائمون على العملية التعليمية استخلاص النتائج، والاستعانة بها في تكوين المناهج، ووضع الخطط المستقبلية. لهذا يعطي كثير

من التربويين وزنا أكبر لدور المعلم، وما يقوم به في عملية التغـيير التربـوي، فالتعليم ذوالجودة العالية مرتبط ارتباطا وثيقا بالمعلم الكـفء، الـذي يمتلـك الكفايات والمهارات والقدرات المعرفية والمهنية والشخصية التى تجعلـه قـادرا على تقديم تعليم نوعي متميز.

إلى جانب ذلك فإن مـدرس اللغـة العربيـة حتـى يـؤدي دوره ورسـالته المنوطة به بأمانة وكفاءة واقتدار لابد أن يكون لـه : مـنهج تعليمـي متكامـل للغة العربية وثقافتها، انطلاقا من حاجيات المتعلمين والصعوبات الشخصـية لكل مرحلة تعليمية ومتطلباتها، مما يسهم في رفع مستوى أدائهـم لأدوارهـم المهنية[1]. وعليه،يجب على مدرس العربية أن يتوفر على جملة من الخصائص والمؤهلات المطلوبة [2]:

1ــ منها حب المهنة والتمكن مـن المـادة العلميـة، وأسـاليب تدريسـها، وربطها بواقع الحياة :

2ـ الملكـة اللغويـة الأصـيلة وسـعة الاطـلاع علـى العلـم والمعرفـة في مجالات متعددة.

3 ــ ملكة تعليم اللغة وفنيات التبليغ، وهي الهدف الأسمى بالنسبة إليه.

---

1ــ التنمية المهنية المستدامة لأستاذ الجامعـة في ضـوء مـتغيرات العصـر، أحمـد حـافظ، المـؤتمر السنوي الحادي عشر للتعليم الجامعي العربي: آفاق الإصلاح والتطوير، مركز التعليم الجـامعي، جامعة عين شمس، القاهرة.

2 ــ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، مجلـة اللسانيات، مهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد:4، 1974، ص44.

4 - إلمامه بقدر من المعرفة الخاصة بعلم النفس والتربية والبيداغوجيا، الاستفادة من النظريات والأفكار والممارسات الجديدة، والتمكن من الوسائل التكنولوجية الحديثة، وتوظيفها في مجال التدريس.

وباختصار عليه معرفة : ماذا يعلم؟ كيف يعلم؟ لماذا يعلم؟ ومن يعلم؟ حيث يعد المعلم العصب الحيوي في العملية التربوية، وأن أي إصلاح أوتطوير في العملية التربوية، يجب أن يبدأ بالمعلم، إذ لا تربية بدون معلم كفء متمكن من أداء رسالته [1]، فالمعلم الجيد المتمكن من كفايات المهنة، يحدث أثرا ملموسا في المتعلمين حتى لواعترى المنهج نوع من القصور.، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية تطوير كفايات ومؤهلات معلم اللغة العربية ودوره المحوري في العملية التربوية والتعليمية[2].

**رابعا:** إعادة النظر في ثنائية اللغة في الوطن العربى، فالتلميذ عندنا يعانى من استعماله للهجات الدارجة في مجتمعه إلى جانب لغة أخرى تعد دخيلة على لغته التى يتعلمها في المدرسة، وهذا ينعكس على قاموسه اللغوي، صحيح أنه يكتسب مفردات جديدة بلغة أخرى، لكن على حساب ثروة لغوية، ربما كانت تنمو بسرعة لوكان تعليمه بلغة واحدة في مرحلة عمرية معينة، ويتم تحديد حاجة الطفل للغات الأجنبية في كل مرحلة عمرية.

1 ـ تصور مقترح لتطوير كفايات معلمي اللغة العربية والتاريخ في ضوء متطلبات مجتمع المعرفة، عقيلي محمد موسى والحنان محمد، مجلة كلية التربية بالوادي الجديد، جامعة أسيوط، 2013، ص: 2 .

2 ـ معلم القرن الحادي والعشرين أسس إعداده وتأهيله، ربيع هادي مشعان، مراجعة طارق عبد الدليمي، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2009، ص:25.

**خامسا** : الحرص على نشر العربية، وكل ما يتعلق بها على شبكة الأنترنت، وتصميم مواقع جذابة لتعليم العربية، كما يعلم أهل اللغات الأخرى لغاتهم، ونقوم باستغلال التقنيات الحديثة، وتحويل اللغة العربية إلى بضاعة يقبل عليها الذين هم في حاجة إليها برغبة وفاعلية، والترويج لها عبر مختلف الوسائل، ولا يتسنى ذلك إلا إذا طورنا البرامج الحاسوبية التى تعالج النصوص العربية، كما يجب الاستثمار في البرمجيات التى تساعدنا على نشر كل ما يتعلق باللغة العربية، وتطوير مناهجها وطرق تدريسها، ونستفيد من تجارب الدول التى تساعنا على نشر لغاتها حتى أصبحت منتجا يتنافس على ترويجه المروجون، ويقبل عليه المتعلمون، كما هوالحال مع اللغة الانكليزية التي لا يخلوبلد من مراكز تعليمها، ومنح شهادات في إتقانها.

**سادسا- الاهتمام بوسائل الإعلام:** لا أحد ينكر الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية، ونخص بالذكر القنوات التلفزيونية والإذاعة، والصحافة المكتوبة والأنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعى، فلا بد من استغلالها الاستغلال الأمثل في تثقيف الطفل وتلقينه اللغة العربية بطريقة عصرية مرنة، لا تجعله يشعر بصعوبتها، وقد لعبت بعض البرامج دورا مهما في هذا المجال، وينبغي أن نشير هنا أن نشر ثقافتنا من خلال شبكة الأنترنت، والوسائط التكنولوجية الحديثة التى يقبل عليها كثير من شبابنا هوأفضل وأسرع للتأثير في عقولهم، وهوما يقتضى التنسيق مع وسائل الإعلام العربية لإنتاج يرامج وأشرطة وأفلام تعنى بتعليم الناشئة اللغة العربية السليمة، وكذلك الاهتمام بالوسائل التكنولوجية الحديثة وتسخيرها بما تحمل من إمكانات، وبما لها من قدرة على الانتشار ، وما لها

من تنوع في وسائط التواصل الاجتماعى للقيام بحملة دعائية مستمرة لتعلم اللغة العربية. ومما يساعد على التمكين للغة وتعليمها حسن الاختيار للمذيعين وللمذيعات من ذوي المعرفة والخبرة والمران، واستخدامها في جميع البرامج الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون، والجرائد والحرص على احترام اللغة العربية، والمحافظة على سلامتها وصحتها في جميع المواقع التى تستخدم فيها اللغة، فاللغة ممارسة في المقام الأول، أي مهارة يمتلكها الفرد بالدربة والمزاولة تحدثا واستماعا، إرسالا وتلقيا، والمؤسف حقا أن حظ أبناء العربية من ذلك كله لا يرضى لأسباب عديدة، من أهمها :ضعف الكفاية اللغوية لدى الأغلبية سواء من كانوا في التعليم في مختلف مستوياته، أم في وسائل الإعلام على مالها من حضور وأهمية وتأثير كبير، ولا يخفى ما للبرامج الموجهة إلى الأطفال باللغة العربية الفصحى من أثر في توفير المحيط اللغوي الأقرب إلى السلامة، وهوما يساعد على تعزيز الملكة اللغوية لديهم، وفي جعل العربية الفصيحة مقربة إليهم، ومألوفة عندهم.

**ـ القيام بدراسات وبحوث علمية، لإيجاد علاج للزحام اللغوي المحلي والأجنبي للغة العربية**: الواقع أن اللغة العربية مزاحمة في عقر دارها بأنماط لغوية محلية تتمثل في لهجاتها المتعددة، وفي اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنكليزية، وهوما يؤثر على أبناء العربية لحرمانهم من بيئة لغوية سليمة. حيث يشير الباحثون أن تعليم الطفل اللغة الثانية بعد إتقان الأولى، اللغة الأم يصب في مصلحة اللغتين معا.

وعليه فإن الاهتمام باللغة العربية، والعمل على جعلها أداة فاعلة في نشر التعليم والفكر والثقافة العربية والإسلامية أمر في غاية الأهمية، ومسؤولية

لا ينبغي أن نتنصّل منها بـأي شـكل كـان، ويجـب أن تكـون مـن أولويـات المهتمين بالإصلاح التربوي على مستوى العالم العربـي بأسـره. فقـد أولـت الشعوب المتقدمة، وحتّى النامية، لغاتها اهتمامـا خاصـاً، فتقـدمت كـثيراً في أساليب تَعْلِيمها وتَعَلُّمِها، ذلك لقناعة تلك الأمم أنّ التقدّم العلمي والـتقني لا يمكن أن يحصل باستعارة لغة أجنبية أوالاستمرار في الترجمة لكل مصطلح يظهر هنا وهناك. ولـذا أوصـت المنظمـة العالميّـة للتربيـة والعلـوم والثقافيّـة (اليونسكو) كل أمم الأرض قاطبة ـ على أساس تقارير أعدّها خبراؤها، بأن تدرّس كلّ أمّة أبناءها العلم بلغتها، وذلك إذا أرادت أنْ تظـلّ مبدعـة منتجـة للعلم والعلماء، فكلّما كانت لغة العلم هي لغة التفكير والخطاب اليومي كـان ذلك مدعاة لرسوخ العلم لدى المـتلقين، لأنّـه لا يحتـاج إلى وسـيط أوإجهـاد فكر[1]. وتبدوهذه المسألة أكثر أهميّة لدينا نحن أبناء الأمّة العربيّة والإسلاميّة، لأنّ العربيّة مثلما هي هويتنا وعنواننا الذي من خلاله ننتسب إلى عروبتنا، هي كذلك لغة ديننا والتي من خلالها نستطيع أن نعي مقاصد هذا الدين وحـدوده، فنلتزم بأوامره ونبتعد عن نواهيه عن معرفـة وإدراك، قـال تعالى:"إِنَّمَـا يَسَّـرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ".( مريم: 97).

**ـ دخول العربية إلى عالم المعلوماتية والشابكة**: يعد دخول العربيـة إلى عالم المعلوماتية والشابكة ضرورة حتمية لمسايرة متطلبات العصر، وآلية مهمة لتطـوير العربيـة، والملاحـظ أن مجتمعنـا العربـي يعـاني الضـعف في هياكلـه

1 ـــ عوض بن حمد القوزي، تبسيط استخدام اللغة العربيّة، جمعيّة حماية اللغة العربيّة، الشارقة، ط1(1422)، ص:3.

الأساسية لتقتية المعلوماتيـة والبرمجـة، ويتجلـى ذلـك الضـعف في شـبكات الاتصال والقواميس والموسوعات، وأيضا ضعف استعمالها للشابكة، ونقص في استخدام التقنيات التربوية الحديثة، في عمليتي تعليمهـا وتعلمهـا. وهومـا يتطلب بنية تحتية متطورة وتقنيات حديثة وعقول مدربـة، ومـؤهلات علميـة متفتحة على كل ماهو جديد.بغية القضاء على كلّ المشاكل التقنية التى يمكـن أن تواجه استخدام اللغة العربية في هذا المجال .

## خلاصة واستنتاج:

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج ما يلي:

1ـ إن ازدهار اللغـة العربيـة لـن يتحقـق إلا عـن طريـق الاهتمـام بهـا، والعمل على تطويرها وتعليمها وانتشارها، وتلك مسـؤولية لاتقتصـر علـى الأفراد، بل هي مسؤولية المجتمع العربي الإسلامي بأكمله، علـى المسـتويين: الشعبي والرسمي، إذ إنها الهُويِّة الوطنيّة والقوميّة، والنهوض بها يحقق مفهوم الانتماء لهذه القومية التي تربط الحاضر بالماضـي، فمـن لـيس لـه مـاضٍ، لا حاضر ولا مستقبل له.

2ـ تلافي جوانب الضـعف والقصـور في بـرامج إعـداد معلمـي العربيـة، والعمل على رفع مستوى أدائهم المهني، وصقل مهاراتهم التعليميـة، وزيـادة معارفهم، والتفاعل مع منجزات العصر ومواكبتها، وتوظيفها في تعليم اللغـة العربية، وهوما يعني أن ازدهار اللغة العربية، وزيادة فاعليتها رهن بالارتقـاء بمستوى أداء المعلم، والنهوض بالمهنة التي ينتمي إليها، حيث تعد كفاءة المعلم هي المسؤولة على إرساء سمة التجديـد والتغـيير، وذلـك عـن طيـق تأهيـل

معلمي اللغـة العربيـة بشـكل يخـدم اللغـة ومتعلميهـا علـى أسـس تربويـه معاصرة.

3 ـ دخول العربية إلى عـالم المعلوماتيـة والشـابكة، والـتمكن مـن كيفيـة توظيف الأجهزة الحاسوبية في مجال تدريس مواد اللغة العربية.

4 ـ القيام بدراسات وبحوث علمية، لإيجاد علاج للزحام اللغـوي المحلـي والأجنبي للغة العربية.

5 ـ الاهتمام بوسائل الإعلام والوسائط التكنولوجيـة الحديثـة، وتفعيـل دورها في نشر اللغة العربية وثقافتهـا، ونخـص بالـذكر القنـوات التلفزيونيـة والأنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، واستغلالها الاستغلال الأمثـل في تثقيف الطفل وتلقينه اللغة العربيـة بطريقـة عصـرية مرنـة، لا تجعلـه يشـعر بصعوبتها.

6 ـ تعزيز دور المجامع اللغوية العربية ودعمها ماديا ومعنويا، وتفعيل دور المؤسسات التي ينبغي أن تكون معنية بتطوير تعليم اللغة العربية في المـدارس والجامعات والحياة بشكل عام، وقيامها بالدور المنوط بها بالشكل المطلوب.

7 ـ إنشاء مراكز بحث لدراسة الظواهر السلبية على تعليم اللغة العربية.

8 ـ وضع سياسة معينة للتعامل مع تعليم اللغـات الأجنبيـة (الإنجليزيـة، والفرنسية) في مراحل التعليم المبكر في المدارس العربية.

9 ـ تعزيز الوعي اللغـوي والانتمـاء إلى الأمـة ولغتهـا الأم علـى جميـع المستويات.

10 ـ تفعيل القوانين والتشريعات الصادرة في الكثير مـن الـدول العربيـة بخصوص اللغة العربية.

11 ـ ضرورة استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في المؤسسات والدوائر الرسمية .

12 ـ تعزيز جانب الترجمة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

# جديد العربية في كتاب (نظرية اللغة العربية) للدكتور عبد الملك مرتاض

أ.د. يوسف وغليسي

قسم الآداب واللغة العربية كلية الآداب واللغات

جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة

ربيعٌ لغويّ عربيٌّ مَريع يصنعه الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه (نظرية اللغة العربية) [1]، لكنّه ربيع علميّ بحتٌ، منزوع الأهداف السياسية والإيديولوجية، بل هومجرّد ثورة لغوية عارمة ضدّ بعض الأنظمة والأبنية النحوية البالية التي تنتظم اللغة العربية، وتأسيس جديد لأبنية أخرى على أنقاضها.

## غزل لغوي:

وعبد الملك مرتاض أثناء ثورته اللغوية وقبلها وبعدها، هوعاشق الضاد المفتون بلغته التي خصّها، منذ ثلاثين سنة، بمقالة غزلية رهيبة تنضح شِركا لغويا طيّبا جميلا؛ عنوانُها "كما أحبّ الله أحبُّ العربية"...[2]!

---

[1] عبد الملك مرتاض : نظرية اللغة العربية –تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، الجزائر، د.ت.

[2] جريدة (المساء)، الجزائر، عدد 265، 30 مارس 1987، ص 08.

نقرأها فنتذكر قولةَ العالم العاشق اللغوي القـديم أبـي الريحـان البيرونـي (ت.440 هـ) الذي انتصر للسانه العربي على حساب أرومته الفارسية حين قال :"والله لأن أُهجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية"!.

ونقرأ (نظرية اللغة العربية)، فنستذكر حتما كتابًـا (في النحـوالعربي-نقـد وتوجيه) [1] للدكتور مهدي المخزومي (ت. 1993) الذي سبق له أن أشـعل الثورة النحوية الكبرى عام 1964.

هي المرة الأولى التي يـدوّن فيهـا الـدكتور عبـد الملـك مرتـاض خلافاتـه اللغوية الجذرية مع النحويين العرب قدمائهم ومحدثيهم، ويصدرها في كتـاب مستقل، بعدما كانـت تلـك الخلافـات ملحوظـاتٍ جزئيـة متفرقـة في سـائر كتاباته.

لعلّها أن تكون أجلى وأعنف في معركتـه اللغويـة التاريخيـة مـع العلاّمـة الدكتور إبراهيم السامرائي [2] الذي أراد أن ينصب له شرَكا لغويا، فوقع فيه، وانقلب السحر على الساحر!.

---

[1] مهدي المخزومي : في النحوالعربي-نقد وتوجيه، ط1، منشورات المكتبـة العصـرية، صـيدا-بيروت، 1964.

[2] نشر الدكتور السامرائي مقالته (من فتنة المعاصرة)، في مجلة "المنهل" السعودية (المجلد 55، العدد 511، ديسـمبر 1993-جـانفي 1994، ص ص 64- 73)، وكانـت في عمومهـا نقـدا لغويـا لكتاب مرتاض (بنية الخطاب الشعري)، فردّ مرتاض على مقالته بمقالة أعنـف منهـا تقـع في 25 صفحة، نشرها بعنوان (هل الحداثة فتنة؟) في حلقتين اثنتين من (المنهل) :

الحلقة الأولى : المجلد 56، العدد 516، جوان 1994، ص ص 129-139.

الحلقة الثانية : المجلد 56، العدد 517، جويلية 1994، ص ص 114- 129.

وهي خلافات لا تُفسد للودّ اللغوي قضية، بدليل استهلاله لكتابه المذكور بمقدمة غزلية ساحرة تكشف حبّه الأزلي المتجذّر العميق للعربية؛ فقد أقسم -خلالها- بـ"حقّ دارةِ جُلجُلٍ وما حواها، وعذارى دَوار وما جلاّها، لَلعربيةُ سيدة اللّغاتِ منزلةً وجَاهاً"، ولَلعربية، رُبَّهَا لغةً، ما أبدعها وأحلاها، وأوسعها وأعلاها، وأكمَلها وأرقاها، وأسهلَها وأغناها (...) فليس للعربية إلا أن تُفاخر بما حُبيت به وتتباهى، وترتئد بين اللُّغى في المقامات ولا تخشاها، فواها للعربية ثمّ واها!"[1]. وهي "أكبر لغات الكون إطلاقا، وأوسعُها دلالة في الدلالات، وأدقّها معانيَ في المعاني، وأكثرها أبنية في المباني، وأغناها تخاريج لدى المعالجة، وأوسعُها تفاريق لدى التفهّم، ولذلك يتجاسر ويتكابر من يدّعي أنّه قادرٌ على معرفتها معرفةً دقيقة بمن فيهم، منْ نراهم من أكابر أئمتها"[2].

من هذا المدخل التقديسي، يدخل مرتاض أنحاءَ العربية ثائرا وناقدا ومجدّدا، عسى أن يكون هذا الحبّ كله شفيعا له في أيّ شطط محتمل.

وما كان عبد الملك مرتاض بِدْعا من شيوخ العربية الأشاوس في حرصهم على تجديد دماء العربية ومحاولة تخليصها ممّا يتهدّدها من أسباب التخثّر والتجلّط؛ فهذا الدكتور مازن المبارك، على سبيل التمثيل، وبعد عمرٍ طويل من دراسة النحووتدريسه بشتى الطرائق والمناهج، يطلع علينا بمقالته الثائرة (تعليم النحو)، وقد هاجه منهج تدريس النحولدى المعاصرين الذين اختزلوا النحوفي الإعراب، وهوأعمّ وأشمل (لوكانوا يدركون)، وانتحوا (بنحوهم)،

[1] نظرية اللغة العربية، ص 05.
[2] نفسه، ص 06.

نواحي نائية عن النصوص الأدبية وعن اللغة الحية وعن لغة الحياة نفسها، فراح ينعى عليهم تدريس النحوبمعزلٍ عن سائر علوم العربية المتكاملة من نحووصرف وإملاء وبلاغة وفقه اللغة، وما جاورها من المعارف التي يُعين بعضها بعضا، مقترحا "أن نخفّف ما أمكننا من الأمور النظرية وأن نزيد من أحكام الربط بين النحووأحكامه والمعاني ومتطلباتها، وأن نوقف الطلاب على أثر اختلاف مواضع الألفاظ في الجمل والتراكيب في اختلاف المعاني" [1]، وأن نستغني "ما أمكن عن التفصيلات الجزئية، والشاذ والنادر وكل ما لا يُفيد في توظيف النحولخدمة اللغة" [2]، وألاّ "نرسّخ في أذهان الطلاب الأمثلة النادرة، والشواهد الشاذة، والآراء المفردة الغريبة، وكم يخطئ المعلم الذي يعرض عضلاته أمام طلابه بذكر الغريب والمعقّد والآراء المتباينة للمدارس النحوية المختلفة، أويعرض لهم شيئا من الألغاز النحوية ومسائلها... إنّه لا يجوز أن يبتعد النحوعن اللغة الحية البسيطة، بل يجب أن يكون معيار التعليم هوما نستطيع أن ننقله بيُسر وإفهام لا ماذا نعرف؟..." [3].

أوبمعنى آخر : ينبغي أن نكرّس تدريس النحولإتقان اللغة وفهم نصوصها، لا لتعليم قواعد لا مجال لاستخدامها في مجتمعاتنا اللغوية؛ كقواعد النّصب بلم، والجزم بلن،...

---

[1] مازن المبارك : تعليم النحو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 85، الجزء 4، تشرين الأول 2010، ص 968.

[2] نفسه، ص 973.

[3] نفسه، ص 974.

## لا للمرجعية النحوية الأحادية :

منذ البدء، يرفض مرتاض تأسيس النحو العربي على كتاب سيبويه، كما يفعل جمهور اللغويين العرب، ويراه أعظم وأعقد من أن يؤسّس على رجل واحد؛ وإن سبقه رجالات ولحقوه دون أن يبلغوا شأوَه وشهرتَه، ولا أن يؤسس على كتاب واحد، حتى لوكان هو(الكتاب)! .

لقد ظلّ سيبويه "المرجع الأعلى للنحو العربي"[1]، وإن لم يكن يحلم بذلك، لأنّ كتابه –فيما يبدو– قائم على ما حصّله من دروس أستاذه الخليل بن أحمد الذي يعدّه مرتاض "أستاذَ العربية الأول، وهو إمام النحاة الحقيقي"[2]، بل هو"أنحى نحاة الأمة على الإطلاق (...) يضاف إليه يونس بن حبيب، وأبوعمروبن العلاء، ورعيل من رواة الشعر والعربية الأوائل أمثال الأصمعي، والكسائي، وابن الأعرابي، وأبي عبيد، والمبرّد"[3].

يقرّر ذلك دون أن يقصد إلى المفاضلة بين العلماء أوالتمييز بين أهل البصرة وأهل الكوفة، وقد قال بمثل قوله بعضُ أجدادنا حين قرروا أن "سيبويه أعلم الناس بالنحوبعد الخليل"[4].

---

[1] نظرية اللغة العربية، ص 07.

[2] نفسه، ص 73.

[3] نفسه، ص 73.

[4] السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1987، ج02، ص 405.

لكن (مرتاض) يحتجّ لذلك بأنّ سيبويه قد طلب النحو كبيرا، بعد أنْ كان يطلب الحديث، بملازمةٍ متأخرة للخليل ويونس، لم يكن يتغيّا من ورائها -أبدا- التنظير لعلمٍ، بل كان قصاراه منها الانتقام لقلة حظه من النحو، بعد الغبن النفسي الذي ألمّ به خلال مسألة "ليس أبا الدرداء" في الحديث المشهور، والتي نطقها على الرفع لا على النصب؛ ظانًا مجيئَها اسمًا لـ(ليس) التي من أخوات (كان)، ولم يدر في خلَده أن (ليس) يمكن أيضا أن تكون أداة للاستثناء!.

ولعلّ ذلك موصول –مرّة أخرى- بالمسألة الزنبورية*؛ حيث تحالف الكوفيون ضدّ سيبويه وتكالبوا عليه، فخطّؤوه بغير حق، إمعانا في تبكيته وتحقيره والتقليل من ألمعيته وعالميته، وما كانت جهوده النحوية الجليلة إلاّ ردّا لاعتبار نفسي افتقده في ذينك الموقعيْن العلنيّين، وقد "حمَّل نُحاة الأمّة الرجلَ حِملاً ينوء بأثقاله وحده، في حين لم يكن هو، في حقيقة أمره، وفيما نهض به من جهد عظيم، إلاّ متأملا مؤسّسا، لا مقعّدا للعربية ولها منظّرا"[1].

## التأنيث هو الأصل :

خلافا لما أجمع عليه جمهور الدارسين العرب، قدمائهم ومحدثيهم، الذين اتفقوا على أنّ التذكير هو الأصل اللغوي؛ فـ"للمذكر الغلبة والفضل، على ما يفتي به الفقه النحوي"[2]، و"تذكير المؤنث واسعٌ جدّا، لأنه ردّ فرع إلى أصل،

* لمراجعة تفاصيل المسألة الزنبورية بين الكسائي وسيبويه، ينظر :
(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د.ت، ج02، ص 224.

[1] نظرية اللغة العربية، ص 06.

[2] يسرى مقدم : الحريم اللغوي، شركة المطبوعات، بيروت، 2010، ص 45.

لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب"[1]، و"تذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر، لأنّ التذكير أصل، والتأنيث فرع"[2]، خلافا لذلك كله تسعى نظرية عبد الملك مرتاض الجديدة إلى "البرهنة على أنّ الأصل في العربية هوالتأنيث"[3]، وأنّ "لغتنا أنثى صُراح"[4].لتأكيد هذا الافتراض الإشكالي، الذي يصعبُ ترسيخه!، يخصّص القسم الأول من كتابه لـ (أنثوية النحوالعربي)، ويفصّله إلى ثلاثة عشر فصلا كاملا (بعضُها ليس منه، بل ينأى نسبيا عن جوهره المركزي)، يستهلّها بفصل أوّل يدلّ عنوانه على مبتغاه دلالة قاطعة (نظرية الأنثوية في نظام العربية-جُعلت العربية أنثى!) ثمّ يعود في القسم الثالث من كتابه (الفصل الثاني خصوصا) ليحلّل نصوصا دالة على عبقرية النظام اللغوي العربي (من الأمثال العربية القديمة)، تعيد اللغة إلى منبتها في حِضن المرأة العربية.

من أَمارات أنوثة العربية، في نظر مرتاض، أنّها "اللغة الوحيدة –أومن القليلات حتى لا نقطع بالحكم- التي تؤنّث المثنى الدال على امرأتين"[5]، وأنّها تعطي المرأة حقها اللغوي فتتساوى مع الرجل أمام قاعدة العدد والمعدود؛ حيث تؤنث القاعدةُ العددَ للمعدود المذكر، وتذكّره للمعدود المؤنث في الأعداد المفردة من 3 إلى 9.

---

[1] ابن جني : الخصائض، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج02، ص 415.

[2] الكفوي: الكليات، إعداد عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص 820.

[3] نظرية اللغة العربية، ص 55.

[4] نفسه، ص 17.

[5] نفسه، ص 17– 18.

وحين يعرج على علامات التأنيث، يستعين بالفرّاء الذي أحصى خمس عشرة علامة للتأنيث (في الأسماء والأفعال والأدوات)، ويتوقّف -مطوّلا- عند (تاء المبالغة)؛ حيث يلاحظ أنّ "العربية تبالغ في ميلها للمرأة فتراها تطلق أبنيةً بعينها على الرجل وهي مؤنثة، كقولهم علاّمة، وفهّامة، وتِلعابةٌ، وتِمزاحة،... وما جاء على بناء (فُعَلَة) أيضا مثل (هُمزة، لمزة)..." [1].

لا يتفق مرتاض مع النحويين في تسميتهم هذه التاء (الهاء) تاء المبالغة، لأنّ ذلك "شأنٌ ليس له معنى كبير" [2]، ولأنّ المبالغة كاملة أصلا في صيغتها المذكرة (فعّال)، لذلك يفضّل المصطلح الذي ينفرد به الخليل بن أحمد (هاء المبالغة والتفخيم)، مقتصرا على جزئه الثاني (هاء التفخيم)؛ حيث "الشرف اللغوي كله لهذه الهاء الخالصة للمرأة، فكأنّ العرب حين تريد تفخيم المعنى وتعظيمَه والرفع من قيمته وقدْره، تعمد إلى التماس تاء التأنيث فتجعلها زينة له، وتاجا على آخر لفظه" [3]. كما يقف على (تاء التمييز) التي تميّز الشيء الواحد من جنسه (ثمرة، تفاحة، نملة،...)، فيراها "تاء تأنيث صريحة" [4]، و(تاء العِوَض)، التي تلحق الأسماء التي افترض النُحاة أن الحذف قد وقع في أوّلها (كالواوالمفقودة في "زنة" التي أصلها المزعوم "وزن")، إذ يستشعر "في لفظة العدة شعرية عَرَتْها بفضل وقوعها تحت سلطة التأنيث فزانتها" [5].

[1] نفسه، ص 19.
[2] نفسه، ص 19.
[3] نفسه، ص 22.
[4] نفسه، ص 50 (الهامش 4).
[5] نفسه، ص 51.

ومثل ذلك ما يلاحظه على التاء التي تلحق بعض الأبنية الدالة على الصفات (ركوبة، حلوبة، ركبانة، حلبانة،...)، وتاء التأنيث التي تلحق المصادر (غلَبة من غَلب، سرقة من سَرق،...) وهي تاء نادرة الحظ من الدرس النحوي.

وحين يريد تعميم التذكير والتأنيث على سائر اللغات، يلاحظ أنّ منها لغات مذكّرة (كالفرنسية)، ومنها ما لا يحمل جنْسا بعينه (كالإنجليزية)، أمّا اللغات المؤنثة فنادرة جدا، ومنها الإسبانية التي يعيد علّة تأنيثها إلى "عشرتها الطويلة مع العربية في الأندلس، وإلى تأثرها الشديد بها" [1].

## لا للاعتباطية الدلالية في اللغة العربية :

خلافا لنظرية دوسوسير التي تربط طبيعة العلامة اللغوية بمبدأ "اعتباطية العلامة" [2]؛ حيث تصطلح اللغة على علامة تربط صورة صوتية (دال) بتصوّر معيّن (مدلول)، في غياب أسباب محدّدة تبرّر ذلك الاصطلاح، بدليل أن التصوّر نفسه تتعدّد صوره الصوتية وتختلف من لغة إلى أخرى (ومثال "الشجرة" وتسمياتها المختلفة في شتى اللغات ذائع مشهور).

يقرّ عبد الملك مرتاض بأنّ ذلك "حقٌّ". غير أنّا نحن لا نريد إلى هذه الاعتباطية المنطقية في مسمّيات اللغات حين تختلف؛ ولكنّا نريد إلى أن اللغة العربية، خصوصا، حين تطلق اسمًا على معنى فهي تراعي فيه علاقته بالطبيعة والمنطق والوضع، ولا نجد أيّ لفظ اعتباطيٍّ، وذلك فيما تابعناه من

---

[1] نفسه، ص 17.

[2] فردينان دي سوسر : محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص 89.

سيرة خصائصـها الصـوتية وعلاقتهـا بالدلالـة العميقـة، فهـي في كـثير مـن أطوارها تراعي العلاقة الصوتية بالعلاقة الدلالية لكيما يتطابق الصوت مـع مضمونه"[1].ويستشهد علـى ذلـك بالشـجرة في العربيـة (وهـي الـتي ضـربها دوسوسير مثلا لدلالتها الاعتباطية)؛ حيث لاحظ [2] أنّ التشجّر في الاشتقاق العربي يدلّ على التشابك والتداخل والانتشار، ومنه الشِّـجار بـين العـوام، واشتجار الأصـابع، ومَشـاجر مراكـب النسـاء، وقـد سمّـي الشـجر شـجرا لدخول بعض أغصانه في بعض.

ثمّ يسـتعرض أمثلـة أخـرى تـؤول جميعُهـا إلى "مطابقـة المعنـى لأصـوات الحروف المكوّنة منها اللفظةُ"[3].

## دعوة إلى تخليص العربية من الترف النحوي :

يعتقد مرتاض أنّ القواعد النحوية المركزية التي تضبط الاستعمال اللغوي لا تزيد "عن عشرين قاعدة مركزية على أكثـر تقـدير"[4]، وكـلّ مـا سـواها لا يعدوأن يكون ترفًا من النحْو، ولغوا من القـول، أوفضـلات لغويـة عقّـدت النحوتعقيدا ونفّرت طُلاّبه تنفيرا.

من هذا المنطلق، فإنّ طُلاّب النحـو(أوحتى أسـاتذة الجامعـات!)، ليسـوا بحاجة إلى تعلّم صـيغة (أفعـل بـه) للتعجّـب، ولا (التنـازع في العمـل)، ولا (الاشتغال)، ولا تعلّـق الجـار والمجـرور، ولا حتـى الندبـة والاسـتغاثة، ولا

[1] نظرية اللغة العربية، ص 94.

[2] نفسه، ص 95.

[3] نفسه، ص 95.

[4] نفسه، ص 09.

الحكاية، تعلُّما أساسيا؛ فهي -وغيرها- من الأبواب النحوية المترَفة التي فُرضت على المتعلّمين فنفّرتهم من الاستمتاع بجمال العربية الصافية الناضرة.

وكذلك كثير من المضْمرات والمقدّرات بالحذف التي "لا تنهض على منطق ولا على عقل ولا على قاعدة صارمة، ولكنّها قراءات نحوية اجتهادية متعسّفة..." [1].

وقد خصّص الفصل الثامن من قسم الكتاب الأول لتشنيع سلوك النحاة في التأسيس لنظرية التقدير والإضمار، حيث انتهى إلى أنّهم من منطلق عدم إدراكهم أنّ للقرآن أوالشعر نحوا يختلف عن نحوهم، راحوا يعسّرون النحو، فجعلوه "للخاصة من العلماء، أي : جعلوه خالصا لهم يتعالون في معرفته على بعضهم بعضٍ أيّهمْ يكون أكثر تحذلقا وتمحّلا أيضا، وذلك بابتكار المقدّرات والمضمرات لما يُشكِل ويَشذُّ من الكلام..." [2].

## تخليص النحو من (فضَلاته)! :

استقرّ لدى جمهور النحويين أنّ كلّ جزء أصيل من الجملة، لا يستقيم بناؤها بدونه، ولا يتمّ معناها إلاّ به، هو(عُمدَةٌ)؛ كالمبتدأ، أوالخبر، أوالفاعل، أونائب الفاعل،...

وأنّ كل ما يمكن أن ينعقد الكلام بدونه، دون أن يتهدّم المبنى أويختلّ جوهر المعنى، هو(فضْلَة)؛ كالمفعولات والحال والاختصاص والتمييز...،

[1] نفسه، ص 08.

[2] نفسه،ص 98.

فالفَضْلة -باختصار- هي "كل لفظ معناه غير أساسي في جملته" [1] .وقد أتى على النحوحينٌ من الدهر، صارت المنصوبات فيه (المفاعيل، الحال، الاستثناء، التمييز،...) فضَلات؛ يُستغنى عنها في تمام الجملة، ولكنها لا يُستغنى عنها أبدا في دراسة نحوالجملة، وهي مفارقة عجيبة لعلها أن تكون أعجب في كتاب الأستاذيْن ناصر لوحيشي وذهبية بورويس (المنصوبات الفضلة والمجرورات في العربية) [2]، ويبدوأنّهما قد ضاقا بالدلالة العامية للجمع المألوف (فضَلات)! [*]، وتحرّجا، فعمدا إلى تلك الحيلة الوصفية!.

لكن ما يمكن استشفافه من الكتاب هواستحالة اعتقادهما بأنّ تلك المنصوبات هي فضلات (وإن لم يصرّحا بذلك)، والدليل أنّهما يخصّانها -دون أشهر الأبواب/ العُمَدِ النحوية- بالدراسة، بل يجعلانها عنوانا/ عُمدة لكتابٍ في النحو!

ومثل هذا التّلجْلُجِ في الموقف النحوي من الفضلات، يمكن أن نقف عليه لدى مشاهير النحاة المحدثين، ومنهم صاحب (النحوالوافي) الذي رأيناه يعقد بابا مقتضبا لـ(حذف المفعول به)، قاده إلى القول : "بالرغم من أنّ المفعول به فضلة، فقد تشتدّ الحاجة إليه أحيانا؛ فلا يمكن الاستغناء عنه في بعض المواضع" [3]!.

---

[1] عباس حسن : النحوالوافي، ج02، ص 179.

[2] ناصر لوحيشي، ذهبية بورويس : المنصوبات الفضلة والمجرورات في العربية، مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2003.

[*] تجمع (فَضْلة) على : فضلاتٍ وفِضال، من باب مجيئها على وزن (فَعْلَة) : الاسم المفتوح الفاء، الصحيح العين (فَعَلات : عبرات، سكرات، عشرات،...) ويمكن أن نتكلف لها جمعًا آخر (فَضْلات) بوصفها صفة مؤنثة (فعْلة : فعْلات، ضخمة : ضخْمات).

[3] النحو الوافي : 2/ 178.

لكن عبد الملك مرتاض، النحوي الثائر، يصرّح –دون تردد- بموقفه الرافض، متسائلا : كيف نعدّ "المفاعيل، والحال، والتمييز، والاستثناء، والتحذير، والإغراء، والاختصاص، والمنادى، فضلات، مثلهنّ مثل الندبة والاستغاثة والترخيم... وإنّا لا ندري ماذا بقيَ في نحوالعربية لا يطلقون عليه (فَضَلات)؟ وكيف يمكن عدُّ المفاعيل فضلات مثلها مثل قاعدة الترخيم التي لم تكن إلا ضربا من عبث الأعراب في محاوراتهم في مفازات البادية؟ فالمفعول حين يتطلّبه الفعلُ الواقع يكون ضروريا لفهم الكلام، ولا يجوز عدّه من الفَضلات، أي : من الزوائد التي لا حاجة إليها في نسج الكلام، بل هي مكمّلات للجملة، بل هي أساسيات فيها، لا يتمّ فهم الجملة المفيدة إلاّ بها"[1]. يُفهم من موقفه هذا، أنّه يفاضل بين الفضلات؛ فيؤكّد بعضها كالترخيم والندبة والاستغاثة، وينفي بعضها كالمفعولات التي لا يمكن –في رأيه- أن يُستغنى عنها، لذلك نراه يخصُّها بوقفة مستقلة، في سياق حديث آخر يدعم مركزيتها في الكلام.

تختلف المفعولات عند عبد الملك مرتاض، عنها عند غيره، في كمّها وبعض كيفها؛ فهي ستّة لا خمسة، بل سبعة كما يقرّر في أحد المواضع : "...المفعول بأنواعه السبعة، لا الستّة"[2]، لأنّه حين يعود إلى ما سمّاه (نظرية المفاعيل في النحو)[3]، يذكر الأنواع الخمسة المعروفة لدى جمهور أهل النحو، ثمّ يزيد عليها نوعًا سادسا لم تُعْنَ به كتب النحو، هو(المفعول عليه)[4]، الذي استقاه من الأزهري في (تهذيب اللغة)، وقد مثّل له بـ: علوتُ السطحَ،

[1] نظرية اللغة العربية، ص 10.

[2] نظرية اللغة العربية، ص 08.

[3] نفسه، ص 467.

[4] نفسه، ص 468.

ورقيتُ الدرجةَ، ثمّ يُغريه هذا النوع من المفاعيل بتأسيس نوعٍ جديد يسـميه (المفعـول تحتـه) [1]،ويمثـل لـه بقولـه : "افترشـتُ الأرضَ"، لأنّنـا حـين نـدقّق الاستعمال يبدولنا هذا القولُ غيرَ قولنا : "قرأتُ الكتابَ" أو"فهمتُ المسألةَ".

ثمّ يؤوب إلى أكثر المفعولات ورودًا واستعمالا في العربيـة، وهو(المفعـول به)، فيتوقف عند تسميته ملاحِظا أنّ "قيد (به) لا يعني كـبيرَ شـيء، ولا يـدلّ على الوظيفة القائم بها، فكان من الأولى أن نطلق عليـه مصـطلح (المفعـول المطلق)، بحكم أنّه يدلّ على مطلق المعنى وأكثـره انتشـارا في الاسـتعمال، في حين نطلق على (المفعول المطلق) التقليدي : (مفعـول التوكيـد)؛ لأنـه يـأتي لتوكيد الكلام وترسيخه في ذهن المتلقي" [2].

أمّا (المفعول معه)، فيقترح إعادة تسميته "(مفعـول التسـاوي)، أو(مفعـول الاستواء). ذلك بأنّ معنى المفعول يستوي مع معنى فاعله" [3]. وأمّا (المفعـول المطلـق)، الـذي كـان الأزهـري يسـميه (المفعـول بـلا صـلة)، وهو"أسـهل المفاعيل" [4]، عند مرتاض، فقد سبق أن اقترح تسميتَه (مفعول التوكيد).

### ثورة على نظام المجرد والمزيـد :

يشكّك مرتاض [5] في سلامة المذهب اللغوي الذي يجعل أصل الكلام كله ثلاثي الحروف (أورباعيّها في حالات قليلة أخرى)، ثـمّ يجعـل مـا زاد علـى ذلك طارئا على الأصـل، فيثـور ثـورة عارمـة علـى حـروف الزيـادة تلـك

---

[1] نفسه، 469.

[2] نفسه، ص 467.

[3] نفسه، ص 468.

[4] نفسه، ص 468.

[5] نظرية اللغة العربية، ص 11. وينظر خصوصا الفصل الخامس من القسم الأول.

(سألتمونيها)، متعجّبا كيف يكون أكثر من ثلث الحروف العربية زائدا! وكيف نعدّ بعض حروف الكلمة زائدة ودلالاتها لا تعني شيئا، ثمّ نزعم – في الوقت ذاته- أنّ الحرف الزائد دالّ على معنى ما!

يرى، كذلك، أنّ هذا المذهب يعسّر البحث المعجمي عن كلمة لا نعرف معناها، مثلما يصعّب البحث عن الأصلي والزائد في الكلمات الطويلة؛ ككلمة (مستشزرات) في بيت امرئ القيس الشهير، وكيف للغاتٍ أخرى (كالألمانية) أن تتضمن ألفاظا يزيد عدد حروفها على العشرين، ولا تقول بزيادة فيها، بينما يستكثر نحاتنا أن يكون في ألفاظ العربية بضعة أحرف مزجاة!"[1] ؟!

ثمّ يثني على أنظمة نحوية للغات أخرى تكتفي بجعل الفعل لازما أومتعدّيا، وتحكم ترتيب الأفعال والأسماء بتقنية السوابق واللواحق.

مقترحا -في الأخير- نظام (الأبنية الصغيرة) و(الأبنية الكبيرة)[2] بديلا لنظام المجرد والمزيد.

ولعلّ هذه المراجعة في حدّ ذاتها أن تذكّرنا بثورة أحمد بن فارس (ت.395 هـ) القديمة في فقه العربية، حين ذهب (في حركة معاكسة تماما لما يريده اليوم مرتاض) إلى أنّ "الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت"[3].

[1] نفسه، ص 78.

[2] نفسه، ص 75.

[3] أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق وتقديم : مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، 1964، ص 271.

## ثورة على نظام الجملة التقليدي :

يثور مرتاض ثورة عارمة على بعض الأنظمة النحوية التقليدية التي يصفها بأنّها "مغالِطة مُعْتسفة"[1]، رادًّا مغالطتها إلى سبب جوهري هوفصل النظرية النحوية عن نظرية البلاغة والأسلوبية، اللتين ما ينبغي أن يفصل بينهما.

ويخصّ بالذكر النظرية التي تعدّ الفاعل المتقدّم مبتدأً خبره جملة فعلية يتكرّر فاعلها مرتين اثنتين : إحداهما ظاهرا والأخرى مستترا! فكيف يكون الفاعل ضميرا في فعله لمجرّد أنّه تقدّم فعله؟ وهل في مقدور عاقل أن يتصوّر أنّ جملة (الولد دخل) = (الولد دخل + الولد)؟!

كما يعوج على باب أفعال المطاوعة، فيتقرح مصطلح (الفاعل الذاتي)[2] للخروج من إشكال الفاعل الذي يغتدي مفعولا لدى النحويين، في مثل قولنا : (انفتحتِ النافذة).

وفي الأخير، يوجز تبسيط نظرية الجملة ومنطقتَها، بإعادة بنائها على خمسة مرتكزات[3]:

1. كلّ جملة مؤلفة من اسمين متتابعين (مبتدأ وخبر) هي جملة اسمية، لخلوّها من الفعل.
2. كل جملة مصدّرة بفعل بعده اسمٌ، هي جملة فعلية، بحكم طبيعتها.

---

[1] نظرية اللغة العربية، ص 10.

[2] نفسه، ص 10.

[3] نفسه، ص ص 114- 127.

3. كل جملة مصدّرة باسم بعده فعل، هي جملة فعلية، لأنّ الاسم لا يعمل في الفعل، وإنّما الفعل هوالذي يعمل في الاسم؛ فالفعل –تقدّم أوتأخّر- هووحده الفاعل ولا فاعل سواه.

4. كلّ جملة مبتدأة بظرف، فهي ظرفية لا اسمية؛ لأنّ الظرف هوالمقصود من مبتدأ الكلام. وهنا يخالف النحويين الذين يعدّون (الجملة الظرفية) و(الجملة الجرّية) شبه جملة في محل رفع على أنّها مبتدأ، بل يرفض حتى مصطلح (شبه الجملة)؛ لأنّ الكلام إمّا أن يكون جملة وإمّا ألا يكون!

5. كلّ جملة تبتدئ بحرف يجرّ ما بعده، يتلوها اسمٌ، يسميها (جملة حرفيّة) !، لأنّ الحرف –في تقديره- لفظ كامل الوظيفة الدلالية والنحوية والتركيبية، وليس مجرد تابع لغيره في الكلام.!

وإذا كانت المرتكزان الأول والثاني مألوفين معروفين لا جدال فيهما، فإنّ المرتكزات الباقية لا تخلومن وجاهة وإشكالية في آن، أمّا المرتكز الثالث (وإن كان المرحوم مهدي المخزومي قد سبقه إلى الدفاع عنه منذ أكثر من نصف قرن) فإنّه يظلّ في غاية الحصافة المنطقية.

## إنكار الترادف والتضاد :

هذا باب إشكالي قديم من الأبواب الدلالية العربية التي ظلّ اللغويون فيها مختلفين، لكن عبد الملك مرتاض لا يتردّد في الانضمام "إلى العلماء الذين لا يقولون بوجود المترادف في اللغة"[1]، محتجّا بما احتجّ به السابقون الذين رأوا جلّ تلك (المترادفات) أوصافا لشيء واحد، وأنّها "كلها معانٍ متقاربة لا

[1] نفسه، ص 148.

متواردة، باصطلاح السيوطي، ومتشابهة لا متماثلة؛ إذ كلّ منها يدلّ على بعض ما يدلّ عليه صنوه، ولكن ليس على كلّ ما يدلّ عليه تدقيقا وتحديدا"[1].

فهويؤمن بأنّ الترادف "لا يوجد في العربية إلاّ بالتجاوز والتسامح"[2] وآيته على ذلك هي الاختلافات الدلالية الناجمة عن اختلاف أبنية المصادر الكثيرة لفعل واحد، فضلا عن اختلاف الأفعال الدالة على معان متقاربة.

ومثل ذلك رأيه في التضاد أو"مسألة الضدية"، كما يسميها؛ فهي "من المتناقض المنطقي الذي لا يجوز تصوّره بأيّ وجه من الوجوه"[3].والأمثلة التي يتمثل بها المؤمنون بالتضاد لا معنى لها في نظر مرتاض، إلا على سبيل الاستعارة التهكّمية وغايات بلاغية أخرى.

### تحرير القواعد اللغوية من شواهدها الغثة :

يرى مرتاض أنّ ممّا أساء إلى العربية في تأسيساتها النحوية أنّها تستغني في شواهدها النحوية عن النصوص الأدبية العربية العالية، وتجتزئ بجملٍ مكرّرة ركيكة، لا تُعلِّم حكمة ولا تحصّل معرفة "بحيث لا يعلق منها الناشئة إلاّ العُجمة والفهاهة"[4]؛ كمثل قولهم : جاء الذي في الدار أبوه، وزيد عندك أخوه، ومررت بزيد عليه جُبّة، وضرب زيدٌ عمرًا،...

[1] نفسه، ص 146.
[2] نفسه، ص 164.
[3] نفسه، ص 165.
[4] نفسه، ص 12.

وكان لا بدّ أن تعاد العربية إلى نصوصها الأدبية الجميلة *....

## تخليص المؤلفات القاموسية من عاهاتها المعجمية :

يقرّر مرتاض أنّ "العربية، في العهد الراهن، لا معاجم لها، فهي تتطوّر بمعزل عنها، وكأنّها يتيمة في اليتيمات" [1]، ومن مظاهر هذا اليتم المعجمي، أنّ معاجمها (معجماتها) لا تساير تطور استعمال العربية في مجتمعها اللغوي، بحيث يصعب العثور -خصوصا- على المفردات الجديدة ذات الدلالات الاصطلاحية في شتى الحقول المعرفية، ضمن معاجمها التي "تجترّ استعمالات معاجم الأجداد الذين غبروا منذ قرون موغلة في الطول" [2]، خلافا للمعاجم الأجنبية التي يُعاد طبعُها كل سنة، فتتجدّد بإزالة ما مات من كلماتها وإضافة ما ولد منها.

يتأسّف مرتاض لحالِ معاجمنا التي كأنّما جُعلت "للعلماء لا للمتعلّمين" [3]، حتى إنّك حين تبحث عن معنى من المعاني تصدَم بعبارة : معروف! ، وحين يبحث المتعلم الصغير عن اسم خماسي أوسداسي أوأكثر، فإنّ "عليه أن يكون عالما بالصرف، فيجرّد ذلك الاسم، أوّلُ، من زوائده المزعومة، ثمّ يبحَثُ في ثُلاثِه في المعجم المظنون" [4].

---

* ظل الدكتور مرتاض حريصا على هذه الطريقة التعليمية منذ انشغاله بالتدريس الابتدائي والثانوي خلال ستينيات القرن الماضي، وكان ثمرة هذا الحرص كتابه المجهول (العربية بالنصوص) الذي أخبرني أنّه بصدد نشره بعد تأخّر طويل...!

[1] نفسه، ص 195.

[2] نفسه، ص 195.

[3] نفسه، ص 196.

[4] نفسه، ص 197.

مرّة أخرى يثور على فلسفة المجـرد والمزيـد، انطلاقـا مـن الصـعوبة الـتي يكابدها الطالب في تجريد المزيـد، قبـل البحـث عـن معنـاه، معترفًـا -بجـرأة كبيرة- أنّ "هذه العاهة في المعجمية العربية من أكثر الأسباب مركزية في تخلف العربية، وضعف استعمالها بين المتعلّمين"[1].

لذلك يحلم مرتاض بتحقّق تأليف معجمي مثالي، ينهض به مجْمع لغـوي قوميّ جامع، يتجاوز العاهات المعجمية السابقة، وينجَز بطريقة حديثة تقـوم على أوائل الكلمـات (كمـا في كـل المعـاجم الإنسـانية المعاصـرة)، لا علـى مركزية المادة اللغوية باعتبار المجرد والمزيد، مع مراعاة الشّكل وتعميمـه علـى الألفاظ للتخلص من اللّحْن والاختلاف، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

## تخليص الاستعمالات اللغوية من أخطائها الشائعة :

يخصّص مرتاض قسطا ليس باليسير من كتابـه[2] هـذا للأخطـاء الشـائعة التي تتهدّد الاستعمال اللغوي العربي السليم، مع تركيز خاص على نوع من "الاسـتعمالات الخاطئـة الـتي أصـبحت كالصـواب"[3].ومـع ملاحظـة أنّ الاسـتعمالات الـتي يصـوّبها، أوالأخطـاء الـتي يصـحّحها هـي ليسـت مـن الأخطاء التي تشيع في كتب (الأخطـاء الشـائعة) أو(قـل ولا تقـل)، بـل إنّـه يحرص على أن يكون من أوائل المنبّهين عليهـا، كـي لا يكـرّر هنـا مـا قالـه الآخرون هناك؛ ومن تلك الأخطاء :

- العنوسة : وصوابُها (العُنوس)

[1] نفسه، ص 197-198.

[2] ينظر -خصوصا- الفصل الثاني من القسم الثاني الموسوم (تقويم اللسان).

[3] نظرية اللغة العربية، ص 226.

- التعاسة : وصوابُها (التعْس)
- الرّتابة : وصوابُها (الرتوب)
- الشساعة : وصوابُها (الشسوع)
- الضحالة : وصوابُها (الضحْل)
- العذابات : وصوابها (الأعذبة)
- الكيَان : وصوابه (الكِيان)
- أراض (جمع أرض) : وصوابُها (أرَضون)
- أبهر : وصوابه (بَهر)
- أربك : وصوابه (ربَك)
- احتار : وصوابه (حَار)
- النقاهة : وصوابها (النَّقهُ)
- عن كثب : والصواب (من كثب)

وغير هذه الأخطاء، ممّا صوّب، كثير.

وكذلك خصّص حيّزا طريفا من كتابه لـ (أمثلة من الاستعمالات الفصيحة، ويَعيبُها المتحذلقون) [1]...

## خاتمة:

أخيرا، هكذا يريد العلاّمة عبد الملك مرتاض للعربية أن تتجدّد، وأن تثور على القيود اللغوية البالية التي تستبدّ بها (أوكذلك يراها)، وقد نسج لها خارطة طريق ثورية شاملة تمسّ المستويات المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية، مقدّما تأسيسات وبدائل جديدة للأنظمة اللغوية التي عارضها

---

[1] نفسه، ص 289.

وثار عليها، لكنّها مقترحات إشكالية قد يلزمها وقت طويل للحِجاج والإقناع فضلا عن الترسيخ والترسيم.

وعلينا أن نقبلها في سياق النقد اللغوي الذاتي، على طريق دعوات التيسير وصيحات التجديد التي نادى بها بعض المحدثين (مصطفى إبراهيم، شوقي ضيف، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مازن المبارك،...) الذين تمحورت مشاريعهم التجديدية حول توسيع الدرس النحوي وإخراجه من دائرة الإعراب إلى دائرة المعنى، وربطه بالمعارف المجاورة، وتجاوز الأمثلة والشواهد الجزئية المحنطة إلى النصوص اللغوية والأدبية الجميلة، وتخليص النحو من العوامل والجزئيات التفصيلية الشاذة، وإعادة النظر في كثير من المسلّمات النحوية...

# المكانز وأهميتها في ترقية الحصيلة اللغوية للمتعلمين
# ـ من التنظير إلى التطبيق

**الدكتور: حاج هني محمد**

**جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف**

**ملخــــص:**

تروم هذه الدراسة تسليط الضوء على المكانز باعتبارها نوعا من مصنفات المعجمية الحديثة، بغية تحديد مكانتها في البحث المعجمي العربي الحديث؛ انطلاقا من تعريف المكنز عند المتخصصين، وتوضيح أهم نماذجه في الثقافة العربية، مع تعيين مختلف خصائصه؛ وتمييزه عن معجم الموضوعات، والرصيد اللغوي العربي، ومشروع الذخيرة اللغوية العربية، دون إغفال توضيح شتى وظائفه اللغوية، ورصد سبل استثماره في تنمية الحصيلة اللغوية للناطقين باللغة العربية، مع كشف أهميته في شحن الرصيد للمتعلمين في شتى المراحل الدراسية؛ سواء تعلق الأمر بإعطاء المترادفات، أم كشف الأضداد، أم تعيين المجالات الدلالية للمفردات.

**الكلمات المفتاحية:** المكنز- صناعة المعاجم- الحصيلة اللغوية- المتعلمين- التنظير- التطبيق.

**Summary:**

This study aims to highlight the thesaurus as a as a kind of modern lexicography works, in order to determine its position in modern Arabic lexicography; with based on the

definition of the thesaurus by specialists, and clarify the most important models in the Arab culture, with its most important characteristics; and identify their differences with the thematic dictionary, the Basic Arabic Vocabulary, and the Arabic Thesaurus Project, without losing sight of its various linguistic functions, and monitoring lot of ways to invest it in the development of vocabulary stock for Arabic speakers, and revealed its importance in charging the vocabulary for learners at various levels; whether it is giving the list of synonyms, or detecting the antonyms ,or assign the semantic fields of vocabulary.

**Keywords:** The Thesaurus – lexicography – vocabulary stock –learners– theory– application.

## مقدمـــــة:

لقد شهدت صناعة المعاجم في العصر الحديث في الـوطن العربـي تطـورا ملحوظا؛ نتيجة انفتاح هذا الحقل اللغوي على مستجدات البحـث اللسـاني في الغرب، ومن بين مظاهر مواكبة البحث المعجمي العربي صناعة العديـد من المصنّفات التي تستجيب لأسس الصناعة المعجمية الحديثة، علـى شـاكلة الموسوعة، والمعجـم الموسـوعي، والمكنـز، هـذا الأخـير سـيكون محـور هـذا البحث؛ والذي نسعى من خلاله الإجابة على هذه الأسئلة:

- ما هو المكنز؟ وما هي خصائصه؟ ومميزاته؟

- فيم تتجلـى جهـود العـرب المحـدثين في مجـال وضـع هـذا الـنمط مـن المصنفات المعجمية؟

- كيف يمكن استثمار المكانز العربية في تنمية الرصيد اللغوي للمتعلمين؟

- ما هي السبل الكفيلة بتطوير المكنز العربي، وجعله يواكب نظيره الغربي؛ بغية المساهمة في ازدهار اللغة العربية إقليميا ودوليا؟

## 1ـ تعريف المكنز:

### أ- المصطلح:

تعددت المقابلات العربية الدالة على مصطلح (thesaurus) في المعاجم اللسانية العربية، وهذه العينة خير دليل على ذلك؛ فالمعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات في طبعته الأولى قابله بمصطلحي ذخيرة لغوية/ مكنز [1] (مكتب تنسيق التعريب، 1989، 145)، ونفس المصطلحين نجدهما في معجم المصطلحات اللسانية [2] ( الفاسي الفهري، والعمري، 2009، 336)، واقترح له منير رمزي بعلبكي مصطلح "معجم موضوعي" [3] (بعلبكي، 1990، 503)، وارتضت هيئة مراجعة المعجم الموحّد

[1]- مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (1989)، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي-فرنسي-عربي)، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تونس، ط:1، ص:145.

[2]- الفاسي الفهري، عبد القادر، والعمري، نادية، (2009)، معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي- فرنسي- عربي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط:1، ص:336.

[3]- بعلبكي، رمزي منير، (1990)، معجم المصطلحات اللغوية (إنكليزي-عربي) مع 16 مسرداً عربياً، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:1، ص: 503.

لمصطلحات اللسانيات في طبعته الثانيـة مصـطلح مكنـز [1] (مكتب تنسيق التعريب، 2002، 152). ويتضح مما سبق اختلاف المعاجم اللسانية العربية، الجماعية منها والفردية، في مسألة اقتراح مقابل موحّد للمصطلح (thesaurus)، كما يتجلى اتفاق ثلاثة معاجم منها على مصطلح "مكنز" للدلالة على هذا المفهوم، على الرغم من كونه جاء مرادفاً للذخيرة اللغوية.

وكلمة مكنز في الأصل هي ترجمة للكلمة الإنجليزية ذات الأصل اليوناني (thesaurus)، وقد تطور معناها في الإنجليزية تطورا كبيرا، فبعد أن كانت تعني "مخزن البيت"، أو المكان الذي يحتوي على كنز"، أصبحت تدل على الثروة أو الكنز، ثم تطور معناها وصارت تعني "مستودع المعلومات" مثل المعجم أو الموسوعة، أو ما شابه عام 1565م، وأصبحت تطلق على عدد من معاجم اللغات الرومنسية واللاتينية والأماكن المشهورة [2] (مختار عمر، 2003).أما في اللغة العربية فقد كان أول من ترجم مكنز إلى اللغة العربية "المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات" الصادر سنة 1988م، وفي نفس السنة ظهرت في معجم المورد (عربي-إنجليزي) كلمة مكنز ومقابلها الإنجليزي، وفي عام 1989م تضمن المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات" المقابلين مكنز وذخيرة، وفي عام 1993م ظهر أول معجم عربي يحمل اسم المكنز لمحمود إسماعيل صيني وآخرون، كتب على غلافه بالعربية "المكنز العربي المعاصر:

---

[1]- مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (2002)، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي- فرنسي- عربي)، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء، ط:2، ص: 152.

[2]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2003)، نظرة في معجمين حديثين للمترادفات: المكنز العربي المعاصر والمكنز الكبير، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد78، ج:4، ص:782-785.

معجــم في المترادفــات والمتجانســات وبالإنجليزيــة ( Modern Arabic Thesaurus: Arabic–Arabic)، وفي عام 2000 ظهر ثاني معجم عربـي بهـذا الاسـم وهـو "المكنـز الكـبير: معجـم شـامل للمجـالات والمترادفـات والمتضادات"، وبظهور هذين المعجمين استقرت كلمة "مكنز" باعتبارهـا المقابـل العربي للكلمة (Thesaurus) [1] (مختار عمـر، 2003)، وفي عـام 2003م طبعت مكتبة لبنان ناشرون" كنز اللغة العربيـة (Thesaurus of ARABIC) لحنا غالب.

### بـ المفهوم:

يطلق المكنز على المعجم الذي يعرض الكلمات بطريقة منظّمة عن طريق تقسيمات إلى مجموعات بحسب معانيها، وداخل كل مجال تأتي الكلمات ذات الصلة بحيث يشرح بعضها بعضا [2] (Crystal, 1987, 104).

ويعرف واضعو المكنز المعاصر مصـنّفهم (المكنـز العربـي المعاصـر) بأنـه ذخيرة الكلمات التي ترشد الباحث عن الكلمات المرتبطـة بمفهـوم مـا يمثلـه المدخل، والتي تستعمل كأداة لتذكير القارئ بما يعرف من كلمات ممـا قـد لا يرد إلى ذهنه ساعة حاجته إليها عند التأليف والترجمة [3] (صيني، وعبد العزيز، وسليمان، 1993). كما يطلق المكنز أيضا على " قائمة مهيكلة تتكون من وحـدات خاصـة

---

[1]- المرجع نفسه، ص:867-868.

[2] – Crystal, David, (1987), The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge university press, 2end Ed, p104.

[3]- ينظر: صيني، محمود إسماعيل، وعبد العزيز، ناصف مصـطفى، وسـليمان، مصـطفى أحمـد، (1993)، المكنز العربي المعاصر، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، لبنان، ط:1، المقدمة، ص:م.

بميدان ما ويعد بعضها بمثابة الواصفات للعلاقات الدلالية المضبوطة وتتضمن قواعد اصطلاحية تساعد على نقل المفاهيم المعبر عنها باللغة الطبيعية إلى اللغة الواصفة" [1] (مكتب تنسيق التعريب، 2002، 152).

وهكذا يتضح أنّ المكنز يختلف بحسب طبيعة مداخله؛ فكما توجد مكانز لغوية تضم المفردات اللغوية ومرادفاتها ومضاداتها، توجد مكانز ترصد المصطلحات العلمية لمجال معرفي معين، وتبعا لشكل إصداره؛ إذ يأتي المكنز ورقيا، أو إلكترونيا.

## 2ـ نشأته:

يرجع الفضل في ظهور أول مكنز لغوي إلى بيتر مارك روجيه الذي وضع (thesaurus of English words and phrases) سنة 1852م [2] (مختار عمر، 2003)، والذي رصد فيه الألفاظ والجمل حسب معانيها في نحو ألف صنف مع نقائضها، وتوسع ابنه جان بعده في موضوع الإحالات تفاديا للاكتفاء بإدراج اللفظة في أحد المواقع التي يصح انتماؤها إليه، فتفقد اللغة

---

[1] – مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (2002)، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي- فرنسي- عربي)، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء، ط:2، ص: 152.

[2] – ينظر: مختار عمر، أحمد، (2003)، نظرة في معجمين حديثين للمترادفات: المكنز العربي المعاصر والمكنز الكبير، ص:867.

الكثير من غناها، وتفاديا أيضا لإدراجها في كل موضع يصح انتماؤها إليه فتضيع الفكرة بين خليط واسع من طيف الكلمات [1] (غالب، 2003).

وبعدها توالت المصنفات التي تحمل اسم المكنز في الظهور على شاكلة:

-Cooks thesaurus, Astronomy thesaurus, Nasa thesaurus[2]
(مختار عمر، 2003)

أما في الوطن العربي فظهرت عدة مكانز منها: المكنز العربي المعاصر: معجم في المترادفات والمتجانسات للمؤلفين والمترجمين والطلاب، وضعه محمود إسماعيل صيني وآخرون، 1993م، والمكنز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، أشرف على إنجازه المعجمي العربي أحمد مختار عمر رفقة فريق عمل متخصص، 2000م، وكنز اللغة العربية: معجم المعاني الشامل للألفاظ التي تصاغ بها تلك المعاني مرتبة حسب مفهومها وتكرارها والتداعي الذهني الذي يرافقها، يضم المترادفات والأضداد والتعابير، وضعه حنا غالب، عام 2003م.

هذا بالإضافة إلى مكانز إلكترونية أخرى تتضمن مصطلحات قطاعات معرفية محددة، مثل:

---

[1] - ينظر: غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، لبنان، ط:1، ص:ح.

- [2] ينظر: مختار عمر، أحمد، (2003)، نظرة في معجمين حديثين للمترادفات: المكنز العربي المعاصر والمكنز الكبير، ص:867.

- مكنز الطفولة (عربي-إنجليزي) طبعة إلكترونية 2005م، للمجلس العربي للطفولة والتنمية [1]

(http://www.arabccd.org/meknaz/main.htm).

- المكنز القانوني: المقتفى (عربي- إنجليزي) لمنظومة القضاء والتشريع في فلسطين [2]

(http://muqtafi.birzeit.edu/legalLexicon/legal_lexicon2.aspx)

- مكنز اليونيسكو (عربي-إنجليزي-فرنسي)، الصادر عام 1977م، والذي قامت بترجمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1995م [3] (http://unosco.blogspot.com/).

### 3- نماذجه:

إنّ المتتبع لحركة البحث المعجمي في اللغة العربية يمكنه رصد ثلاثة مكانز، كانت بداية ظهورها منذ تسعينات القرن الماضي، ويتعلق الأمر بالمكنز العربي المعاصر، والمكنز الكبير، ومكنز اللغة العربية.

#### أ- المكنز العربي المعاصر:

هو معجم في المترادفات والمتجانسات للمؤلفين والمترجمين والطلاب، يقع في 168 صفحة، وضعه محمود إسماعيل صيني وآخرون، أصدرته مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، سنة 1993م، جاء تصميمه على هذا النحو:

---

[1] -http://www.arabccd.org/meknaz/main.htm

[2] -tp://muqtafi.birzeit.edu/legalLexicon/legal_lexicon2.aspx

[3] -http://unosco.blogspot.com/

- **مقدمة مطولة:** تضمنت لمحة تاريخية عن معاجم المعاني العربية، وتعريف المكنز، وتوضيح طريقة تنظيم مواده، وبيان مصادر جمعه، وطريقة استعماله، مع الإشارة إلى الرموز والاختصارات.

- **معجم المترادفات والمتجانسات:** وهو قاموس ألفبائي تتوزع مادته على 120 صفحة، ترد فيه المادة اللغوية، وجذرها، ونوعها، ومرادفاتها، ومثال ذلك تعريف الفعل (أخفى) الذي جاء على هذا النحو:

أخفى: خ ف ي. ف: أخفى، أسرّ، ستر، خمر، غمر، غطّى، غمّ، طمس، غبش، كفر، طمر، كفّن، كتم، دفن، دسّ، غمد"[1] (صيني، وآخرون، 1993، 6).

وإذا كان للفظ أكثر من معنى واحد، فإنّه يتم ترقيم معانيه وإيراد مرادفاتها كل على حدة، مثل:

"أدرك 1: درك. ف. فهِم، عرَف، عَلِم، وَعَى.

أدرك 2: درك. ف. لحِق، بَلَغ، وصَل، جاء"[2] (صيني، وآخرون، 1993، 6)

- كشاف الجذور: يشتمل على 47 صفحة (121-168). وتكمن قيمة هذا في المصنّف في الجوانب الآتية:

- الاختصار والتركيز، والاعتماد على الكلمات يشرح بعضها بعضا؛ لأنّ المكنز موجّه أساسا للطلاب والمؤلفين والمترجمين.

---

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:6.

[2]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:6.

- اعتماد الترتيب اللفظي الألفبائي؛ وذلك بالتخلص من فكرة الجذر التي ترهق القارئ غير المتخصص، وهذا ما يسهل عملية البحث.

- ضبط الكلمات محل اللبس بالشكل؛ آثَر، آزِفَة، أُبَّهَة [1] (صيني، وآخرون، 1993، 1-2).

- اشتماله على رصيد كبير من التعابير الاصطلاحية والسياقية؛ ففي الفعل (أفرح) مثلا نجد إلى جانب: سرّ، فرح، أبهج، أجدل، تعابير: شرح صدر/ نفس، أثلج الصدر، طيّب القلب، أقرّ ناظر/ عين [2] (صيني، وآخرون، 1993، 12).

- تذييله بكشاف الجذور الذي يساعد على معرفة الكلمات ومشتقاتها في المكنز [3] (مختار عمر، 2003).

وعلى الرغم من ذلك يمكن تسجيل بعض النقائص على هذا المكنز، ومن ضمنها:

- عدم تحقيقه للوظيفة الأساسية للمكنز، لاكتفائه برصد المرادفات فقط، وعدم التطرق لمعنى الكلمات.

- خلوه من الأمثلة التوضيحية المساعدة على تقريب المعنى.

---

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:1-2.

[2]- ينظر: صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص: 12.

[3]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2003)، نظرة في معجمين حديثين للمترادفات: المكنز العربي المعاصر والمكنز الكبير، ص:871-782.

- اختيار واضعيه لمبدأ الشيوع في إيراد الكلمات بعد المدخل ليس معيارا دقيقا؛ لأنّ ما يعد شائعا في نظر البعض هو غير شائع في نظر البعض الآخر؛ وكان بالإمكان تفادي ذلك باعتماد الترتيب الألفبائي [1] (مختار عمر، 2003).

**ب- المكنز الكبير:**

وهو معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، أشرف على إنجازه المعجمي الكبير أحمد مختار عمر رفقة فريق عمل ضم 36 متخصصا، طبعته شركة سطور، الرياض، 2000م، يقع في زهاء 1232 صفحة، تشتمل على 34530 كلمة موزّعة على 1851 مجالاً دلالياً، وتم تصميم المكنز وفق الخطة التالية:

- **فريق العمل**: والذي تكون من 36 شخصا، تتباين اختصاصاتهم.

- **مقدمة:** جاءت في صفحتين، تضمنت التعريف بالمكنز، وبيان أهميته، ومصادر جمعه، ومجمل خصائصه.

- **إرشادات الاستخدام:** تشتمل على طريقة البحث في المكنز، وآلية الترتيب، ودلالات الرموز والاختصارات.

- **دليل التصنيف**: وفيه تم التطرق إلى الشروط المعتمدة في التمييز بين مختلف أنماط الأرصدة المعجمية؛ كالتفريق بين الرصيد الإيجابي والرصيد السلبي، وتمييز الرصيد القرآني عن غيره، وتبيين المفردات العامة عن نظيرتها ذات الاستعمال الخاص، وتوضيح الكلمات أو الدلالات المستقرة في

---

[1]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2003)، نظرة في معجمين حديثين للمترادفات: المكنز العربي المعاصر والمكنز الكبير، ص:782-785.

المعاجم القديمة عن تلك المولّدة بعد عصر الاحتجاج، مع تحديد المحظور من الألفاظ.

- **قائمة المصادر والمراجع**: وضمت 105 مصدرا عربيا، وخمسة (5) معاجم ومكانز إنجليزية.

- المعجم صفحات(27-940): يرصد المجالات الدلالية مرقّمةً مرتبةً ألفبائياً، ترد المفردات في كل واحد منها مرتبةً على نفس نسق مجالاتها، متبوعة ببيان نوعها، ومستوى استعمالها، وشرح موجز لها، نحو:

"**62 - الأبوة**

**أبٌ**[ ا] أبو [ج ] إيجابي قرآني معاصر [ت] : والد [ م] أبو الكرم: كريم، الأبوان: الأب والأم، أبو البشر: آدم.

**جَدّ** [ ا] جدد [ ج] إيجابي معاصر [ت ] : أبو الأب أو الأم.

**سَلَف**: [ا] سلف [ج] إيجابي قرآني معاصر [ت] : كل من تقدم من الآباء وذوي القرابة:[م] السلف الصالح: الآباء والأجداد.

**والد**[ ا] ولد [ج] إيجابي قرآني معاصر[ ت] : من يُولد له وَلد [م] الوالدان: الأب والأم" [1] (مختار عمر، 2000م، 40).

وإن كان للكلمة مضاد فيتم تعريف مفرداتهما معا، وهذا ما يوضحه النموذج الآتي:

"**53- ارتفاع السعر× انخفاض السعر**

---

[1]- مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، شركة سطور: الرياض، ط:1، ص:40.

**ارتفاع السعر**

**باهظ** [ص] بهظ [ج ] مولد أو محدث [ت] : مرتفع "باهظ التكاليف"، "أسعار باهظة".

**غالٍ** [ص] غلو [ج ] إيجابي معاصر[ت] : فا غلا [م] يدفع الثمن غاليا: تكلفة سلوكه الكبير، جاد بكل مرتخص وغالٍ: بذل كل ما يملك من جهد ومال.

**مرتفِع**:[ ص] رفع [ج ] إيجابي معاصر [ت] فا :ارتفع

**مكلّف**:[ ص] كلف [ج ] إيجابي معاصر [ت] :غالٍ

**تعبيرات سياقية عامة**: له سعر

**انخفاض السعر**

**بَخْس** [ص] بخس [ج] إيجابي قرآني معاصر [ت] : زهيد (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ)

**رخيص** [ص] رخص [ج] إيجابي معاصر [ت] :منخفض هابط الثمن: سلعة رخيصة.

**زهيد** [ص] زهد [ج] إيجابي معاصر [ت] : قليل "ثمن زهيد".

**منخفض**[ص] خفض [ج] إيجابي معاصر [ت] فا: انخفض.

**هابط** [ص] هبط[ج] إيجابي معاصر[ت] فا: هبط "سعر هابط" [1] **(مختار عمر، 2000م، 38-39)**

[1]- مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:38-39.

- فهرس المجالات الدلالية (941- 982): يرصد المجال، ومضاد المدخل إن وُجد، ونوعه.

- فهرس الكلمات: صفحات (983-1158).

- فهرس الجذور ومشتقاتها: صفحات (1159-1230).

- فهرس المحتويات:

تتجلى إيجابيات هذا المكنز في العناصر التالية:

- يجمع هذا المكنز بين دفتيه أربعة معاجم كاملة؛ فهو معجم للمعاني (الموضوعات)، ومعجم للمترادفات والمتضادات، ومعجم لمعاني الكلمات، ومعجم لألفاظ اللغة.

- خضوع بنائه لمنهجية محكمة شارك في هندستها فريق عمل يضم قرابة 40 عضوا، بغية مواكبة أسس الصناعة المعجمية الحديثة، تصميما، وجمعا، وإعدادا، وإخراجا.

- اشتماله على رصيد لغوي غزير، انطلاقا من المصادر القديمة والحديثة، كمعاجم الألفاظ والمعاني القديمة، وكتب الأدب ودواوين الشعر والصحف اليومية وغيرها.

- يمد المكنز الكبير القارئ- بالإضافة إلى قوائم المترادفات والمتضادات- بمعلومات عن نوع الكلمة (اسم، فعل، صفة، حرف)، ومجالها الدلالي، وجذرها اللغوي، وشرح موجز لمعناها، وبيان درجة استعمالها.

- تعدد إمكانيات البحث في المكنز؛ إذ يستطيع المستعمِل الوصول إلى الكلمة إما عن طريق كلمة معينة، أو بواسطة مجال دلالي معين، أو من خلال جذر الكلمة.

- يرصد المصنّف مستويات متعددة للاستعمال اللغوي: القرآني، العام، الخاص، القديم، المولّد، وحتى المحظور.

**ج- مكنز اللغة العربية:**

وهو معجم المعاني الشامل للألفاظ التي تصاغ بها تلك المعاني مرتبة حسب مفهومها وتكرارها والتداعي الذهني الذي يرافقها، يضم المترادفات والأضداد والتعابير، وضعه حنا غالب، يقع في 1085 صفحة، أصدرته مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، عام 2003م، وينقسم هذا المصنّف إلى خمسة أقسام هي:

- تقديم: يقع في صفحتين؛ يعرف بالمكنز، ويبين أهميته اللغوية والمعرفية.

- مقدمة: وردت في ثلاث صفحات بقلم أحمد شفيق الخطيب، رئيس دائرة المعاجم في دار لبنان ناشرون، تطرق فيها إلى قيمة هذا المكنز، وبين منهجية وضعه، ووضح خصائصه، وحدد الغايات التي يهدف إلى تحقيقها.

- كيفية استخدام المكنز: من خلال الإحالة على الفهارس المُلحقة بالمتن.

المعجم: يتكوّن من ست (6) طبقات، تتضمن مجتمعةً 38 قسماً؛ يتفرع كل واحد منها إلى عدة حقول دلالية، بلغ مجموعها 990 مجالا مثلما يظهر في الجدول الموالي:

| الطبقات | الأقسام |
|---|---|
| إضـــــافات معنوية | الوجود، العلاقة، الكم، النظام، العدد، الزمان، السببية |
| الفضاء | الفضاء عامة، الأبعاد، الشكل، الحركة |
| المحسوسات | المحسوسـات العامـة، المحسوسـات اللاعضـوية، المحسوسـات العضوية |
| القوة العقلية | الجزء الأول صـوغ الآراء: إجـراءات العقـل عامـة، حـالات وإجراءات عقلية متقدمة، مواد الاستدلال (التفكير المنطقـي)، عمليات الاستدلال، نتائج الاستدلال، امتـداد الفكـر، الفكـر الإبداعي. |
| | الجـزء الثـاني نقـل الآراء: طبيعـة الآراء المنقولـة، صـيغ نقـل الآراء، وسائل نقل الآراء |
| الإرادة | الجـزء الأول فعـل الإرادة الفـردي: الإرادة العامـة، العمـل الطوعي، المقاومة، نتائج العمل. |
| | الجزء الثـاني فعـل الإرادة الجمهـوري: الإرادة عامـة، الإرادة خاصة، الإرادة الشَّرطية، إضافات مُلكية. |
| الوجدانيات | الوجـدانيات عامـة، الوجـدانيات الشخصـية، الوجـدانيات السمباتوية، الوجدانيات الخُلُقية، الدين. |

ويتفرّع القسم الواحد إلى مجموعة من المجالات الدلالية؛ فالقسم السـادس (امتداد الفكر) من الطبقة الرابعة (القوة العقلية) مثلا تضمن سـبعة مجـالات هي: الذِّكر، النسيان، التوقُّع، المفاجأة، الخيبة، التدبُّر، التنبُّـؤ، والجـزء الثـاني

الخاص بنقل الآراء، وفي قسمه الأول (طبيعة الآراء المنقولة) ورد في معنى التفسير (رقم 520) :"وفي المُفسِّر، يقال: المُفسِّر، والمُؤوِّل، والشَّارح، وهو خلاف المَاتِن، والمُوضِح، والمُوضِّح، والمُعبِّر، والمُبيِّن، والمُلخِّص، والمُفهِم، والمُعرِّف، والمُحدِّد، والمُعرِّب، والمُترجِم، والتُّرجمان، والتَّرجمان، ولسان القوم، والعُبّار وهو مفسِّر الأحلام"[1] (غالب، 2003، 375).

- فهرس الألفاظ: تتوزع مادته على 399 صفحة، يرد فيه اللفظ وصفحاته في المعجم.

فهرس الموضوعات:

ويمكن توضيح مزايا هذا المكنز في الجوانب الآتية:

- التنظيم المحكم للمادة اللغوية من خلال انتهاج تصنيف بيتر مارك روجيه واضع أول مكنز لغوي؛ وذلك باعتماد المجالات الدلالية الموزعة في طبقات وأجزاء وأقسام ومراتب.

- غزارة المادة اللغوية التي استقاها من مصادر قديمة على غرار: لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للمرتضى الزبيدي، والمخصص لابن سيدة، والحديثة كمد القاموس للمستشرق إدوارد لين، وكتاب الذخيرة العلمية لجورج بادْجر.

- يعد مكنز اللغة العربية ذخيرة لغوية تستجيب لمتطلبات المتكلم، مهما كان مستواه، بتوفير عشرات المترادفات المعبّرة عن المعاني، تخصيصا وتعميما، تجريدا وتجسيدا، ترادفا وتضادا، حقيقة ومجازا.

[1]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص:375.

ولعل من نقائص المكنز صعوبة البحث عن المفردة؛ فللوصـول إلى كلمـة معينة لابد من تصفح عدة صفحات أحيانا للعثور على مبتغاك.

**4. خصائصه:**

إنّ تحديد خصائص المكنز يفرض علينا مقارنته بشتى المصنفات المعجمية الأخـرى، علـى غـرار: معجـم الموضـوعات، والرصـيد اللغـوي العربـي، ومشروع الذخيرة اللغوية، لبيان جملة الفروق الموجودة بينه وبين هذه الأنماط المعجمية المختلفة.

**أ- معجـــم المعـــاني:** Thematic Dictionary/Thématique (Dictionnaire)

ويصطلح عليه ابن سيدة اسم "المعجم المبوّب"، أو"معجم الموضوعات"[1] (ابن سيدة، 2005)، ويتمثل في ذلك النوع من المعاجم الـذي يجمـع الألفـاظ المنتميـة لفلك واحد وموضوع واحد[2] (ظاظا، 1990)، كالغريب المصنّف لأبـي عبيـدة، والمخصّص لابن سيدة، وهذه الـنمط المعجمـي يرتـب المفـردات اللغويّـة في مجموعات من الألفاظ تندرج تحت فكرة واحدة، ومن أهمّ ما يميّز هذا النـوع من المعاجم هو"السهولة في التأليف؛ لأنّه لا يتطلّب الإحاطـة والشـمول، بـل

---

[1]- ابن سيدة، أبو الحسن علـي إسماعيـل، (2005)، المخصّـص، تحقيـق: عبـد الحميـد أحمـد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ط:1،ج:1، ص: 10.

[2]- ينظر: ظاظا، حسن، (1990)، كلام العرب- من قضايا اللغة العربية، دار القلـم: دمشـق، والدار الشامية: بيروت، ط:2، ص: 03.

يقوم على جمع ما أمكن من الألفاظ، إضافة إلى سهولة الترتيب" [1] (فرج الربيعي، 2001، 36)، ويهدف هذا المعجم إلى اتخاذ الألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني؛ فهو بذلك مفيد للكتّاب والشعراء، والمترجمين والناشئين، لأنّه يسمح لهم بالوصول إلى المفردة المتعلقة بالمعنى الذي يجول في خواطرهم، وتعود بداية تأليف هذا النوع من المعاجم إلى القرن الثاني الهجري، كما أنّه كانت الأسبق ظهورا من معجم الألفاظ [2] (عبد الجليل، 1999).

يختلف المكنز عن معجم الموضوعات في تنظيمه المبني على أساس الألفاظ بوصفها تمثيلا للمعاني المختلفة، ومن ثم لا يحتاج قارؤه أثناء البحث عن الكلمة المناسبة إلى تصفّح الفهارس رؤوس الموضوعات كما في معاجم المعاني، بل يكفيه ذكر الكلمة الشائعة المقصودة، ثم يبحث عنها في مكانها وفق الترتيب الألفبائي، حيث يجد طائفة من الكلمات المترادفة أو المتجانسة؛ فبإمكان القارئ أن يجد في المكنز الكبير الألفاظ والتعابير السياقية الدالة على الاختبار على هذا التسلسل: ابتار، ابتلى، اختبر، امتحن، بار، بلا، جرّب، راز، راوز، سبر، فتن، فحص، محّص، محن، (جسّ النبض)، (أمعن النظر) [3] (مختار عمر، 2000م، 138-139)، وباستطاعة المتصفح للمكنز العربي المعاصر معرفة

---

[1]- فرج الربيعي، أحمد، (2001)، مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، تقديم: عبده الراجحي، مركز الإسكندريّة للكتاب، د ط، 2001م، ص: 26.

[2]- ينظر: عبد الجليل، عبد القادر، (1999)، المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع: عمان، الأردن، ط:1، ص:80.

[3]- مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص: 138-139

مرادفات (إتيان)، والتي يسردها على هذا النحو: مجيء، قُدوم، زيارة، غشيان، وِفادة، عيادة، اعتراء، حضور، إلمام [1] (صيني، وآخرون، 1993، 3).

كما أنّ المكنز في هذه الحالة يؤدي وظيفة المعجم الشارح بالترادف؛ حينما يسرد قائمة المترادفات الشائعة منها، وتلك الأقل شيوعا؛ إذ يدرك المستعمل المعنى الدقيق للكلمات الجديدة بمقارنته مع معنى المرادف الشائع لديه، مما يثري رصيده اللغوي؛ ومثال ذلك معنى الأفعال المعبّرة عن الجمال في كنز اللغة:"وفي **جَمُل**، يقال: **جَمُلَ**- جمالاً، **وصَبُحَ**- صباحةً، **وفَرُه** فراهة وفراهيةً، **وقَسُمَ**- قسامةً، **وسَنَعَ وسَنُعَ**- سناعة وسنوعاً، ويقال **انْتَعَت** المرأة بالجمال، وفلانة **يُهْتَفُ** بها، ويقولون: على فلان **مَسْحَةٌ مِن جَمَال**، وعليه **خَبْطَةٌ**، ويقال: **فَرَعَ**- فرعاً وفروعاً فلان القوم، **وفَاقَت**- فوقاً وفواقاً الجارية صاحباتها في الجمال، **وعَلَتْهُنَّ**- علواً فيه، **وفَضَلَتْهُنَّ**- فضلاً فيه، ويقولون: فلان **يَتَصَابَحُ**" [2] (غالب، 2003، 532).

**ب- الرصيد اللغوي العربي:**

اقتُبِست فكرة الرّصيد اللّغوي العربيّ من الرّصيد اللّغويّ الإنكليزيّ (The basic English)والرّصيد اللّغويّ الفرنسي (Le français fondamental)، والمقصود به هو مجموعة المفردات العربية التي تؤدي مفاهيم الطفل في سن معينة وتستجيب لحاجاته، والتي يمتلكها الطفل عند دخوله المدرسة، للانطلاق منها في المناهج الدراسية، والبناء عليها لتنميتها

[1]- ينظر: صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:3.

[2]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص:532.

وتطويرها [1] (القاسمي، 2009).وتجدر الإشارة إلى أنّ أوّل محاولة عربيّة جادة في هذا الباب هي الرّصيد اللّغويّ الوظيفيّ للمرحلة الأولى من التّعليم الابتدائيّ الذي أعدّه فريق "اللّجنة الدائمة للرّصيد الوظيفي؛ المكوّن من أحمد الأخضر غزال من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، وعبد الرحمن الحاج صالح من معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، وأحمد العايد من قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، وصدر بتونس سنة 1976، ولقد تم إنجازه في دول المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب) من خلال رصد مدونة لغوية شملت 1576 كلمة، باعتماد المعايير التالية:

- الانطلاق من الواقع المشاهد.
- الرصيد اللغوي يتعلق باهتمامات المتعلم نفسه، وما يحتاجه في الحياة.
- أن لا يتجاوز الرصيد الحدّ الأقصى، وأن لا يقلّ عما يجب أن يعرفه [2] (الحاج صالح، 2007).ويمكن استغلال هذا الرصيد في بناء معاجم الأطفال من جهة؛ كما تكمن مزيّته الكبرى في مساعدة مصمّمي البرامج ومؤلّفي الكتب التّعليميّة على معرفة الحاجات اللّغويّة لكلّ صنف من أصناف المتعلّمين وتزويدهم بما يستجيب لها من الموادّ اللّغويّة على نحو يكفل تحقيق الأهداف المنشودة بأسرع وقت ممكن، من خلال "الربط الشديد بين ما تسمعه الأذن،

[1]- ينظر: القاسمي، علي، (2009)، لغة الطفل العربي، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، لبنان، ط:1، ص: 153.

[2]- ينظر: الحاج صالح، عبد الرحمن، (2007)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر: الجزائر، د ط، 2007م، ج:2, ص:120-121.

وما تبصره العين من الأحوال التي يتعلق بها هذا الخطاب، ومن ثمّ ما يدركه العقل من العلاقة بين اللفظ والمعنى مادة وصورة"[1] (الحاج صالح، 2007، 232).

وفي سنة 1981 تلا هذه المحاولة مشروع الرّصيد اللّغويّ العربيّ الذي عزمت على إنجازه المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، لكنّه ظلّ حبرا على ورق ولم يتم تجسيده، وهناك مشروعات أخرى جارية في بعض الأقطار العربيّة منها خاصّة المملكة العربيّة السّعوديّة.

وهكذا يتضح جليا مما سبق أنّ علاقة الرصيد اللغوي العربي بالمكنز العربي هي علاقة الجزء بالكل؛ إذ يمثل المكنز المصدر اللغوي الغزير الذي ينهل منه واضعو المؤلفات التعليمية في الوطن العربي الرصيد اللغوي الوظيفي الذي يحتاجه التلاميذ في مختلف مراحل الدراسة.

**ج- مشروع الذخيرة اللغوية العربية:**

وهو ما يعرف بـ"الانترنت العربي"، والذي دعا إلى إنشائه اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح، وهذا المشروع القومي في حقيقته ما هو إلاّ "بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر)، وأهمّ صفة يتصف بها هي سهولة حصول الباحث على ما يريد وسرعته، ثمّ شمولية المعلومات التي يمكن أن يتحصّل عليها، وأهمّ من هذا أيضا هو

[1]- الحاج صالح، عبد الرحمن، (2007)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر: الجزائر، د ط، 2007م، ص:6.

اشتمالها على الاستعمال الحقيقي للغة العربية عبر العصور وعبر البلدان العربية المختلفة" 1 (الحاج صالح، 2007، 409).

وتمثل المكانز العربية مصدرا هاما من مصادر جمع الذخيرة اللغوية، فهي مدونة لغوية حية رصيدها اللغوي جزءا لا يتجزأ من مدونة الذخيرة اللغوية العربية؛ نظرا لاشتمالها على كم هائل من المفردات اللغوية التي تم تقديمها وفق نظام محكم، تترابط فيه المفردات في علاقة الترادف أو التضاد.

ومما سبق تبيانه يمكن تحديد الفروق الدقيقة بين المكنز وباقي الأنماط المعجمية والمصطلحية انطلاقا من ثلاثة معايير هي: طبيعة المصنَّف، ومادته، ووظيفته.

| | طبيعته | مادته | وظيفته |
|---|---|---|---|
| **المكنز** | معجم | مترادفات والأضداد | تزويد المتكلم بالحصيلة اللغوية |
| **معجم المعاني** | معجم | معاني ومفرداتها | إعطاء المفردة المناسبة لمعنى معين |
| **الرصيد اللغوي العربي** | قائمة | المفردات الشائعة | تزويد المتعلم بالثروة اللغوية الوظيفية |
| **مشروع الذخيرة اللغوية العربية** | برنامج حاسوبي ضخم | مدونات تضم مختلف نصوص اللغة العربية عبر عصورها | المساهمة في بناء المعجم التاريخي، وتحديد الاستعمال الحقيقي للمفردات والمصطلحات العربية في كل عصر. |

[1]- ينظر: الحاج صالح، عبد الرحمن، (2007)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج:1، ص:409.

وبما سلف يمكن استخلاص أنّ المكنـز نمـط معجمـي يختلـف عـن سـائر الأنماط الأخرى، سواء من حيث الطبيعة، أم المضـمون، أم الوظيفـة، إلاّ أن المادة اللغوية مستنبطة من النماذج الأخرى، كما أنّ المكنز بإمكانه أداء مهـام معجم المعاني وتحصيل الرصيد اللغوي من جهة، كما يسمح بتزويد مشـروع الذخيرة اللغوية العربية بمادة لغوية هامةمن جهة أخرى.

## 5ـ الوظائف اللغوية للمكنز:

يسمح المكنز- باعتباره مستودع اللغة الذي لا ينضب- بتحقيق جملة مـن الوظائف المعجمية والدلالية والصرفية والتركيبية والتداولية.

### أ- الوظيفة المعجمية:

وتتمثل في كون المكنز هو الوعاء الذي يحمل اللغة، ويحافظ على مفرداتها من الاندثار، سواء أكانت هذه الأخيرة شائعة متداولة بين فئات واسعة مـن المتكلمين، وموظَّفة في شتى مستويات التواصل، ومجالات التبليـغ، أم كانـت غريبة هجرتها الألسنة، وتناستها الأقلام بمرور الزمن، فالمكنز يجمع النـوعين معا جنبا إلى جنب في مصنّف واحد؛ وهذا ما ينطبـق علـى المفـردات الدالـة على الأنسجة الحريرية في المكنز الكبير الـذي أورد تسـعة مترادفـات كاملـة؛ ستة منها مستعملة (إيجابية) هي: إِستبرق، حرير، خَزّ، دِيبـاج، سُـنْدُس، قَـزّ، وثلاثة أضحت غريبة (سـلبية) هـي: إِبْرِيْسـم، دِرَفْـس، دِمَقْـس [1] (مختار عمر، 2000م).

---

[1]- مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:34.

كما يعمل المكنز على رصد مظاهر التغير الذي تفرضه الجماعة اللغوية في لسانها؛ من خلال تسجيل مختلف أشكال التنمية المفرداتية؛ سواء بوضع كلمات جديدة تعبر عن مستجدات العصر، عن طريق الاشتقاق والمجاز، أم باقتراض ألفاظ حضارية، ومصطلحات علمية أنتجها الفكر الإنساني عموما؛ ومن ذلك: مذياع، حاسوب، بارجة، مسرح، عدسة، مِتْرو، تكتيك.

**ب- الوظيفة الدلالية:**

ومما لاشك فيه أنّ الوظيفة الدلالية تعد من أهم الوظائف التي تؤديها المكانز؛ وذلك من خلال رصد المرادفات؛ إذ يعطي المكنز المتعلم الكلمة الواحدة وجميع مرادفاتها في اللغة، سواء قلت أم كثرت، وفي ذلك بيان لطاقات اللغة التعبيرية في تجسيد المعنى الواحد بألفاظ شتى، تتقارب دلالاتها كلياً أو جزئيا، ويبقى السياق هو الفيصل في اختيار المفردة المناسبة في التواصل أو الكتابة؛ ويمكن توضيح ذلك من خلال لفظ (حاجة) الذي ترادفه في المكنز العربي المعاصر: فاقة، خَلّة، فقْر، عَدَم، مَسكنة، شظَف، عُسْرة، ضيق، عَيْل، مثْربة، خُصاصة، عَوَز، إملاق، بُؤس، حِرمان، مَسبغة، مَخْمصة، قَتار، افتقار، سَغَب [1] (صيني، وآخرون، 1993، 33).

كما يعمل المكنز على إيراد الأضداد؛ من خلال سردها؛ مما يساعد القارئ على توضيح دلالة اللفظ بدقة؛ لأنّ المتضادات تكشف عن المعنى؛ مثلما تبرزه ثنائية (الوضوح، الغموض) وما ينطوي عليه من مفردات: ففي الوضوح نجد: بارز، بديهيّ، جليّ، ساطع، صُراح، صريح، ظاهر، لائِح،

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص: 33.

لاحِب، مُبين، (غني عن التعريف)، وفي الغموض نرصد: خفي، عويص، غائِم، غامِض، غريب، مُبهم، مشوَّش، معقّد، مُلبِس، مُلتبِس، مُلغِز، (لا بحر له)، (لا وصف له) [1] (مختار عمر، 2000م، 861-862 )

وإلى جانب ذلك يقوم المكنز ببيان المعاني الأساسية والهامشية؛ لأنّ رصف قائمة المرادفات المتعلقة بكلمة ما ليس عملية تصنيفية بحتة، بل هو إجراء وظيفي يسهم في الكشف عن المعنى المركزي المتداول، وما يشاكله من معان ثانوية تستخدم في سياقات مخصوصة؛ نحو كلمة (دقّ) التي تقال في هذه السياقات:

دقّ1: دشّ، جرش، جشّ، رصّ، هشّم، فتّت، طحن، دكّ، كسر، مهك، هرس، سحن.

دق2: صغُر، لطُف، رقّ، قلّ.

دقّ3: ضرب، قرع، رنّ، صكّ [2] (صيني، وآخرون، 1993، 44).

وعلاوة على ما سبق يسمح المكنز كذلك بضبط المجال الدلالي للكلمة، وهذا ما يجسده المكنز الكبير حين يورد المترادفات بإحكام في حقولها الخاصة، فحقل الأخوة مثلا احتوى على 6 مرادفات، ومجال الاحتفال تضمن5 كلمات، أو في ربط تلك الكلمات في المجالات المتضادة، نحو: حقل الإخبار الذي اشتمل على 64 فعلا، ومضاده الكتمان تضمن 36 كلمة.

---

[1] – ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:861-862.

[2] – صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:44.

### ج- الوظيفة الصرفية:

لا يكتفي المكنز بإيراد المعلومات الدلالية فقط، بل يمد مستعمله كذلك بمعلومات صرفية هامة؛ فناهيك عن ضبط المكنز لنوع الكلمة المراد شرحها، إن كانت فعلاً أو اسما أو صفة، نجده يبين اشتقاقات الكلمة، كما حرص واضعو المكانز على تضمين مصنّفاتهم كشافات للجذور اللغوية ومشتقاتها؛ فمادة (لقى) في المكنز الكبير اندرجت ضمنها هذه الكلمات: ألقى، ألقى إلى، إلقاء، استلقى، استلقاء، التقاء، التقى، تلاقٍ، تلاقى، تلقٍّ، تِلقٍ، تِلقاء، تِلقائيّ، تِلقائيّة، تلقّى، لاقى، لقاء، لقي، لُقية، مُتلقٍّ، مُلتقىً، مُلقىً [1] (مختار عمر، 2000م، 1216).

### د- الوظيفة التركيبية:

يسمح المكنز بإعطاء مستعمله معلومات تركيبية تتعلق بأشكال التضام للمفردات؛ كاقتران الأفعال بحروف الجر المناسبة، نحو: "شفع في، توسّل إلى، تقرّب ب، وصفح عن، تجاوز عن" (صيني، وآخرون، 1993، 62)، و"رغب عن، زهد في، انصرف عن، ابتعد عن" (صيني، وآخرون، 1993، 49)

### ه- الوظيفة التداولية:

وتتجلى في توضيحه لمعلومات الاستعمال؛ مثلما يتجلى في المكنز الكبير، حينما يبين المستويات اللغوية للمفردة، نحو ما تبرزه الكلمات الدالة على المكان العالي: سُدّة، مسرح، مصطبة، مِنبر، مِنصّة [2] (مختار عمر، 2000م، 787)؛ إذ

---

[1] - ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:1216.

[2] - مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:787.

يختص كل لفظ بمستوى معين؛ فالسدة للحاكم، والمسرح للتمثيل، والمنبر للإمام، وهكذا دواليك، ولعل معرفة مدلول الكلمات المتعلقة بالوثيقة، نحو: إيصال، سَنَد، شيك، صكّ، قسيمة، كِمبيالة، مُستند، وصل [1] (مختار عمر، 2000م، 852)، كفيل بحسن توظيفها في الخطابات المتنوعة.

## 6- أشكال استثمار المكنز في التنمية اللغوية:

يمكن للمكنز أن يسهم إسهاما فعّالا في ازدهار اللغة العربية، وتوسيع نطاق استعمالها في شتى مجالات الحياة؛ لأنّه يمثل أداة لغوية ومعرفية تسمح للتلميذ والطالب والباحث والأستاذ والكاتب والمترجم باستيعاب الرصيد اللغوي اللازم في التعبير والكتابة، وكل ذلك له انعكاس إيجابي على ترقية لغة الفرد والمجتمع.

وتبرز فوائد المكنز في الارتقاء باللغة العربية، ودعم التنمية اللغوية في هذه المظاهر:

### أ - إثراء الرصيد اللغوي:

يسمح المكنز بتزويد قارئه بمرادفات جديدة، يكون قد سمعها ولم يفهم معناها، أو لم يسمعها قط؛ فإن كان يعرف للكلمة مرادفين فقط، مكّنه المكنز من الاطّلاع على جميع المرادفات الممكنة للكلمة مبوبة مرتبة، وهذا ما نسجله في المكنز العربي المعاصر؛ إذ ترد لمفردة رائحة 14 مرادفا هي: شذا، عَرْف،

[1] - ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:852.

أريج، نفخة، فوحَة، عِطْر، عبير، شر، أرج، نَكهة، ريًّا، فوحة، فوغة، طِيب [1] (صيني، وآخرون، 1993، 48).

ولا يتوقف الأمر عند حدود المرادفات بل يمتد للمتضادات، فبإمكان القارئ أيضا الحصول على مضادات الكلمة محل البحث؛ وهذا ما سعى إليه المكنز الكبير؛ ففي حقل (التأكيد×الشك) نجد 14 فعلا دالا على التأكيد، هي: أيقن، استوثق، استيقن، اطمأن إلى، تأكّد، تبيّن، تثبّت، تحقّق، توثّق، تيقّن، جزم، علِم، قطع بـ، يقن، يقابلها 29 فعلا كاملا دالا على الشكّ منسّقة هكذا: احتار، اختلج، ارتاب، اشتبه في، التبس، امترى، تحيّر، تخالج، تخيّل، تردّد، تريّب، تشكّك، تصوّر، تمارى، توسّم، توهّم، حدس، حزَر، حسِب، خال، خرَص، خمّن، خُيّل، رجم، رجّم، زعم، زَكِن، شكّ، ظنّ [2] (مختار عمر، 2000م، 214-215).

وتتجلى فعالية تنمية الحصيلة اللغوية بصورة كبيرة من خلال حشد المكنز لكم هائل من المترادفات، ينهل منها المتعلم ما يحتاجه في استعماله اللغوي؛ فمعنى طلع الصبح يمكن التعبير بهذه الكلمات: طلع، انفجر، تفجّر، شقّ، انشقّ، انصدع، انفلق، سطع، فصح، نوّر، انبلج، تنفّس، فلق [3] (غالب، 2003، 46)

ويثري المكنز قاموس المتعلّم من خلال توضيح الدلالات التي يمكن أن تحيل عليها الكلمة بحسب سياقاتها المختلفة؛ ومن ذلك الفعل (طوى) الذي يشير إلى مرادفات من قبيل: لفّ، ضمّ، ثنى من جهة، أو كتم، دارى، أخفى

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:48.

[2]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:214-215.

[3]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص: 46.

من جهة ثانية، أو قطع (الأرض)، جاز(المسافة) من جهة ثالثة [1] (صيني، وآخرون، 1993، 73).

## ب- ضمان الدقة في التعبير:

إنّ رصيد المكنز الثري بالمترادفات والمتضادات يمكّن المتعلّم من التعبير بدقة عن أغراضه المختلفة؛ فالفعل (طرق) تتعدد معانيه بحسب نوعية المطروق: فللمعدن: مدّد، وللصوف: نفش، ندف، وللجرس: قرع، دقّ، وللطريق: سار، مشى في، سلك [2] (صيني، وآخرون، 1993، 71).

وفي السياق ذاته يسرد المكنز الكبير مرادفات كلمة (وريد) ويبين دلالة كل لفظة على حدة: أَخْدع: أحد عرقين في جانبي العنق، شِرْيان: أنبوب يحمل الدم من القلب إلى الجسم، عِرْق: مجرى الدم في الجسم، وَتِين: شريان رئيسي يغذي الجسم بالدم النقي الخارج من القلب، وَدَج: عرق في العنق ينتفخ عند الغضب، وَرِيد: كل عرق يحمل الدم الأزرق من الجسم إلى القلب [3] ( مختار عمر، 2000م، 854).

ويرصد كنز اللغة العربية المعاني المتعددة الدالة على القطع على هذا النحو:

1- القطع قطعة قطعة: بعّض، جزّأ، عضّا، إرْبا إربا. 2- القطع قطعا صغيرة: فرم، ثمّر، مزّق.

---

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:73.

[2]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:71.

[3]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:854.

3- القطع بالفصل: أبان، صرم، فصّل، قلّم، قشّم، مشّـر، فـرّق، وشّـق، قدّد.

4- القطع بسرعة: خذم، هذأ، هذم.

5- القطع نصفين: نصّف، ناصف، شطر، وسّط، شاطر.

6- القطع مستأصلا: بتر، حذّ، حسم.

7- القطع طولا: قدّ للطول، قطّ للعرض، شرّح.

8- القطع مستديرا: قوّر، جيّب.

9- القطع بانحراف: حرّف [1] (غالب، 2003، 14).

**ج- سدّ الفجوات المعجمية:**

قد يجد المتكلم نفسه في كثير من الأحيان عاجزا عن التعبير عن أغراضـه، والسبب في ذلك ليس قصورا في المعجم العام للجماعـة اللغويـة، بـل عائـد بصورة مباشرة لضآلة الرصيد المعجمي للفرد، ولسد هذا العجز اللغوي يأتي المكنز كوسيلة تعليمية تزود قارئها بما يحتاجـه مـن مفـردات يخزنهـا في ذهنـه لاستعمالها عند الحاجة؛ فالمتصفح للمكنز الكبير مثلا بإمكانه أن يقـف علـى 37 فعلا متعلّقا بمعنى تحديق النظر، يختص كل واحد منها بمعنى مخصـوص، وردت هذه الأفعال مرتبة ألفبائيا على هذا النحو: أحَدّ، أرغَف، أزلق، أقنع، أمعن، أهطع، استكفّ، استنفض، برشم، برق، برّق، بصّ، تأمّل، تفرّس في، تمعّن، جحّظ، جحّم، جسّ، حَدّ، حدَج، حدّج، حدّق، حمّج، حملق، خاوص،

[1]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص: 14.

دقّق، رمق، رنا، زلـق، شـخص، طـنفش، فحـص، لأط، هطـع، ثبّـت/ ركّز النظر، طمع ببصره [1] (مختار عمر، 2000م، 871-872).

والأمر نفسه يتعلق بمفردات المشي، والـتي تختلـف بحسـب سـن الماشـي، وحالته، وسرعته، وهدفـه، ووقـت المشـي، وهـي كـالآتي: أدلج، اختطـى، انتهج، ترجّل، ترهوك، تسكّع، تعكّس، تمشّى، حبا، حجل، خطا، دال، دبّ، دجّ، درج، دلج، دلف، دهمج، ذأل، ذهـب، رجِـل، رسـف، زحـف، سـار، سعى، سكع، سلك، طرق، عشر، قار، كاس، ماح، مشى، مضى، ملح، نال، نهج، نهد، هدج [2] (مختار عمر، 2000م، 763).

كما يمكن للمتعلم أن يستفيد من المكنز في معرفة المفردات المتعلقة بطعـام المناسبات، والتي سردها كنز اللغة العربية هكـذا: "الوليـة والخُبنـة لمـا يُخبّـأ للضيف، والعُجلة: لما يعجّل له، والقفيّ والعِفـارة لمـا يـرده مُسـتعير القـدر، والنقيعة طعام المسافر، والوليمة للعرس، والخُرسة للنفساء، والعِذار للختان، والحِذاق لختم تعلّم القرآن، والوكيرة للفراغ من البنيان، والوضيمة للمـأتم" [3] (غالب، 2003، 176).

### د- تنميق الأسلوب:

مما لاشك فيه أنّ غنى الحصيلة اللغوية للمتكلّم/ الكاتـب عامـل مهـم في تنميق أسلوبه في التعبير أو الكتابة، أو في سـواهما معـا؛ إذ يسـمح توظيـف

---

[1]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص:871-872.

[2]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص: 763.

[3]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص: 176.

المترادفات بطرد الملل عن السامع/ القارئ، ومن ثم يتسم الأداء اللغوي بالتعدد والثراء؛ فلو أراد المتكلم التعبير عن معنى الحاجة لوجد في المكنز العربي المعاصر عدة ألفاظ دالة على هذا المعنى؛ ومن ذلك: فاقة، خَلّة، فَقْر، عَدَم، مَسكنة، شظف، عُسرة، ضيق، عَيل، مَتربة، خصاصة، عوَز، إملاق، بُؤس، حِرمان، مسغبة، مخمصة، قَتَار، افتقار، سغب [1] ( صيني، وآخرون، 1993، 33).

ولو تصفحنا لفظ (المقابلة، التشبيه) في كنز اللغة العربية لوجدنا عدة صيغ تعبيرية دالة على هذا المعنى، بإمكان المتعلم أن ينسج على منوالها في التعبير والكتابة، نحو: "قابل الشيء بالشيء أي عارضه، وكذلك يقال: قارنه به، ووزانه به، وقايسه به، وقادره به، وناظره به، وطابق بين الشيئين، وطارق بين النعلين، وظاهر بين ثوبين" [2] (غالب، 2003، 349).

**ه- توسيع نطاق استعمال لغة الضاد:**

تتيح المكانز العربية من خلال ما تتضمنه من مفردات غزيرة مقرونة بمجالاتها الدلالية المضبوطة سبل انتشار أكبر لتلك الكلمات في مختلف أنماط التواصل اللغوي، كما تخلق لها أيضا فرص استعمال أحسن لرصيد المعجمي في شتى الميادين التعبيرية، ولا سيما تلك الحقول التي تسمح بذيوع الكلمات وشيوعها بسرعة في أوساط الناطقين بالعربية، كالتعليم والإعلام والاقتصاد وتكنولوجيا الاتصال الحديثة والرياضة والإدارة؛ ففي المكنز الكبير مثلا ترد مرادفات التشريع: بيان، تشريع، دُستور، سُنّة، شرع، شِرعة، شريعة، قاعدة،

---

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص: 33.

[2]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص:349.

قانون، قرار، لائحة، مدونة، مرسوم، منهاج، ناموس، نظرية [1] (مختار عمر، 2000م، 262)، وفي كنز اللغة العربية ترد مصطلحات آلات النظر على هذا التسلسل: المجهر، المكبِّر، المكرسكوب، المنظار، النّظارة، التلسكوب، البلّورة، العدسة، المرآة [2] (غالب، 2003، 340).

وباعتماد المكانز كمصادر أساسية لجمع الرصيد اللغوي الأساسي للمواد الكتب التعليمية في شتى الأطوار يمكن إخراج الألفاظ من طور الكمون إلى مستوى التوظيف، فتصبح المفردات التي كانت تبدو غريبة مألوفة متداولة في خطابات التلاميذ، وتشكل وسيلتهم الأساسية في التعبير، لأن اللغة وعاء الفكر وخادمه.

### و- إبراز عبقرية اللغة العربية:

تُبرز المكانز العربية محل الدراسة بوضوح عبقرية هذه اللغة المجيدة، وقدرتها الفائقة على التعبير عن مقاصد المتكلمين في شتى الأمور، العقلية والحسية، الإنسانية والطبيعية، وإمكانية مواكبتها لمستجدات الفكر الإنساني؛ من خلال توظيف طاقاتها الكامنة في توليد ما يحتاجه المتكلم العربي من المفردات اللغوية والمصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية للتعبير عن الأغراض المتنوعة؛ ففي المكنز العربي المعاصر يجد القارئ الكلمات المعبّرة عن الغضب على التسلسل التالي: غضب، اغتاظ، حنِق، حرَد، أحِن، سخِط، استشاط، اضطرم، احتدم، اكفهرّ، تنمّر، سخّط، امتعض، ضغِن، احتدّ، حمي،

[1]- مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص: 262.

[2]- غالب، حنا، (2003)، كنز اللغة العربية، ص:340.

تضرّم، استشاط غضبا، توغّر صدره [1] (صيني، وآخرون، 1993، 83)، ويعثر المتعلّم في المكنز الكبير على 39 مرادفا دالا على فعل المواضبة، منها على سبيل المثال لا الحصر: أدمن، أكبّ على، استمر، ألح على، تعهّد، ثابر على، ثبت، حافظ على، واضب على، لازم، واصل [2] (مختار عمر، 2000، 799-800).

## 7- سبل تطوير المكنز العربي:

مما لاشكّ فيه أنّ تنمية الحصيلة اللغوية للمتكلمين في المدارس والثانويات، بل وحتى في الجامعات العربية يكون بواسطة تمكين التلاميذ والطلبة من المادة اللغوية الغزيرة للمكانز، وذلك بجعل هذه المصنّفات بين أيدي مستعمليها، تمدهم بالزاد اللغوي في كل حين، فينهلون من معينها الصافي المفردات اللغوية ومرادفاتها ومضاداتها؛ مما يثري رصيدهم المعجمي، وتتقوى قدراتهم التعبيرية، محادثة وكتابة، وتتأنق أساليبهم الخطابية، وهكذا تتجسد وظيفية اللغة؛ باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأغراض، فهي وضع واستعمال، وإذا كان المكنز- في الأصل- معجما قد تكفل بمهمة حفظ اللغة (الوضع)، فإنّ توفير هذا المصنّف للقارئ العربي، ولا سيما في الوسط التربوي، كفيل بترقية الاستعمال اللغوي لدى الناشئة؛ لأنّ شحن الرصيد المعجمي في هذه الفترة بالذات كفيل بتنمية القدرات اللغوية للمتعلم، وهذه الأخيرة هي أساس بناء شتى أنواع المعارف الأخرى في شتى المراحل التعليمية المتلاحقة.

---

[1]- صيني، محمود إسماعيل، وآخرون، (1993)، المكنز العربي المعاصر، ص:83.

[2]- ينظر: مختار عمر، أحمد، (2000م)، المكنز الكبير، ص: 799-800.

ويمكن جعل المكنز في خدمة التلاميذ خصوصا، والباحثين عن المادة اللغوية عموما عن طريق:

- التعريف بهذا النمط المعجمي، الذي يعد بمثابة الذخيرة اللغوية للمتعلم، يستفيد منه في كل زمان ومكان؛ لأنّ التلاميذ، بل وحتى المعلمين والأساتذة يجهلون هذا النمط المعجمي الجديد في الثقافة العربية، ومن جهل شيئا عاداه.

- تزويد المكتبات المدرسية والجامعية بالمكانز اللغوية، والتي يجب أن تُوضع تحت تصرف التلاميذ والطلبة والباحثين يتشرّبون منها اللغة العربية، نظرا لما تتمتع به من منهجية محكمة في ترتيب المترادفات، وحسن تعريفها.

- تشجيع التلاميذ والطلبة على اعتماد المكانز في الحصص اللغوية في المدرسة والثانوية، كالقراءة والتعبير الشفوي والكتابي، والمطالعة، بل وحتى في الجامعة؛ طالما أنّ الواقع يعكس غياب الثقافة المعجمية لدى التلاميذ والطلبة؛ إذ يلاحظ - للأسف الشديد- انصراف المتعلمين العرب عن استخدام المعاجم عموما، والمكنز نوع منها، على الرغم من أهميته الكبرى في اكتساب مفاتيح المعرفة، ودوره الفعال في بناء العلم؛ "فالتلميذ الأوروبي يتعلّم كيفية الكشف في قاموسه منذ الصغر، ويتدرّب على ذلك، حتى يتقنه إتقانا عظيما، مما يساعد على الفهم السليم، والبحث العلمي الجادّ منذ الصغر، وعلى العكس من ذلك نجد تلاميذنا إذا صادفتهم كلمة صعبة

يكتفون بفهم مشوّش، أو عدم الفهم في أغلب الأحيان" (عبد الغني عبد الله، 1991، 11). [1]

- تمكين المتعلمين من محتوى المكانز العربية بإتاحة نسخ إلكترونية منها على وسائل التواصل الحديثة، كالشابكة، ووسائل التواصل الاجتماعي.

- وضع مكانز ورقية أو إلكترونية مدرسية تتناسب وأعمار المتعلمين، تتضمن الرصيد اللغوي الوظيفي الذي يحتاجونه في كل مرحلة دراسية، تستجيب لأسس الصناعة المعجمية الحديثة، وتواكب التقنيات الحاسوبية الحديثة.

- الاستفادة من تجارب دور النشر الغربية الرائدة في بناء المعاجم، كتجربة مؤسسة أوكسفورد في صناعة المكانز الإنجليزية المتاحة على الشابكة، والتي يستطيع القارئ الاستفادة من محتواها اللغوي بكل يسر، وفي أقل مدة ممكنة [2] (https://en.oxforddictionaries.com/thesaurus/ ).

## خاتمة:

لقد واكب العرب المحدثون إنجازات الصناعة المعجمية الحديثة، فتفننوا - على غرار نظرائهم في الدول المتقدمة- في وضع مكانز لغوية تجمع مفردات العربية، قديمها وحديثها، مرتبةً وفق معانيها ومجالاتها الدلالية؛ بغية تنمية الحصيلة اللغوية للمتكلم، وشحن رصيده الوظيفي بما يحتاجه من

[1]- عبد الغني عبد الله، يسرى، (1991)، معجم المعاجم العربية، دار الجيل: بيروت، لبنان، ط:1، ص:11.

[2] https://en.oxforddictionaries.com/thesaurus /

مرادفات وأضـداد وتعـابير تفيـده في التعـبير عـن شـتى أغراضـه التبليغيـة، ومقاصده الكلامية، مشافهةً أو كتابةً.

وزيادة على ما تقوم بـه المكـانز مـن وظـائف لغويـة متعـددة: معجميـة، دلالية، صرفية، تركيبية، تداولية، تسمح كذلك بتنمية اللغة العربية، والعمـل على ازدهارها في شتى مجالات التواصل؛ وذلك مـن خـلال إثـراء الرصـيد اللغوي للمتعلم، ومساعدته على دقة التعبير عن أغراضه المختلفة في البيت، والمدرسة، والشارع، والملعب، وغيرها من الأماكن الـتي يرتادهـا باسـتمرار، والعمل على سدّ الفجوات المعجمية في قاموس التلميذ والطالب، والارتقـاء بأسلوبه نحو الفصاحة والبيان، وتوسيع مجالات الاستعمال اللغـوي في شـتى المجالات الحيوية؛ كالتعليم والإعلام والرياضة وغيرها، وإبراز مظاهر عبقرية العربية في إمكانياتها التعبيريـة الكـبيرة علـى مختلـف المعـاني، الحسـية منهـا والمجردة.

# شروط ازدهار اللغة العربية في المحيط والإدارة

**أ. د. أحمد عزوز**
**جامعة وهران 1، أحمد بن بلة**

اللغة هي الوعاء الفكري ومرآة الحضارة، وهي الأداة الناقلة للعلم المدنية والثقافة، وهي التي تحمل المفاهيم والقيم وتحقّق الربط والاتصال بين من يتكلّمونها، وهي منزل الكائن البشري على حدّ تعبير "هيغل" لذا فإنّ الفرد يتأثر بها، فتؤثّر على نمط تفكيره وآرائه وتصوراته ونظرته للواقع وسلوكاته.

ولا شك في أنّنا لا نكاد نختلف بقدر ما نتّفق على أهمّية اللغة العربية في التعريف بالهوية الوطنية والحفاظ عليها باعتبارها قضية مجتمع، ومستقبل شعب بحكم متطلّباتها وتداعياتها التي تتجلّى أكثر ما تتجلّى في تشكيل العقل والوعي والفكر والوجدان [1]. وللغة مكانتها وأهمّيتها، فهي بناء على الدستور العربية -ومنها الدستور الجزائري- لغة وطنية رسمية في جميع القطاعات والمعاملات.

ولكن أصبحت اللغة العربية تعاني أكثر من ذي قبل من منافسة اللغات الأجنبية لها، فباتت تدخلها المئات من الكلمات الأجنبية والعبارات والمصطلحات، وبدون مقاييس؛ خاصّة وأنّ علماء اللغة العرب -ومنهم ابن جيّي الذي قول كلّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب،

---

[1] - ينظر خليفة بن قارة، اللغة العربية في الجزائر من الحظر إلى الحجر، منشورات السائحي، ط:1، الجزائر، ص:6.

فالكلمات التي تدخل إلى العربية نلاحظها غير خاضعة إلى الميزان الصرفي، وهذا يؤثّر سلبا عليها، خاصة وأنّ هذا الدخول يتمّ بدون ضوابط وقواعد ومراقبة من المختصّين وغيرهم، أو على الأقلّ التنبيه باستمرار على ذلك، وهو ما انعكس على المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وبات يأخذ منه الغثّ والسمين، فينعكس ذلك سلبا على تفكيره ونظرته إلى لغته ومجتمعه وتصوّره لمستقبله.

ويلاحظ أنّ واقع الحال لا يعكس أهمية اللغة العربية بجدّية، فمع أنّ عدد سكان العالم العربي من الناطقين باللغة العربية يتجاوز 300مليون نسمة إلا أن التعليم في اختصاصات كثيرة مثل الطب والهندسة والتكنولوجيا وغيرها ما تزال تدرّس باللغات الأجنبية باستثناء مراحل من التعليم.

وعلى الرغم من أنّ حركة التعريب في العالم العربي بدأت في عصر النهضة العربية الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر، وساهمت في إحياء الثقافة العربية بعد زمن طويل من الركود اللغوي والفكري، وكان لها إسهامات كبيرة في مسيرة التحرر من الاستعمار وآثاره اللغوية وغيرها، إضافة إلى الدور الفاعل لمجامع اللغة العربية في بعض الدول العربية والإسهامات الكبيرة لبعض علماء اللغة والعاملين بالترجمة، إلا أن حركة التعريب ما تزال تعاني اليوم من ركود مقارنة بغيرها في دول العالم المتقدّم وغير المتقدّم غير الناطقين ممّن تستخدم اللغة القومية في تعليمها الجامعي. [1]

ويغفل كثير من الدارسين حين التأريخ لأمّة من الأمم، وحضارتها، ومخزونها الثقافي والفكري والإبداعي، ذكر مبدئها الأساسي ولسان حالها

[1] ينظر أ.د. ريما سعد الجرف،دور الجامعات في عملية التعريب،كلية اللغات والترجمة،جامعة الملك سعود: http://reemasado.tripod.com–

الذي هو اللغة ووظيفتها، فهي ركيزتها وسبيل نهضتها ورقيّها، ولا تطرح شعوب العالم في أوطانها بديلا عن لغتها؛ لأنّها مظهر من مظاهر انسجام المجتمع وتماسكه.

فهم يهتمّون بجوانب الصراع على السلطة والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحوادث المؤلمة والسارّة التي تعترض الأمّة في مسيرة بناء ذاتها، وينسون في كثير من الأحيان تناول موضوع اللغة ودوره في التأريخ والتي تصطبغ فيهاحياتها بكلّ تفاصيلها، وتتجلّى فيها حركيتها وديناميتها.

و ما تزال اللغة العربية في الجزائر ينقصها الكثير، على الرغم من الإسهامات والجهود الجبارة التي بُذِلت لإرساء دعائمها ونشرها.

فهي تعاني تضييقا بين أهلها وذويها، ويكمن الإشكال في اللغة الهجينة التي كثر استعمالها في التخاطب اليومي، وهي في تصاعد لدرجة باتت فيها لغة بعض الجزائريين غير مفهومة لدى العديد من الشعوب العربية، كما طغت على المحيط الجزائري اللغة الفرنسية، ومن يتجوّل في شوارع بعض مدنها يلاحظ ذلك من خلال اللافتات والملصقات بكلّ يسر.

ومؤدّى هذا أن التواصل بالعربية، باعتباره هدفا من تعليم اللغة العربية في المنظومة التربوية بمراحلها، لم يحقق ما كان مخطّطا له ومطلوبا، الشيء الذي يؤكّد وجود خلل ما من الضروري الإسراع لمعالجته [1].

ويعني هذا أن العربية مستعملة في مجالات محدودة؛ وذلك أنّ العامية هي السائدة في البيت والشارع والسوق، وتبقى الفرنسية هي اللغة الموظّفة في

[1]-ينظر أ.د.عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة،منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة،المغرب،2003،ص:24.

الاقتصاد والإدارة، وإنّ العربية ليست وظيفية في كثير من مجالات الحياة اليومية.

وما يلاحظ - أيضا - هو تراجع تعريب المحيط الذي كان محطّ اعتزاز وفخر للجزائريين بسبب عناوين المصالح المختلفة المكتوبة باللغة الفرنسية [1].

ويمكن أن نحدّد مجموعة من المقترحات نراها ضرورية لازدهار اللغة العربية في المحيط، وهي كالآتي:

1- يتطلّب ازدهار اللغة العربية النظر في المحيط الذي تستعمل فيه، ولا شك أن أولى الخطوات تقتضي التفكير في طرائق تعليم اللغة العربية وبرامجها، وذلك بتكوين مدرّسيها وضرورة القيام بإصلاح بيداغوجي وإعادة النظر في مقاييسها التقويمية؛ وتخصيص الحجم الساعي الكافي لتدريسها تدريسا فعّالا.

"والواقع، أنّ أزمة اللغة العربية في الجزائر شاخصة في أزمة التعليم، ذلك أنّ المؤسّسة التعليمية هي القادرة بامتياز على تحقيق نجاح الرهان الحقيقي على مسيرة الإصلاح اللغوي، ومواجهة كلّ التيارات التي تجد مصلحتها في تحجيم منزلة اللغة الوطنية" [2].

ومعروف أنّ الغاية من تعليم اللغة هو إكساب المتعلّم مهارة التحدّث أو الكلام والاستماع والكتابة والقراءة والتفكير باعتبار أنّ اللغة ترتبط ارتباطا

[1]-ينظر أ.د.بوعلي عبد الناصر، مجلة اللغة العربية، العدد 35، المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر،2016.

[2]- خليفة بن قارة، اللغة العربية في الجزائر من الحظر إلى الحجر، منشورات السائحي،ط:1،الجزائر،ص:6.

وثيقا به. ولعلّنا نتساءل قبل تفصيل هذه الأفكار هل التعليم ينمي المهارات المذكورة، وإذا لم يكن كذلك فكيف يكتسبها الفرد لينعكس الأمر على ازدهار اللغة العربية.

فمثلا كيف يستقيم الأمر لمعلّم يشرح درسا في النحو أو النصوص الأدبية، وهو لا يجيد النطق السليم للألفاظ والجمل والعبارات والتراكيب؟ وكيف يستقيم الأمر لخطيب يعتلي المنبر ليعظ الناس ويرشدهم، وهو يقع في الأخطاء الفاحشة التي تغيّر معنى الكلام إلى نقيضه، وإذا ما عوتب على هذا السقوط المريع تعلّل واعتذر بضعفه في اللغة العربية... وغير ذلك من المواطن الجديرة بالحرص فيها على سلامة اللفظ وصحّة الإعراب [1].

2- الواضح أنّ اللّهجات تهدّد اللغة العربية والغريب أيضا أنّه أصبح كثير من الأساتذة ينقلون المادة العلمية باللهجات، وتأثير اللغات الأجنبية جليّ في اللغة المتداولة أو القاموس المستعمل في القسم، والحجة في ذلك تقريب الأفكار من التلاميذ والطلاب وهي حجة واهية لأنّ المدرسة الجزائرية تخرّج منها الإطارات المميّزة ولم يشتكوا من صعوبة اللغة العربية في جميع الاختصاصات. وهي مسألة تعود إلى بذل قليل من الجهد ليشعر الطالب أنّه يدرس ويتعلّم، ولم يتفوّق أحد في العلم والإبداع ما لم يسهر ويكدّ ويجتهد.

كما يشبّ الطفل العربي ويترعرع اليوم ويبلغ مبلغ الراشدين والفتيان في بيئة لغتها العربية غير سليمة وأحيانا غريبة، فيهجرها الأبناء ليتحدّثون خليطا

[1]- ينظر د. محمد صالح الشنطي ود.محمد الطاووسي وآخرون،ظاهرة الضعف اللغوي، دار الأندلس للنشر والتوزيع،ط:1،1994م،المملكة العربية السعودية،ص:24.

من العامية والألفاظ الأجنبية أو لغة ملوّثة هجينة، ومفتخرين بذلك، ويكون لذلك الأثر على تكوينهم الشخصي والعقلي والنفسي الذي يمنعهم من اكتساب المهارات اللغوية التي يحتاج كلّ منهم إليها، وهو ما يؤيّده علم الاجتماع اللساني، وهذا لعوامل كثيرة منها:

أ- أنّ المدرسة أصبحت وحدها تتحمّل المسؤولية في تعليم اللغة العربية ولا تساعد الأسرة في ذلك، ويأتي بعض الأطفال إلى المدارس وهم مزوّدون بلغة يصعب على المدرسة تنقيتها وتهذيبها [1].

"وفي هذا المجال هناك ملاحظة لإيمي سيزير [2] يذكر أنّها أدهشته بعض الشيء حيث: عندما بدأنا في كتابة لغة (créole) الكريول [3] وعندما قرّرنا تعليمها، لم يتلق الشعب ذلك بارتياح. مؤخّرا التقيت امرأة وسألتها سيّدتي، سجّلت أبناءك في المدرسة، أتعلمين أنّ إجراء بالغ الأهمّية قد اتّخذ: إنّنا سنعلم الكريول في المدرسة، فهل يرضيك ذلك.

أجابتني: كيف يرضيني؟ كلاّ؛ لأنّني إذا أرسلت ابني إلى المدرسة - قالتها بالكريول- فليس لتعلّم الكريول، وإنّما لتعلّم الفرنسية، الكريول، أنا التي أتكفّل بتعليمه إيّاه.

---

[1]-د.محمد صالح الشنطي ود.محمد الطاووسي وآخرون، المرجع السابق،ص:26.

[2]-إيمي سيزير: كاتب وشاعر فرنسي من المارتينيك 1913-2008 ، أبو الزنوجة وأيقونة الإنسانية.

[3]-الكريول هو اللغة الهجينة التي نجمع في المستعمرات الفرنسية من وراء البحر هذا الخليط من اللغات وهي عامية.

أثارني حسّها السليم، وفيما قالته كان هناك شيء من الحقيقة "[1].

3- "إعداد المعلمين إعدادا علميا كافيا وتربويا شاملا منذ بدايات حياتهم العلمية في المحيط الجامعي؛ وذلك بإعطائهم القدر اللازم لتأهيلهم لتدريس اللغة العربية مع ملاحظة أمرين مهمّين:

أ- المداومة على تدريب المعلّمين تدريبا دوريا مستمرّا لإمدادهم بجديد التعليم والتربية عموما، وتعليم العربية خصوصا، وبمدى الحرص على تطبيق ما توصّل المعلّم إليه بصورة تظهر ثمارها بين التلاميذ.

وهذا يتطلّب متابعة فنّية دقيقة ونشطة يوضع في حسبان القائم بها مدى التزام المعلم بالتحدّث بالفصحى، ودرجة حرصه عليها والاعتزاز بها، وإجادته لها أثناء مناقشاته مع تلاميذه [2].

4- وضع استراتيجية استخدام اللغة العربية في كل أسلاك التعليم، والوعي بأهميتها وقدرتها على المواكبة والمسايرة لكل مستجدات العلم والتكنولوجيا، وما يخدم التنمية المستديمة، في ظلّ انفتاح الجامعة على المحيط الاجتماعي والاقتصادي، خاصّة وأنّ الجامعة كان عليها أن تخدم المحيط بكلّ حقوله، فهي قاطرة التوجيه، ومنتجة المسيّرين وحاملة المشاريع، وكان عليها تحقيق هذا في نظامها العلمي والبحثي والعالمي؛ لتكون في مستوى الندّية

---

[1] -عبد الفتاح كليطو، أتكلم جميع اللغات ولكن بالعربية،ترجمة عبد السلام بنعلي، دار توبقال للنشر،المغرب،ط:1،سنة2013،ص:11.

[2] - ينظر د. محمد صالح الشنطي، ومحمد الطاووسي، وآخرون،المرجع السابق،ص:61.

للجامعات المعيارية المنتجة للمعرفة التي أصبحت عُملة يراهن عليها، باعتبارها تعمل على إنتاج مجتمع المعرفة [1].

وهكذا تبدأ ترقية استعمال اللغة العربية من مؤسّسات التربية والتعليم بمختلف مراحلها وفي مقدّمتها الجامعة باعتبارها حاضنة النخب وميدان تكوينها، ولا يكمن العيب هنا في قصور اللغة عن احتضان العلم والتقانة الجديدة والتكنولوجيا؛ وإنّما في الناطقين بها والذين تكبّلهم عقد النقص وأصفاد الضعف عند التحدّث أو التواصل بها في المواقف المتعدّدة.

5- تفعيل المجامع اللغوية العربية والمؤسسات الساهرة على التعريب ونشر اللغة العربية وثقافتها، وتنفيذ التزاماتها والسهر على تطبيقها في المحيط والإدارة؛ وإن الجهود التي بذلت في تعريب الإدارة والمحيط منذ تأسيس المجامع اللغوية والمجلس الأعلى والبحوث المختلفة كفيلة بصورة عالية لجعل اللغة العربية قادرة وبكلّ جدارة على القيام به وهو تطويع وتأهيل للإدارة، ولا يخفى ما للإدارة من عادات المحافظة على الموروث الذي يقف في وجه كلّ إصلاح [2].

ولا يحتاج الأمر إلى إضافة نصوص قانونية أو تنظيمية؛ إنّما تكفي الإرادة في تطبيقها، والانتقال من تهميش اللغة الوطنية الرسمية إلى لغة احتضان

---

[1]- ينظر أ.د.صالح بلعيد، خطاب جامعة سيدي بلعباس، ألقي بمناسبة اليوم الدراسي الخاص بالاحتفاء باليوم العربي لغة الضاد:07 مارس 2017 بجامعة سيدي بلعباس.

[2]- ينظر أ.د.بوعلي عبد الناصر، مجلة اللغة العربية،العدد35، المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر-2016.

حاملــة لرســالة التواصــل وتجســيد العلاقــات بــين أفــراد المجتمــع [1].

6- إشراك وسائل الإعلام وتفعيل دورها لخدمة اللغة العربيـة وازدهارهـا؛ وجعل شرط إتقانها من شروط القبول فيها. كما تقـوم الأجهـزة الإعلاميـة ببعـث الغـيرة في النفـوس للاعتـزاز بهـا، وبيـان فضـل تطبيقهـا في المجـالين الاجتماعي والاقتصادي. ومـن ثـمّ ضـرورة الارتقـاء بلغـة بعـض الـبرامج الإعلامية المكتوبة والمسموعة، ودور النشر لتكون لغة عربيـة فصـيحة بعيـدة عن الانحراف عن مسار قواعدها وأساليبها.

7- تشجيع أفراد الأمّة على الاختراع والإبداع والعمل والإنتاج باللغة العربية؛ لأنّ اللغة تتقدّم بتقدّم الفكر وتنحطّ بانحطاطـه؛ ولأنّ الكتابـة بلغـة أجنبية هو في خدمة الآخر أكثر من خدمة الأنـا، لأن لهـا مـردودا اقتصـاديا كبيرا على الكتَاب بالعربية والقرّاء.

ونسجّل هنا أنّ تعلّم اللغة العربية السليمة ليس مسـؤولية معلّـم العربيـة وحده، فلن يصلح العطار ما أفسـده الـدهر؛ وإنّمـا هـي مسـؤولية الجميـع، فأستاذ الرياضيات أو الفيزياء أو العلوم مطالب بتوظيف لغة فصيحة سـليمة حتى ينمو معجم التلميذ وتصقل تراكيبـه وعباراتـه، ولا يعتقِـد أنّـه مكلّـف فقط بتقديم النظريات والقواعد؛ بل حين تقدّم هذه النظريات في صور لغوية جميلة تجعل الطفل أو المتعلّم يقبل عليها أكثر ممّا لو قدّمت له في لغـة ركيكـة ضعيفة ممزوجة بألفاظ أجنبية أو عامية.

[1]-ينظر د.بوعلي عبد الناصـر، مجلـة اللغـة العربية،العـدد35، المجلـس الأعلـى للغـة العربيـة- الجزائر-2016.

8- الـدعوة إلى تهـذيب لغـة الخطـاب الإشـهاري، وتوعيـة المنـتجين الاقتصاديين ووسائل الاتصال بأهمية المحافظة على اللغة السليمة، ودورها في تبليغ المعلومة والفكرة والحفاظ على الهوية وتماسك المجتمع وكذا أهمّيتهـا في التنمية.

9- الحثّ على جعل اللافتات واللوائح في المؤسسات المختلفة بالعربيـة، دون إضافة إليها اللغة الفرنسية، ليحفظ المواطن المصطلحات ويصبح قـادرا على تداولها في حياته اليومية.

10- تحبيب اللغة العربيـة في نفـوس أهلـها، فوجـودهم بوجودهـا، وفي تضييعها ضياعهم، وتجاوز العقد النفسية التي ما تزال تسيء إلى مكانة اللغـة العربية في الإبداع ودورها في العملية التبليغية.

11- العمل على تضييق استعمال اللغة الأجنبية في الحياة اليومية، وإيجاد متنفّس لتوسيع مجال انتشار اللغة العربية في موطنها رغبة في وازدهارها [1].

12- إنشـاء لجـان المتابعـة والتقـويم للنظـر في الصـعوبات الـتي تواجـه المـوظّفين في تعمـيم اسـتعمال اللغـة العربيـة، علـى أن ترفـع هـذه اللجـان تقاريرها دوريا إلى المؤسسات العليا، ليتمّ تدارك النقص [2].

13- جعل اليوم الوطني للغة العربية واليوم العالمي للغة العربيـة مناسـبة وطنية للتوعية في كافـة أنحـاء الـبلاد، فيكـون يومـا احتفاليـا باللغـة العربيـة وتمجيدها وإبراز دورها في التنمية وبناء الحضارة.

[1]-أ.د.بوعلي عبد الناصر،المرجع السابق،والصفحة نفسها.

[2]-ينظر أ.د.بوعلي عبد الناصر، المرجع السابق.

14 - "لا يمكن للعربية أن تنمو وتتطوّر كما نريد لها جميعا، إلاّ بإدخالها في مجال تعليم التقنيات والعلوم الدقيقة وفي التعليم العالي على الخصوص، وهذا يجب أن يتمّ بشكل تدريجي وخطوات مدروسة؛ ولكن لا بدّ من الشروع فيه." [1]

ويمكن القول إنّ "اللغة العربية" هي الميثاق الغليظ الذي يوحّد الأمّة، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع فحسب، بل هي قضية هوية وكيان ووجود، وتخفي خلفها التاريخ والتراث، وتؤسّس لرهانات سياسية واقتصادية واجتماعية؛ فهي بقدر ما ترتبط بالفكر ترتبط كذلك بالتنمية واستشراف المستقبل. [2]

ولقد بات واضحا أنّ تدهور وضع اللغة ناتج عن تدهور البيئة التي تتبوّأ اللغة فيها مكانتها [3]، وكذلك ارتقاء وتطوّر أي لغة مرهون بإرادة الناطقين بها وافتخارهم بها، وجعلها لغة عالمية، وتقف في وجه كل الرهانات والتحدّيات مثلما يحدث مع اللغة الإنجليزية التي أثبتت حضورها بإرادة ناطقيها في كلّ المحافل الدولية؛ إذ صار تواجدها على شبكة الإنترنت قويا

[1] -د.عبد الله الودغيري، العربية ولغة التدريس وإصلاح التعليم،ضمن المسألة اللغوية في المغرب والعالم العربي،عالم التربية منشورات عالم التربية، العدد26/ 2016،المغرب،ص:88.

-http://www.almassae.press.ma/content/%D8%A7%D9%84%D9%

[2] ينظر اللغة العربية وطرق تدبير التعدد اللغوي في المغرب

[3] -ينزر د.عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة،ص:25.

حيث تمثّل المادة المدوّنة عبر هذه الشبكة أزيد من ثمانين بالمائة والنسبة المتبقية تتقاسمها باقي لغات العالم [1].

ونظرا للتغيّرات والتطوّرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي طرأت على العالم العربي في السنوات القليلة الماضية، تزداد الكتب والمراجع والأبحاث باللغات الأجنبية، ويتناقص عدد المؤلفات والأبحاث المكتوبة باللغة العربية، وتلقى البضاعة ما يوجد منها -على قلّتها كسادا- ويعاني من نقص إقبال الجمهور على قراءته، ولذا لا بدّ من تشجيع شراء الكتاب العربي وقراءته والإشهار له.

وليس معنى ذلك إنّنا لا ندعو إلى التفتح على لغات عالمية، بل إننا ندعو إلى ذلك وإلى الحداثة دون تمييز بينها ما دام الهدف هو ما تقدّمه من فائدة للفرد والمجتمع.

وصفوة القول إنّ التحدّي الذي يواجه أبناء اللغة العربية هو تطويرها وتحديثها والعمل على ازدهارها، واسترداد هيبتها ومكانتها وعزّتها بإنتاج العلم والمعرفة بها.

[1] - http://reemasado.tripod.com: -ينظر أ.د. ريما سعد الجرف،دور الجامعات في عملية التعريب،كلية اللغات والترجمة،جامعة الملك سعود

# تدريس اللغة العربية في المؤسسات التعليمية بتوظيف أساليب التنمية البشرية

## ـ الخريطة الذهنية والعصف الذهني أنموذجا ـ

**د. شميسة خلوي**

**جامعة الجزائر، أبو القاسم سعد الله.**

كثيرة هي الوسائل التعليمية التي يتبعها المدرسّون من أجل جعل حصصهم مثار اهتمام تلامذتهم وبغية تعزيز الإدراك الحسّي لديهم، وذلك على جميع المستويات التعليمية، وفي مختلف المواد المقدمة للمتعلم، فإذا أحسنَ المدرِّس استخدامها وتحديد الهدف منها بدقة كانت النتائج طيّبةً والفوائد جمة كثيرة.

فيمكن للمعلِّم أن يضرب مثلا أو أن يسرد قصة أو يحكي موقفا، أو يستخدم حركة أو عرضا سمعيا أو بصريا، أو يدعو طلبته لزيارة ميدانية، أو يدرِّبهم عمليا، بالمقابل يمكن للمتعلِّم أن يعزِّز الدروس التي تلقَّاها بالاستماع إلى مقاطع صوتية أو مرئية، ويمكنه أن يستعين بمراجعة جماعية، ويستطيع أيضا أن يلخِّص الدرس الذي تلقاه في شكل رسم توضيحي.

وفي حديثنا عن المعلم، فلعلنا ندرك أن ايصال الفكرة أو المعلومة هي الهدف من وراء استخدام الوسائل المذكورة أو غيرها من الطرق البيداغوجية النافعة، لكننا لا يجب أن نغفل عن أمور أخرى قد تكون حجر الأساس في كل ما ذكرنا، إنه الإبداع في التلقي وما بعده، إذ يؤكد خبراء علم النفس

التربوي [1]، أنه إذا أردنا أن نؤسس لجيل يحب ما يدرس ويفهم ما يقدَّم له ويستوعب ما يُطرح، فعلى المربي والمعلم أن يحترم خيالاته، وأن يقدِّم فرصا متنوعة ومتعددة لإظهار قدرات طلابه الابتكارية، وأن يقوم بدور الموجه لا الملقن، وهذا ما يندرج ضمن تنمية قدرات الإنسان، أو ما يطلق عليه مسمى: التنمية البشرية.

واللغة العربية كغيرها من المواد التي تدرس في كافة أطوار التعليم، لا بد لمدرسيها من مواكبة كل جديد يبعد عن حصصها التلقينية والجمود والعادة التي تميت كل محاولة للإبداع فيها، وعليه أن يكسبها الحيوية المتجددة.

وربطا للغة العربية بالتنمية البشرية، نقول: إن توظيف أساليب التنمية البشرية في تقديم دروس اللغة العربية وآدابها تدفع إلى اهتمام الطلاب بالمادة المدروسة، مع كثير من الارتياح في ساعة تقديم الدرس، ومن هنا يأتي استثمار مُيول التلاميذ، وتفعيل خيالتهم لأجل الإبداع ومن ثمة الإقبال على اللّغة العربية وحبّها، فتعلّمها.

فما هي التنمية البشرية؟

وما هي الأساليب التي يمكن توظيفها تربويا خدمة للغة العربية؟

**أولا: التنمية البشرية:**

بداية كان مصطلح التنمية البشرية (Human Development) «يتردَّد كثيرا في الأدبيات الاقتصادية وظهرت اجتهادات ومحاولات شتى لتوصيفه،

---

[1] ينظر: أحمد عبادة، قدرات التفكير الابتكاري في مراحل التعليم العام، ط1، مركز الكتاب للنشر، 1421ه/ 2001م، 119.

بناء على التطور الذي حصل في النظرية الاقتصادية والـذي جعـل الإنسـان الغاية الأساسية للنشاط الاقتصادي ابتـداء وانتهـاء» [1]، فالتنميـة مهمـا كـان مجالها فإنها ترتكز على تكوين القدرات البشرية وتنميتها، فالإنسان هـو محـل اهتمامها ومناطها.

وتتنوع أساليب التنمية البشرية بتنوع الـبرامج التدريبيـة الـتي تقـدمها بغيـة تنمية القدرات، وأغلبها يرمي إلى تنمية التفكير الإبداعي في مجال معيَّن، وهـي موجهة للكبار والصغار، للنساء كما الرجال، وللمتمدرسين وغيرهم أيضا.

ومن الأساليب الـتي لهـا علاقـة بـالتعليم نلفـي: برنـامج تريـز (TRIZ) واستراتيجية القبعـات السـت للـتفكير، وبرنـامج الكـورت لتعلـيم الـتفكير (The CoRT Thinking Program) وأسـلوب القـراءة السـريعة (Speed Reading) إضافة إلى الخريطة الذهنية والعصـف الـذهني – مـدار حديثنا عل التوالي في هذه الورقة البحثية–.

وسنرى فيما يلي كيـف أن أسـاليب التنميـة البشـرية صـالحة لأن تكـون وسيلة فعالة لتعليم اللغة العربية وايصال مختلف الأفكار بهـا، بـل والإبـداع من خلالها، متخذين التعليم الثانوي مجالا للتطبيق.

### ثانيا: الخريطة الذهنية:

معلوم أن الخريطة في معناها الأصلي اللغوي تعـرف علـى أنهـا «صـورة مصغرة لسطح الأرض أو جزء منه على سطح مسـتو بمقيـاس رسـم معـين،

[1] إبراهيم مراد الدعمة، التنمية البشـرية الإنسـانية (بـين النظريـة والواقـع)، دار المنـاهج للنشـر والتوزيع، عمان، الأردن، 14.

ومسقط معين ورموز معينة وقد يكون هذا التمثيل لظاهرات طبيعية أو بشرية أو كليهما» [1]، وللخرائط أنواع مختلفة مثل الخرائط الطبيعية على شاكلة التضاريس أو المناخ، وقد تكون خرائط بشرية مثل خرائط توزيع السكان وكثافتهم.

وقد انسحبت كلمة (خريطة) من معناها اللغوي المتعارف عليه إلى معنى آخر في السنوات القليلة الماضية، كترجمة حرفية لها من الانجليزية (Mind map)أو الفرنسية (Carte heuristique/carte mentale) لذلك نجد الاختلاف في الترجمة للعربية بين (الخريطة الذهنية) و(الخريطة العقلية)، وحتى (الخريطة المفاهيمية).

وتعد الخريطة الذهنية [2] وسيلة حديثة مبتكرة، نعبِّر فيها عن أفكارنا عبر مخطَّط نقوم برسمه باستخدام الكتابة والصور والرموز والألوان عوض الاقتصار على الكلمات فقط، فنربط معاني الكلمات بالصور، ونربط المعاني المختلفة بعضها ببعض.

إذن: كونها خريطة فلأنها تشبه الخريطة في التوضيح العام، وكونها ذهنية لأنها تشبه في طريقة عملها عمل الذهن.

---

[1] حسام الدين جاد الرب، معجم المصطلحات الجغرافية، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، 188.

[2] ينظر: توني بوزان: خريطة العقل، مكتبة جرير، ط6، 2010م، والعقل واستخدام طاقاته القصوى، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1996م، والكتاب الأمثل لخرائط العقل، مكتبة جرير، ط1، 2009م.

مبتكر الخريطة الذهنية هو الملقب بأستاذ الذاكرة توني بوزان (Tony Buzan)[1]، الذي حاول عبر مختلف مؤلفاته التعريف بها، وبأهميتها ومجالات استخداماتها، وطرق رسمها.

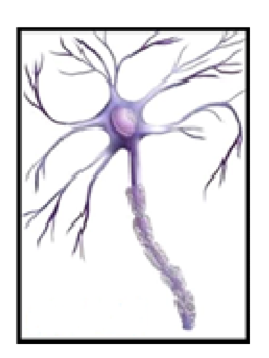
وللخريطة الذهنية فوائد كثيرة، فهي تمكّننا من قراءة المعلومة بكامل الدماغ، بفصَّيه الأيمن والأيسر، فترفع بذلك من كفاءة التعلُّم والاستيعاب [2]، ومن ثمة يتمُّ تخزين المعلومات في الدماغ لأطول مُدَّة ممكنة، لأنها جمعت بين الصور والكلمات، وربطت المعاني المختلفة بعضها ببعض عن طريق الفروع المستخدمة في رسمها.

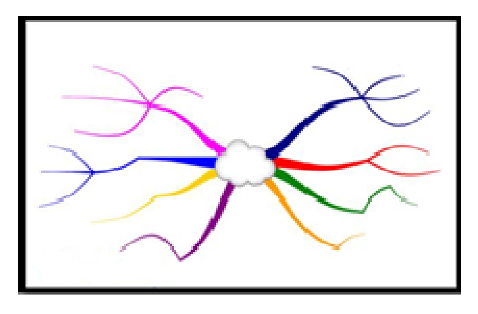
---

[1] توني بوزان من مواليد عام (1942م) بلندن، تخرَّج من ( University of British Columbia) في تخصُّصات هي: علم النفس والإنجليزية والرياضات سنة 1964م، ألّف أكثر من مائة كتاب حول الذاكرة والعقل والدماغ والتعلُّم، ومن أشهر كتبه التي لها علاقة بموضوع بحثنا كتاب خريطة العقل أو( The Mind Map Book: How to Use Radiant Thinking to Maximize Your ، عمل مستشارا على أكثر من صعيد ويعد محاضرا عالميا، اختير عام 1994م من طرف مجلة فوربس (Forbes) كواحد من أفضل خمسة محاضرين على مستوى العالم، مؤسِّس بطولة الذاكرة العالمية، بطولة القراءة السريعة العالمي، ورئيس تحرير سابق للمجلة الدولية (MENSA)، كانت له برامج على (BBC) تحدَّث فيها عن ابتكاره الجديد (الخريطة الذهنية) سنة 1970م، ينظر: موقعه الرسمي على الشبكة: http://www.thinkbuzan.com

[2] ينقسم التفكر إلى قسمين حسب استخدام الفص الأيمن أو الأيسر من الدماع، فالفص الأيسر يختصُّ بالعمليات الذهنية وكل ما هو منطقي تحليلي، ويركِّز على الكلمات والأرقام أكثر، بينما يختصُّ الفص الأيمن بالصور والتخيُّل والإبداع ... -لذلك فالاستيعاب عن طريق الخريطة الذهنية يجمع بين نشاط الفصَّين من الدّماغ فتكون النتائج أفضل من غير شك- ينظر: محمود سيد رصاص، الدماغ والفكر، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1408 هـ / 1987 م، 160، ويراجع أيضا: محاضرات مرئية للدكتور توني بوزان.

ولهذا السبب نجد تشابها كبيرا بين شكل خلية عصبية وشكل الخريطة الذهنية مثلما هو موضَّح في الشكل الأول الذي يمثِّل عصبونا والشكل الذي يليه والذي يمثِّل خريطة ذهنية فارغة.





إضافة إلى أنها تسهِّل علينا الوصول للمعلومة، وسرعة مراجعتها بشكل ميسر عن طريق الرجوع إليها بدلا من الرجوع لمعلومات مكدَّسة في عشرات الأوراق، وتعطينا صورة شاملة عن الموضوع الذي نريد دراسته أو التحدُّث عنه، فمستخدم الخريطة الذهنية يكون محيطا بالموضوع من جميع جوانبه، ويضمن بذلك تغطية جميع نقاط الموضوع بشكل منظم.

أضف إلى ذلك أنها تمكِّننا من وضع كل أفكارنا وما يدور في أذهاننا وأكبر قدر ممكن من المعلومات عن الموضوع في ورقة واحدة، فترتب تبعا لذلك المعلومات وتصنَّف المفاهيم.

ناهيك عن تسهيل معرفة النقطة التي وصلنا إليها سواء في الحفظ أم البحث أم التخطيط دون نسيانها، وكذا تساعدنا على ربط المعرفة الجديدة بالمعارف السابقة، بطريقة تمكننا من الاطِّلاع عليها دفعة واحدة وبشمولية، مع القدرة على إضافة المعلومات أو حذفها.

وعموما فإن الأفكار ستتوالى في أذهاننا بعد قيامنا بأولى خطوات رسم الخريطة الذهنية، أفكار قد لا تظهر لنا لو اعتمدنا على الكتابة المباشرة، والسبب أننا قمنا نعمل بنفس طريقة عمل أدمغتنا! وأخيرا، فإن الخريطة الذهنية تنمِّي فينا النشاط الإبداعي ومهاراتنا العقلية.

والمميز في تطبيقات الخريطة الذهنية أن كل واحد منا بإمكانه الإفادة منها وتوظيفها لصالح تنمية مكتسباته القبلية، واستخدامها لا يقتصر على الدراسة فحسب، وإنما نستطيع توظيفها في كل أمور حياتنا باختلاف توجُّهاتنا وأعمارنا واهتماماتنا، فالخريطة الذهنية تساعد على تلخيص الكتب والمستندات والمحاضرات المكتوبة، وحوصلة نتائج المحاضرات السمعية، والتخطيط للمشاريع العلمية والاجتماعات العملية والمقابلات الصحفية، إضافة إلى الإلمام بنقاط الحوار عن بعد في المكالمات الهاتفية أو الدردشات، والتفاوض مع الطرف الآخر بغية إقناعه والتأثير فيه، والتخطيط للمناسبات والرحلات السياحية.

ولنا أن نتساءل الآن: كيف تكون الخريطة الذهنية وسيلة تربوية فعَّالـة في تدريس اللغة العربية؟

بداية، سنأخذ مثالا واقعيا يجعلنا ندرك مدى أهميـة الخريطـة الذهنيـة في التعليم بوجـه عـام، فعلـى سـبيل المثـال لا الحصـر، أحـرَزَتْ فنلنـدا تفوُّقـا ملحوظا على جمْع من الدُّول، ويكفـي أن نـذكر أنهـا حصـلت علـى المرتبـة الأولى في حين حصلت فرنسا على المرتبة الرابـع عشـرة! وذلـك في منافسـة تربوية جمعت دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) في مقارنـة جادَّة لبحث أفضل السُّبل الموصلة لتحسين طريقة الأداء التربوي، إذ لـوحظ التفوُّق الواضح لتلاميذ هذا البلد في المواد العلمية والأدبية، وحينمـا بُحـث الأمر، وجدوا أن السـرَّ تلخِّصـه وسـيلة تربويـة جديـدة عنوانهـا (الخريطـة الذهنية) [1].

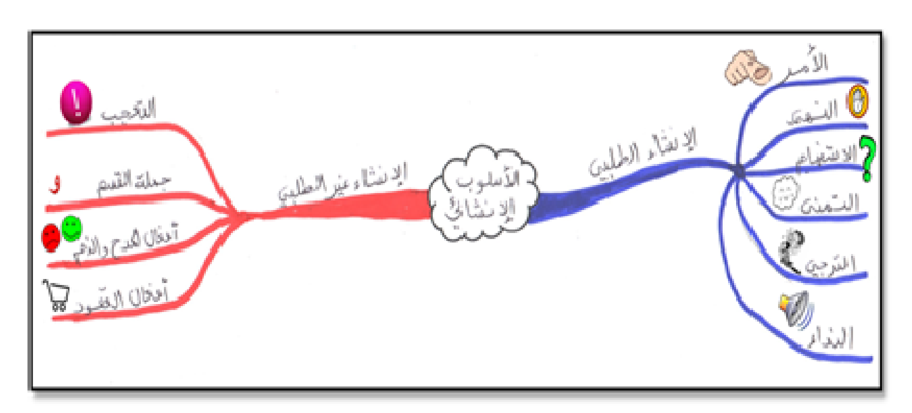
فإذا كانت الدول الغربية قد قامت بتوظيف أسـاليب التنميـة البشـرية في أنظمتهـا التعليميـة، فلـم لا نطبقهـا نحـن في برامجنـا التعليميـة، وخصوصـا لتدريس لغتنا العربية؟

ولإثبات نجاعة هذه الوسيلة، ارتأينا أن نحوِّل دروسـا مـن برنـامج اللغـة العربيـة وآدابهـا للطـور الثـانوي إلى خـرائط ذهنيـة، ولعـل دروس البلاغـة وقواعد اللغة العربية هما من أكثر الدروس الـتي يتحقَّـق فيهمـا نجـاح هـذه الوسيلة التربوية لما لكل درس منهما من أقسام وتفرُّعات.

---

[1] نقلاً عن تقرير بثَّته القناة الإخبارية الفرنسـية الثالثـة تحـت عنـوان: ( Mind Map dans le système éducatif finlandais)

ففي البلاغة انتقينا درسا عنوانه (الأساليب الإنشائية) [1]، وفيه يقدم للتلميذ الأسلوب الإنشائي بنوعيه الطلبي وغير الطلبي، وكل فرع يقسم بدوره إلى مجموعة من الصيغ، الأمر الذي يجعل الإلمام بكل هذه التقسيمات يسهل إذا قُدمت المعلومة الكاملة للمتعلم عن طريق الخريطة الذهنية، وفي الشكل الموالي صورة لخريطة ذهنية يدوية مبسطة خاصة بهذا الدرس، وفيها تظهر المعلومات كاملة في ورقة واحدة يمكن الرجوع إليها في أي وقت دون عناء، ناهيك على كونها سهلة الحفظ والمراجعة بهذه الطريقة.

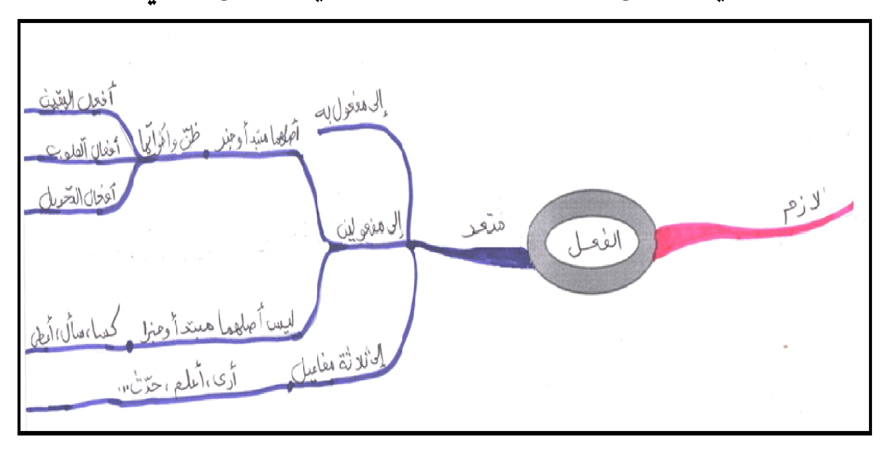



ونأتي لدرس آخر ضمن برنامج اللغة العربية وآدابها وتحديدا في قواعد اللغة، والمعنون بـ (الأفعال المتعدية إلى أكثر من مفعول) [2]، هذا الدرس الذي يحمل هو الآخر في حيثياته مجموعة من التقسيمات يمكن للمدرس الذي يستخدم الخريطة الذهنية أن يقدمه بسهولة ويسر لطلابه، ويمكن

[1] من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب.

[2] من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتين آداب وفلسفة ولغات أجنبية.

للطلاب أيضا مراجعته باستخدام نفس الوسيلة، وهـو مـا يظهـر في الشـكل الموالي، والاختلاف بين الخريطة الذهنية الأولى والثانية، هـو اعتمادنـا علـى إضافة الرموز في الشكل الأول والاستغناء عنها في الشكل الثاني.




فكيف حصلنا على هذه الخريطة؟ وما هي ضوابط رسـم خريطـة ذهنيـة علمية ناجحة؟

لهذا الغرض يلزمنا مجموعة من الوسائل البسيطة التي يمتلكهـا كـل أسـتاذ وتلميذ: ورقة بيضاء –أو أي لون آخر إن رغبنا في ذلـك- مـن نـوع (A4) غير مسطّرة ولا مؤطّرة، نستخدمها بشكل أفقـي (عرضـي)، أقـلام متعـدِّدة الأحجام والألوان والأنواع، قلم رصاص، أقـلام ملوَّنـة مـن اختيارنـا، وإن ارتأينا أن نرسم الخريطة الذهنية حاسوبيا، فيلزمنـا: برنـامج لرسـم الخـرائط الذهنية، مثل برنامج (FreeMind) أو (MindMapper).

أما خطوات رسمها فهي كالآتي [1]:

• تحديد الموضوع.

•استخراج المفاهيم الأساسية.

•نحدِّد وسط الورقة كمركز للانطلاق، ثم نرسم دائرة صغيرة مثلا، ونضع موضوعنا في شكل كتابة أو رمز أو رسم بسيط يعبِّر عن الموضوع الرئيس ويمثِّل الفكرة بحيث يسهل تذكُّره .

•نختار الاتجاه الذي نريد أن نرسم فيه التفرُّعات، شريطة الحفاظ على الاتجاه كل مرة نود فيها رسم خريطة ذهنية.

•نقوم بوضع تفرُّعات تنطلق من مركز الورقة –الكلمة التي تختصر الموضوع الرئيس– لتمثِّل الأفكار الأساسيَّة، ونحدِّد لكل فرع كلمة مفتاحيَّة – نكتبها فوق الفرع– باستخدام الألوان المختلفة للفروع، على أن تكون هذه الفروع عبارة عن خط منحن عريض من جهة المركز، ليصبح أكثر دقة عند نهايته، مع إمكانية رسم خط أو دائرة حول الفكرة المهمة لإبرازها بشكل لافت.

•يمكن وضع صور رمزية على كل فرع من الفروع السابقة تعبِّر عن معناه، أما الهدف من استخدام هذه الصور وكذا الألوان فهو تحبيب الرسم للنفس وتوضيحه وتصنيف الأفكار.

---

[1] يمكن مراجعة على سبيل المثال لا الحصر: نجيب عبد الله الرفاعي، الخريطة الذهنية (خطوة... خطوة)، ط3، مهارات للاستشارات والتدريب، 1434ه/ 2013م.

•يمكن تفريع كل فرع من الفروع الرئيسة إلى فروع ثانوية، مع وضع ما يمثِّلها من كلمات أو كلمات مع رسوم أو رموز .

•نواصل التفريعات الجزئية إلى غاية إنهاء الأفكار التي تولَّدت عن الفكرة الرئيسة.

•نحصل في النهاية على شجرة بها تفرعات تمثِّل أفكار الموضوع ومختلف جوانبه، بطريقة متسلسلة منظَّمة.

**ثالثا: العصف الذهني:**

العصف الذهني (Brainstorming) ويسمى أيضا: (النزف الفكري) و(استدراج الأفكار) و(الأفكار المجنونة) و(عصير الأفكار) و(تدفق الأفكار)...وكل هذه المعاني تصب في كون العملية تعد إبداعية تعتمد على الخيال بالدرجة الأولى، والتخيل في هذه الحالة هو القدرة على إنشاء فكرة أو صورة ذهنية أو الإحساس الشعوري بشيء ما، والتصور الإبداعي عموما هو استخدام الخيال لايجاد ما نريد، وفي التصور الإبداعي لا اعتراف بالغريب أو الفكرة غير العادية [1].ويعرَّف العصف الذهني بأنه «طريقة التدريس الجماعية المتمركزة حول التلاميذ المستخدمة في تنمية التفكير، تقوم على التداعيات الحرة وتهدف إلى توليد أكبر قدر من الأفكار الخلاقة خلال

[1] ينظر: شاكتي غاوين، التصور الإبداعي، استخدم طاقة خيالك لإبداع ما تريده في حياتك، ترجمة: أسامة بديع جناد، دار الفكر المعاصر، 2009م، 23-24.

فترة زمنية محددة لحل مشكلة معينة» [1]، وبهذه المواصفات يمكن للمدرس أن يقدم درسه بكل أريحية ضامنا مشاركة المجموعة كلها، مع كثير من الأفكار الإبداعية، في جو يجمع ما بين المعرفة والتدرب وحصول الفائدة.

ومعلوم ما للتفكير الجماعي من ايجابيات، ولعل أهمها ما يطلق عليه تلاقح الأفكار، وكأننا نضيف عقولا إلى عقولنا [2]، وهذا بيت القصيد في جلسات العصف الذهني الناجحة، ورغم أن طريقة العصف الذهني قد أعدت لتكون مناسبة للعمل الجماعي، إلا أنها صالحة لأن تكون مناسبة للعمل الفردي أيضا [3].مبتكر هذا الأسلوب هو ألكس أوزبورن ( Alex Faickney Osborn) [4]، وقد أظهر هذه الاستراتيجية ضمن كتابه "الخيال التطبيقي" [5]، وأسماه بـ (Brainstorming) وقد اختلفت الترجمات المقابلة لهذا

[1] كاظم عبد نور، مقالات وقراءات وتأملات في علم النفس وتربية التفكير والإبداع، ط1،ديبونو للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2005م، 10.

[2] ينظر: خير سليمان شواهين، تقنيات العصف الذهني والمناهج المدرسية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016م، 16.

[3] ينظر: ألكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة: غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، 184-185.

[4] من مواليد 1888م، توفي العام 1966م، عمل في شؤون الدعاية والإعلان، بعد كتابه "الخيال التطبيقي سنة 1953م تمكن أوزبورن من وضع القواعد والمبادئ المنظمة لكيفية إجراء جلسات العصف الذهني، وفي عام 1954م، أسس مؤسسة التعليم الابتكاري حيث استخدم هذه الاستراتيجية في تدريب الأفراد والجماعات على حل المشكلات بطريقة ابتكارية (Creative Problem Solving).

[5] ( Alex Faickney Osborn, Applied Imagination; Principles and Procedures of Creative Problem-Solving, 1963.

المصطلح منها: (العصف الذهني) –وهو الأشهر- و(القصف الذهني) و(عصف الدماغ) و(إمطار الدماغ) وغيرها.

وتقوم فكرة العصف الذهني على توليد أكبر كمٍّ من الأفكار، لا سيما الإبداعية منها، وغير المألوفة، انطلاقا من معطى واحد، ولنأخذ مثالا مبسطا عن ذلك، كأن أرسم دائرة، وأطلب من مجموعة من المتدربين أن يولدوا أكبر عدد من الأشكال التي تدخل الدائرة في تركيبها، فبين الاحتمال الواحد والاحتمالات الكثيرة، وبين الإجابة العادية والإجابات الإبداعية، تتطور الأفكار، والرسم الموالي يوضح الفكرة:




ويرتكز العصف الذهني على مبدأين، أولهما: تأجيل الحكم على قيمة الأفكار، من أجل أن تكون الأفكار تلقائية، وتنبع من الفرد بكل حرية، وثانيهما: الكم يولِّد الكيف.

كما يستند العصف الذهني لأربع قواعد هي نتيجة للمبدأين السابقين، نلخصها فيما يلي:

•تجنب النقد أثناء النقاش، مهما بلغت سخافة الأفكار، بغية كسر حاجز الخوف وترك المجال لمزيد من الأفكار، ويؤجل إلى نهاية عرض كل ما يقدَّم.

•كلما ازداد عدد الأفكار، كلما ارتفع رصيد المفيدة والإبداعية منها، فازدياد كمية الأفكار توصل الفرد إلى الفكرة الهرم والتي قد تحمل أبعادا إبداعية مختلفة عن العادية التي تتبادر إلى الأذهان لأوَّل وهلة.

•إطلاق حرية التفكير واللارسمية للمشاركين والترحيب بكل الأفكار -مهما كانت عادية أو إبداعية- في جلسة العصف الذهني، فتنساب الأفكار انسيابا.

•البناء على أفكار الآخرين وتطويرها، بحيث يتم اقتراحها أولا، ومن ثمة يعمل كل واحد على الربط بين فكرته وأفكار الآخرين، وتطويرها.

وبتطبيق هذه القواعد ينتفي الخجل وتختفي الخشية من النقد والتقييم، ويتم تلاقح الأفكار جميعها في الأذهان، ثم الانطلاق والتحرر.

وهذه الطريقة في التعليم مناسبة جدا لتقديم دروس التعبير والوضعيات الإدماجية في اللغة العربية لكل الأطوار التعليمية، وتحديدا في برنامج اللغة العربية وآدابها للطور الثانوي -مجال تطبيقنا- ولنا مثال تطبيقي لبناء وضعية مستهدفة من خلال الشعر الجاهلي [1]، والتي نصها:

«وصف زميل لك مدينته التي يقيم بها ووصف آخر قريته، وعدَّد كل واحد منهما مزايا منطقة إقامته مدعيا أنها الأفضل، فلما احتدم الجدال بينهما احتكما إليك في إبراز مواطن جودة الوصف عندهما لترجيح كفة وصف أحدهما؟».

---

[1] من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب.

ولضمان جلسة عصف ذهني تخدم الهدف البيداغوجي من الدرس، والمتمثل في تعويد التلاميذ على الكلام باللغة العربية الفصحى وتوظيف مكتسباتهم القبلية بخصوص الوصف، وجب اتباع مراحل العصف الذهني المتعارف عليها وهي:

• **المرحلة الأولى**: توضيح المشكلة وتحليلها إلى عناصرها الأولية التي تنطوي عليها، ثم تبويب المشكلة لغرض عرضها في جلسة العصف الذهني.

• **المرحلة الثانية**: يتم فيها عرض الأفكار التي تتضمنها المشكلة بشكل منظم ومرتب بغية الوصول إلى تصور الحلول.

• **المرحلة الثالثة**: تقييم الأفكار.

ونأتي لتطبيق مراحل العصف الذهني على الموضوع السابق ذكره:

• **المرحلة الأولى**: يتم تفضيل وصف (أ) على (ب) لاعتبارين: هناك شخص (أ) وآخر (ب) وأنت ستكون الحكم بينهما، في كون (أ) يفضل العيش في المدينة وسيذكر ايجابياتها، وكون (ب) يفضل العيش في القرية وسيعدِّد ايجابياتها أيضا، ولكن انتبه على أن الأمر الثاني الذي ستأخذه بعين الاعتبار هو مدى استخدام (أ) و(ب) لكل ما يدل على الوصف، والوصف كما درسناه هو تصوير يرسم للعين صورة نفسية داخلية أو مادية خارجية، سواءأ كانت حقيقية أم خيالية.

ومن مميزات النمط الوصفي هو غلبة الأفعال الماضية، وكذا المضارعة الدالة على الحال، وكثرة الجمل الاسمية، إضافة إلى استخدام النعوت وايراد التفاصيل والاعتماد على أدوات الربط الخاصة بالمكان والزمان، ناهيك عن توظيف المشتقات: كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، دون إغفال

الصور البيانية على شاكلة التشبيه والاستعارة والكناية، ومختلف الأساليب الإنشائية من استفهام وتعجب ونهي وأمر وغير ذلك.

• **المرحلة الثانية:** عرض (بعض) الأفكار بكل حرية وثقة ودون نقد:

إيجابيات الإقامة في المدينة:

-يمكن للفرد الذي يقيم بالمدينة أن يتابع تعليمه من المدرسة إلى الجامعة دون الانتقال إلى مكان أبعد عن منطقة سكنه.

-يستطيع من يسكن في المدينة التسوق وايجاد كل ما يحتاجه بكل سهولة ويسر.

-السكن في المدينة يوفر الرعاية الصحية للمقيم وذلك بوجود المصالح الطبية في مختلف التخصصات دون الحاجة إلى البحث عنها خارج المدينة.

-العيش في المدينة يوفر للقاطنين بها فرص شغل متنوعة.

-كان ابن عمي يعيش في المدينة (مثال عن الإجابات الخاطئة التي لا بد أن لا تقيَّم في هذه المرحلة).

**إيجابيات الإقامة في القرية:**

-العيش في القرية يشبه العيش في كوكب آخر غير الأرض لعدم وجود تلوث للبيئة.

-تتميز القرية بسحر الطبيعة والمناظر الخلابة الجميلة والتي لا نجد مثلها في المدينة.

**-سَاعة في الرِّيف في حُضْن السُّهولِ ** والرِّمَال السُّمر والأفق الكَحيلِ**

**تـِلْكَ دنيا سُرَّحٌ آفَاقـــــــها ** حُرَّةٌ مِنْ كُلِّ قَيْـدٍ وكبــولِ**

(إجابة إبداعية حتى وإن كان الشعر ليس للتلميذ)

-العيش في المدينة يوفِّر للقاطنين بها فرص شغل متنوعة.

• المرحلة الثالثة: تقييم الأفكار المقترحة حسب الإجابات المقدمـة، وهـي آخر خطوة من جلسة العصف الذهني الخاص بالدرس.

إذن، بهذه الطريقة الواعية في التعامل مع عناصر الـدرس وفـق أسـلوب العصف الذهني يمكننا أن نستوعب كـل أصـناف التلاميـذ، الأذكيـاء مـنهم والأقل ذكاء، أصحاب الإجابات الصحيحة العادية والإبداعيـة معـا، وكـذا من كانت لديهم إجابات خارج المعنى الصحيح للمطلوب دون حساسية من رفض الإجابة أو التعليق على صاحبها، ونكون بهذا قد جعلنا اللغة العربيـة كمادة محببـة تـدرس، وجعلنـا التلميـذ ينطلـق في التعـبير دون قيـود، إلى أن يستمع لتقييم الأفكار فيبني على فكرته أو يصححها أو يحسنها.

وأخيرا نقول: إن تخطي النمطية في تدريس اللغة العربية من شأنه أن يعزز مكانة اللغة العربية في نفوس المتعلمين ويحثهم على تعلمها وإتقانهـا، ويبقـى أن نستثمر ما جدَّ على الساحة الدولية من أجل ايصال المعلومـة، والوسـائل المذكورة في هذه الورقة البحثية والتي تعد طرقا فعالة لتدريس لغتنا وتقـديمها في أحسن الظروف للناشئة كما للطلاب، لا تخرج عـن إطـار ايقـاظ قـدرات العقل والتفكُّر، وهذا الذي حثنا عليه الله عز وجل في كثير من آياتـه، يقـول تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ» (الحشـر: 21) فهـل حان الوقت لنتفكر ونخطط ثم نطبق؟

## الهوامش

[1]ينظر: أحمد عبادة، قدرات التفكير الابتكاري في مراحل التعليم العـام، ط1، مركز الكتاب للنشر، 1421ه/ 2001م، 119.

[2] إبراهيم مراد الدعمة، التنمية البشرية الإنسانية (بين النظرية والواقـع)، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 14.

[3]حسام الدين جاد الرب، معجـم المصـطلحات الجغرافيـة، ط1، دار العلـوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، 188.

[4] ينظر: توني بوزان: خريطة العقـل، مكتبـة جريـر، ط6، 2010م، والعقـل واستخدام طاقاته القصوى، ترجمة: إلهام الخـوري، دار الحصـاد للنشـر والتوزيـع، دمشق، سورية، ط1، 1996م، والكتاب الأمثل لخـرائط العقـل، مكتبـة جريـر، ط1، 2009م.

[5] توني بوزان من مواليد عام (1942م) بلندن، تخـرَّج مـن ( University of British Columbia) في تخصُّصات هي: علم النفس والإنجليزية والرياضـات سـنة 1964م، ألّف أكثر من مائة كتاب حول الذاكرة والعقل والدماغ والـتعلُّم، ومـن أشهر كتبه التي لها علاقة بموضوع بحثنا كتاب خريطة العقـل أو( The Mind Map Book: How to Use Radiant Thinking to Maximize Your ، عمل مستشـارا على أكثر من صعيد ويعد محاضـرا عالميـا، اختـير عـام 1994م مـن طـرف مجلـة فوربس (Forbes) كواحد من أفضل خمسة محاضرين على مستوى العالم، مؤسِّس بطولة الذاكرة العالمية، بطولة القراءة السريعة العالمي، ورئيس تحرير سابق للمجلـة الدولية (MENSA)، كانت له بـرامج علـى (BBC) تحـدَّث فيهـا عـن ابتكـاره

الجديد (الخريطة الذهنية) سنة 1970م، ينظر: موقعه الرسمي على الشبكة:
http://www.thinkbuzan.com

(6) ينقسم التفكر إلى قسمين حسب استخدام الفص الأيمن أو الأيسر من الدماع، فالفص الأيسر يختصُّ بالعمليات الذهنية وكل ما هو منطقي تحليلي، ويركِّز على الكلمات والأرقام أكثر، بينما يختصُّ الفص الأيمن بالصور والتخيُّل والإبداع ... -لذلك فالاستيعاب عن طريق الخريطة الذهنية يجمع بين نشاط الفصَّين من الدّماغ فتكون النتائج أفضل من غير شك- ينظر: محمود سيد رصاص، الدماغ والفكر، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1408 هـ / 1987 م، 160، ويراجع أيضا: محاضرات مرئية للدكتور توني بوزان.

(7) نقلاً عن تقرير بثّته القناة الإخبارية الفرنسية الثالثة تحت عنوان: ( Mind Map dans le système éducatif finlandais)

(8) من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب.

(9) من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتين آداب وفلسفة ولغات أجنبية.

(10) يمكن مراجعة على سبيل المثال لا الحصر: نجيب عبد الله الرفاعي، الخريطة الذهنية (خطوة... خطوة)، ط3، مهارات للاستشارات والتدريب، 1434ه/ 2013م.

(11) ينظر: شاكتي غاوين، التصور الإبداعي، استخدم طاقة خيالك لإبداع ما تريده في حياتك، ترجمة: أسامة بديع جناد، دار الفكر المعاصر، 2009م، 23-24.

(12) كاظم عبد نور، مقالات وقراءات وتأملات في علم النفس وتربية التفكير والإبداع، ط1،ديبونو للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2005م، 10.

(13) ينظر: خير سليمان شواهين، تقنيات العصف الذهني والمناهج المدرسية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016م، 16.

(14) ينظر: ألكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة: غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، 184-185.

(15) من مواليد 1888م، توفي العام 1966م، عمل في شؤون الدعاية والإعلان، بعد كتابه "الخيال التطبيقي سنة 1953م تمكن أوزبورن من وضع القواعد والمبادئ المنظمة لكيفية إجراء جلسات العصف الذهني، وفي عام 1954م، أسس مؤسسة التعليم الابتكاري حيث استخدم هذه الاستراتيجية في تدريب الأفراد والجماعات على حل المشكلات بطريقة ابتكارية ( Creative Problem Solving).

(16) Alex Faickney Osborn, Applied Imagination; Principles and Procedures of Creative Problem-Solving, 1963.

(17) من برنامج اللغة العربية وآدابها، كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب.

***

## • المصادر والمراجع العربية:

- أحمد عبادة، قدرات التفكير الابتكاري في مراحل التعليم العام، ط1، مركز الكتاب للنشر، 1421ه/ 2001م.

- إبراهيم مراد الدعمة، التنمية البشرية الإنسانية (بين النظرية والواقع)، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- حسام الدين جاد الرب، معجم المصطلحات الجغرافية، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

- خير سليمان شواهين، تقنيات العصف الذهني والمناهج المدرسية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016م.

- نجيب عبد الله الرفاعي، الخريطة الذهنية (خطوة... خطوة)، ط3، مهارات للاستشارات والتدريب، 1434ه/ 2013م.

- كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتين آداب وفلسفة ولغات أجنبية.

- كتاب السنة الأولى من التعليم الثانوي، جذع مشترك آداب.

• المصادر والمراجع المترجمة:

- ألكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة: غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.

- توني بوزان، خريطة العقل، مكتبة جرير، ط6، 2010م.

- ــــــــــــــــــــــــــــــــ، العقل واستخدام طاقاته القصـوى، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1996م.

- ــــــــــــــــــــــــــــــــ، الكتاب الأمثل لخرائط العقل، مكتبة جرير، ط2009،1م.

- شاكتي غاوين، التصور الإبداعي، استخدم طاقة خيالك لإبداع ما تريـده في حياتك، ترجمة: أسامة بديع جناد، دار الفكر المعاصر، 2009م.

## • المصادر والمراجع الأجنبية:

-Alex Faickney Osborn, Applied Imagination; Principles and Procedures of Creative Problem-Solving, 1963

## • المواقع الإلكترونية:

- الموقع الرسمي لتوني بوزان: http://www.thinkbuzan.com

• المحاضرات والتقارير الإخبارية المرئية:

- محاضرات مرئية للدكتور توني بوزان

- تقريـر إخبـاري: Mind Map dans le système éducatif (finlandais) على القناة الفرنسية الثالثة.

# اللغة العربية وتحديات العصر

**د. عبد القادر بن محمد بوزياني**

**جامعة حسيبة بن بوعلي أولاد فارس الشلف.**

**ملخص**

تعد اللغة من المواضيع الحساسة التي نالت استقطاب واهتمام العديد من العلماء والباحثين والدارسين قديما وحديثا، فقد أحبها أهلها وأحاطوها بكل رعاية وعناية، حيث تخصص لها علماء وباحثين أفنوا حياتهم في البحث عن أصولها وتفاسيرها ومدلولاتها ومشتقاتها ومكنوناتها وجعلوها مادة مستقلة تستحق فعلا الدراسة والبحث.

فبادروا إلى جمعها ودراستها، والوقوف على أسرارها وكنوزها، ومكامن الإبداع اللغوي فيها، ودراسة ظواهرها، وما يعترّض سبيلها وتحدياتها. ومحاولة تلمس السُّبُل التي تنهض بها وتجعلها مواكبة لمتطلبات العصر، مع الحفاظ على ثوابت الهوية اللغوية الأصيلة. وانتمائها العربي الإسلامي.

وتعد اللغة وسيلة للتخاطب بين أفراد الأمة الواحدة، تعبر عن ذاكرتهم الجماعية، وتحمل رموزها المكتوبة تاريخ حضارتهم ليرسموا معالم حاضرهم ومستقبلهم، وتحدد هُوُية الأمة وشخصيتها. وتعبر عن مقومات وجود الأمة، ووطنها الروحي، لذلك فالأمم الحية تحافظ على لغتها حفاظا على أوطانها.

وهنا نطرح السؤال لما آلت إليه مكانة اللغة العربية بين أهلها وفي المحافل الدولية، فهل اللغة العربية عاجزة على مواكبة العصر وتحدياته؟ وهي لغة ثرية بمفرداتها ومعانيها؟ أم محتاجة إلى أهلها والمتخصصين منهم لإعادة مكانتها وازدهارها، وجعلها تستوعب العلوم والتكنولوجيا التي تتطور بسرعة هائلة نتيجة التقانة المعلوماتية الإلكترونبة؟ وهي قادرة على ذلك ألم تكن ذات يوم قائدة للحضارة العالمية تضرب لها أكباد الإبل من شتى أنجاء العالم؟ ألا يمكن لها اليوم أن تستنهض من جديد 'فلكل جواد كبوة" وتنافس اللغات الأخرى، وتساير متطلبات العصر؟.

من هذا المنطلق تأتي أهمية هذا العمل الذي نسعى من خلاله إلى تسليط الضّوء على مكانة اللغة العربية وتحديات العصر مع تقديم تصورات واقتراحات للنهوض باللغة العربية في مختلف مرافق الحياة والاهتام بازدهارها وترقيتها لتواكب قطار الحضارة والتطور العلمي التكنولوجي.

## المداخلة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، إمام البلغاء، وسيد الفصحاء صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، من أوتى جوامع الكلم، وروائع الحكم، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار.

وبعد

إن أعظم تشريف حظيت به اللغة العربية الفصحى هو نزول القرآن الكريم بها، قال الله تعالى وهو أحسن القائلين: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ) سورة يوسف الآية 2.

حيث استمدّت قوتها ومكانتها من كتاب الله العظيم كلام الله المتين.

تعد اللغة من المواضيع الحساسة التي نالت استقطاب واهتمام العديد من العلماء والباحثين والدارسين قديما وحديثا، فقد أحبها أهلها وأحاطوها بكل رعاية وعناية، حيث تخصص لها علماء وباحثين أفنوا حياتهم في البحث عن أصولها وتفاسيرها ومدلولاتها ومشتقاتها ومكنوناتها وجعلوها مادة مستقلة تستحق فعلا الدراسة والبحث.

وقد أدرك علماء اللغة العربية الأوائل أهمية لغتهم وارتباطها بالقرآن الكريم، فبادروا إلى جمعها ودراستها، والوقوف على أسرارها وكنوزها، ومكامن الإبداع اللغوي فيها، ودراسة ظواهرها، وما يعترّض سبيلها وتحدياتها. ومحاولة تلمس السُّبُل التي تنهض بها وتجعلها مواكبة لمتطلبات العصر، مع الحفاظ على ثوابت الهوية اللغوية الأصيلة. وانتمائها العربي الإسلامي.

حيث دوّنوها في الطروس، وملئوا بها النفوس والرؤوس، وأفاضوها بالدرس والتدريس، فعرفوا أصولها وفصولها، وصحيحها وشاذها، ونادرها، وما صاحبها من إبدال، وما أصابه من إعلال أو قلب أو تغيير. ومحصوها حتى امتزجت بوجودهم وأصبحت جزءا من كيانهم فسجلوا أشعارهم (الشعر ديوان العرب) وقيدوا حياتهم اليومية وما دار فيها من أقوال وأفعال، وعجائب وغرائب، وما خص شؤونهم العامة والخاصة. فأقاموا لها الموسوعات والدواوين والمعاجم، مثل: [1]. موسوعة أعلام العرب المبدعين

[1] ـ الموسوعة المنهجية الحديثة، المعلوماتية الاتصالات والمواصلات ط1 - 2002 - 12 مجلد - 1540 صفحة.

في القـرن العشـرين[1]. نهايـة الأرب في فنـون الأدب[2]. موسـوعة دائـرة المعارف الإسلامية[3].

ومـن المعـاجم المهمـة معجـم العـين للخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي (ت175هـ)، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بـن فـارس بـن زكريـا القـزوينى الرازي (ت395هـ)، ومعجم المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسـن علـى بـن اسماعيل بن سيده المرسى (ت458هـ)، ومعجم لسان العرب لابن منظـور (ت711هـ)، وترجموها إلى لغات أخرى.

يقول العلامة اللساني السويسري فرديناند دي سوسير عن اللغـة: (بأنّهـا منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما فهي بـذلك تشـبه أبجدية الصـم البكم والطقوس الرمزية وضروب المعاملة والإشارة العسكرية).

وتعد اللغة وسيلة للتخاطب بين أفراد الأمة الواحدة، تعبر عـن ذاكـرتهم الجماعية، وتحمل رموزها المكتوبة تاريخ حضارتهم ليرسموا معالم حاضـرهم ومستقبلهم، وتحدد هُوُية الأمة وشخصيتها. وتعبر عن مقومات وجود الأمة، ووطنها الروحي، لذلك فالأمم الحية تحافظ على لغتها حفاظا على أوطانها.

وهنا نطرح السؤال لما آلت إليه مكانة اللغة العربية بين أهلـها وفي المحافـل الدولية، فهل اللغة العربية عاجزة على مواكبة العصر وتحدياتـه؟ وهـي لغـة ثرية بمفرداتهـا ومعانيهـا، أم محتاجـة إلى أهلـها والمتخصصـين مـنهم لإعـادة

[1] ـ موسوعة أعلام العـرب المبـدعين في القـرن العشـرين ط1 – 2003 – 3 مجلـدات – 1883 صفحة.

[2] ـ نهاية الأرب في فنون الأدب – ط1 – 2004 – 15 مجلد – 9424 صفحة.

[3] ـ موسوعة دائرة المعارف الإسلامية – ط1 – 1998 – 33 مجلد – 10518 صفحة.

مكانتها وازدهار نورها، وجعلها تستوعب العلوم والتكنولوجيا التي تتطور بسرعة هائلة نتيجة التقانة المعلوماتية الإلكترونية، وهي قادرة على ذلك ألم تكن زمنا قائدة للحضارة العالمية تضرب لها أكباد الإبل من شتى أنجاء العالم؟ ألا يمكن لها اليوم أن تستنهض من جديد 'فلكل جواد كبوة" وتنافس اللغات الأخرى، وتسايرة متطلبات العصر؟.

من هذا المنطلق تأتي أهمية هذا العمل الذي نسعى من خلاله إلى تسليط الضّوء على مكانة اللغة العربية وتحديات العصر مع تقديم تصورات واقتراحات لتوسيع استعمال اللغة العربية في مختلف مرافق الحياة والاهتام بازدهارها وترقيتها لتواكب التطورات العلمية والتكنولوجية السريعة.

تواجه اللّغة العربية في العصر الحالي تحديات شتّى متعددة المصادر والاتجاهات، وفي مختلف المستويات والمجالات، في وسائل الإعلام والاتصال، وفي مجال التعليم والتعلم، يفرضها واقع لغوي هو انعكاس سلبي لعصر العولمة، أدّى إلى تضييع الناشئة لغتهم الأمّ؛ فأصبح من المألوف أن تتلجلج ألسنتهم عند الحديث بالعربية، فينشدون العون في اللّغة الأجنبية، يستمدون منها ما يكملون به عباراتهم وما يجول في خواطرهم.

## مكانة اللغة العربية

اللغة العربية لغة القرآن الكريم اختار الله لها العرب ليحملوها إلى الناس كافة، فكان لهم شرف اللغة والرسالة ونورها لقول الله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ). المائدة الآية: 15. التى أنزلها على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، خير ولد بنى آدم، أبلغهم لسانا، وأفصحهم بيانا، يؤكد الله سبحانه ذلك في عدة آيات منها: (تَنْزِيل من

الرَّحمَن الرَّحيم كتاَبٌ فُصِلَت آيَاته قُرْآنًا عَرَبِيًا لقوم يَعْقِلُونَ». سورة فصلت الآية: 1 ـ 2.

وفي آية أخرى قوله تعالى: (وكذلك أنزلناه قُرْآنا عَرَبِيًا وصَرَّفْنا لهُ من الوَعِيد لعلهم يَتَّقُون). سورة طه الآية: 113. وقوله تعالى: (وإنَّه لَتَنْزِيلُ ربِّ العالَمِين، نَزَّل به الروُحُ الأمِين، على قَلْبِك لتَكُون من المنْذَرِين، بِلِسَان عربي مُبِين). سورة الشعراء الآية 192 ـ 195.

واللغة هي الأم التي تنسج شبكة الوفاق بين أفراد المجتمع وجماعاته، ونظمه ومؤسساته، وقيمه ومعتقداته. فلا وفاق بدون لغة. ولا مجتمع بدون وفاق.

كما تسهم اللغة في صياغة المجتمع، فإن المجتمع يسهم بدوره في صياغتها وتطويرها. فالجماعة الناطقة باللغة هي التي تهب الألفاظ معانيها، وتشتق من المفردات ما يعبر عن مستحدثاتها ومراميها.

فهي منهج للتفكير، ونظام للاتصال والتعبير. وتكمن ثقافة كل مجتمع في لغته، وفي معجمها، ونحوها، وصرفها، ونصوصها، وفنونها، وأدبها. فلا حضارة إنسانية دون نهضة لغوية.

فاللغة هي الهواء الذي نتنفسه، والماء الذي نشربه، والطعام الذي نتناوله، والفكر الذي يدور فينا وحولنا. فهي كياننا ووجودنا؛ تحمل المجتمع في جوفها، وتعبر عن ضميره، وتشكل حياته، وتوجه سلوك أفراده، وجماعاته، ونظمه ومؤسساته.  فهي ولاء وانتماء، وثقافة وهوية، ووطن وشخصية.

جندت لها الأقلام ودونت فيها كتب عديدة في شتى صنوف العلوم والفنون (علوم التفسير والفقه والحديث والتاريخ والأدب وعلوم اللغة العربية)، وعن اللغة العربية أخذت أوربا العلوم وطورتها وهي ما عليها اليوم من تطور تكنولوجي وعلمي ومعلوماتي.

اللغة العربية لغة الدين الإسلامي لغة القرآن الكريم ذاكرة الأمة العربية الإسلامية، تستوحي منها شخصيتها الإسلامية وهويتها العربية، معرفتها فرض عين كما قال الشيخ ابن تيمية في هذا الشأن: اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وبدونها لا تصح الصلاة إلا بقراءة سور القرآن باللغة العربية، قال الإمام الشافعي رحمه الله: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغة جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه.

لذا فإن اللغة العربية أهم مقومات الثقافة الإسلامية. وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بعقيدة الأمة وهويتها وشخصيتها.محور أساسي لكل مسلم، بغض النظر عن جنسه ولونه وأرضه ولسانه، وأي ترجمة لمصطلحات القرآن الكريم إلى لغات أخرى لا تعطي مدلولها الحقيقي وبالتالي تفقد اللغة العربية بريقها وتتآكل ذاكرتها في صمت وخفاء.

قاللغة العربية تتميز عن اللغات الأخرى بقدرتها الفائقة على التواصل، فهي لغة ثرية بكلماتها غنية باشتقاقاتها، فقد استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارة القديمة كالفارسية واليونانية والرومانية

والمصرية.. إلخ. كما نقلت إلى البشرية في فترة ما، أسس الحضـارة وعوامـل التقدم في العلوم الطبيعية والرياضيات والطب والفلك والموسيقى. وما تزال تنقل إلى العالم اليوم العقيدة الشاملة ممثلة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه حقائق يجب ترسيخها في عقول الناشئة، كما ينبغي أن تكون أهدافا ثابتة لعلوم اللغة والأدب والفنون.

وتحتل اللغة العربية مكانة مرموقة من حيث عدد النـاطقين بهـا، إذ تحتـل الرتبة الرابعة بعد اللغة الصـينية (1،2 مليـار)، والاسـبانية (329 مليـون)، والإنجليزية (328 مليون) وتسبق العديد من اللغـات منهـا الفرنسـية (220 مليون).

وبالرغم من تميز اللغة العربية، إلا أننا نعيش أزمة لغوية خطيرة هي – في الواقع – دليل على انتكاسة الأمة وتبعيتها، وتخلفهـا عـن الركـب. ويرجـع ذلك إلى عوامل كثيرة من أهمها:

**أولا: التبعية الفكرية**

لا زالت الجزائر تعاني من تبعات المستعمر الغاشم الذي فرض لغته ومـا زال يفعل حتى يحقق أهدافه ويقلل من شأن اللغة العربية المكونة للشخصـية الجزائرية والهوية الوطنية، وتبنت هذا النهج مجموعة من أتباع فرنسا من أبناء جلدتنا يحملون أسماءنا بزعمهم أنها لغة علـم وحضـارة. وأن العربيـة غـير قادرة على مواكبة التطور الحضاري والعلمي وأن أهلها متخلفـون، وأحيانـا أخرى برزت في صورة دعوات محاربة للغة العربية جهـرة مثـل الحركـة الـتي تدعو إلى استبدال اللهجات العاميـة المحليـة مكـان اللغـة العربيـة، وتـدريس

اللغات الأجنبية والعناية بها، رغم تدني مكانة الفرنسية في العالم أمام العديد من اللغات مثل الإنجليزية.

ورغم مضي ستة عقود على استقلالها مما يوحي بوجود عوائق حالت دون أن تتمكن من إنزال اللغة العربية مكانتها الأساسية، وأن تكون لسانها الجامع بين أفرادها وسبيل تلاحمهم وتماسكهم.

قال الدكتور عثمان أمين في كتابه (فلسفة اللغة العربية): «من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه، استخف بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية، اتسمت حياته بتبلد الشعور وانحلال الشخصية، والقعود عن العمل، وأصبح ديدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور»[1]. إن التبعية الفكرية والصناعية والحضارية نوع من الاستخراب أشد خطورة من السيطرة العسكرية أو التبعية السياسية حيث تهدف مخططات الاستخراب[2] في الوطن العربي إلى:-

أ. تعميق التبعية التكنولوجية للدول المصنعة لها.

ب. الإبقاء على الأمية الثقافية والعلمية على الساحة الكبيرة مما يعكس معدلات الإنتاج ومشاركة الفرد الفعلية.

---

[1] ـ يراجع: أهمية اللغة للأمة وضرورة الاعتزاز بها والدفاع عنها، مكس حسيني ص10.

[2] ـ يراجع: التنمية العلمية والتكنولوجية وأمن الوطن العربي "محمد زكي عويس,", ندوة عن"الثقافة العلمية والتنمية التكنولوجية والمعلوماتية", المجلس الأعلى للثقافة, 14-15 مايو 2000.

ج. تعميق الهوية الحضارية وهز الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى تمزق الإنسان العربي بين حضارته وحضارة الآخرين.

د. الامتداد المسلح وتهديد الأمة العربية وتدميرها (الحرب في العراق وسوريا وليبيا واليمن...) وما جرى في الجزائر وتونس ومصر .....

ه. تعميق مشكلة الاختيار المستقبلي وتحديد الأولويات.

نخلص إلى أنّ لا وجود لحضارة في أمة من الأمم ما لم تكن لها ذخيرة وافية من الأعمال الإبداعية والنتاجات الفكرية المتميزة المدونة، فالمقياس ف حضارة الأمة ليس في عدد أفرادها ولا في مساحة أرضها، وإنما فيما تبدعه عقول أبنائها ونتيجة أفكارهم بلغتهم وليس بلغة قوم آخرين[1].

**ثانيا: العولمة**

لاشك أن إخفاقنا في الاتفاق حول لغة جامعة هو تعبير عن أزمة تعيشها الأمة الجزائرية التي يعمل أبناؤها على عميق تجزئتها، وإذكاء التناقض بين واقعها وجوهرها، وهي صورة لبقية الأقطار العربية والإسلامية، في غياب الفلسفة الشاملة التي تعزز النظرة المفصلية للعلاقة بين اللغة والدين[2].

والعولمة اللغوية هي من أخطر أنواع السيطرة على الآخر في كثير من الجوانب: المعرفية والثقافية والفكرية والسلوكية والأخلاقية؛ ويمكن أن تصل إلى الدينية، فاللغة أداة لإنتاج المعرفة، والمعرفة ليست حكرًا على أحد، وغير

---

[1] ـ يراجع: كتاب الحصيلة اللغوية، أحمد معتوق، عالم الفكر، الكويت ، 1996.

[2] ـ يراجع: اللغة العربية وهوية الأمة لنورة خال السعد 2011.

مقتصرة على شعب دون شعب أو أمة دون أخرى أو علـى لغـة معينـة دون أخرى

والعولمة تعمل علـى إبـراز قيـادة عالميـة تسـتحوذ علـى النفـوذ والقـوة، وتتحكم في أضخم أدوات التغيير المطلوبـة لترسـيخ قـيم عالميـة رأسماليـة ، وهذه النخبة سوف تكون من الصفوة الاقتصادية في العالم[1].

و"العولمة لا تنظـر إلى الماضـي, ولكنهـا تشـير إلى الـراهن وتتحـدث عـن المستقبل. لعلها بذلك تقول تخلوا عن ذاكـرتكم وشخصـيتكم (عـن الهويـة) فهي تسعى لخلق عالم آخر جديد: بلا خصوصية, بلا مركز, بلا تواصـل أو انتماء, بلا مفهوم واضح عن الوطن أو الأسرة. إنه عالم استهلاكي! "[2].

### أثر العولمة اللغوية على الأفراد والشعوب

لقد أحدثت العولمة صراعا داخليا بين أبناء الأمة الواحدة، فنجد فريقًا من المثقفين الذين تشبعوا بلغـة الغـرب يشـعرون بالضـعف والتبعيـة أمـام هـذا الزخم اللغوي من إنتاج وإبداع وتأليف، وتسويقه نحو العـالم الآخـر، فحـين يقف البعض الآخر بكبرياء وتشبث بلغته والعـض عليهـا بالنواجـذ، ولكـن هذه الطريقة تجعلنا نتقوقع على أنفسنا وتعصف بنـا ريـح التغـيير المفـروض على العالم باسم العولمة، ولكن نسعى من أجل تعلم اللغات الأخـرى ونقـل المعرفـة والتكنولوجيـا والتطـور العلمـي السـريع إلى اللغـة الأم العربيـة، وتوظيفها بما يناسب أخلاقنا وقيمنا وشخصيتنا وهويتنا.

---

[1] ـ يراجع: "تعزيز الهوية والانتماء لدى الأطفال والشباب العرب". محمد عبده الزغير.

[2] ـ يراجع: السيد نجم ،أطفالنا والانتماء للهوية في عصر العولمة، ميدل إيست اونلاين، 2008.

إذا تأملنا بتمعن ودقة في كنه العولمة اللغوية نجدها تسعى بكل قوة وحيلة من أجل نشر اللغة الإنجليزية وثقافتها إلى العالم الآخر والسيطرة عليه، بحيث أصبح كثير من أبناء اللغة العربية المنبهرين بالغرب يستحي من لغته ويخجل منها، وقد يصفها بأنها لغة المتاحف، ولا يدري أنها ذاكرة المجتمع وجامعة الأمة، وما تحمل من ثقافة وعلم وأدب وأخلاق وقيم ودين.

والجزائر نعاني من الحركات المستمرة والهجمات المتتالية ضد إضعاف اللغة العربية بقطعها العلاقة مع التراث الذي كنا فيه ذات يوم على قمة هرم التكوينات الحضارية في العالم، والدعوة إلى استخدام اللغة الأجنبية في العلوم والتكنولوجيا مما يجعلها تفقد بريقها[1].

فما هو واجبنا نحو لغتنا العربية أمام هذا الإعصار اللغوي باسم العولمة والتكنولوجيا العلمية؟

واجبنا الإلمام بتاريخ الحضارة العربية لمعرفة دور اللغة العربية الايجابي كلغة ثقافة وحضارة وليست لغة دين فقط، حيث استعرب غير العرب وغير المسلمين، ولمعرفة أسباب ازدهار اللغة العربية في وقت ازدهار الحضارة نفسها وقوة الدولة الإسلامية، ولمعرفة العلاقة بين اللغة العربية ولغات الشعوب التي ضمتها الخلافة مع اتساع أرجائها سواء في حال القوة الحضارية العربية والإسلامية أم في ضعفها, فربما يساعد هذا كله على فهم أزمة اللغة العربية الآن باعتبارها أزمة مجتمعية ناجمة عن التبعية وعن الهيمنة الغربية من جانب وعن ضعف تلك الدول والمجتمعات من جانب آخر.

---

[1] ـ يراجع: انقراض اللغة العربية بيدنا لا بيد عمرو، أحمد المصري،مدونة لغتي هويتي.

كان لزاما علينا الاهتمام بلغتنا الأم اللغة العربية والعمل على نشرها وتصديرها نحو جميع أنحاء العالم وفق التعامل بالمثل (كدولة ذات سيادة وطنية)، تسير مع الصادرات البترولية والاقتصادية، وتعريب الواردات، وأن نسهر على تخطيط لغوي سليم دقيق، خصوصا وأن العربية معززة بالدين الإسلامي وكتابه المقدس، وهذا عامل مهم في تمكين العربية وسرعة انتشارها، إلى جانب نظامها اللغوي الفريد؛ وصنع مكانتها بقوة بين اللغات الناقلة للعلوم والمعارف.

فكان من الضروري معرفة اللغات الأخرى في الوقت المعاصر الذي أصبح قرية صغيرة بفضل العولمة حتى نتمكن من نقل المعرفة والعلوم المتطورة والتكنولوجيا وتقنية الاتصال والتواصل، وركب قطار الحضارة الآنية.

## مقترحات النهوض باللغة العربية وازدهارها

اللغة العربية لغة قادرة على نهضتها وتطورها وإزهارها واستيعابها لمختلف العلوم والتكنولوجيا والتقانة الإلكترونية والمعلوماتية. فهي تحمل بين طياتها بذور النماء والإزدهار، ألم تكن ذات يوم رائدة للشعوب والأمم، تشد لها الرحال في طلب العلم والمعرفة شرقا وغربا! يحكمها خليفة مطاع من الخليج إلى بلاد الأندلس! حضارة مزدهرة بازدهار أهلها وقوتهم ونفوذهم وحبهم للغتهم. إنّها ذاكرة الشعوب وتراثه الذي تغرف منه والحاضر الذي تتطلع به المستقبل، والوعاء الذي يختزن فيه قيمه وتاريخه، وحضارته، وما قُيِّد في الكتب، وسجل في الطروس لدليل على قدرتها ومواكباتها الحضارة والتطور، واللغة أفكار ومفاهيم يتداولها الناس في حياتهم، فهي شخصيتهم

المعبرة عنهم، وهويتهم التي تطمئن لها النفوس، وانتمائهم الذي يستندون إليه في حياتهم.

وحتى تستعيد اللغة العربية مكانتها وهيبتها بين اللغات الأخرى يجب على الأمة العربية الإسلامية إماطة اللثام عن أعداء اللغة العربية في الداخل والخارج، وفضح مخططاتهم ووضع النقاط على معوقات وتحديات اللغة حتى نتمكن من ضبطها وحصرها وإزالتها من أمام النهضة والتطور المعرفي والعلمي ,

ومن الاعتراف والإنصاف أن أحوال العرب عامة لا زالت تعاني التبعية وتستنجد بسياسات غيرها التي لا تناسب شخصيتها وهويتها وقيمها وأخلاقها وبالتالي لا تستفيد منها إلا النزر القليل وبقائها ضمن حاضرتها وخيوط شبكتها.

وما نلاحظه على إنتاج اللغويين العرب من الناحية الثقافية والفكرية نجده مازال ضعيفًا لا يتناسب مع منتجات اللغات الأخرى وهذا راجع إلى الأسباب الآتية:

1. العودة إلى العلم والاهتمام به وطلبه والحرص عليه وتطبيقه في الواقع، ونحن أمة إقرأ لا نقرأ، فكيف نجني ثمرة العلوم والتكنولوجيا، ونواكب التطور الحضاري؟

وإذا كان هناك علم فلا يعمل به. "فلا يصلح العلم مع قلة العمل'. فعلينا جميعًا أن نتعلم العلم ونعمل به , فلا نرضى لأنفسنا الجهل فنكون من الضالين، قال الله تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ). سورة الزمر: الآية 9.

2. اتخاذ السلطة قرارات صارمة حاسمة باستعمال اللغة العربية وتوظيفها في جميع مؤسساتها وإداراتها وأن تكون لغة التعلم والتعليم في جميع مراحله وفي مختلف ميادينه العلمية والأدبية، وتوظيفها في المحافل الوطنية والدولية والملتقيات، وفرضها على أصحاب الوسائل السمعية المرئية.

3. الوقوف أمام قيود الجمود التي تحارب كل جديد وتشجبه بدلًا من البحث في صحته وتأييده أو محاولة تصحيحه مما يثبط عزم الشباب اللغويين عن البحث في كل جديد والاكتفاء بالحدود القديمة طمعا في الحصول على الشهادات العلمية وهربا من خوض حروب غير متكافئة، غير أن هذا الاتجاه قد بدأ في الضمور ولكنه يحبو ببطء وحذر شديدين.

4. تحول الأعمال اللغوية لسلعة إنتاجية من خلال هيئات خاصة وتحت الظروف الحياتية الحالية أصبح هدف الأبحاث اللغوية ماديًا في المقام الأول، مع ملاحظة عدم نشر هذه الهيئات لتلك الأبحاث التي قطعت شوطًا طويلاً حرصًا على المكاسب المادية، أما بالنسبة للدول الأخرى فتلك الهيئات تنشر أبحاثها لأنها لا تعاني من هذا الضغط المادي. والحقوق محفوظة لذويها على أية حال!. هذه الدول أيضا تطلق يد البحث على شبكات الاتصال والتواصل لجميع الدول وتترك أبحاثها في مواقع خاصة بها كنوع من الدعاية اللغوية والثقافية وكنوع من الجذب للمتخصصين أيضًا.

5. عدم إلمام المثقفين العرب بما يتناقل عبر شبكات الاتصال والتواصل من منتجات التطور السريع سواء أكانت مصطلحات لفظية أم مصطلحات علمية أم مترجمات أم معربات تخدم اللغة وتدعمها. والاهتمام بتكنولوجيا اللغة وهندستها والنظريات الحديثة في هذا المجال حتى أن بعضهم قد حاول تنظير اللغة العربية نفسها.

6. ضـرورة اسـتخدام الوسـائل الحديثـة والإطـلاع علـى تقنيـة اللغـة، ودراستها، وإقامة نموذج حاسوبي لها سيساعد أكثر على تفهمها، ورضوخها، وكشف كنوزها، وجوهرها، وخاصـة في مجـال الأبحـاث الإحصـائية الآليـة، ووضعها في منظومة شاملة، ويصبح دور المتخصصين هـو الأخـذ مـن هـذه التقنيات، والإضافة إليها بدلا من عزل اللغـة عنهـا حتـى لا يقتصـر العلـم بعلوم اللغة يومًا مـا علـى دارسـيها المتخصصـين فقـط، ويبتعـد عنهـا غـير المتخصصين بل لعلهم يلجأون إلى التعبير عن أنفسـهم كتابـة باللغـة العاميـة مثلا أو باسـتخدام لغـات أجنبيـة أخـرى، كمـا حـدث في اللغـة الأمريكيـة الإنجليزية التي حرفت بعض كلماتها للسهولة، والسـرعة حتـى في الكتابـات العلمية؛ فنكون حرصا منا على اللغة العربية الفصحى، وأسـاليبها التقليديـة قد قتلناها، وأوصلناها إلى مثواها الأخير.

7. ضرورة المحافظة على اللغة العربية فهو واجب ديني، وحق دستوري.

8. الكشف عن الدور المشبوه الذي تلعبه بعض وسـائل الإعـلام المرئـي والمقـروء في مسـخ الهويـة العربيـة والإسـلامية. وخطـر اسـتبدال العاميـة بالفصحى، والذي يسـتخدمه الإعـلام بشـكل كـبير، فضـلا عـن اسـتخدام مصطلحات أجنبية أثناء الحديث وفي بعض البرامج.

9. حاجة المجتمعات العربية والإسـلامية إلى مدرسـة إسـلامية مسـتقبلية وصياغة حديثة لنظرية تربوية إسلامية تكون في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمة العربية الإسلامية للحفاظ على الهوية[1].

---

[1] ـ المصدر نفسه.

10. الاهتمـام بالناشـئة لغويـا وثقافيـا واجتماعيـا فهـي عـدة المسـتقبل والذخيرة الحية في ازدهار اللغة العربية.

11. ضرورة الاهتمام بالمحتوى العربـي علـى شـبكة المعلومـات الدوليـة لتعزيز الهوية العربية.

12. الحاجة إلى ابتكار خطط مناسبة للوضع العربي، وبرامج آلية جديـدة تخدم العلـم باللغـة العربيـة لتصـبح بـديلا عـن الـبرامج الأجنبيـة، وتطـور الدراسات الجديدة التي تدفع الاستعمار المعلوماتي وتحمي الهوية العربية مـن التبعية.

13. ضرورة تفعيل دور الجامعات والمؤسسات العلمية للاهتمام بالترجمة والتعريب لمعرفة كل ما هو جديد من تقنيات وعلـوم، وتشـجيع المؤسسـات والمراكز الخاصة بما يخدم الحفاظ على الهوية في عصر العولمة.

14. إلزامية مواجهة مخاطر الانفتاح المعلومـاتي في عصـر العولمـة يتطلـب تجنيد فاعليات الأمة للتعاون من أجل وضع خطة محكمـة، كفيلـة بالتغلـب على مخاطر العولمة الثقافية لإنقاذ الهوية العربية.

15. العمل على البناء المتكامل للإنسان العربي ليكون في حجم التحدي، وتربيته على أخلاقيات أصيلة تمنحه المناعة الحضـارية المطلوبـة، ولعـل أهـم مرحلة في هذه التربية العمل على إشـاعة وترسـيخ القـيم الأصـيلة العربيـة الإسلامية، فبدون هذه الخطوة لن يكون بإمكاننـا الوقـوف طـويلاً في وجـه الزيف الحضاري القادم.

16. الحاجة إلى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة الـتي أصـابت ثقافتنـا، ممـا أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع، كما يجب أن نوضح ونبرز المقـاييس الثقافيـة

الإسلامية الصحيحة وتفعيلها في الإنتاج الثقافي الذي يحمل مفاهيمها الحقيقية.

17. العمل على الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية، واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب، وحمايتهم من الوقوع في فلك الانحراف، وحماية وجود الأمة وغيرها من خطر الغزو المعلوماتي.

18. ضرورة تطوير أدواتنا ووسائلنا، وطريق تصدير ثقافتنا، فنشر ثقافتنا عبر تقنية الشبكات الإلكترونية والفضائيات يمثل أفضل وأسرع الطرق للتأثير في عقول أجيالنا، وكذلك في عقول الآخرين، لا أن نكون مجرد مستهلكين لثقافة الغير ومعلوماته؛ لأن الاستهلاك الثقافي بدون أن نكون منتجين ثقافياً يجعلنا نذوب في ثقافة الآخر ونفقد الثقة في ثقافتنا ومبادئنا.

19. العمل على وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج التي تحاول سلخنا من هويتنا.

20. الحاجة إلى إنشاء مراكز ثقافية موحدة تهتم بدراسة قضايا العصر، سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية أم حضارية فور ظهورها، ومن ثم متابعة تطورها، ووضع التصور السليم للموقف إزاءها، وهذا لا يعني إطلاقاً إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما يعني السعي نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة عن التفاعل الإيجابي الحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة، فالتوحد ضمن حقيقة التعدد، والاتفاق ضمن حقيقة التنوع.

21. ضرورة الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يكون من خلال خطة تضمن إيجابية هذا الانفتاح، ومجتمعنا لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة، قال _سبحانه وتعالى_: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا".

## خاتمة

وفي الختام فإن اللغة العربية قادرة على التطور والإزدهار ومواكبة الحضارة الغربية واستيعاب التكنولوجيا والتقنية الإلكترونية وأن تفرض وجودها ضمن الشبكة العنكبوتية ووضع برامج لدعم الدراسات العلمية والبحثية التي تهتم بصعود اللغة وارتقائها بحيث كانت إحدى دعائم الحضارة الزاهرة، وكيف حدث التدهور في اللغة والذي صاحب التدهور العام؟ والإلمام بتاريخ الحضارة العربية لمعرفة دور اللغة العربية الإيجابي كلغة ثقافة وحضارة وليست لغة دين فقط، حيث استعرب غير العرب وغير المسلمين، ولمعرفة أسباب ازدهار اللغة العربية في وقت ازدهار الحضارة نفسها وقوة الدولة الإسلامية، ولمعرفة العلاقة بين اللغة العربية ولغات الشعوب التي ضمتها الخلافة مع اتساع أرجائها سواء في حال القوة الحضارية العربية والإسلامية أم ضعفها , فربما يساعد هذا كله على فهم أزمة اللغة العربية الآن باعتبارها أزمة مجتمعية ناجمة عن التبعية وعن الهيمنة الغربية من جانب وعن ضعف تلك الدول والمجتمعات من جانب آخر.

## المراجع

1. سامية أسعد،"ترجمة النص الأدبي"،عالم الفكر، المجلد التاسع عشر العدد، الرابع، يناير-مارس، 1989،الكويت.

2. محمد عبده الزغير، "تعزيز الهوية والانتماء لدى الأطفال والشباب العرب".

3. السيد نجم، أطفالنا والانتماء للهوية في عصر العولمة، ميدل إيست اونلاين، 2008.

4. علي بن نايف الشحود، "المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية"، 2010.

5. سليمان بن عبد الله العقيل، بعض المؤشرات للحفاظ على الهوية: دراسة اجتماعية تحليلية في الحديث النبوي الشريف حول الهوية والانتماء، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب.

6. فيصل الحفيان، العلاقة بين اللغة والهوية، ندوة اللغة والهوية وحوار الحضارات ،الرياض، 2004.

7. حسن محمد الكحلاني، "الهوية الثقافية العربية - مبادئ أولية حول ترسيخ الانتماء ودعم مقومات الهوية العربية"، صحيفة 26سبتمبر، اليمن، 2011.

8. أحمد المصري، انقراض اللغة العربية بيدنا لا بيد عمرو، مدونة لغتي هويتي.

9. عبد الله بن مسلم الهاشمي، دور منهاج اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية ومواجهة تحديات العولمة، مؤسسة الفكر العربي: المكتبة الرقمية،2010م

10. حكيمة بولعشب، تحديات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، أرنتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، 2010.

11. ندوة للدكتور / أحمد درويش، اللغة والهوية، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

12. سلوى حمادة، كتاب بعنوان " المعالجة الآلية للغة العربية : المشاكل والحلول "، دار غريب للطباعة والنشر، 2009م.

13. سلوى حمادة،2010]: ظاهرة الفرنكو آراب مخطط أمريكي للقضاء علي اللغة العربية، شبكة الإعلام العربية محيط،

14. سلوى حمادة، " تجهيز اللغة العربية للتصدي لطوفان المعلومات والعولمة"، ورشة التعليم والتدريب باللغة العربية في مجال الحاسبات ج. م.ع، 2003.

15. سلوى حمادة,"الترجمة الآلية كبنية أساسية في صرح التعريب" ،المجلة العربية لعلوم وهندسة الحاسوب , المجلد الأول ، العدد الأول، 2007,

16. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، "التعليم والهوية: نحو تأسيس جامعات حضارية، المؤتمر السنوي الثامن عشر للبحوث السياسية: التعليم العالي في مصر: خريطة الواقع واستشراف المستقبل"، مصر، 2005.

17. سلسلة حلقات صلاح عبد السميع عبد الرازق، " التعليم والهوية فى عالمنا العربى"، 2007 ،موقع تطوير التعليم،

18. عدنان عباس سلطان، قراءة في كتاب اللغة والهوية: قومية- اثنية- دينية، شبكة النبأ المعلوماتية،2007،

19. أحمد مختار عمر، اللغة والهوية، دار غريب، 2004.

20. محمد زكي عويس,"التنمية العلمية والتكنولوجية وأمن الوطن العربي", ندوة عن"الثقافة العلمية والتنمية التكنولوجية والمعلوماتية", المجلس الأعلى للثقافة, 14-15 مايو 2000.

21. كارم السيد غنيم،"اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة" عالم الفكر، المجلد التاسع عشر ،العدد الرابع،يناير-مارس،1989،الكويت، ص.37-80.

22. تركي رابح ,"دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية", المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , 1982.

23. ماجدة صالح، " الآثار الإعلامية والثقافية للعولمة على دول المنطقة العربية وإمكانية مواجهتها "، موقع المقالات:اسلام ويب،2001،

24. سليم مطر، الذات الجريحة: إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1997.

25. أحمد معتوق، كتاب الحصيلة اللغوية، عالم الفكر، الكويت.

26. نجاة عبد العزيز المطوع, "آفاق الترجمة والتعريب" عالم الفكر، المجلد التاسع عشر ،العدد الرابع،يناير-مارس،1989،الكويت.

27. ناريمان إسماعيل متولي ،اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة، المؤتمر الثاني والثلاثين لمنتدى الفكر المعاصر حول: اللغة العربية وتحديات التكنولوجيا الحديثة على مستوى الإنترنت ، 2010 م .

28. محمود الناقة: من أحد الإحصائيات التي قام بعرضها في المؤتمر السادس لتعريب العلوم أبريل بدار الضيافة جامعة عين شمس، عام 2000.

29. محمد إبراهيم الجيوشي،"خصائص اللغة العربية، الأخبار 24/ 8/ 1998

# الدّلائل في إبداعية وعلمية اللغة العربية
## – دراسة وتحليل نماذج ـ

**أ. أوريدة قرج**

**- المركز الجامعي ميلة-**

### مقدمة:

من المعروف أن أيّة لغة في العالم تقاس قوتها وهيبتها بقوّة استعمالها وتداولها عند شعبها ونسبة تأثيرها في الّلغات الأخرى وانتشارها، كما قد تتهيّأ لها عوامل، وأسباب تسمو بها إلى القمم، أو قد يُصيبها الشّلل والخمول، وتسقط من ذاكرة أهلها، فتهوي في أسفل سحيق وتتلاشى مع تقدّم الزمن، أمّا التي تبقى ترفرف في كلّ زمان ومكان فهي التي تمتلك أسرار بقائها وخلودها عبر الأجيال، ومن بين تلك اللغات الحيّة التي استطاعت الحفاظ على منزلتها في خضم اللغات الكبرى في العالم كالإنجليزية والألمانية والفرنسية تبرز لنا اللغة العربية في ردائها السامي الأصيل، هذه اللغة التي حُفظت بالوعد الإلهي، باعتبارها اللّغة المثلّة، والحاملة لمعاني كتاب الله العزيز، قد قُدّر لها أن تكون لغة العالمين نظرا لشمولية الرّسالة التي نزلت بها، فهي فضلا عن ذلك كلّه؛ قد جُهّزت بنظام فائقَ التّصميم وفي منتهى الامتياز من حيث بنياته الدّاخليّة، وتتمتّع هذه الأخيرة بليونة ومرونة، وقوّة تحوّل كبيرة على مستوى المبنى والمعنى تتوسّطها علائق تأثير وتأثّر، لتنتج بذلك تكاثفا دلاليّا سواء على المستوى الحسّي أم التّجريدي الصوري لا لشيء إلاّ لتتلوّن، وتتناسب وتنسجم مع مختلف الأشكال السّياقية، حيث

تظهر بتمظهرات متعدّدة، قابلة لاستيعاب شَتى التّحوّلات الطارئة حاليّا على مستوى التّواصل، باختلاف أنواعه، كالثّقافي، والاجتماعي والاقتصادي، والتكنولوجي، ... ، وهذا كلّه بفضل ما تمتلكه من خصوصيات جعلتها فريدة من نوعها.

بيد أن الواقع اللّغوي الذي نعيشه اليوم كان من أهم الأسباب التي دفعتني لعقد هذه الدّراسة، ذلك أن اللّغة كما لّمحت سابقا، تحيا بوعي أهلها بها، فهي لسانهم النّاطق، وترجمان أفكارهم وأحاسيسهم، وناقلة ثقافتهم، والمعبّرة عن هويتهم الوطنيّة والقوميّة، إلّا أن ما نلاحظه في المجتمعات العربية في عصرنا الحالي من تهاون تجاه اللغة العربية، وانبهار بثقافات الغرب جراء الانفتاح التكنولوجي الهائل، وما تدرّه العولمة من حمولات لغوية جديدة باسم الحضارة ، ما جعل المجتمع العربي ينظر إلى لغته نظرة انطباعية فيها الكثير من التعسّف والازدراء جراء تأثره بلغة الآخر، ورميها بوابل من النعوت السلبية: كالعقم، واليتم، والجمود، والتقوقع على ذاتها...وهذا دون الاحتكام إلى معرفة واعية، ووافية بخصائصها، ونظامها، وآليات اشتغالها. فضلا عن انطباعات أخرى واهية، تتعلّق بأحد مستويات هذه اللغة والمتمثّل في المستوى النّحوي والمنظور إليه على هيئة الجبروت الذي لا يروّض.... فكان موضوع هذه الدراسة "**الدلائل في إبداعية وعلميّة اللغة العربية**" بمثابة الرّد العلمي المصحوب بالدّلائل العلمية على قوة هذه اللغة ومقدرتها في استيعاب الحياة العصرية، المتجددة واحتوائها، وفق نماذج تحليلية أحاول من خلالها إعادة تصحيح ما علق في الذّهنية العربية عموما باختلاف توجهاتها وشرائحها من شوائب التشكيك في قدرتها والتحقير من شأنها قصد تجديد أواصر الانتماء إليها وتحبيبها إلى قلوبهم والعمل على ازدهارها.

1- **الدّلائل الإبداعية:** وينطلق هذا الإبداع من ذات اللغة العربية ونظامها، إذ بُني هذا الأخير بناءً منفرد الخصائص والخصوصيات في مستوياته التي تتعاضد مشَكّلَة حلّة متنوّعة، متناسقة في سلسلة مكوّنة من االبنيات الصوتية، والصرفية، والتّركيبية (النحوية)، والأسلوبية (البلاغية) وسأحاول تسليط الضوء على بعض من سماتها المميّزة عبر كلّ مستوى؛

1-1) **الحرف أو الصوت العربي:** ويمثّل المادة الخام التي تُشَكّل الكلمات العربية، وكلّ صوت من أصوات اللّغة العربية يحمل صفات جمالية ذات طابع موسيقي نغمي، وينفرد بذاته في صفته ومخرجه، ما يجعل الكلمات العربية تتقارب حينا، وتتباعد حينا آخر، في تناغم وتمايز، مشكلّة تنوّعا موسيقيا ودلاليا، إذ لا يمكن إغفال الدّور الوظيفي للصوت في تأدية الدّلالات، بل وتظهر أرقى تجليات الإبداع على مستوى الصّوت العربي؛ أنّ أغلب الأصوات تحوي في طياتها معاني ودلالات تعبّر عن نفسها بمجرد النّطق بها أو سماعها، فتُغنينا بذلك عن البحث في مفردات أخرى، ويقول بصدد ذلك ابن خلدون أن: « الملكات الحاصلة للعرب أحسَنُ الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات على كثير من المعاني...ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذّوات من غير تكلّف ألفاظ أخرى، ولا يوجد ذلك إلاّ في لغات العرب وأمّا غيرها من اللغات، فكلّ معنى أو حال لابدّ له من ألفاظ تخصّه بالدّلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول ممّا تقدّره بكلام العرب...» [1]

[1]- عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي دمشق: 2004م، ص 367.

من هنا نكتشف أن أصوات اللغة العربية هي بدورها تمثّل مظهرا من مظاهر الإبداع اللّغوي فإلى جانب كونها أصواتا رنانة، تترك أثرا موسيقيا جميلا في النفس، فهي كما أشار ابن خلدون وكما وصفها ابن جني تعبّر عن أحداث الأفعال، ولها خصائص نطقية تتناسب ودلالة الأحداث، فعلى سبيل المثال: تقول العرب: (في الخبز يدرك الخضم بالقضم) والمعروف أنّ القضم للأكل الصلب اليابس، والخضم للأكل الليّن الرطب، فتناسب صوت القاف الشّديد مع نوع الأكل الصلب، والخاء الرّخو مع الأكل اللّين. [2] ونفس الشيء مع سائر الكلمات التي تتقارب أصواتها بشكل متجانس مع مخارجها كالوسيلة والوصيلة، والنضح والنضّخ ...الخ.

2-1) **البنية التصريفية للكلمة العربية:** وتشمل بنية الكلمة وصيغتها وما يطرأ عليها من تحويل وتغيير بفعل تأثيرات متعددّة، قد تتعلّق بتفاعل الأصوات نتيجة احتكاكها بعضها ببعض، أو جرّاء دخول زيادات عليها بفعل تصريفها وفق أزمنة مختلفة، والمتكلّم العربي هو صانع هذا التحوّل، والتّلون الطارئ على مستوى تصريف الكلمات عند استخدامه لمهارة الحديث، أو الكتابة، ومن تجلّيات إبداعه على هذا المستوى استخدامه لآلية التّوليد أو ما سمّاه القدماء بالاشتقاق.

**والاشتقاق:** وجه من أوجه الإبداع في نظام اللغة العربية، وخاصّية « تعبّر عن حيويّة اللغة كما أنّها تُعين على إرجاع كلّ كلمة إلى أصلها وردّها إلى نسبها، ومعرفة هذا الأصل تعين على إدراك التّحوّل الدّلالي الذي أصابها، وما انتقلت إليه بالاستعمال من الدّلالات التي تتّصل بسبب أو بآخر بالمعنى الأصلي، فيسهل الوقوف على استعمالاتها المجازيّة » [3] والاشتقاق يأتي على

عدّة أنواع كما تذكر الكتب اللغوية القديمة والحديثة، كالصغير والأصغر، والكبير والكبّار، لكن النوع الأكثر حضورا في التداول هو الصغير، ذاك الذي ينطلق من أصل وجذر الكلمة لتوليد وتفريع مجموعة من الألفاظ المتغيّرة ذات الدلالات الجديدة، ومن باب التمثيل نذكر:

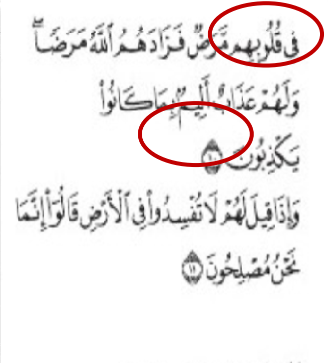
- **عَلمَ (علْم)**

عالم – علاّمة– مُعَلّم– مُتعلّم – تعلُّم– تعليم– تعليمية– معلوم– مَعْلَم– معلوماتية– استعلام –

عليم.....الخ

**النتيجة:** إنّ اتساع الجذر بفعل الزّيادات أدّى إلى إنتاج دلالات وظيفية جديدة، واستعمالها في مختلف السياقات وأشكال التّواصل، ما يعني ثراء اللغة ونموها وتجدّدها بفعل هذه الميزة الرائعة فهي مرنة وتمتاز بالاتساع.

- **نلاحظ المثال الثاني: (نموذج لترجمة معاني النّص القرآني إلى اللغة الفرنسية)**


فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن

**10.** Un mal ronge leurs cœurs, et Allah le fait croître, ils subiront un douloureux tourment en raison de leur mensonge.[2]

**11.** Lorsqu'on leur dit: «Ne semez pas le désordre sur terre», ils rétorquent: «Nous n'agissons que pour le bien.»

**12.** En fait, ils ne font que

| 2. Al-Baqarah | Partie 1 | 4 | الجزء ١ | سورة البقرة ٢ |
|---|---|---|---|---|
| semer le désordre, mais ils n'en sont pas conscients. | | | | لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ |

ونلاحظ من خلال هـذا النّمـوذج المقتطـف مـن ترجمـة معـاني القـرآن الكريم إلى اللّغة الأجنبية- الفرنسية- أنّ هذه الأخـيرة لا تمتلـك في نظامهـا مثل هذه الخاصيّة التي تنفرد بها اللغـة العربيـة، وهـو مـا لاحظنـاه في كلمـة (مُصلحون) المشتقة من [أصلح] وهو فعل مزيد بحرف الهمزة على وزن اسم الفاعل [ مُفعل] التي قامت باحتواء الدلالة واختزالها في عبارة أو لفظة واحدة بينما –كما يظهر في اللغة المقابلة- عبّرت عنها بخمس كلمات ونفس الأمر في كلمة (المفسدون)، ومن هنا تتكشّف أمامنا عبقرية هـذه اللغـة الـتي تحوي مجموعة من المفارقات في طريقة تصميم نظامهـا الـدّاخلي، فالاشـتقاق على سبيل المثال ساهم في توسيع معجم ألفاظهـا وفي نفـس الوقـت اختـزل كثافة الدّلالة في صيغة لفظة واحدة، وبالتالي نستشف هذا الجانب الإبـداعي المميّز الذي انفردت به اللغة العربية عن سـائر اللغـات، فهـي لغـة مُتحولّـة ومرنة قد تتسع وقد تضيق وفق السياقات والمقامات التي يريدها المتكلم. بـل حتى في ظاهرة تصريف بعض الأفعال العربية في الأمر كالأفعال المعتلة مثلا: نجد بقاءَ صوت واحد فقط عبّر عن دلالة الأمر بكاملها أو ما يخرج عنهـا إلى دلالات أخر في السياق الإنشائي، كما هو الحال في اللفيف المفروق مثل:

- [ وَفَى] : نقول عند تصريفه : ف لعملك ( أن يكون وفيا لعمله)

- [ وَقَى] كذلك عند تصريفه في الأمر، نقول: ق نفسك من البخل والشّح، وغيرهما كثير في اللغة العربية، وهو ما يثبت مرة أخرى إبداعية هذه اللغة التصريفية، حيث تمتلك ألفاظها قوة تحوّل هائلة لتصل درجة اختزالها عند أصغر لبنة في نظامها وهي الصوت، وهو ما يسلّمنا إلى نتيجة أخرى تبرز لنا سمة جديدة في اللغة العربية، لطالما كانت محل اهتمام علماء العرب من لغويين، وبلاغيين، قديما، وحديثا، وتتمثّل في **سمة الإيجاز**. وهذه السّمة تتجلّى على مستويات عدة من البناء اللغوي العربي –كما رأينا في الّنماذج السابقة- وغيرها كثير في العربية، كما « في حالة (التثنية) فالعربية ليست كاللغات التي تُهمل حالة التّثنية لتنتقل من المفرد إلى الجمع وتكون التّثنية بإضافة حرفين إلى المفرد ليصبح مثنّى (الباب- البابان- البابين) على حين أنّه لا بدّ في الفرنسية والإنجليزية من ذكر العدد مع ذكر الكلمة، وذكر علامة الجمع بعد الكلمة، فنقول في الفرنسية (Les deux portes) وفي الإنجليزية (the tow doors)» [4] وكذلك الشيء نفسه يقال في حالة الجمع.

1-3) **الترادف والفروقات الدّلالية:** يرى الدكتور –عثمان أمين- رحمه الله – مؤكّدا ما ذهب إليه أبو الهلال العسكري وغيره حول قضية التّرادف في اللغة العربية، أنّ هناك حقيقة لغوية دقيقة لا يمكن تجاهلها في هذه العلاقة، هي وجود ملامح فارقة بينها، قائلا:« تكاد اللغة العربية تنفرد عن اللّغات الحيّة بخَصيصة جديرة بالتنويه... تلك هي وفرة الألفاظ الدّالة على الشيء منظورا إليه في مختلف درجاته وأحواله، ومتفاوتة صوره وألوانه فالظمأ، والصّدى، والأوام، والهيام كلمات تدلّ على العطش إلاّ أنّ كلاّ منها يصوّر درجة من درجاته؛

▪ فإذا قلت فلان عطشان، فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء لا يضير أن تبطئ عليه.؛

▪ أمّا إذا قلت: إنّه هائم فقد علم السّامع أنّ الظمأ برح به حتى كاد يقتله» [5] .

لذلك؛ فهو يرى استحالة إنكار هذه السّمة الفارقة في مفردات اللغة العربية. بيد أن علماء اللغة المحدثين يقرّون بالتّرادف التام من باب التّيسير وجعلها ذات دلالات عامة، تسهيلا لتداولها وفهمها لدى الشّريحة المتوسطة من الناس. ويبقى المستعمل العربي سيّد الحكم في اختيار السبيل الذي يرضيه تبعا لمستواه الفكري والثقافي، وتبقى هذه الظاهرة دليلا آخر على دقة اللغة العربية في تصوير جزئيات الأشياء وتفاصيلها، وهو ما يجعلها تتّسم بالعلمية.

1-4) **البنية التركيبية والأسلوبية:** وتبرز الجوانب الإبداعية على هذا المستوى في جملة من السّمات نذكر منها: الإعراب وهي أهم سمة تطبع إنشاء التّراكيب الاسنادية وتبث فيها روح المعاني، وقد وضّحها ابن جنّي بقوله « الإبانة عن المعاني بالألفاظ،، ألا ترى انّك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا، لاستبهم أحدهما من صاحبه، فإن قلت...: ضرب يحيى بُشرى ، فلا تجد هناك إعرابا فاصلا...قيل ألزم الكلام تقديم الفاعل وتأخير المفعول به ما يقوم مقام بيان الإعراب» [6]، فبه نميّز العلاقات الدّلالية والمنطقية بين الجمل بفضل احتوائه على القرائن الدلالية والعلامات الإعرابية مهما تغيّرت مواقع الكلمات في التركيب ألإسنادي سواء الاسمي أم الفعلي كما تظهر سمات أخرى أسلوبية بلاغية تتزاوج وتتضام مع المستوى التّركيبي

النّحوي عند التمعّن في النص القرآني أوفي نصوص التراث العربي شعرها ونثرها ذات المستوى الرّاقي « كقدرة المتكلّم على التّصرّف بالتّركيب العربي حذفا وإضمارا وتقديما وتأخيرا... إلى غير ذلك من الأمور، وقدرة اللّغة على التّطور واحتمال الدلالات المتجدّدة بالاشتقاق والنّقل وغيرهما ومهارة صانع النّص في نقل الدلالات واستعارة الألفاظ لتؤدّي مقصوده» [7]، فعلى مستوى الإبداع الشعري نذكر مثلا، قول المتنبي:

**على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم**

إذ نظم هذا البيت موظّفا براعته بما أتاحت له اللغة من إمكانات كثيرة، مستخدما في الشطر الأوّل تلاعبا لغويا في عناصر التّركيب الإسنادي محدثا بذلك أثرا بليغا في نفسية المتلقي وجعله يصاب بالدهشة والتشويق لما سيأتي بعد (الجار والمجرور) الذي جاء خبرا مقدّما لمبتدأ مؤخر جاء جملة فعلية( تأتي العزائم) وترك السامع في ترقب وحيرة وينتمي هذا البيت إلى قصيدة حماسية مادحا فيها ممدوحه سيف الدولة.ومثل هذه السمة حافلة في كتاب الله العزيز وفي نماذج كثيرة من الشعر العربي، ولعل أدقّ وصف لجمالية **(التقديم والتأخير)** وما يحدثه من أثر في النفس ما قاله الجرجاني حياله «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف، بعيد الغاية...ولا تزال ترى شعرا يروقك مَسمَعُه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحوّل اللّفظ عن مكان إلى مكان» [8]، ونفس الشأن عند الحديث عن الحذف والفصل والوصل، والإضمار، والنقل المجازي وما يتولّد عنه من دلالات إيحائية، وما يلحق الكلام العربي عموما من عجائب صنيع المتكلّم وتفنّنه في مختلف أشكال التّصوير الفني والبلاغي، وكتمثيل

على ذلك اخترت إيراد بعض الأبيات المشهورة التي مثّلت أروع ما جـادت به إبداعات الشعراء وصناعتهم الكلامية:

قول: عنترة بن شداد:

**وإذا ظلمت فإنّ ظلمي باسل    مرّ مذاقه كطعم العلقم**

ويقول:

**أنا المنيّة وابن كلّ منيّة    وسواد جلدي ثوبها ورداؤها**

ويقول أبو تمام:

**السّيف أصدق أنباء من الكتب    في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب**

**بيض الصفائح لاسود الصحائف    في متونهنّ جلاء الشّك والرّيب**

ويقول أبو القاسم الشّابي:

**إذا الشّعب يوما أراد الحياة    فلا بدّ ان يستجيب القـــدر**

**فلا بدّ للّيل أن ينجــلي    ولابدّ للقيد أن ينكســـر**

**ومن يتهيّب صعود الجبال    يعش أبدَ الدّهر بين الحُفر**

لهذا؛ أجد أنّ هذه النّماذج شكلت حلّـة في منتهـى الجمـال والحرفيـة، وذلـك بفضل ما تحوزه لغتنا الجميلة والثرية من خصائص إبداعية جعلتها بحق لغة مميّزة.

**2- الدلائل العلميّة**: وتكمن في تلك الخصائص والقـدرات المتـوفّرة في نظام اللّغة العربية، والـتي توظّـف كآليـات إجرائيـة لاحتـواء الحمـولات اللّفظية الجديدة وتحيينهـا بهـدف إضـفاء الطـابع العلمـي والحضـاري للغـة

العربية وجعلها لغة عصرية تساير التّقدم، ولتحقيق ذلك " تحتاج إلى شحذ وصقل وتفعيل حتّى تُكوّن قابلية للحركة في الاتّجاه الصحيح الذي من شأنه أن يقوّي اللّغة ويشحنها بطاقات جديدة، فالفصحى في حاجة لكي تقوم بدورها في المجتمع إلى معالجة تبدأ من توسيع متنها، وبتطويره...في اتجاه مستحدثات العصر وما يجدّ فيه من اختراعات علميّة وتقنيّة وحضارية... ولم يعد مقبولا أن يتمّ الاعتماد على لغة أجنبيّة أو لهجة عاميّة" [9] ، ومن ثمّ فإن مستقبل تطوير اللغة العربية مرهون بتفعيل آليات اشتغالها والمتمثّلة في :

2-1)**الاشتقاق:** (وقد سبق ذكرها)، وتُعتمد كآلية للتّنقيب عن كلمات جديدة من جذر عربي أصيل في المكانز اللغوية القديمة، ومقابلتها بالألفاظ الجديدة الواردة من الثقافات الأخرى ككلمة (حاسوب) على سبيل المثال لم تكن موجودة سلفا، بل هي موضوعة من قبل اللغويين واشتقّت من جذر ( حسب) لتقابلَ التكنولوجيا الجديدة. أي تكوين دلالات جديدة تواكب العصر عبر آلية الاشتقاق إلاّ في حالة العثور على كلمات قديمة جاهزة، وقادرة على حمل دلالات مستحدثة، وإن تعذّر الأمر في كلتا الحالتين حينها يتمّ اللّجوء إلى ما يسمى بآلية التعريب.

2-2)**التعريب**: (**Arabicing** ) وهو « صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية» [10]، إذ يلجأ المتخصّص أو المجمعيّ إلى إخضاع المصطلح الأجنبي لضوابط النّطق العربي، وقد «أباحه المجمع بشرطين: إذا أساغه الذّوق، واتّضحت حاجة المجمع إليه» [11] وسنعرض في النّموذج الآتي دليلا فعليا للجهود الكبيرة التي تبذلها المجامع اللّغوية إلى يومنا

هذا حول قضية تعريب المصطلحات الجديدة الوافدة إلينا والنموذج مقتطف من (معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون: (المنزل والأدوات المنزلية)

١٥ — البيت أو المنزل أو الدار House (E)
Maison (F)
مكان السكن .

١٦ — التثليج Réfrigération (F)
تبريد الأطعمة ونحوها بوضعها فى الثلاجة .

١٧ — التجميد Freezing (E)
تحويل الماء إلى جليد وتبريد الأطعمة إلى أن تتجمد بغرض حفظها .

١٨ — التدفئة المركزية Central heating(E)
جهاز رئيس لتسخين الماء أو الهواء وتوزيعه فى أنابيب خاصة لتدفئة غرف المنازل وغيرها .

١٩ — الترموس ( عازلة ) (F) Thermos
إناء عازل يحفظ ما يحويه بدرجة حرارته ساخناً كان أو بارداً .

٢٠ — التسريحة
Toilette-coiffeuse (F) toilet table (E)
قطعة أثاث توضع فوقها أدوات للتزين

عملية يؤديها جهاز خاص يعدل جو المكان بالتبريد أو التدفئة .

٢٢ — الثلاجة Réfrigérateur (F)
Refrigerator (E)
خزانة محكمة الإغلاق تحفظ ما يوضع فيها من أطعمة ونحوها فى جو مثلوج .

٢٣ — جرس كهربائى Electric bell(E)
جرس يدق بتيار كهربائى ، (بملف كهربائى ومقطع للتيار دقاق وطاس) وهو أنواع منها :
( أ ) الجرس الذى يدق بصوت يخرج من الطاس .
(ب) الجرس المكتوم : الجرس الذى يخرج الصوت مكتوماً ( دون طاس ) .

٢٤ — جهاز التهوية أو الهوايات
Ventilateurs (F)
Ventilators (E)
جهاز لتجديد هواء الحجرات .

٢٥ — حاملة الزهرية Porte vase (F)
منضدة عالية تتخذ لحمل الزهرية .

٢٦ — [illegible] Huilier(F) Cruet (E)

**تعليق:** والشيء الملفت للنظر من خلال النّموذج، أن المتخّصصين نوّعوا من الآليات المشار إلها سابقا عند وضع تلك المقابلات العربية للألفاظ الأجنبية، وعدم الالتزام بآلية واحدة متفردة وذلك يعزى إلى طبيعة كلّ مصطلح وما يحمله من حمولة دلالية الأمر الذي يستدعي انتقاء الآلية المناسبة لاستيعابه، فتارة يعتمدون الاشتقاق مثل:الثلاجة ( Réfrigérateur – Refregirator) وتارة أخرى التّعريب بإخضاع المصطلح لقواعد الصوف والنّحو العربي مثل: الترموس (عازلة) مقابل (Thermos) ...الخ.

2-3) **الترجمة:** (Translation) وهي آلية في منتهى الأهمّية نظرا للدور الرائد الذي تلعبه في نقل العلوم والثقافات المختلفة، فكان لزاما على اللغة العربية أن تصنع هذا التّحدي كما صنعته في سابق عهدها، وقد أثبتت

الحقائق التاريخية جدارة اللغة العربية في نقل مختلف العلوم والفنون إليها لّما ترجمت العديد من الكتب اليونانية والسريانية والفارسية في الأدب والطب والفلسفة والحساب وغيرها إلى العربية وخصوصا في الفترة العباسية كترجمة ابن المقفع لكتاب (كليلة ودمنة) الرائع والخالد الذي يحمل في طياته البعد الإرشادي والتوجيهي للحكام والرعية وبث الأخلاق والقيم فيهم، وترجمة أبي زيد حنين بن اسحاق لكتب الطب وغيرها، فنقل عن جالينيوس وأبقراط وأرسطو وغيرها، ولبراعته عيّنه الخليفة المأمون مسؤولا على ديوان التّرجمة وبيت الحكمة، وكان يتقن إلى جانب العربية اليونانية والسريانية والفارسية، ويمكن رؤية مقتطف من ترجمته من خلال الشكل التالي:



بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب ايساغوجي لجالينوس ترجمة حنين بن اسحاق [illegible]
متعلمي الطب ق قال جالينوس الى كم جزء ينقسم الطب
قال الى جزءين قال وما هما قال العلم والعمل ق الى كم جزء ينقسم
العلم قال الى ثلثة اجزا قال وما هي قال العلم بمعرفة الامور الطبيعيه
التي بها الحياة والخارجة عنها تعرف الامراض ق والعلم بالاسباب
والعلم بالدلايل ق قال وما هي الامور الطبيعيه قال سبعة اشيا
قال وما هي قال الاركان والامزجه والاخلاط والاعضا والقوى
والافعال والارواح ق قال كم هي الاركان قال اربعة وما هي
النار والهوا والما والارض ق ما طبيعة النار حاره يابسه ق
ما طبيعة الهوا حار رطب ق ما طبيعة الما بارد رطب ق ما طبيعة
الارض بارده يابسه ق كم هي الامزجه تسعه اربعة
بسيطه وهي الحار والبارد والرطب واليابس ه واربعه مركبه
وهي الحار اليابس والحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب
والتاسع معتدل لا تغلب فيه كيفية على كيفية ه كم هي الاخلاط

وأمام هذا الدليل، فإنّ العربية بكل ما تحويه من طاقات سلف ذكرها، لا تزال قادرة على الترجمة إن تمّ استغلال هذه الأخيرة برويّة ودقة وحرفيّة، وخصوصا مع تضاخم التطور في مختلف المجالات العصرية، ذلك أنّ التّرجمة فنّ صعب المراس والممارسة، فنّ يجمع بين فروع اللغة المنقول منها(اللغة المصدر) واللغة المنقول إليها( اللغة الهدف) ولا يمكن الإجادة فيه، إلاّ إذا توافّرت شروط أساسية في المترجم كإلمامه الشّامل بمختلف المصطلحات، والتعبيرات التي تتميّز بها كلّ لغة، وفهم البنية الفكرية والثقافية التي تخضع لها، كون كلّ لغة تعكس مستوى ثقافة أفرادها وعاداتهم وتقاليدهم، ضف إلى ذلك دراسته المعمّقة لقواعدها ونحوها وبلاغتها، حتّى يتسنّى له الترجمة من لغة إلى أخرى مع الإحاطة بالثقافة الواسعة من كلّ علم وفنّ، تفاديا للخلط في مفاهيم المصطلحات ّالمتعدّدة، أمّا أكبر خاصيّة يجب التّحلّي بها هو الاتّصاف بالنّزاهة والأمانة والدّقة في نقل أفكار النص الأصلي مع مراعاته الوضوح والسهولة في تتبّعه لمعاني النّص [12] مع كثرة الصّبر والجلد أثناء الترجمة.من هنا تظهر قيمة هذه الآلية الإجرائية في إغناء اللغة العربية وتطويرها وجعلها لغة علمية تخّصصيّة.

4-2) **الاقتراض اللّغوي:** يقول إبراهيم أنيس: «يؤدّي الاحتكاك المباشر وغير المباشر إلى انتقال مفردات من لغة إلى لغة أخرى، فاللغة العربية شهدت عبر تاريخها الطويل، وما تزال تشهد دخول مفردات وألفاظ عديدة من لغات الشعوب المجاورة، كالفارسية، والتركية، والانجليزية والفرنسية، ويعرف هذا الانتقال... بالاقتراض المعجمي وقد يسمى بالاستعارة اللّغوية» [13] وبالتالي فاللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى منذ القدم، فكما تأثرت

واستقبلت الكثير من الألفاظ من اللغات الأخرى، كالفارسية والحبشية واليونانية منها مثلا:( قارورة، أسفار، الرقيم، البستان سجيل، فلين، أباريق، القنطار، القرطاس،الصراط، الانجيل، الدرهم، اليمن التلفون....الخ فلا يجب إنكار حقيقة ـتأثيرها هي الأخرى على تلك اللغات وأبرز دليل يمكن إيراده هنا؛ هي الدّراسة المستفيضة والمطولة التي أجراها الدكتور العراقي والطبيب الشهير **(مهند عبد الرزاق الفلوجي)** حول الأصول العربية في الكلمات الإنجليزية، وقد استغرق في هذا البحث قرابة أربع وعشرين سنة، فأثمرت جهوده بإخراج معجم في 1500 صفحة سماه **(الفردوس)***، حيث فحص حوالي 3000 جذر لكلمة انجليزية، فاكتشف أنها تشكّل حوالي 25000 كلمة من أصل عربي، منها على سبيل المثال : Eearth= أرض ، Hors= فرس وغيرها كثير، وهذا النّموذج الحيّ، يصل بنا إلى حقيقة الإقرار بأن اللغة العربية لغة فاعلة، تمتاز بالحيوية والاستمرارية، إذ لا تقل شأنا عن اللغة الإنجليزية لأن هذه الأخيرة أغلب مكوناتها من مادة اللغة العربية، لهذا عُدّ معجم (الفردوس) معجما عالميا يعبّر عن التّفاعل بين اللغتين، وعلى امتداد التّواصل الثقافي واللغوي بين الأمة العربية والغرب.

**خاتمة**: أخلص في ختام هذه الدراسة التي رصدت فيها بعضا من بحر خصائص وأسرار اللغة العربية لأقول:

- إن اللّغة العربية تتوافر على آليات وخصائص إبداعية كثيرة ومتنوّعة، على امتداد مستويات نظامها، فهي توليدية، تصريفية، غنيّة وثريّة، وتمتاز بالجمالية وقوة التّحول وبالإيجاز والاتّساع... وهي في مجملها تحقق لها السيادة والبقاء، وتضمن وجودها واستمرارها، وتؤهلها لتكون لغة علمية

وظيفية، وقادرة على احتواء مختلف أشكال الحمولات الثقافية والحضارية الوافدة، شرط دعمها، وتشغيلها وفق المنوال الصحيح والسّهر على تقنين نظامها وبرمجته برمجة معاصرة حتى يُنظر إليها كلغة معرفة لا كلغة استهلاك .

## هوامش المصادر والمراجع:

- عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي دمشق: 2004م، ص 367.
- ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التّطبيقي في التراث العربي، ط1، دار الملل للنشر والتوزيع، الردن: 2007م، ص51
- سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996م، ص183
- محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط: المغرب: 2016م، ص68.
- أبو الهلال العسكري، الفروق في اللغة، ص03 -
- أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد على النجار، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة: 1913 ، ص35.
- سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز.ص 270.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان وآخرون، ط2، مكتبة سعد الدين، دمشق: ص 135.

- عبد العزيز بن عثمان التّويجري، حاضر اللغة العربية، مطبعة الأسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، ص 51.

- عز الدين محمد نجيب، أسس التّرجمة من الانجليزية إلى العربية والعكس، ط5، مكتبة ابن سينا، القاهرة: 2005م، ص 08

- جودي مرداشي، آليات توليد المصطلح الاقتراض اللغوي آلية، مجلة الذّاكرة، ع 05، منشورات مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري ، جامعة قاصدي مرباح، ص 290

- ينظر: عز الدين محمد نجيب، أسس الترجمة، ص9- ص10

[1] - جودي مرداشي، آليات توليد المصطلح الاقتراض اللغوي آلية، مجلة الذّاكرة، ع 05، ص 286

* - المعجم غير متوفر حاليا وهو موجود في المشرق، والمعلومات مأخوذة من موقع اليوتيوب حيث تمّ تسجيل حصة تلفزيونية حضرها الدكتور صاحب المعجم حيث قدّم معلومات قيّمة وبالتفصيل عن معجمه الفردوس وعنوان الفيديو " **العربية أم اللغات ومعجم الفردوس شاهدا** ".

[1] عمار بوحوش، نظرية التنظيم، مكتبة الشعب، ص62

# "تفعيل اللّغة العربيّة في خطابات الجمعيّات الثّقافية"

**أ. خالد سوماني**

**المركز الجامعي "عبد الحفيظ بوالصّوف"، ميلة.**

هذه الورقة البحثية تتوق لأن تقع بأيدي أولئك الناشطين في المجتمع المدني، المنضوين تحت منظمات وجمعيات مختلفة - وإن كانت تستهدف خصوصا الثقافية منها -، لأنّها تحمل في طياتها حقائق دون زعم أو إيهام، قائمة على المكاشفة وبسط المعطيات المتصلة بالنوايا والإيديولوجيات والمنطلقات والأهداف بعيدا عن تهمة التعصب أو الإقصاء، لاستجواب اللغة العربية الفصحى حول التهمة التي ألصقت بها بهتانا وزورا بتواطؤ من أهلها.. التهمة مستخلصة ضمنيا من التهميش الذي طالها بقصد أو بدونه بفعل الممارسة.

ولقد استهدفنا الجمعيات الثقافية لأنها تمتاز بخصيصتين:

- **الأولى:** كون معظم أعضائها من فئة الشباب وتستهدف هذه الفئة أيضا، والشباب يمثل الطاقة التي تنتظر التوجيه في كل منعطف أو مناسبة، وهي مرحلة يفتقد فيها الفرد الحسم ويتقلب كثيرا كالعود الأخضر الذي لم ييبس على حال، الأمر الذي يجعله يتقبل الاعوجاج يمنة ويسرة، والأهم كونه يتقبل التقويم في حال الاعوجاج.

- **الثانية:** تتصل بحيّز اشتغالها، فهي تهتم بموضوعات جد حساسة في المجتمع، لأن الثقافة تجسد إلى حد ما بصمة هذا الأخير في مسار الحضارة الإنسانية، والتلاعب المقصود وحتى البريء بمكون من مكونات هذه الثقافة يعد تهاونا في حق كرامة الشعوب، قد يرقى إلى خيانة إذا توافرت أدلة الإدانة.

## 1) ما ينبغي

### العمل الجمعوي

يدخل العمل الجمعوي عموما ضمن المؤسسات المؤطرة للمجتمع المدني، ويشكل دعامة للمجتمع بخلق الأجواء الملائمة لتأطير الأفراد لبناء مجتمع مسؤول يساهم في التنمية والتغيير والعمل على إدماجهم في عملية النمو الاجتماعي، وفتح المجال للإبداع وإبراز قدرات الشباب على الخلق والابتكار لجعله أداة قوية للمشاركة، ويتحمل المسؤولية مدركا دوره في المجتمع، وكذا بلورة إرادته للمشاركة في التطور والرقي وجعله مواطنا محبا لوطنه متشبعا بقيم المواطنة ومحافظا على أركان هوية شعبه كاللغة والدين والتاريخ...

وأهداف الجمعيات لا يمكنها أن تخالف الآداب العامة والأخلاق الحميدة فهي أهداف تسعى دائما إلى نشر الوعي الفردي والجماعي بتكريس وتثمين السلوكيات الإيجابية، ونبذ تلك التي تتصادم مع المصالح العامة والفردية في المجتمع، لأن استراتيجية الجمعية في الأصل ليس خلق إنسان مستهلك للشعارات والمفاهيم، ولكن خلق إنسان إيجابي بنّاء، يعرف من هو ليعرف غيره، فيعرفه هذا الغير دون أن يطرح الاختلاف بينهما المنبثق من البيئة أيّ عائق في مدّ أواصر التعارف. إنّ الوظيفة الأساسية للجمعية هي التنمية

البشرية بكل تشعباتها وعمقها و"استثمار الإنسان بتكوينه تكوينا سليما حتى يكون في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه، فلو قام كل فرد أو مواطن بواجباته اليومية بكل نزاهة والتزام معنوي لكان بالإمكان تذليل جميع الصعوبات التي تعترض أبناء المجتمع"[1]، والثقافة بدورها تهتم بهذه التنمية في جانبها الثقافي والحضاري.

## 2) الجمعية الثقافية والثقافة

تمتد أطرف بلادنا الجزائر في كل الاتجاهات طولا وعرضا حتى أضحت شبه قارة، هذا التباعد في أطرافها ولّد تنوعا ملفتا في أساليب الحياة اليومية، وطقوسا طريفة تساير المناسبات والأعياد والأفراح والأحزان، ما يجعلنا نفخر ونعتز بهذا الثراء الثقافي كمّا ونوعا لا نظير لهما.

ومع هذه الكثرة والتنوع الثقافي كان لابد من فضاءات مؤطّرة وقنوات جامعة مؤسسة لتنظيمات تهدف "إلى تجنيد الطاقات البشرية والمادية وتوجيهها في الطريق الصحيح، حتى يتسنى للأفراد والجماعات أن يحققوا الأهداف المنشودة"[2]، وأملا في أن تحافظ على هذا الكنز الذي يختزل في مضمونه أسرار الشعب وآلامه وآماله، وهذا هو المطلوب والمأمول منها.. فهل هذه الجمعيات الثقافية في واقع الحال والممارسة مستجيبة لهذه السؤولية ومتخذة ما هو مناسب في خدمتها؟

---

[1] المرجع نفسه، ص8

[2] عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر/ تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر، 1986، ص28

إنّ الجمعيات الثقافية تسعى – نظريا – لتقديم خدمات جليلة للمجتمع من خلال الحفاظ على المكتسبات التاريخية والتراثية للأمة، وتثمينها، وكذا تكريس الخصوصيات التي تشكل بصمة التمايز والتميّز عن الآخر، والتي لا تتعارض مع نواميس التطور والرقي، لأنها ليست حتمية بقدر ما هي وليدة خيارات وممارسات وقناعات الأسلاف على مر حقب زمنية تتمفصل حسب ما يُستجد، فما دامت تتأسس على الخيارات فهي اجتهادات، ما يجعلها عرضة للتبدل والتطور مستجيبة لمعطيات الفرد الراهنة.

فهذه الجمعيات تشتغل في الأصل وفق أولويات؛ تمثل الأولى تحصين الثقافة المحلّية الأم وتنقيتها من الشوائب، ثم بعد التأكد والاطمئنان على متانة هذه المنظومة وتشرّب أهلها (أفراد وجماعات) من معينها، تفتح نوافذ التلاقح والتواصل مع الثقافات والأخرى، وهي ضرورة إنسانية حضارية تقوم على مبدأ تقريب الثقافات وطمس الفوارق والحساسيات سعيا لخلق مجتمع إنساني متعايش دون أن تكون الخصوصيات المصنفة للأفراد عائقا في هذا المشروع..

ومن معالم حسن التدبير وحسن خدمة الثقافة عند هذه الجمعيات تثمين مكوناتها واصطياد الفرص لبلورتها وتوظيفها وتسويقها، وتعد اللغة أهم مكون فيها، فهي بذلك الأحق دون غيرها من اللغات الأخرى للحديث عن الثقافة التي تحتويها.

لكنّ الواقع يفصح عن غير ذلك، حتى أضحت المفاهيم النظرية التي تشتغل في حقلها الجمعيات الثقافية مبهمة أحيانا وفي أخرى معدّلة ومحرفة، فمعنى العمل الجمعوي كوسيلة لخدمة المجتمع تغير، والأهم من هذا مفهوم

"الثقافة" تغير تغيرا عجيبا مع هـؤلاء اسـتنادا طبعـا إلى ممارسـاتهم وأنشـطتهم وخطاباتهم. وأبرز مظهر من مظاهر الانحراف عند أصحاب هذه الجمعيـات اعتمادهم على اللغات الأجنبية والعاميات الحريفة في خطاباتهم عن ثقافتهم المحلية، مهمّشين اللغة العربية الفصحى حتى لتبدو وكأنهـا الأجنبيـة في عقـر دارها.

### 3) اللّغة والثقافـة:

تعدّ اللغة من أهم وسائل التواصل لدى الإنسان وأيسرها على الإطلاق، فهي لا تحتاج تكلفة ولا وسائل وأجهزة تشتغل بالطّاقة وتصـلح لمكـان دون آخر، وهي بشيء من المبالغة مهندسـة المعـاني لـدى الإنسـان والناقلـة لهـا، و"علاقة اللغة بالتفكير علاقة إجرائيـة وعلاقـة انعكاسـية في الآن معـا: هـي إجرائية لأنها تتسلط على الخارج، فباللغة يفهم الإنسـان غـيره مـادة فكـره، واللغة هي التي تنجز عملية الإدراك الخارجي، ثم بهـا أيضـا يتسـنى للفكـر المتكلم أن يفهم مادة تفكيره"[1]، ومن الغباء أن نفصـل وجـود الإنسـان عـن اللغة التي ترافقه في مراحل نموه وتطوره مادام الفكر دليلاً على الوجود[2].

ونظام العقل أيضا يشبه إلى حد كبير نظام العق، كما "أنّ بنية اللغـة قائمـة على بنية الوجود من جهة، وعلى بنية الفكر البشري من جهة أخـرى، فـإذا

[1] استنادا إلى كوجيتو ديكارت : "أنا أفكر، إذن أنا موجود"

[2] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائـر، ط4، 1993، ص28

كانت هناك أسماء وضمائر في اللغات فلأنه توجد كائنات في هـذه الـدنيا"[1]، وإذا كانت هناك صفات الرحمة والنبل والإنسانية عموما سائدة في لغة ما فلأنها رائجة عند أهلها أو على الأقل يثمنونها وهكذا.

إنّ العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة كانت ولا تزال محل اهتمام لدى الكثير من الباحثين في حقل اللغويات والعلوم الإنسانية، الأمر الذي أدى إلى ظهور دراسات عديدة مكرسة لبحث وتحليل هذه الظاهرة متعددة الجوانب.. وتحدثت الأبحاث عن الدور المحوري للغة في عكس واقع الأفراد والمجتمعات التي تتحدث بها، والثقافة جزء مهم من هذا الواقع، وبالتالي فاللغة تعكس الإرث الثقافي للأمة وتحافظ عليه في ثنايا عباراتها وتصريحاتها وتضميناتها، وحتى في قواعد استعمالاتها. ما يعني أن العلاقة بين اللغة والثقافة تتعدى العلاقة التقليدية التي ترى بأن اللغة جزء من الثقافة دون تبصر القيمة الوجودية لكل واحدة بالنسبة للأخرى.

فروح الثقافة تجدها مودعة في اللغة التي رافقت وعايشت لحظات خلق أدواتها وعناصرها، والدليل على ذلك صعوبة ترجمة المفاهيم الثقافية من اللغة التي احتوتها في البدء إلى أخرى، لأن كلمات اللغة الجديدة تأتي مثقلة بالحمولة الثقافية التي حملتها في أصل وضعها ومنعطفات تطورها، ويرى "ألفيي ورف" أنّ "اللغة التي يستعملها الفرد في العادة تؤثر على الطريقة التي

[1] كلير كرامش، اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيمي، مراجعة: عبد الودود العمراني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط 1، 2010، ص27

يفكر بها ويتصرف تبعا لها"[1]، وهو يعيد للغة سلطتها وعمقها اللذين تكاد أن تفقدهما عند الكثيرين .

إنّ أهم وظيفة للغة بلورة "الخبرات البشرية وتجارب الأمم في كلام مفهوم يمكن أن يستفيد منه الغير، وتدوّن التراث الثقافي، وتحتفظ به جيلا بعد جيل"[2]، وحفظ الخصوصيات لا يوكل للغير والأجنبي، بمعنى أن التراث الثقافي المحلي تلزمه وتناسبه اللغة المحلية لا الأجنبية.

فالذي يعتمد اللغة الأجنبية، ويحاول أن يستعملها في أدق تفاصيل حياته، أو يتكلفها حتى في ألطف مكونات وجوده تنشأ لديه منظومة لغوية ثقافية جديدة تختلف تماما عن منظومته الأم. هذا الأمر يجعله يرى العالم بطريقة مختلفة ويؤدي إلى أن ينشأ لديه، تصور جديد عن بعض مكونات الحياة قد يختلف اختلافا جذريا عن تصوره المرتبط بثقافتة ولغتة الأم، فيقع في التيه والحيرة، كما تصبح نفسه ميدانا لصراعات ثقافية تمزق استقراره الفكري والروحي، لأنّ "صاحب اللغة صاحب عمق فكري وبعد إدراكي"[3]، يستحيل عليه أن يتنازل بسهولة عنها لأن ذلك يكلفه نزيفا فكريا وارتباكا إدراكيا.

[1] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص68

[2] سامح عبد الحميد، كيف تكون فصيحا، تقديم: ياسر برهامي، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع/ الاسكندرية، (د. ت)، ص9

*وقع خلاف حاد في الجزائر بعد الاستقلال بين أنصار التعريب وأنصار الفرنسية، ورافق هذا الخلاف التأسيس اجتماعيا لنظرتين مختلفتين لحقيقة المثقف؛ إحداهما تختزله في التمكن في اللغة الفرنسية، والأخرى ترى هذه الصفة من حق الذي يتحدث العربية بطلاقة ويكتب بها.

[3] ينظر: عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر (من خلال الوثائق الرسمية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص8

### 4) المفارقة: الثقافة المحلية/اللغة الأجنبية

من المفارقات الغريبة لدى الجمعيات الثقافية في بلادنا ممارسة الاغتراب بآليات اشتغالها بوعي أو دونه، وإعادتنا إلى سابق العهد بعدما كانت اللغة الفرنسية مظهرا من مظاهر ثقافة المرء تحضره وتحرره*، وهي نكتة تبكي ولا تضحك، وحين نراهم يتحدثون عن التراث الجزائري الذي معظمه مصطبغ بالصبغة الإسلامية وبالطابع العربي نتيه في دوامة من التساؤلات المشككة في نوايا هؤلاء ومنطلقاتهم وأهدافهم، ونتحسر على نصيب اللغة العربية في مشهد الجمعيات الثقافية، رغم أنها تعد جزءا مهمّا في التركيبة الثقافية للشعب الجزائري.

قد نتفهم لجوء الجمعيات الثقافية إلى اللغات العامية بحكم ارتباطها بالمحكي وما يتصل بالحياة اليومية، لكن أن تحل اللغة الأجنبية محل اللغة العربية فهذا أمر مشين يستعصي على أي مثقف حقيقي تقبله، والحال كما قلنا هناك قصد للمساس بأهم عنوان للثقافة المحلية حين تترجم معانيها إلى لغة لا تربطها بها سوى حقيقة واحدة هي رغبة أهلها (فرنسا) في طمسها على مدى قرن وأكثر من ثلاثين عاما، ونحن اليوم بمثل هذه الاستراتيجيات في الجمعيات الثقافية نحقق لمستعمر الأمس ما عجز أن يحققه طيلة سنوات مكوثه في بلادنا، ونود في هذا السياق أن نسوق شهادة أحد المجاهدين ونظرته للغة العربية - لنعي جيدا حقيقة اللغة العربية وارتباطها الوثيق بالهوية الوطنية - يقول: "أذكر أننا في الاجتماعات التي كانت تعقد أثناء حرب التحرير كنا نحاول التحدث باللغة العربية كجزء من عملية الكفاح ضد الاستعمار، وكان بيننا عدد من الذين لا يحسنون العربية ومع ذلك كانوا

يبذلون جهدا كبيرا لاستعمال اللغة القومية، والقضية هنا قضية إرادة ومثابرة على مستوى الفرد... والجزائريون هم أكثر الناس حرصا على كرامتهم بالنسبة لهذا الموضوع، لأنهم استُغلوا واضطهدوا من طرف استعمار استيطاني كان من بين وسائله القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية ومن بينها اللغة العربية" [1]، وبمثل هكذا رسوخ نرد الاعتبار لأنفسنا قبل أن نطالب الآخر باحترامنا.

قد يقول قائل هذا هو عين التعصب والتحفظ الذي لا مبرر لهما في عرف العولمة، فقد أصبح العالم قرية صغيرة، تتبادل الشعوب فيه الخبرات وتتلاقح الثقافات، واللغات مطروحة في كل زاوية من زواياه، فاستخدم التي تريد وبالقدر الذي تريد.. ما أجمل الشعارات وأرقها لو كانت حقائق! فلِم لا تسمح مثلا فرنسا لأن تتمكن اللغات الأجنبية في أرضها بما فيها اللغة العربية؟ "والغريب أنه رغم العلاقات التاريخية الطويلة بين فرنسا والمنطقة العربية وخاصة المغرب العربي فقليل هم الفرنسيون الذين يتقنون اللغة العربية في فرنسا، حتى لنحس بأنّ هناك نوعا من التعصب للغة الفرنسية يكاد يكون تعصبا دينيا" [2]. إنها عقيدتهم التي يعيشون بها ولأجلها "هويتي ومن بعدها لا شيء، غاب حقا أو غُيّب تغييبا"، فلا يمكنهم أن يفسحوا للغات الأجنبية أن تنافس لغتهم مهما كانت المسوغات والنوايا.

[1] المرجع نفسه، ص8

[2] حامد صادق قنيبي، العلاقة بين المصلح واللفظ الحضاري، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد45 (1993)، ص85

### 5) الملازَمة: الجمعية الثقافية/اللّغة العربيّة

الأصل في الجمعيات الثقافية في الجزائر أن ترتفع بذوق الشباب وهممهم إلى أعلى وأفضل، والحقيقة خلاف ذلك، باستيراد أدوات الحضارة الغربية، وكأننا أمام مفهوم جديد للثقافة، فبدل أن تكون دالة على ما هو محلي بالدرجة الأولى، أصبحت بمفاهيمها وشعاراتها توحي بالعكس تماما، أي أن الثقافة تعني التحرر من العادات والتقاليد والانفتاح المطلق على كل ما هو غربي وأجنبي، وكيف بهم أن يستخدموا اللغة العربية الفصحى التي تعد رافدة الثقافة المحلية وحاميتها؟

المطالبة باستخدام اللغة القومية في المجالات الثقافية حق مؤسّس، لأنها "كيان نفسي وفكري"[1]، وهي ليست أداة للتواصل فقط كما يسعى بعض المغرضين تسويقه ولكنها تمثيل واع للهواجس النفسية والفكرية لمتحدثيها مشكّلة بالجملة أهم الحدود المرسّمة للثقافة وهي الناطق الرسمي المؤهل عنها بأمانة.

اللغة العربية الفصحى في الواقع لا تحتاج إلى مرافعين يدافعون عنها وكأنها متهمة صراحة أو ضمنيا (تهميشها في فعل الممارسة) بقدر ما هي بحاجة إلى من يلفت الاهتمام إليها ونفض غبار القدم عنها، بتعرية الحاقدين عليها والمنهزمين نفسيا وحضاريا ممن يحجبون شمسها ويقللون من عبقريتها وكفاءتها في ترجمة الحضارة قديما وحديثا.

والمسألة في مثل هذه السياقات "لم تعد مجرد إعادة الاعتبار للغة العربية، أو إحلال لغة مكانة أخرى، وإنما هي عمل من أجل جعل اللغة العربية لغة

[1] عبد الرحمن سلامة، المرجع السابق، ص96

العلوم والتكنولوجيا وقادرة على التعبير على المنجزات والمصطلحات الحضارية التي تمر بها البلاد وتنمو بسرعة مدهشة" [1]، وقد أثبتت جدارتها قديما ولما تزل، وإنجاز الهدف المنشود بمواصفات الكمال تلزمه النية والتجرد من نوازع الإيديولوجيا ومصارحة الذات حول حقيقة هذه اللغة.

إنّ اللغة العربية وإن كانت لغة القرآن الكريم، وهذا أشرف ميزة لها، لا يمكن أن نحصرها في الشؤون الدينية والتاريخية، وكأنها تناسب إيقاع التأمل في الغيبيات والتحدث عن الماضي، أما الحاضر فللغات الأخرى، ولا يدري أصحابها أنهم حين يتحدثون اللغة الفرنسية فإنها تستعملهم أكثر مما يستعملونها، إنها حاملة الثقافة الأم التي نشأت في كنفها، فما من كلمة في قاموسها إلا ولديها تاريخ وسياقات وصقل لإدراك، وهذا ما لا يعرفه الكثيرون من المهتمين بالثقافة الناشطين في الجمعيات، ثمّ إن سلطة اللغة في صنع الثقافة وتغليفها وتسويقها خطيرة جدا جدا.

إنّ التجرد هو العامل الأمثل لتمزيق غشاوة الايدولوجيا التي تحجب حقيقة اللغة العربية، إذ الحقائق لا تبنى على الزعم والتلفيق والأباطيل بل على الأدلة والبراهين، وما أكثر هذه الأخيرة حين تمتلئ همتنا بحب الحقيقة وليس غير الحقيقة في سبيل التعامل مع اللغة العربية، فمن كان في قلبه ميل إلى الحق عرفها فاعترف، ومن كان في قلبه ميل عن الحق تعنت واستكبر، ثم تكلف البحث عن المخارج والتبريرات لسلوكاته وقد أعمته العصبية وسلبته مفاتن العولمة الإرادة.

---

[1] محمد صاري، اللغة العربية وآليات توليد ألفاظ الحضارة، مجلة أبوليوس، جامعة محمد الشريف مساعدية –سوق أهراس–، الجزائر، العدد الرابع (2016)، ص6

## 6) لماذا اللّغة العربيّة الفصحى؟

إنّ الدعوة لرد الاعتبار للغة العربية في خطابات الجمعيات الثقافية نابعة عن رغبة خالصة لتكريس الأهداف العميقة لها والحفاظ على نقاء خطها، وتسهيل المهمة عليها نظرا لتناسب الأركان الثلاثة للتواصل في هذه التنظيمات؛ الثقافة (الموضوع)، اللغة العربية (القناة)، والمرسل إليهم (الشعب الجزائري المسلم دينا والعربي قومية ولغة). وفيما يلي نعرض بعض الإمكانيات التعبيرية والعلمية والثقافية للغة العربية مما يجعلها تستوفي جميع مواصفات لغة الثقافة ولغة العصر:

- **لغة الثقافة**

كان للغة العربية تجربة رائدة في احتواء المفاهيم الحضارية والثقافية للشعوب الأخرى، تزامنا مع الفتوحات الإسلامية التي احتضنت مختلف الثقافات والحضارات "ولا نتصور مقدار الجهود التي بذلت من أجل ترويض المفاهيم الجديدة واحتوائها، ولكن الواقع يثبت أن اللغة العربية تمكنت بمرونة ومهارة تجاوز هذه التجربة، حيث استطاع العرب في مدة زمنية قياسية أن يعبروا عن أدق نظريات أرسطو ونظريات الهيئة لبطليموس، وطب جالينوس، وحكم بزرجمهر، وسياسة كسرى.." [1] ، فلم تعجزهم فلسفة اليونان ولا حكم الفرس والهنود في السياسة والتدبير.

---

[1] قدري طوقان، الأسلوب العلمي عند العرب، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، عدد مزدوج 88/ 89 (2016)، ص123

**علمية اللغة العربية:**

في المبتدأ ينبغي الإشارة إلى أنه قد لا يستقيم وصف اللغة بالعلمية لأنّها مرتبطة بأهلها في أبرز مجالات استخدامها، فإن كانوا يتعاملون بالسحر سميت لغة السحر نظرا لكثرة مصطلحاتها في هذا المجال واحتوائها لعناصره، وإن كانت تستعمل في الأدب بكثرة نسبت إليه، وقس على باقي الصناعات والنشاطات الإنسانية حين يطغى قاموسها اللغوي على باقي القواميس، وحال اللغة العربية لا يتنكر لهذا الوضع، فلمّا كان أهلها يحترفون الشعر والخطابة أطلق عليها لغة الأدب، ولما التفت أهلها بعد صدر الإسلام قِبل العلوم والفلسفة والمنطق جاز أن يطلق عليها لغة العلم، لأن الخطابات العلمية صيغت بها، فاللغة بالمختصر تكشف حال أهلها ولا تصنع حالهم.

فمن يطلع على كتاب الجبر للخوارزمي يجد المؤلف قد زاوج بين حسنيين: لغة عربية فصحى جميلة عذبة راقية، ومعطيات علمية دقيقة رشيقة، "فالمادة الرياضية مفرغة في أسلوب أخاذ لا ركاكة فيه ولا تعقيد، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة، ونظرة في كتب البيروني تبين كيف يتعانق الأدب والرياضيات بما فيها الفلك والطبيعيات" [1]. هل اشتكى هذان العَلمان من قصور اللغة العربية في التعبير عن المفاهيم العلمية؟ لا بل اعتمداها وهما في خيرة من أمرهما، إذ كان بإمكانهما استعمال اللغة الفارسية بدلها لكنهما آثرا اللغة العربية الفصحى عليها دون تعصب.

---

[1] خليل عبد العال خليل زايد، عبقرية اللغة العربية وجمالياتها، المنتدى الإسلامي/ الشارقة، ط1، 2014، ص62

- **مرونـة اللغـة العربيـة واسـتيعابها اللغـات الأخـرى:** فمـن مظـاهر انفتاح اللغة العربيـة وترفعهـا عـن العصـبية توفرهـا علـى مفـاهيم وآليـات التلاقح بينها وبين اللغات الأخرى؛ كالاشتقاق، والتّوليد والتّعريب، وحتـى اعتماد الدّخيل، من منطلق أنّ "اللغة كائن حي"[1] تنطبق عليها بعض ما ينطبق على الكائنات الحية، فهي بحاجة لتجديـد كيانهـا كلمـا دعـت الضّـرورة إلى ذلك، بما في ذلك المفاهيم الثقافية الأجنبية.

- **لها علاقة وطيدة متقاربة مع المستويات الأخرى:** لا يمكن أن ننكر العاميات التي تحوم حول اللغة العربية الفصـحى، وهـذه الأخـيرة كـثيرا مـا يربطها بعامياتها علاقات التأثير والتـأثر إيجابـا وسـلبا دون أن تحكـم بينهمـا علاقة الإقصاء، فالعامية هي شكل معدل للفصحى لتتناسب مع سرعة الحياة اليومية والمستوى الثقافي والعلمي للأفراد، وللجمعيات الثقافية خيار واسـع في المزاوجة الإيجابية بين الفصحى والعامية.

- **عبقرية اللغة العربية في مفرداتها**[2]: نصـيب معتـبر مـن مفـردات اللغة العربية تفهم معانيها من لفظها أي أنّ الألفاظ مناسبة للمعاني، خارقـة بذلك التفسير الذي يرى اعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى، ممـا يجعـل مـن أمر التعبير عن المعنى أمرا سهلا، بحيث يقدم صوت المفردة معنى أوليا قـابلا لأن يدركه حتى الجاهل باللغة العربية، وهذا ممـا تفتقـده اللغـات الأخـرى،

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص56

[2] –Serge Tchakotine, Le viol des foules par la propagrande, ed,Tel Gallimard, paris,1952,p.185. نقلا عن: محمد الولي، تأملات في محـاورتي أفلاطـون : جورجياس فيدر، ضمن:البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشـبال، دار الأمـان، الربـاط، ط1، 2014، ص68.

وعليه فالثقافة يصقل جزء منها في اللفظ قبل المعنى، فحتى لو حوّرت المعاني بالاستعمالات المنحرفة يبقى اللفظ شاهدا على المعنى الأصلي.

الجمعيات الثقافية في بلادنا لا يمكن أن تمثل الثقافة الجزائرية بكل أطيافها وتشعباتها ما لم تكن اللغة الجامعة والمشتركة عند الشعب الجزائري - التي هي اللغة العربية - هي المعتمدة في خطاباتها واستعمالاتها لأسباب بديهية متعلقة بملازمة اللغة المحلية الثقافة المحلية، وكذا فرض اللغة العربية نفسها بإمكانياتها غير المحدودة في كل مستوى من مستوياتها في الاستخدام العلمي والثقافي والحضاري في كل عصر حسب استعداد أهلها في هذه المجالات.

إنّ الايدولوجيا تعمي وتفرغ الحقائق من محتوياتها وتملؤها بالزيف والخداع، ولذلك على شبابنا الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية خدمة الثقافة الوطنية من خلال هذه الجمعيات أن يتنبهوا لما يحاك ضد أركان هويتنا التي منها اللغة العربية، ومن أراد أن يثبت نفسه في اللغات الأجنبية أن يكون الميدان العلمي الأكاديمي هو الملاذ، وليس على حساب التلاعب بعناصر الهوية، فيدمر أكثر مما يبني.

## قائمة المصادر والمراجع

### أ) الكتب

- بن عيسى حنفي (1993): محاضرات في علم النفس اللغوي، ط4، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- بوحوش عمار (د. ت): نظرية التنظيم، مكتبة الشعب.

- خليل عبد العال خليل زايد (2014): عبقرية اللغة العربية وجمالياتها، ط1، المنتدى الإسلامي/ الشارقة.

- سلامة عبد الرحمن (1981): التعريب في الجزائر (من خلال الوثائق الرسمية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر.

- عبد الحميد سامح (د. ت): كيف تكون فصيحا، تقديم: ياسر برهامي، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع/ الاسكندرية.

- كرامش كلير (2010): اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيمي، مراجعة: عبد الودود العمراني، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر.

- المسدي عبد السلام (1986): اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر/ تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر.

**ب) المقالات**

- صاري محمد (2016): اللغة العربية وآليات توليد ألفاظ الحضارة، مجلة أبوليوس، جامعة محمد الشريف مساعدية -سوق أهراس-، الجزائر، العدد الرابع.

- طوقان قدري (2016): الأسلوب العلمي عند العرب، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، عدد مزدوج 88/ 89.

- قنيني حامد صادق (1993): العلاقة بين المصطلح واللفظ الحضاري، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد45.

# الآليات اللّسانية لتطوير دراسة الصورة الإشهارية عند الباحث المغربي أبو بكر العزاوي

## قراءة المشروع من حيث الحدود والآفاق


**عز الدين لعناني**

**جامعة سطيف 2**


**المداخلة:**

تعدّ الصورة الإشهارية في المشهد المعرفي الحديث ظاهرة مركزية تزداد خطورتها يوما بعد يوم وذلك لأثرها العميق في لا وعي الإنسان ولفوائدها الاستهلاكية الجمة؛ فهي قوة ميديولوجية بامتياز تجعل من الفكرة البسيطة قوة مادية، ولكسبها دعا الباحثون أنفسهم من مختلف المجالات المعرفية لمقاربتها وتطوير آليات تحليلها، وقد كان للبيئة الغربية في ذلك أعلام مثل: Michele Pauget, Odile leguern...، وفي البيئة العربية دعا الباحث المغربي أبو بكر العزاوي من موقع اللّساني نفسه لتطوير آليات تحليلها اللّسانية بالعربية مثل الذي اقترحه في مدونته " الخطاب الإشهاري- الصورة الإشهارية والحجاج الأيقوني-"، فحدث له أن أجاب عن كمية ذات بال من الإشكالات التّي طوعها آليات نظرية وتطبيقية، فدرس؛

إمكانية قيام حجاج لغوي للصورة الإشهارية؛

إمكانية تطبيق نظرية الحجاج اللّغوي على الخطاب البصري والمكونات الأيقونية؛

إمكانية مفاوضة مسافة التداخل والتكامل بين المكون الأيقوني والمكون اللّغوي الخالص.

وقد تغيا بهذا فتح المجال لتطوير آليات الحجاجيات اللّغوية العربية النظرية والتطبيقية لتشمل مختلف الخطابات خصوصا البصرية...

وعليه فالآليات النظرية والتطبيقية التّي أتاحها هذا الباحث جديرة بالدراسة، إذ تعدّ دراستها إحدى أهم المقاربات التّي تسعى لتقيّيم حدودها نظريا وتطبيقيا بالفحص والنقد والإكمال. وعليه نحدّد البحث بالأسئلة التالية: **ماحدود آلياته النظرية والتطبيقية التّي تسعى لتطوير النظرية الحجاجية اللّغوية العربية الحديثة في مجال الصورة الإشهارية تحديدا؟ وماهي مصادرها وخلفياتها النظرية في ذلك؟ وهل هناك محدودية في آدائه التطبيقي؟ وماهي المساحات الشرخة بين تنظيره وتطبيقه؟ وهل يمكننا استغلال إمكانات مشروعه لندعمها بالبحث والتحليل ونتباحث آفاقها لإتاحة آليات جديدة؟**

## اللّغة الميديائية ذات النزعة الإشهارية في المشهد الرأسمالي الحديث:

يقول أحد علماء الدعاية السياسية سرج شاخوتين:" إنّ ما يميّز الحشد، وكذلك الجمهور، هو هيمنة تجليات الحياة العاطفية على الاستدلال: إنّ انتباه حشد ما ولو كان متألفا من عناصر على قدر كثير أم قليل من الثقافة، ومنضبطة وعاقلة، يمكن أن ينحرف وأن ينجذب إلى أفعال تافهة، مؤثرة في

الحواس والرؤية والسمع" [1]. ويضيف أحد الباحثين المرموقين في الإشهار وهو س.ر. هاس:" يتميّز الحشد عن مجرد تصاحب الأفراد بكونه يتمتع بحياة جماعية واحدة، وبنفس جماعية، وهذا مهما كانت خصائص الأفراد الذين يؤلفونه. إنّنا نلاحظ أنّ بعض الأفراد المجتمعين يمكنهم أن يتصرفوا كحشد أم لا، تبعا لكون الموضوع الذي ينصب عليه اهتمامهم أو نشاطهم مندرجا أو غير مندرج في تخصّصهم؛ إنّ بعض الرجال الأذكياء أو النخبة العالمة مثلا إذا كانوا يحلّلون مسألة علمية، يعتمدون الاستدلال القائم على أساس منطق فكري صارم، إلاّ أنّه بمجرد حدوث عارض أو طارئ لا يكون من طبيعة علمية، فإنّنا نشهد نفس التجمع لا يعود يستدل إلا بمنطق الإحساسات والمنطق الجماعي المميّز للحشود." [2] إنّ فكرة الحشد والجمع هاته تستغلها النظم الرأسمالية التّي تغطي على المشهد السوسيوتاريخي المعاصر لدعم مبادئها وبرامجها وتسويق إنتاجها. وفعلا أسّس للخطابة الميديائية التّي تقبض على الجميع وبالحشود سواء بوعي منهم أم بغير وعي فالجميع ينخرط لأنّ الخطاب العام واللّغة الجماعية تتمّ في الوسائط المحيطة بنا أو التي أصبحت جزءا منا بحكم حمل هاته الوسائط للّغة التّي هي ملك الجميع، إن بطريقة أخلاقية أو غير أخلاقية. والجميع مطالب في هذه المنطقة شاء أم أبى بتتبع

---

[1]- C.R.Haas , pratique de la publicité, éd. Dunod, paris, 1998, p, 171.
نقلا عن محمد الولي: تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس فيدر، ضمن: البلاغة والخطاب، ص68.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008،، ص180.

لغته سماعا ومشاهدة ونقدا إكمالا قبولا رفضا في إطار الحوار الفكري المحمول لغويا الممثل لخصائص العولمة الجوهرية لأنّ الأمر يضايقه من كل جهة، بل من ذاته لأنّ اللّغة مركوزة في ذاته. لقد أثبتت اللّغة سلطتها في هذا الأمر، فهي قيمة رئيسية في المجتمع الحواري هذا الذي يسعى لاستغلالها فتسيّرها تأثيريا، فاللّغة ظاهرة :" وجودية ظاهراتية في آن، وعمادها مقولة هايدغر التّي اعتبر فيها اللّغة هي الوجود، وأنّها الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يثوي في طبقاتها كل شيء، وفي رحمها كذلك تتصارع عوامل التأثر والتأثير معا" [1] وهو أمر:" يجعل اللّغة باعتبارها أساس تشكيل هذا المجتمع الجديد ، تدخل في قلب الصراع، أو قل هي من بيده حسم المواجهة، فهي ذات قيمة سوقية بالدرجة الأولى، على اعتبار أنّها بضاعة يتّم تسويقها ، فتكتسب قيمة تبادلية" [2]. ولذلك فعلى محلّل الخطاب أن يتموقع في:" مجتمع جديد هو المجتمع الإعلامي، الذي تلاشت على سطح نصه الالكتروني الحدود والخصوصيات، بل تآكلت الهويات واضمحلت الفروقات بين الشعوب والثقافات، إذ أن التبادل الرقمي الخارق للحدود العابر للقارات قد أعلن عن ميلاد مجموعات بشرية جديدة، يصطلح عليها المجموعات الافتراضية، التّي لا ترضى بمنطق المجتمعات القديمة، حيث يشترط مراعاة الروابط اللّغوية والعرقية والدينية لقيام مجتمع، إنّه المجتمع الافتراضي/ الأثيري، القائم على برامج المعلومات وشبكات الاتصال، في عالم اصطناعي

---

[1]- عبد الغني بارة: الفلسفة والهرمنيوطيقا – نحو مشروع عقل تأويلي–، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص394.

[2]- المرجع نفسه، ص400.

يقوم على الخيال الوسائطي / الميديائي" [1] وبهذا تتيح اللّغة نصا/ حوارا متوجها إلى المستقبل والذي يشكّل الخيال فيه عنصرا رئيسيا، نص تتشابك فيه الحواس والأمور المادية والأشياء والقضايا المعنوية التّي جمعتها اللّغة رقميا، فالحديث عن النص المعاصر هو حديث عن تدخل السمعي البصري والمرئي فيه، فالمجتمع المعاصر يحمل هذا النص/ الحوار/ الصورة بامتياز، وبهذا التدخل أصبحت الصورة تحاورنا محاورة تأثيرية أنيقة ذات حضور دائم. فهي معادلة إشهارية محببة للإنسان المعاصر وعليه؛ فالإشكالية التأثيرية أصبحت هي البؤرة التي تراهن عليها المجتمعات الحديثة، سواء على المستوى المادي أم المعنوي، خصوصا المستوى المادي الذي حملته الصورة فغطى على الجانب المعنوي حديثا* فالبنسبة للجسد مثلا يؤكّد "دايفيد لوبروتون" هذا الأمر قائلا:" إنّ الجسد في مجتمعاتنا الغربية، هو إذن علامة الفرد، ومكان اختلافه وتميّزه" [2] فجسد الفرد والأمر كذلك؛ هو تجميل وجذابة ولطافة تأثيرية تتغيا الإقناع بالاختلاف والنجومية والتميّز. وقد دعت النظم الرأسمالية الإنسان المعاصر للانخراط والاندماج في معادلة الإنتاج

*- وذلك بسبب اختراع الآلات وأجهزة الميديا التي عدلت كثيرًا من المعاملات التأثيرية التي كانت تتم بطريقة لغوية محضة ، فأصبحت التعابير اللّغوية مصحوبة بتمثيلات صورية، مثلما يتم في السنيما، المسرح، الأغاني والكليبات، الرسوم المتحركة،....فاللّغة غدت تحقّق انسجامها بالتموقع داخل الآلة/ الصورة، فمهمة اللّغوي حينئذ تسيير المعلومة بطريقة حجاجية تأثيرية الكترونية.

[2]- دايفيد لوبروتون: أنثروبولوجيا الجسد والحداثة: تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1997، ص07.

والاستهلاك المادي والمعنوي [1] وذلك بمرافقة الصورة الإشهارية لذلك؛ مستغلة في ذلك اللّغة لتقوم هنا بدور الوسيط في الترويج للمعادلة وبحث سبلها الإقناعية، فغرست في الإنسان بذلك :" الإقبال على السلعة لما يستحدث فيها من تطورات إمّا في مظهرها أو في فعاليتها وهي تطورات مفتعلة ولكنّها تقدّم في صيغة مفتعلة" [2]. هكذا إذن الايديولوجيا تمارس نموذجها بطرق مخادعة مستغلة كمية من الجمهور ذات بال، فقد شكلت أجهزة الميديا المستغلة باللّغة صدمات على الإنسان المعاصر لوقت طويل لتميّزها بالذكاء الصناعي الذي ليس متاحا لكل إنسان، وإنّما تملكه مجموعات بشرية قليلة يساعدها على تجسيد فعل الهيمنة وحيازة المعلومات ورميها في الضعفاء والجمهور الكثير على شكل نتائج عجيبة سريعة الواحدة تلوى الأخرى فيصعب بذلك تتبع أسبابها ليزول عجبها، إنّها الهيمنة أو الصراع من أجل رأس مال يتمثل في ملكية المعلومات بلغة إقناعية مموقعة في الوسائط أو الميديا، مثلما كان تقليديا أو في سياق قديم تتملك الأراضي والحقول الزراعية وبعض الآلات ، وعليه فالأمر ليس إنتاجا فحسب بل هذا

[1]-. حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب، منوبة، سلسلة آداب، مجلد، ص43.

[2]- حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب، منوبة، سلسلة آداب، مجلد، ص43.

الإنتاج يرافقه أو يركز فيه خطاب لغوي يتميّز بالبعد الإقناعي يعمل على الإشهار والتسويق، فاللّغة الميديائية بهذا التصرف تحتاج إلى متلق من جنس ذكائها وإلاّ انخرط فيها بدون شروط، هذا من جهة إذا اعتبرنا الميديا ايديولوجية وناعمة برؤية "بورديو"، ومن جهة إذا جردنا الميديا من الايديولوجيا وجعلناها حسنة النيّة فإن الإنتاج والسلعة المادية والمعنوية التّي تتموقع في الآلات _مهما كان_ تحتاج إلى خطاب لغوي إقناعي يشهرها ويسوّقها فيكرّر محاسنها. وعليه فالإشهار اللّغوي والتوجيهات الإقناعية الحجاجية تتّم من أجل البضاعة مهما كانت النوايا حسنة أم سيئة. وهو الأمر الذي يحوّل اللّغة إلى إشهار حجاجي مركوز فيها وهذا أمر غاية في الطبيعية، وقد أحسن كبير الحجاجيّين اللّسانيّين أداء هذا الوصف فقال:" إنّ كل كلام هو إشهاري في جوهره. وليس الكلام إشهاريا، فقط لكونه يحمل بعض المعلومات التّي تجدها تفرض بعض النتائج؛ إنّه إشهاريّ، لأنّ قيمته الداخلية تطابق المتتالية التّي يعلن عنها ذلك الكلام. إنّ ما يريد قوله، هو ما يريد أن يجعل الآخر يقوله. هكذا تقدّم ملفوظاتنا ذاتها بمعزل حتّى عن كفاءتها في تأسيس برهنة، بوصفها أصل خطاب حجاجي أو استمرار له." [1]

وقد أقام هذا العالم اللّساني الحجاجي درسا للكلام الإشهاري أسماه الحجاجية اللّسانية ليعقلنه ويضبط حدوده، ويقلص من مبالغاته التأثيرية، هناك في فرنسا علامة الموضة والتسويق المادي والمعنوي ورأس المال.

---

[1]– أوزوالد دكرو: السلالم الحجاجية، تر: صابر الحباشة، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته – دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة– ، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث،، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص74.

وقد دعا الباحث المغربي أبوبكر العزاوي نفسه للارتباط به للأهمية ذاتها، فاستضاف نظريته وبيّئها باللّغة العربية دعما وتطويرا لها ولآلياتها. ولذلك نحاول تاليا أن نراقب الحجاجية اللّسانية التأثيرية الإشهارية التي يطرحها.

**أبوبكر العزاوي وخياره النظري المنهجي:( دراسة نسقه الحجاجي):**

إنّ القارئ المتأمل لمشروع الباحث يجده مشروعا يحاول فيه صاحبه أن يساير النسق الحجاجي اللّساني لصاحبه الفرنسي "أوزوالد دكرو" ، فالحجاجيات اللّسانية هي الزاوية التّي ارتكن إليها الباحث ومثلت بالفعل خياره النظري والمنهجي والذي سيكون له أبعادا تطبيقية اختبارية على العربية.

وبهذا التموقع نجد العزاوي يقدم قيمة النظرية في إطارها اللّساني فقال:" نظرية الحجاج في اللّغة نظرية دلالية حديثة تقدّم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدّم أيضا أفكارا ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللّغوية... وتمكنت هذه النظرية من التغلب على كثير من المشاكل والصعوبات التّي كانت تعترض المقاربات الوصفية والماصدقية للمعنى، وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق(La vérité)...وتندرج ضمن تيار حديث في الأدبيات اللّسانية، لايعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للّغة، بل إنّه على العكس من ذلك، يسند إليها دورا ثانويا" [1] ويسند العزاوي –ملتحقا بدكرو- الدور الأساسي والأول للوظيفة الحجاجية والتّي تملك منطقا خاصا هو منطق

[1]- أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللّغة، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء،ط1، 2007، ص08/ 09.

الخطاب / المنطق الطبيعي للّغات ، وعليه يعلن الحجاج في إطار المنطق الطبيعي مميّزا إيّاه عن البرهنة فيقول:" ومن هنا وجب التمييّز بين الاستدلال(raisonnement) والحجاج (argumentation) لأنّهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين، نظام ما نسميه عادة ب"المنطق" ونظام الخطاب. إنّ استدلالا ما( القياس الحملي أو الشرطي مثلا) لا يشكل خطابا بالمعنى القوي الذي يعطيه دكرو لهذا المصطلح. فالأقوال التي يتكون منها استدلال ما، مستقلة بعضها عن بعض، بحيث أنّ كل قول منها يعبّر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيا أو متخيّلا. لهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنّه مؤسّس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله وتفترضه بشأن العالم، أما الحجاج فهو مؤسّس على بنية الأقوال اللّغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[1]. في هذا المفهوم نلحظ البعد المنهجي الذي يحمل بعدا ابستمولوجيا، ذلك أنّ التعريف مصحّح عن البنية المنطقية الصورية التقليدية مموضعا في بنية الخطاب أو منطق الخطاب.

إذن وجد العزاوي ضالته في هاته النظرية التّي منطقها هو المنطق الطبيعي للّغات، فهاته النظرية أثمرت أجهزة واصفة للّغة انطلاقا من المنطق الطبيعي ذاته، ممّا دعاه إلى إقامة المعاملة معها. لا سيّما وأنه باحث في الدراسات اللّغوية العربية، والتّي زادته طموحا وذلك لافتقارها تلك القيّم المنهجية، يقول العزاوي في أمر العربية:" أما فيما يتعلق باختيار الحجاج في اللّغة العربية موضوعا لهذا البحث، فإنّ ذلك يرجع إلى خلو الساحة العربية من مثل هذه

[1]- المرجع نفسه، ص17.

المواضيع، في الوقت الذي حظي فيه موضوع الحجاج ومنطق اللّغة والمنطق الطبيعي باهتمام كبير من قبل الأوساط العلمية الأوروروبية ، فألفت فيه عشرات الكتب والدراسات. وخصّصت له ندوات ورسائل جامعية عديدة." [1] (و المتابع لمدونة العزاوي يجده يصب في مرميين: تأكيد فر ضية الطبيعة الحجاجية للّغة الطبيعية دعما لدكرو. تأكيد فرضية الجوانب الحجاجية للّغة العربية في مستويات عديدة( أهمها الصورة الإشهارية والمستوى البصري) دعما للعربية كلّغة طبيعية.)

ونشير بأنّه وكأيّ مشروع يقيم معاملة التلقي فإنّ هذا التلقي دعا الباحث إلى تعريف القارئ العربي بالنظرية الحجاجية اللّسانية في زاويتها المحدّدة، كما هي عند دكرو؛ فجهده والحال تلك هو جهد تعريفي بالتنظيرات وتطبيقات تلك التنطيرات بالأمثلة كلما دعت الحاجة، غير أنّ الذي يهمنا فعلا بالنسبة لموضوعنا هو الآليات النظرية والتطبيقية الحجاجية للصورة الإشهارية، التي تمثل عنده إضافة إبداعية للنظرية ذاتها وللّغة العربية في الآن ذاته. وهذا الإبداع يشتمل على أمور نظرية مدعمة بالتطبيق.( فالتغير أصاب النظرية وتطبيقها بسبب حمل الصورة الإشهارية للمكون الأيقوني الذي هو دخيل على النظرية ذات المكون اللّغوي الخالص؛ لذلك سنلاحظ تغيرا توسيعيا يمس مفهوم الحجاج ذاته).

---

[1] - أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللّغة، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء،ط1، 2007، ص09.

**الحجاج اللّغوي الخالص والحجاج الأيقوني و إحداث النسق الواحد من قبل العزاوي:**

استدعى العزاوي مصطلح الصورة لدراسته وذلك لازدياد أهميته يقول العزاوي:" وتنبع أهمية الصورة وخطورتها في الآن نفسه من ارتباطها بالإدراك والتصور والخيال والوعي واللاوعي والفهم والتمثيل والخلفية المعرفية، ومن ثم كانت جوانبها ومظاهرها عديدة ومتنوعة. فالصورة لها جوانب جمالية وتربوية ولغوية ونفسية ومنطقية وهندسية واجتماعية وايديولوجية وفلسفية وحضارية. وقد ازداد الاهتمام مؤخرا، بموضوع الصورة وأنماطها لأهميتها وخطورتها وتأثيرها العميق في لاوعي الإنسان ولا شعوره ولفوائدها الجمة فألفت فيها عشرات الكتب والأبحاث، وعقدت بشأنها ندوات ومناظرات ولقاءات علمية شارك فيها باحثون ينتمون إلى حقول معرفية مختلفة" [1] . وتبرز أهمية الصورة عنده بالضبط من خلال دراسته للصورة حجاجيا وإثبات الحجاج فيها" [2].

ولذلك نجد العزاوي يشير بأنّ الحجاج طبيعي في الصورة الإشهارية وهي مهيئة لذلك يقول :"نعرف أنّ التصور العام والشائع للحجاج هو أنّه نشاط خطابي لغوي. فالخطاب الحجاجي حسب عدد كبير من الدارسين، مناطقة ولغويين وبلاغيين وفلاسفة...، يتمثل في التأليف بين مجموعة من القضايا تهدف كلها إلى إثبات صحة قضية أخيرة تقدم باعتبارها النتيجة لهذه المتوالية

---

[1]- أبو بكرالعزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007،ص100.

[2]- المرجع نفسه، 101.

الاستدلالية. لكننا لا نستطيع مع ذلك أن نلاحظ أنّ الصورة وسلطتها الإقناعية قد استغلت بشكل كبير في حضارة تتجه نحو الاستغناء عن الكتابة، وتفضّل عليها أشكالا تعبيرية أخرى قادرة على خلق استجابة أكثر سرعة، ومشغلة لميكانزمات اللاوعي بشكل عميق، ثم إنّ التعرف على واقع هذه السلطة الإقناعية يدفعنا إلى دراسة الإمكانات الحجاجية للصورة ولاشتغالها. ووجود هذه الإمكانات لا يشك فيه أحد، ولو أنّه لم يظفر لحد الآن بدراسة نسقية. والمهتمون بالحجاج يقع تركيزهم على الخطاب اللّغوي، وعلى الإمكانات والأدوات التعبيرية التّي تمدنا بها اللّغات الطبيعية" [1]

ولأجل ذلك اعتقد أنّه من الشجاعة بمكان تطوير نظرية الحجاج اللّغوي الخالص (مجال اشتغاله)، فوسّع مجالها يقول:" إننا نعتقد أنّ هذه النظرية الأخيرة قابلة للتطوير، و أنّه يمكن توسيع مجال تطبيقها ليشمل مختلف النصوص والخطابات الأدبية والفلسفية والسياسية والإشهارية والسينمائية والبصرية. فنحن نميّز عادة في الخطاب –أي خطاب – بين ثلاثة مستويات: مستوى معرفي ذهني(Cognitif) مستوى أداتي، مستوى سوسيوثقافي. وهذا ينطبق على الخطاب البصري، وعلى الصورة الإشهارية أو السينمائية، وهو مايدفع إلى التفكير في دراسة الجوانب الحجاجية لهذه الأنماط الخطابية الأخيرة، وللمكونات الأيقونية بشكل خاص" [2]. وهو إذ يفعل ذلك أي يوسع في مجال الاشتغال؛ فإنّه يغيّر بالضرورة في مفهوم الحجة والنتيجة اللّذين هما معتمد النظرية الحجاجية اللّغوية الخالصة(تقنيا) ليصبحا

[1]- المرجع نفسه، ص 103/ 104.

[2]- أبو بكرالعزاوي: الخطاب والحجاج ،ص 104/ 105. .

يستوعبان المجالات التواصلية الأخرى غير الطبيعة اللّغوية ليصل في الآن ذاته إلى مفهوم ملائم للحجاج يستوعب إضافاته ومجالاته الجديدة يقول:" ولكن إذا كان في المستوى اللّغوي نتحدث عن الحجج والنتائج باعتبارها عناصر دلالية، فالحجج قد تكون كلمات أو جملا أو فقرات بأكملها، ولكن الذي يقدم باعتباره حجة هو عنصر دلالي ما، ولا تهمنا تحققاته وتمظهراته الشكلية والمادية التي تختلف من سياق لآخر ومن حالة لأخرى، فإنّنا هنا في مستوى أعم نتعامل مع أشكال عديدة من التواصل (الكلامي، الأيقوني، السلوكي...) نحتاج إلى توسيع التعريف الذي قدمناه لمفهوم الحجة، وبالتالي لمفهوم الحجاج حتّى يشمل مختلف أنماط العملية التواصلية. فالتواصل قد يكون لغويا أو غير لغوي، والحجاج يكون هو الآخر بوسائل لغوية وأخرى غير لغوية. وإذا كان الأستاذ طه عبد الرحمان قد قال في بحثه الذي يحمل عنوان" التواصل والحجاج" ما نصه:" لا تواصل باللّسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل باللّسان" فإنّنا نعدّل هذه القولة ونوسّع مجال تطبيقها فنقول:" لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل"، فيكون الحجاج مرتبطا بكافة أشكال التواصل." [1] وقد اقترض لذلك نظرية الدلالة التصورية لـ : (جاكندوف ، 1983 Semantics and cognition) على سبيل الاستعانة لدمج المكون الأيقوني في التحليل، ومفاد هذه النظرية عنده فيما نقل عن جاكندوف:" إنّ البنيات الدلالية يمكن أن لا تكون إلاّ مجموعة داخل

---

[1] - المرجع نفسه ص105.

البنيات التصورية، وهي بالضبط البنيات التصورية القابلة لأن يعبّر عنها كلاميا" [1].

واختار العزاوي من هذه النظرية القيد المعرفي شارحا إيّاه بالطريقة الحجاجية التّي تعوّد أن يحلّل بها فقال:" وهذا القيد يسلّم بوجود بنية تصورية انطلاقا من الملاحظة المزدوجة لقدرتنا على التعبير كلاميا عن دخل حواسي Imput Sensoriel وعلى تنفيذ الأوامر والتعليمات المنقولة إلينا كلاميا... "يوجد مستوى وحيد للتمثيل الذهني- وهو البنية التصورية- تكون فيه المعلومات اللّسانية والحواسية والحركية متلائمة بشكل أفضل" ففي هذا المستوى ستتم معالجة كافة أشكال التواصل اللّغوي والأيقوني بطريقة موحدة وأدوات متماثلة. ففي البنية التصورية ستتحدث عن عناصر تصورية، هي التّي تتم معالجتها في هذه البنية، أما العناصر الدلالية المرتبطة بالخطاب اللّغوي أو بالتواصل باللّغات الطبيعية فهي جزء من هذه العناصر التصورية. ولهذا فإنّنا إذا كنا بصدد دراسة الخطاب البصري المكون من أيقونات (الأشياء، الألوان...) أو التواصل السلوكي(Non verbal) فإنّ الحجج والنتائج ستكون في هذا الإطار عبارة عن عناصر أيقونية أو سلوكية، وستكون في الوقت نفسه عناصر تصورية وذلك في مستوى البنية التصورية. وتتفاعل هذه الأنماط من التواصل غير اللغوي مع التواصل اللّغوي

[1]- المرجع نفسه، ص106.

وتتكامل معه داخل العملية التواصلية الكبرى لتحقيق نفس الأهداف والغايات المتوخاة" [1]

وللأمر هذا وعند مناولته المكونات الأيقونية واللّغوية فإنّه لا يفرق تحليلهما في البنية التصورية عنده، فحدّد موقفا:" الموقف الذي نتبناه نحن مبدئيا( فنحن لم نطلع على كثير ممّا أنجز بخصوص هذا الموضوع في كثير من المجالات العلمية)، ويتمثل في أنّ العناصر الأيقونية تعالج بنفس الطريقة التي تعالج بها الوحدات اللّغوية في البنية التصورية، فهذه البنية تعتبر المستوى الوحيد للتمثيل الذهني الذي تعالج فيه- وبشكل متماثل وملائم- كافة المعلومات اللّسانية والحركية والحواسية ( L'inguistiques, Mortices et sensorielles) فنحن نعبّر حواسيا عن دخل كلامي، ونعبّر كلاميا عن دخل حواسي، ونعبّر أيضا حركيا عن دخل حواسي أو كلامي، ويمكن أن نعدّد الأمثلة في هذا المجال، فلا فرق بين الحجاج الأيقوني والحجاج اللّغوي، ويمكن تعميم نموذج جاكندوف على كثير من الظواهر، وإن كان هناك الكثير مما ينبغي أن ينجز خاصة في المستوى التمثيلي الإجرائي." [2]

**النسق النظري في نسق تطبيقي:** طرح العزاوي لأجل هذا كمية من الأسئلة ذات بال يهدف فيها إلى مفاوضة المسافة الموجودة بين المكون اللّغوي الخالص والمكون الأيقوني فقال :" عندما تشتمل الصور على مكونات أيقونية فقط ( وربما مع اسم المنتوج) فهنا ستوظف الأيقونات

---

[1]- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص106./ 107.

[2]- المرجع نفسه، ص 116/ 117.

باعتبارها حججا، وسنتحدث بالتالي عن الحجاج الأيقوني، لكن عندما تشتمل الصورة على جمل وأقوال توظف حجاجيا وتتضمن في الوقت نفسه أيقونات عديدة( الأشياء Ojects، الألوان...)، فهل هذه الأيقونات لها وظيفة حجاجية؟ وهل هناك بالتالي علاقة بين المكونات اللّغوية والمكونات الأيقونية من المنظور الحجاجي؟ وما طبيعة هذه العلاقة؟ وبعبارة أخرى: هل توظف هذه المكونات كلها حجاجيا؟ وإذا كان الأمر كذلك فما العلاقة بين النمط الأول والنمط الثاني؟ وهل الأمر يتعلق بتوزيع تكاملي، بمعنى أنّ المكونات اللّغوية تكون لها وظيفة حجاجية والأيقونات تكون لها وظائف أخرى( تأكيد، توضيح، تمثيل،...)؟ "[1] هذه الأسئلة تعدّ استشكالا عميقا يحث على ايجاد إجابات مقبولة( جزئية بلغة الحجاجيين) إجابات ممتصة من خلال إحداث التفاوض بين المكون الأيقوني والمكون اللّغوي الخالص، إذ نعد حسب العزاوي المكون الأيقوني عنصرا دلاليا/ حجة موجود من أجل المكون اللّغوي الخالص الذي هو عنصر دلالي/ حجة لأجل نتيجة واحدة هي التكامل والتعاون والتضامن للتأثير كتلة واحدة، ولذك يجيب العزاوي عن هذا الطرح النظري بلغة تطبيقية محثوثة نظريا فيقول:"إنّنا نعتقد أنّ هذين النوعين من المكونات( اللّغوية والأيقونية) يوظفان معا حجاجيا، وأنّ التكامل والتفاعل بينهما يهم الجوانب الإخبارية الإعلامية كما يهم الجوانب الإقناعية الاستدلالية، إلاّ أنّ النص اللّغوي يؤدي وظيفة أساسية تتمثل في تحديدد الوجهة الحجاجية للخطاب، وتتمثل كذلك في تقييد وحصر الإمكانات التأويلية الدلالية والحجاجية، ويتم هذا التفاعل والتكامل

[1]- أبوبكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص110/ 111.

بأشكال عديدة وفي مستويات مختلفة وتؤدي كلها نتيجة واحدة ووحيدة، فلو أخذنا الصورة 3 التي تتضمن إشهارا للسجارة( لاكي سترايك)، والتّي تتضمن نصا لغويا إلى جانب العناصر الأيقونية، فإنّنا نجد نمطا أولا من التكامل ما بين مكونات الصورة اللّغوية الأيقونية . فهنا صورة رجل ضخم الجثة، يمتطي دراجة نارية يدخن سجارة" لاكي سترايك"، وإلى جانب هذه الصورة هناك النص اللّغوي الذي يقول: " السيجارة الأمريكية الأصيلة مصنوعة في الولايات المتحدة الأمريكية"، وهو مكتوب باللّغتين العربية والإنجليزية. الشيء الذي جعل فضاء الصورة فضاء أمريكيا بشكل تام ومطلق، فالشخص الموجود في الصورة ذو ملامح أمريكية( سحنته، ارتداؤه ل" الدجين"...) والسيجارة أمريكية ( لاكي سترايك) اسما وصنعا وموطنا، والنص اللّغوي مكتوب بالإنجليزية، ثم إنّه يؤكد أنّ السيجارة أمريكية أصيلة وأنّها مصنوعة في الولايات المتحدة الأمريكية، إذن التكامل واضح وبيّن في هذا المستوى الأول، فما يقوله النص اللّغوي تعبّر عنه الأيقونات أيقونيا. أما إذا انتقلنا إلى مستوى آخر، فإنّ التكامل يكون مرتبطا بالاختلاف القائم بين اللّغة الأيقونية واللّغة الكلامية، وكثيرا ما تلجأ الصورة الإشهارية إلى النمط الأول، بل وتكتفي به في أحيان كثيرة. والحجتان الأساسيتان الواردتان في هذه الصورة –لغويا وأيقونيا– هما:

السيجارة الأمريكية.

السيجارة أصلية.

فالحجة الأولى هي أنّ السيجارة أمريكية، بل وهناك تأكيد على أنّها مصنوعة في الولايات المتحدة الامريكية، وهذه الحجة معبر عنها باللّغة الإنجليزية لتأكيد المصدر الأصلي للسيجارة( أمريكا) ولتنسجم المكونات اللّغوية مع المكونات الأيقونية، فالنص اللّغوي اعتمد اللّغة الإنجليزية وهذا على مستوى الأداة والوسيلة، أمّا على مستوى المضمون والمحتوى فإنّه يقول إنّ السيجارة أمريكية، فهناك تكامل وانسجام داخل النص اللّغوي بين الأداة والمضمون، وهذه المكونات اللّغوية تتكامل وتنسجم مع الأيقونات، وبالضبط مع صورة العلبة التي كتب على غلافها(Made in USA ) وقد عبّر عن هذه الحجة أيضا باللّغة العربية لأنّ المتلقي هنا هو العربي، فالصورة الإشهارية منشورة باحدى المجلات العربية( الحوادث)، أما ما يعنيه التأكيد على أنّ السيجارة أمريكية فهذا بديهي ومعروف، فلفظة أمريكا يرتبط بها، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، إطار معرفي ودلالي تتمثل عناصره في الدولة العظمى- الصناعة والتكنولوجيا- القوة والعظمة- التقدم...

أما الحجة الثانية فهي أنّ السيجارة أصيلة وأنّها مصنوعة فعلا في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنّها لا تحمل طابعا مزوّرا، وهذه الحجة تابعة للحجة الأولى، وبهما معا تكتمل الصورة، وتكتمل وسائل التأثير والإقناع، ويتم نقل النموذج الأمريكي المراد نقله( اللّباس، الدراجة، السيجارة، اللّغة،...) وتكون النتيجة المقصودة التي تؤدي إليها الحجة اللّغوية والحجة الأيقونية هي من نمط( هذه هي سيجارتك) أو ( هذه سيجارة أمريكا) أو

( هذه سيجارة الدولة العظمى) أوهذه سيجارة الأقوياء)،( سيجارة الصناعة والتكنولوجيا) إلى غير ذلك." [1]

**خاتمة:**

الإنتاج والسلعة المادية والمعنوية التّي ينتجها الإنسان المعاصر والتّي تتموقع في الوسائط تحتاج إلى خطاب لغوي إقناعي يشهرها ويسوّقها فيكرّر محاسنها. وعليه فالإشهار اللّغوي والتوجيهات الإقناعية الحجاجية تتّم من أجل البضاعة مهما كانت النوايا حسنة أم سيئة. وهو الأمر الذي يحوّل اللّغة إلى إشهار حجاجي مركوز فيها وهذا أمر غاية في الطبيعية ، وهو الذي دعا العالم اللّساني الحجاجي أوزفالد دكرو لإقامة درس للكلام الإشهاري أسماه الحجاجية اللّسانية ليعقلنه ويضبط حدوده الإشهارية، ويقلص من مبالغاته التأثيرية، هناك في فرنسا علامة الموضة والتسويق المادي والمعنوي ورأس المال.

وقد دعا الباحث المغربي أبوبكر العزاوي نفسه للارتباط به للأهمية ذاتها، فاستضاف نظريته وبيّئها باللّغة العربية دعما وتطويرا لها ولآلياتها. فقدّم آليات نظرية وتطبيقية؛ هاته الآليات النظرية والتطبيقة إبداعية اختص بها في تحليل الصورة الإشهارية. وعليه يمكن أن نصف خطابه من حيث النتائج:

تبنى نظرية دكرو الحجاجية وطّورها فأصبحت تشمل المكون الأيقوني والمكون اللّغوي الخالص مساواة.

---

[1]- أبو بكر العزاوي: الحجاج والخطاب، ص 111/ 112/ 113.

تناول هذا الأمر باللّغة العربية فهو هدف إلى تطوير آليات اللّغـة العربيـة لتستوعب المحيط المعرفي المستجد بحوادثه.

دراسته هاته تحث على آفـاق جديـدة وهـي تطـوير آليـات تحليـل اللّغـة الميديائية (ومناولته كانت باللّغة العربية).

# سبل ترقية اللغة العربية في المجال التربوي.

د. عميروش حورية

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم اللغة العربية وآدابها

## مدخل:

### مفهوم اللغة وأهميتها:

اللغة وسيلة تواصل اجتماعي فعال، بفضلها يقوم الإنسان بأداء شؤونه المختلفة من إيصال للأفكار والعواطف والانفعالات، فالإنسان حيوان رمزي كما قال كاسيريه الفيلسوف الفرنسي، فلولا تلك الرموز التي تواضع عليها أفراد المجتمع لما تمكنوا من التعبير عن مقاصدهم، ولظلّت جلّ حاجاتهم حبيسة أنفسهم فسبل التواصل الأخرى تظل قاصرة عما تقوم به اللغة من وظائف جمّة بأيسر وأقصر السبل، فالوظيفة التواصلية للغة هي أهم الوظائف على الإطلاق التي تسمح للإنسان بالتفاعل الإيجابي مع أفراد مجتمعه وتسمح له بالفهم والتفاهم مع الغير والتأثير فيهم، وهي ترجمان الفكر وآلة للعلم.

لذلك يعدّ إتقان اللغة واكتساب القدرة والمهارة في تعلمها وأدائها ضرورة لا غنى عنها لكل متكلم بلغته لأجل التواصل السليم والفعال، فبها يتعرف على الآخرين، ويتواصل معهم وتستقيم حياته...

واللغة العربية واحـدة مـن أكثـر لغـات العـالم شـيوعا وتـداولا وأغناهـا وأخصبها، فيها ليونة ومرونة تساير بها العصر وهي تمتـاز بخصـائص ومزايـا مكنتها في ماضيها العريق من أن تكون وعاء فكر وحضارة أنارت على الأمم بشعاعها، وهـي اليـوم لا تـزال صـامدة في وجـه التحـديات الـتي تواجههـا ومحاولات طمسها واستبدالها.

وهي كغيرها من اللّغـات تلقـى اهتمامـا واسـعا مـن قبـل علمـاء اللّغـة والنفس والاجتماع والتربية كـل في مجـال اختصاصـه لأجـل النهـوض بهـا، ودراستها من حيث كيفية اكتسابها وتعلمها وتعليمها، وكذا كيفيـة تطويرهـا والرقي بها.

وتطـوير اللّغـة لأجـل مسـايرة تكنولوجيـات العصـر والحيـاة المعاصـرة يستوجب العناية بكل مسـتوياتها الصـوتية والصـرفية والمعجميـة والنحويـة والدلالية.

كما يدعو إلى الاهتمام بتطوير مهاراتها جميعا مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة ، والعمل على الازدهـار بالعربيـة والارتقـاء بهـا في كـل الميادين العلمية والتربوية والإدارية.

والسؤال المطروح هو كيف لنا أن نطوّر تعليم اللغـة العربيـة في مدارسـنا وجامعاتنا ؟ وكيف نمكّن للعربية في منظومتنا التربوية العربية ؟ وفي مجتمعاتنا المعاصرة ؟

ما السبل المعينة لنا لجعل العربية لغة قادرة على استيعاب الثـروة العلميـة والتكنولوجية العالية ؟

إنّ اللغة العربية تتسم بجملة من الخصائص التي جعلتها من أوفى اللغات وأرقاها في العالم فهي ثرية بأصولها لاشتمالها على أصوات قلّما توجد في لغات أخرى( ت، ض، غ، ظ ).

وهي لغة ترادف واشتقاق، وهذا ما يجعلها ثريّة الدلالة قادرة على النمو واستيعاب كل ما هو جديد.

إنها لغة إعراب به يمكن التمييز بين المعاني، وهذا ما يمكّن المتعلم من معرفة الفروق بين التراكيب والجمل، وهي تتسم بالتنوع في الجمل والأساليب ، وبالدقة والإيجاز، وهذا ما يتيح لمستخدميها القدرة على الإبداع.

هذه الخصائص وغيرها بوّأت العربية لأن تكون في عصور مضت أرقى اللغات وأكثرها ازدهارا لكن واقعها اليوم يندى له الجبين على كل المستويات، وهذا ما نحاول الوقوف عليه فيما يلي:

**واقع اللغة العربية اليوم وسبل علاجه:**

تعاني اللّغة العربية في عصرنا ضعفا كبيرا مسّ جميع جوانبها ومستوياتها، واستفحل في كل ميادين استخدامها ممّا جعل الغيورين عليها يدقون ناقوس الخطر وينادون بضرورة الاستنفار وبذل الجهود وتكاثف الأيدي لأجل إصلاحها والنهوض بها لمواكبة عصر العلم والتكنولوجيا.

إنّ مشاكل تدريس اللّغة العربية في الوقت الحالي لن يتم حلّها إلاّ بمحاولات جاد ة وحازمة في معالجتها وإرادة حقيقية لا تعرف التراجع ولا الخطابات الجوفاء، إذ يجب الاعتماد على بحوث علمية وميدانية واسعة

النطاق ليتبيّن بها وعلى أساسها الضعف الذي أصاب هذا التدريس، وبالتالي أنواع الحلول المناسبة...فإنّ الوعظ في ميدان اللّغة لا يكاد ينفع إذا لم يساعده العمل على تغيير الوضع التعليمي تغييرا جذريا، ولن يتم هذا في نظرنا إلّا إذا بني على أسس علميّة أي على ما توصل إليه وما سوف يتوصل إليه البحث اللّغوي وغيره كالبحوث التربوية والنفسية اللّغوية.

وهذا يقتضي" أولا استغلال الحصيلة العلمية التي يحققها العلماء في هذه الميادين، والقيام ببحوث ميدانية ومخبرية دقيقة على أساسها ومنوالها حتى ينكشف أولا الوضع الحقيقي للغة العربية في جميع المستويات وفي جميع البلدان العربية ونحصل بذلك على المعطيات الموضوعية التي لا تشوبها الأحكام الذاتية، ثمّ أن نتمكن بشتى أنواع التحليل الاستقرائي والإحصائي وغيرهما من معرفة العلاقات القائمة بين الظواهر المكتشفة والأسباب الحقيقية التي أحدثتها، ونتمكن بالتالي من إيجاد الحلول العلمية المناسبة." [1]

يرى عبد الرحمان الحاج صالح أن ضعف الملكة في اللّغة العربية عند كثير من الأفراد في الجامعة أمر ظاهر بيّن لا يحتاج لأن تكشف عنه البحوث الميدانية وأن الأمر الذي يجهل هو العلاقة التي تربط بين ضعف هذه الملكة عند الطلبة في الجامعة وقلّة إقبال الطلبة على الدراسة في أقسام اللّغة العربية مقابلة تضخمهم في الأقسام الأخرى ( العلوم الإنسانية ) وبين الظروف الاجتماعية والثقافية التي يعيشها المواطن العربي.[2]ذلك أن وصف هذه الظاهرة وتعليلها لا يكون إلا مع ربطها بباقي الظواهر التي تتصل بها، وعلى ذلك يرى الحاج صالح " أنّ النظر في تطوير تدريس هذه اللّغة لا ينفصل عن النظر في مشكلات تطوير اللّغة العربية عامة، ثمّ هذا أيضا لا

ينفصل عن النظر في كيفية استعمال الناس للعربية في الجامعة والحياة اليومية ومدى مشاركة العاميات واللّغات الأجنبية إياها في مختلف المستويات والبيئات، كما لا ينفصل كل ذلك عن البحث في المحتوى اللّغوي أي في المادّة اللّغوية التي تلقن في المدارس للأطفال والمادة التي يلتقطها المواطن من خلال وسائل الإعلام وبصفة خاصة الإذاعة والتلفزة والسينما وغيرها

كلّ هذا يُكوّن مجالا متكاملا من الأحداث، ولا يمكن أن يفصل هذا عن ذاك لأن اللّغة هي الأداة التي يعتمد عليها التبليغ بالدرجة الأولى، وهي مع ذلك التي يتم بها تحليل الواقع، ولهذا فإننا في أمسّ الحاجة إلى مواصفات علمية دقيقة موضوعية لكل هذه الأمور، فإن نقصتنا هذه المعطيات محصاة مرتبة مصنّفة متسلسلة التسلسل العقلاني كانت أحكامنا خاطئة من الأساس، وأعمالنا أو علاجنا مجردّ خبط عشواء أو مجرّد وعظ وإرشاد، فكيف يمكن أن نحكم على نوعية التدريس دون الاعتماد على مشاهدة موضوعية تتصف بالشمولية المطلقة لكل ما يحدث بالفعل في أغلب المؤسسات التعليمية العربية، ثمّ كيف يتم لنا ذلك لو لم نلتفت إلى استعمال الناس للعربية في أثناء الدرس وخارجه ؟ "[3].

يرى الحاج صالح أن البحوث الميدانية التي قامت بها فرق بحثية في جامعتنا، وفي العالم العربي قد قدّمت بعد إحصائها لكل ما يوجد في الكتب المدرسية، وما يتعلمه الشاب العربي من خلال أحاديثه وكتاباته عيوبا ونقائص خطيرة منها " غزارة المادة اللّغوية فيما لا يحتاج إليه المتعلم كالألفاظ المترادفة الكثيرة، والألفاظ الغريبة العقيمة أي التي قلّ استعمالها حتى عند الكتاب، ومن جهة أخرى عدم استجابة هذه المادة لما تتطلبه الحياة اليومية

المعاصرة كأسماء كثير من الملابس والأدوات والمرافق الحديثة العهد ونحن لا نتهم اللّغة في ذاتها إنّما الذي نستضعفه هو كيفية استعمال المربين لها، فالكتب المدرسية هي من وضع هؤلاء، أما كون اللّغة العربية لا يوجد فيها ما يكفي للتعبير عن المسميات المبتذلة في البيوت وفي الشوارع والمعامل فهذا راجع لكسل أهلها وضعف اعتناء منهم لضعفهم في أنفسهم لأنّ اللّغة سماع وقياس خلاق يتراءى في كيفية استعمالها ضعف أصحابها "[4].

إنّ القضية الأساسية التي يجدها القائمون على الكتاب المدرسي والمربون هي وجود مستويين من التعبير المشافهة والتحرير أو العامي والفصيح، وتكون الصعوبة في إيجاد ألفاظ أو مصطلحات للتعبير عن المفاهيم والمدركات الحديثة لأنّه لا يجده فيما لديه من مادة لغوية ذلك " أنّ أكثر المسميات الحديثة (من أفعال وذوات) يتهاون في تسميتها فإما أن يستعمل اللّفظ العامي أو الأجنبي وإما أن يترك هذا المسمى ولا يدخله في جملة ما يتعلمه المتعلم ، وأكثر ما يحصل هذا عند مؤلفي الكتب التربوية، فكأنّ هؤلاء المؤلفين قد أيقنوا أنّ اللّغة العربية غنية بألفاظها التي تداولها الناس منذ القدم ولا تحتاج إلى أن تمدّ المتكلم بهذا النوع من الألفاظ، لأنّ المفاهيم التي تدل عليها هي مبتذلات الحياة اليومية، والعربية أرفع مقاما، وهكذا تصير اللّغة التي نريدها نحن نقالة للعلوم والفنون وشتى أنواع التقنيات، ولغة يعبّر بها أصحابها عن جميع أغراضهم هكذا قلنا تصير لغة أدبية محضة، ولغة تحرير فقط لا لغة تخاطب ومشافهة، وهذا نفسه هو نتيجة لما رسخه في أذهان الناس مدّة قرون التعليم التقليدي للغة العربية وخاصة درس البلاغة، فقد تعودّ البلاغيون المتأخرون أن ينصحوا المتعلم بالابتعاد عمّا تبتذله العامة من

الألفاظ حتى ولو كان فصيحا صحيحا سمع من فصحاء العرب وورد في أصحّ الكتب اللّغوية "[5].

فينبغي إذن أن تنزل العربية إلى ميادين الحياة الحيّة، وأن تصبح لغة تخاطب يومي الذي تشترك فيه العامة والخاصة أي أن تصبح العربية لغة مشافهة لا لغة أدب وتحرير بدل هذه العاميات المتكاثرة في سائر البلاد العربية، وهذا لا يكون إلّا بالرجوع إلى لغة عربية وسيطة بين لغة القرآن والأدب والكتابة.

واللّغة العامية المبتذلة لغة عربية فصيحة متداولة في حياة النّاس تلك التي كان يتكلمها العرب في بيوتهم وفي مقامات الأنس بينهم، إذ يوجد في العربية مستويان على الأقلّ: تعبير يستجيب لما يسمى بمقام الانقباض ويعتني فيه المتكلم _ المشافه _ عناية فائقة بتحقيق الحروف ولا يختزل شيئا من الألفاظ. وتعبير آخر يستجيب لما يسّمى بمقام الأُنس، وهو التعبير الذي يسترسل فيه صاحبه لأنّه يخاطب شخصا مأنوسا كصديق أو ابن أو زوجة، وفيه يكثر الإدغام والاختلاس للحركات والحذف للكلمات وغير ذلك من التخفيف المعروف، وهو فصيح سُمع من العرب الموثوق بعربيتهم كيف لا ؟ وما كان العرب قديما يخاطبون بعضهم بعضا في أنسهم إلّا بهذا المستوى، إلّا أنّ ذلك مجهول الآن من أكثر الأساتذة والمعلمين "[6].

إنّ مستوى الأنس هذا هو الذي تحتله اللّغة العامية عندنا اليوم، وهي عامية بعيدة عن هذا المستوى الذي نتحدث عنه لاختلاطها بكثير من الألفاظ الأجنبية ، وتداخل الكثير من العاميات، فاللحن فيها طاغ وقواعد العربية فيها قليلة، وعلى ذلك فالحل الأمثل هو تفصيح العاميّة ذلك أنّ أكثر

المفردات الفصيحة موجودة في العامية، وهي تكوّن أكثر من 80 في المائة من ألفاظ التخاطب اليومي في وقتنا الراهن[7].

لذلك ينبغي إحياء التعبير الفصيح غير المتكلف أي الذي وصفه باستفاضة العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، وسمعوا منهم ودوّنوا كلامهم واستنبطوا قوانين هذا التعبير، ونبّهوا على المطرد منه والكثير النادر والمقيس وغير المقيس...

إنّ اللغة إذا صارت تكتسب الملكة فيها بالتلقين، وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط واستهان بما يتطلبه الخطاب اليومي من خفة واقتصاد في التعبير، وابتذال واسع للألفاظ تقلصّت رقعة استعمالها وصارت لغة أدبية محضة .

إذن لا مناص من التنبيه إلى وجود هذا المستوى الثاني من العربية الفصيحة الذي يميل إلى الخفّة والاقتصاد في الكلام والعفوية دون الخروج عن القواعد العامة والأساسية للعربية، وفيه روح العامية إنّه استعمال لغوي عادي وطبيعي تحدّث به العرب القدامى فيما بينهم في مقامات أنسهم وخلوتهم، ولقد كان يعدّ عند واضعي اللّغة شاذا ولا يؤخذ به.

**تعليمية النحو العربي وسبل تيسيره:**

إنّ النحو العربي هو عماد اللغة العربية، وأساسها القويم الذي تنهض عليه، فوجودها بوجوده، وما ضعفها الذي تعانيه اليوم إلاّ محصلة للوهن والقصور الذي أصاب الدرس النحوي في مدارسنا وجامعاتنا فأوّل ما يلاحظه الناظر في جوانب القصور في اللغة المعاصرة هو الجانب النحوي إذ يعدّ أحد أهم

المشكلات التي تواجه القائمين عليها والمهتمين بإصلاحها، ذلك أنّ النحو هو قوام الألسن، وبه يكون صلاحها واستقامتها، ومتى مسّه الضعف والوهن كان فساد اللّغة وشيوع اللّحن، وتفشي ظاهرة الضعف اللّغوي.

لقد تشكل الوعي لدى جميع المهتمين بالحقل التعليمي للغة العربية والباحثين في قضاياها ومسائلها بأنّ تعليم النحو العربي أصبح مشكلة حقيقية تفرض نفسها على القائمين بالشأن التربوي، ووجود هذا الوعي والشعور بخطورة المشكلة وضرورة معالجتها يعدّ في حدّ ذاته عاملا إيجابيا نحو حلّها " ولا يتحقق لدينا هذا الوعي المنهجي إلاّ باسترفاد الأدوات العلمية الكافية المتوافرة في رحاب التطور الذاتي للنظرية اللسانية العالمية بعامة، والدراسات اللسانيّة العربية بخاصّة، والحرص الشديد على استثمار الخطابات المنجزة عبر المراحل التي مرّ بها تشكل الفكر النحوي العربي، والبحث العميق في أصول النظرية ( الفلسفيّة والدينية ) التي تعدّ الرافد المرجعي الذي ما فتئ يؤطر المقاربات اللسانية النظرية والإجراءات التطبيقية للبحث اللّغوي العربي منذ نشأته وهو جنين إلى أن نضج واكتمل، وأخذ صفة النظرية المتكاملة في هذه المقولات النحوية بمفاهيمها وإصلاحاتها ومعاييرها الصارمة ".[8]

لهذا كان علينا أوّلا أن نعيد النظر في الغاية من تدريس النحو، فالغرض هو تكوين ملكة لسانية صحيحة، وتقويم اللسان العربي وحفظه والنطق بالعربية وفق قواعدها الموروثة عن أهلها، ولتحقيق هذه الغاية ينبغي أيضا إعادة النظر في الطرق والوسائل والمناهج المتبعة في تدريسه بالكف عن النظر

إليه كصناعة للقواعد النحوية وتلقينها للمتعلمين في قوالب صماء دون روح وحياة ممّا يؤدي إلى جمود اللّغة.

## إصلاح تدريس النحو:

لقد سجّلت في هذا الإطار جهود كبيرة ومتنوعة من قبل عدد من الباحثين والمختصين في الشأن التربوي لوضع استراتيجيات تعليميّة جديدة، وإيجاد طرق بديلة لتحسين تعليمية المادة النحوية.

والمقصود بالاستراتيجية هو " مجموعة الأفكار والمبادئ التي تتناول ميدانا من ميادين النشاط الانساني بصورة شاملة ومتكاملة، وتكون ذات دلالة على وسائل العمل ومتطلباته ، واتجاهات مساراته بقصد إحداث تغيرات فيه وصولاً إلى أهداف محددة، وما دامت معنية بالمستقبل فإنها تأخذ في الاعتبار احتمالات متعددة لإحداثه، فتنطوي على قابلية التعديل وفقا لمقتضياتها، وهي تقع وسطا بين السياسة والخطة ".[9]

والمقصود بالاستراتيجية في تدريس النحو: " يتمثل في مجموع المعطيات والاجراءات أو التقنيات الديداكتيكية التي من خلالها نقوم بتبليغ درس في النحو، وذلك باعتبار فعل التدريس علاقة مقصودة بين المعلم والمتعلم، يوظف فيها المعلم مجموعة من الأساليب العلمية لتبليغ التلاميذ محتويات علمية داخل مؤسسة تعليمية قصد تحقيق أهداف محددة بواسطة أنشطة شفهية أو مكتوبة أو الاستعانة بوسائل معينة تمكن من بلوغ نتائج ".[10]

لقد وُجدت محاولات جادة كثيرة لوصف الوضع الـذي آل إليـه الـدرس النحوي، وحاولت تحليله وتفسير أسبابه، كما سعت إلى تقديم الحلـول الـتي تراها مناسبة لإصلاحه.

والملاحظ لهذه المحاولات أنّها في مجملها دعت إلى تيسيره بتبسيط مفاهيمه ومصطلحاته ، واختزال بعض الأبواب النحوية، وحذف الكثير مـن المسـائل والشروح والتفسيرات والتعليلات ذات التعقيـدات الذهنيـة والفلسـفية، وفروع المسائل التي لا طائل من ورائها سوى إرهاق المتعلم.

ومن جهة أخرى نجد محاولات ركّزت على إصلاح الطـرق والأسـاليب التي تقدّم بها المادة النحوية للمتعلمين ، فدعت إلى نبذ طريقة التلقين والمتون والشروح ، واعتماد طرق جديدة أكثر فعالية ونجاعة.

وبالنظر في طبيعة هذه المحاولات نجد أنّ الأولى مرتبطة بما يسـمى بـالنحو العلمي الـذي هـو الإطـار النظـري الـذي يحتـوي علـى النظريـة النحويـة بمفاهيمها ومصطلحاتها وأبوابها ومسائلها وتفسيراتها...

أما تلك المحاولات المتعلقة بإصلاح طرق وأسـاليب التـدريس فهـي ذات صلة بما يعرف بالنحو التعليمـي الـذي يسـتمدّ أصـوله النظريـة مـن النحـو العلمي ، ويعتمدها في بناء طرائقه ومنهجياته التعليمية.

من هذه الطرق التي نرى أنّها ذات نتائج إيجابية في تمكين المادة النحوية في عقول وألسنة متلقنيها ما جاءت به نظرية النحو الوظيفي الحديثة **لسـيمون ديك** ، والتي تبنّاها من الباحثين العرب الباحث المغربي أحمد المتوكـل الـذي عمل سنوات طويلة على تطبيقها على النحو العربي.

تقوم هذه النظرية على مجموعة من المبادئ يمكن إجمالها فيما يلي[11] :

- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل، ويترتب على ذلك أنّ موضوع النحو الوظيفي هو وصف القدرة التواصلية (compétence communicative)للمتكلم / المستمع وتفسيرها.

تعتبر الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية وظائف أولى ( premitive ) لا وظائف مشتقة.

_ تحقيق الكفاية التداولية ( l'adéquation pragmatique ) : تندرج نظرية النحو الوظيفي ضمن الأنحاء المؤسسة تداوليا ، فهي تستفيد من الدراسات التداولية الحديثة التي تناولت مفاهيم نظرية الأفعال اللغوية والقوة الإنجازية، والاقتضاء ، والإحالة... كما تفيد من نظرية الاتصال والإخبار ، ولسانيات النص أو الخطاب.

_ تحقيق الكفاية النفسية ( l'adéquation psychologique ): تفيد نظرية النحو الوظيفي من نتائج أبحاث علم النفس بصفة عامة ، وعلم اللغة النفسي (psycholinguistique ) بصفة خاصة، فهي تتابع تطوراتها، وتتطابق مع نماذجها سواء تعلق الأمر بنماذج الإنتاج أم نماذج الفهم والإدراك...

_ تحقيق الكفاية النمطية: ( l'adéquation typologique ): يتمثل هذا المبدأ في أنّ نموذج نظرية النحو الوظيفي ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية ذات البنى اللغوية المتباينة ، وعليه فهي تستجيب لما أصبح معروفا بمبدأ العولمة(universalisme) .

يحتل القالب النحوي في هذه النظرية المركز، فهـو بمثابـة القلـب النـابض الذي يغذي بقية القوالب: الاجتمـاعي، والنفسـي، والمعـرفي ، والإدراكـي، والشعري، وهي تتفاعل فيما بينها لتضطلع بوصف وتفسير القدرة التواصلية لمستعمل اللغة الطبيعية.

ولكل قالب من هذه القوالب ملكة تقابله، فالملكة اللغوية تقابل القالـب النحوي، ومن خلالها يتمكن مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل عبارات لغويـة ذات بنيات متنوعة ومعقدة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة [12] .

## 2) تعليمية التعبير الشفوي والكتابي:

إنّ أهم وظائف اللغة الوظيفة التواصلية، الـتي تعـدّ أهـم وظـائف اللغـة الشـفوية، والاتصـال " في حقيقتـه موقـف تفـاعلي يحقـق فيـه الفـرد أهـدافا ضـرورية لاسـتمرار النشـاط الاجتمـاعي، ويكـاد يجمـع المؤلفـون علـى أنّ الوظيفة الأبرز للغة هي الاتصال والتعبير والتفاهم، فاللغة سـلوك اتصـالي، حيث إن وظيفة الاتصال نقطة الالتقاء بـين اللغـة والواقـع أو الوجـود غـير اللغوي... فاللغة بذلك هي سبيل الفرد إلى التخاطب والتفاهم مع الآخرين، وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر معهم ومن ثمـة معرفـة مـذاهبهم ووسـائل التأثير فيهم." [13]

هذه الوظيفة الأساسية تتطلب قدرا من المهارة والإتقان بمـا يجعـل الفـرد قادرا على التواصل السليم ... فكافة مكونـات اللغـة مـن ترابطـات نحويـة وتراكيب صرفية ودلالات ومعـان ، ووعـي فونولـوجي ( صـوتي ) يجـري استخدامه عند أداء هذه الوظيفة ممـا يجعـل الاسـتخدام اللغـوي في محيطهـا

الاجتماعي ( السياق الاجتماعي ) يجسد قدرة الفرد ومهاراتـه في اسـتخدام هذه المكونات من ناحية ، ويكشف عن أي قصور قد يعاني منه الفرد في هذه المكونات أو بعضها من ناحية أخرى." [14] والتعبير الشفوي مظهر من مظاهر هذه الوظيفة التواصلية ، وهو مهارة مـن أسمـى مهـارات اللغـة العربيـة، وأشدها أهمية للمتعلم لما يحمله من وظيفة أساسـية في الـتعلم، فهـو مهـارة إنتاجية إبداعيـة بواسـطته يحصّـل المـتعلم المعلومـات والمعـارف والخـبرات، وبفضله يكون الفهم والإفهام، وهذا ما جعله الغاية الأولى من تعلـيم اللغـة العربية ، وجعل فروع اللغة كلها وسائل للتعبير الصحيح.

وقد عُرّف التعبير الشفوي تعريفات عديدة تنتهي في مجملـها إلى أنـه " فـن نقـل المعتقـدات والمشـاعر والأحاسـيس والمعلومـات والمعـارف والخـبرات والأفكار والآراء... من شخص إلى آخر، نقلا يقع من المستمع، أو المستقبل أو المخاطب موقع القبول والفهم والتفاعل والاستجابة." [15]وبواسطته تظهـر عند المتعلم" القدرة على التعبير بثقة في النفس من خلال التعامل مع الآخرين أخذا وعطاء" [16]

وبالنظر إلى هذه التحديدات نجد أنّ التعبير الشفوي هو أساس التواصـل اللغوي ، وهو نشاط يتطلّب وجود شخصين أو أكثر، فهو لـيس فرديـا إذ لا بدّ من متحدّث ومستمع، وعلى ذلك فهو يـنهض علـى مهـارتي الاسـتماع والتحدّث، وكل منهما تكتسي أهمية بالغة في العملية التعليميـة، إنّـه نشـاط حواري اجتماعي تفاعلي يظهر فيه المتعلم قدراته على إبداء ما في نفسه مـن مشاعر وأفكار للآخرين ، وكذا قدراته على إبداء وجهة نظره في أفكار غيره ونقدها والتعليق عليها أو مساندتها وتثمينها، أي أن يكون قادرا على الإبانة

وإفهام غيره ما في نفسه، وكل هذا يتطلب قدرات ذهنية إنه "عملية عقلية مركبة ، فهو عملية عقلية لأنه يتطلب إعمال العقل مثل التفكير في الحديث ، والتخطيط للموقف ، وحسن التصرف، والقدرة على تغيير مجرى الحديث إذا لزم الأمر" [17]

وهذا طبعا يسبقه أولا مهارة حسن الاستماع والإنصات لما يُقال حتى يحصّل الفهم الصحيح لما يسمعه من الآخرين، ذلك أنّ " عملية التواصل تتضمن الإنصات أو التحدث أو القراءة، أو الكتابة أو توليفة من هذه المهارات، ومعظم التعلم الأكاديمي يرتكز في جوهره على اللغة" [18] واللغة تتألف من الأنماط والأشكال اللغوية الشفوية، واللغة المكتوبة، والعناصر اللغوية، والعناصر اللغوية المساعدة الثانوية ، وهي العناصر اللغوية اللازمة لتحقيق التواصل، والتي تتضمن نطق الصوت بوتيرة معينة، والنبر بهدف التأكيد، وسرعة الكلام ( الزمن) وكذلك الوقف.

أما العناصر غير اللغوية فيشار إليها بأنها لغة الجسد كتعبيرات الوجه ووضع الجسم، والتواصل بالعين على سبيل المثال.[19]

يكتسي التعبير الشفوي أهميته من كونه يدرب التلاميذ على مواقف الكلام والتحدث المتعددة و يهيئ بعضهم للأعمال التي تناسب ذلك مثل المحاماة والوعظ والإرشاد والخطابة، وأنّ كثرة التدريب على التعبير يكسب التلاميذ السرعة في التفكير ومواجهة المواقف الكلامية الطارئة، ممّا يمنح المتعلم الشجاعة الأدبية ، والقدرة على مواجهة الجمهور، في حين أنّ كثرة الإخفاق في التعبير يؤدي إلى فقدان الثقة في النفس، ومن ثم يتأخر النمو

الاجتماعي  والفكري للمتعلم ، ويؤدي إلى بعض أمراض النطق التي ترجع إلى أسباب نفسية أو مواقف اجتماعية[20].ولهذا كان التعبير بنوعيه الشفوي والكتابي أساسا ضروريا لاكتساب المعارف في بقية المواد التعليمية.

**أهداف تدريس التعبير الشفوي:**

انطلاقا مما سبق ذكره تتجلى لنا أهداف تدريس التعبير الشفوي في المدارس،  فالغاية من تعليم اللغة العربية هي أن يكون التلميذ قادرا على الحديث بسلامة وسلاسة ، فيفهم ما يريده منه الآخرون ويكون قادرا على إفهامهم ما في نفسه، أي أن يكون متحدّثا جيدا، وهذا لا يكون إلا بالتعبير بنوعيه الشفوي والكتابي، ففي هذا المستوى تظهر بجلاء قدرات المتعلم وما اكتسبه من مهارات ومعارف لغوية.

وعلى ذلك كانت أهم الأهداف المسطرة لتعليمية هذه المادة هي أن تتكوّن لدى المتكلم القدرة على التعبير عن الأفكار والأحاسيس والمشاعر والانفعالات والعواطف، وأن يتمكن المتعلم من الرجوع إلى مصادر المعرفة ، وارتياد المكتبات ، وشبكات المعلومات ، والبحث في المراجع التي تعينه على الإلمام بموضوعه.

وأن ينتبه  المتعلم إلى أهمية الربط بين فنون اللغة العربية في التعبير ، وبين مادة اللغة العربية  وبقية المواد الدراسية للإفادة منها ففيها الكثير مما يمكن مناقشته أو تلخيصه أو  نقده والتعليق عليه مما يكون له أكبر الأثر في توسيع مداركه في التعبير[21]

وبما أنّ التعبير أداء فهو يتطلّب مهارات كي يكون معبّرا وفعالا في مواقف الاتصال... ومن أهم تلك المهارات نجد المهارات الصوتية كأن ينطق التلميذ الأصوات العربية نطقا صحيحا منفصلا ومتصلا، وأن يميز عند النطق بين الأصوات المتشابهة تمييزا واضحا مثل: ( ذ/ ظ) ( ذ/ ز) ( ت / ط ) ( د / ض) ( س/ ص )، و يراعي مواقف الوقف والوصل.

كما ينبغي له التمييز عند النطق بين الحركات الطويلة والقصيرة، وأن ينطق الأصوات المتجاورة نطقا صحيحا، وأن يميز في النطق بين التنوين وغيره من الظواهر الصوتية، وأن يستخدم طبقة صوتية مناسبة.

وهناك المهارات الصرفية والنحوية كنطق بنية الكلمة نطقا صحيحا، وأن يضبط الكلمات ضبطا نحويا صحيحا، وأن يكون جملا لغوية سليمة مترابطة، وأن يستخدم أدوات الربط المناسبة.

ومن ناحية المهارات الدلالية يستوجب عليه أن تكون المقدمة مناسبة للموضوع، وأن تتسق الأفكار وتكون الخاتمة مناسبة للموضوع.

كما يستخدم الأدلة والبراهين المناسبة ، وأن يوظف الخيال في عرض الأفكار، أن يتسم تعبير التلميذ بالوحدة والتلاؤم والانسجام.

**أسباب الضعف في التعبير الشفوي:**

يعاني الكثير من التلاميذ من الضعف الظاهر في مادة التعبير الشفوي، فلا يكاد أحدهم يعبر بلغة سليمة إلا وظهرت علامات الإعياء على لغته ، وقد يتوقف فجأة قبل أن يتمم ما يريد قوله من كلام، أو يستعين بالعامية يتمم بها ما عجز عن إتمامه.

أرجع الباحثون الضعف في التعبير الشفوي إلى أسـباب عديـدة يمكـن أن تندرج تحت ما يلي[22]:

أسباب تتعلّق بمعلم اللغة العربية نفسه، أسباب تتعلـق بالتلميـذ، أسـباب تتعلق بالمناهج المدرسية.

أسباب تتعلق بالبيئة المحيطة.

فبالنسبة لمعلم العربية نجد غفلته عن توجيه التلاميذ نحو مصادر المعرفة ، والاعتماد على النفس في توسيع خبراتهم مما دفعهم إلى التواكـل والاعتمـاد على أفكار المعلم.

واستئثار بعض المعلمين بـالكلام عـدم تـرك الفرصـة الكافيـة للتلاميـذ، وكذلك حصر بعض المعلمين للتلاميذ بالتقيـد بأفكـارهم وأسـاليبهم وعـدم ترك مجال الحرية للتلميذ للتعبير عن ذاته لإبراز جوانب نبوغه.

_ عدم وجود معايير متفق عليها بين المعلم وتلاميذه تكـون نبراسـا أمـام التلاميذ ليهتدوا بها إلى سلامة التعبير وجودته منها: سلامة الأسـلوب نحويـا وصرفيا، سلامة الحقائق والمعلومات، سلامة العرض ومنطقيته، جمـال المبنـى والمعنى...

وبالنسبة للتلميذ نجد: ضعف الدافع للكتابة أو التحدث فالتلميذ لا يعلم ماذا يكتب؟ ولمن يكتب؟ ولمـن يتحـدث؟ وهـل سـيقرأ أحـد موضـوعه أو يستمع إليه.

_ قلة الحصيلة التعبيرية وثروتهم اللغوية، فنادرا مـا يوجـد طالـب حافظًـا وفاهم عددا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فإن تكلم تردد

وتلعثم، فلا يوجد عنده ما يستشهد به كلامه إذ يفتقر إلى وضوح الفكرة ورصانة الأسلوب وامتلاك الرصيد الثقافي والفكري فضلا عن القدرة على ترابط الأفكار وتنظيمها والدقة في اختيار الكلمة والعبارة المؤثرة.

_ الضعف في القراءة وقواعد النحو والصرف.

_ الخجل وعدم الثقة بالنفس.

الأسباب المتعلقة بالمناهج الدراسية: ويظهر في عدم وجود منج واضح لتعليم هذه المهارة، وعدم وضوح أهداف تدريسها، ولا وجود لمحتوى يتدرب من خلاله التلاميذ على الكلام.

_ عدم وجود طرق وفنيات وأساليب تدريس هذه المادة.

_ عدم تدريب التلاميذ الابتعاد عن الكلام الأجوف الاعتماد على الشواهد و الأدلة.

_ عدم تدريب التلاميذ على مواقف الخطابة والدعوة والشكر والاعتذار والاستقبال والتوديع وقص

القصص وإدارة الحوار...

**التعبير الكتابي:**

التعبير الكتابي مثله مثل التعبير الشفوي له أهداف وغايات يسعى إلى تحقيقها وله طرق وأساليب في التدريس ، وهو مادة دراسية يستغل فيها التلميذ الأدوات اللغوية والبلاغية ويوظف فيها تقنيات البرهنة والحجاج

والاستدلال وغيرها فهو وسيلة للاتصال بين الأفراد يجسد القدرة التي اكتسبها المتعلم في المواد الأخرى ومنها البلاغة.

**أهداف تعليم التعبير الكتابي:**

يركز تعليم التعبير بصفة خاصة على اقتدار المتعلم على[23]:

أن ينتقي الألفاظ المناسبة للمعاني والتراكيب والتعبيرا ت.

أن يعبر تعبيرا صحيحا عن أحاسيسه ومشاعره وأفكاره في أسلوب واضح راق ومؤثر يكشف عن قدرته على التخيل والإبداع.

كما يرمي التعبير إلى تمكين المتعلم من التعبير عما في نفسه ، وعما يشاهده بلغة سليمة صحيحة.

ومعالجة الفكرة بنوع من التفصيل والاستيفاء والإحاطة، وتوليد المعاني الجزئية المتصلة بفكرة أساسية.

وكذلك العناية بالتفكير المنطقي وترتيب الأفكار وربط بعضها ببعض.

**ما ينبغي أن يكون عليه تعليم التعبير الشفوي والكتابي:**

بالنظر إلى الحياة المعاصرة وما يجري فيها من مستجدات سريعة في جميع الميادين وعلى كافة المستويات فإنه ينبغي إعادة النظر في الأهداف والأساليب المستخدمة في تدريس اللغة العربية بصفة عامة، ونشاط التعبير بصفة خاصة إذ من الواجب مراجعة الأهداف المسطرة له، والموضوعات المعالجة فيه وطرق تعليمه بجعل التلميذ يعبر بطلاقة وعفوية ، وبقدر من الحرية عن المواقف التي يصادفها في البيت والمدرسة والشارع ، ومختلف المواقف الحياتية والاجتماعية

التي يتعرض لها ، ففي ذلك تفتيق لقدراته الذهنية واللغوية والتخييلية، إضافة إلى منحه مجالا واسعا للنقاش والمحادثة يعرب فيه عن آرائه وأفكاره.

إنّ التلميذ في تفاعله مع الآخرين يستخدم تقنيات التواصل اللغوي، وهو لكي يعبر بطلاقة يقوم بتكرار القوالب والتراكيب ، وهذا التكرار " يؤدي إلى إثارة الذاكرة والاستدعاء الفوري لمخزونها من العناصر اللغوية ، وكثيرا ما يلجأ المتحدث إلى الاقتراض من غيره عند الحديث أثناء أداء اللغة المحكية للمساعدة أو للابتكار أو للأداء الأفضل، فالملكية الخاصة لا وجود لها في ميدان اللغة ، والتبادل الكلامي شكل من أشكال العلاقات الإنسانية." [24]

والملاحظ حسب الدارسين أنه " كلما زاد ت عمليات الاتصال والتفاعل بين الطفل والبيئة المحيطة به أدى ذلك إلى زيادة الحصيلة اللغوية ، وزاد نشاطه الاجتماعي، وقلّ ميله إلى العزلة والانطواء ، وزاد اكتسابه لمهارات الاتصال والتعبير الشفهي مما يزيد من كفاءة أدائه التعليمي ، وتكيفه الاجتماعي." [25]

وقد حرص بعض القائمين على الشأن التربوي بتسطير بعض الأهداف الوظيفية والإبداعية للتعبير الشفوي والكتابي منها [26]:

•تنمية قدرة المتعلم على التعبير الوظيفي مثل كتابة الرسائل والتقارير وغيرها.

• القيام بجميع ألوان النشاط اللغوي التي يتطلبها منه المجتمع ككتابة البطاقات، اللافتات، تعليمات...وما إلى ذلك من الأنشطة الاجتماعية الضرورية للحياة الإنسانية.

• تنمية حساسية التلميذ للمواقف الاجتماعية التي تتطلب كتابة رسالة أو بطاقة تهنئة أو قص حكاية أو كتابة مذكرة... وهذه الأهداف تتسم بالسمة الاتصالية الاجتماعية الواقعية.

وهناك أهداف أخرى ذات منحى إبداعي تركز على القدرة على الإبداع والتخييل للأفكار بأسلوب جميل مثل تنمية قدرة التلميذ على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ووصف الطبيعة وأحوال الناس ، وكتابة الشعر والقصة ... بأسلوب جميل.

إنّ النشاط التعبيري هو -كما أسلفنا الذكر- المقصود الأسمى من تدريس اللغة العربية، وهو في الآن نفسه المجال الذي تظهر فيه وتتجلى مختلف النشاطات التعليمية من نحو وصرف وإملاء وبلاغة لذلك وجب العناية به ومنحه درجة من الاهتمام تفوق بكثير ماهو عليه وضعه اليوم بمنحه ساعات تدريسية أكثر، وبتحسين أساليب وطرق تدريسه التي لا تتعدى المسائل الشكلية وتغيب عنها المناقشة والحوار. وإثراء وتحيين محتوياته بجعلها متوائمة مع الحياة المعاصرة وما يستجد فيها من أحداث ومواقف وتقنيات... وأن تراجع أهدافه بحصرها خاصة في الجانب الوظيفي الذي يخدم التلميذ في المواقف التواصلية المختلفة التي تعترضه في حياته العلمية والاجتماعية، وذلك لا يكون إلاّ باستغلال معطيا ت العلوم اللسانية الحديثة كاللسانيات والتعليمية والبلاغة الجديدة بما فيها من آراء سديدة وتقنيات فعالة في اللغة والكلام والتواصل.

## الخاتمة :

الذي نخلص إليه من هذه المعالجة هو أنّ أهداف تدريس اللغة وثيقة الصلة بعضها ببعض إذ ينبغي استغلال كل الأنشطة والمواد التعليمية الأخرى خدمة للهدف العام المتمثل في تكوين تلميذ قادر على أن يتكلم ويعبر بطلاقة شفويا وكتابيا بلغة عربية فصيحة سليمة في مختلف المواقف التواصلية دون عجز أو خجل ، يمتلك القدرة على التحدث ، ويتميز بالقدرة اللغوية الفاعلة والمؤثرة، ذلك أنّ الهدف من تعليم اللغة هو أن يكون المتعلم قادرا على توظيفها في مجالات حياته العلمية والإبداعية والاجتماعية.

ومن هنا نجد تداخل أهداف تعليمية المواد اللغوية والأدبية لتدريس اللغة العربية فالنحو والصرف يخدم التعبير الكتابي، والتعبير الشفوي مقدمة لهذا الأخير، ونشاط القراءة إثراء ومعين لا ينضب للتعبير. والبلاغة تفيد تدريس النصوص الأدبية والتعبير بنوعيه بمدهما بمختلف التقنيات والوسائل التعبيرية الدقيقة والموحية ذات القوة التأثيرية في الدلالة والأسلوب بما يكفي لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

والذي يبقى نصب أعيننا دائما هو النظر إلى هذه المواد التعليمية كلّها متضافرة متواشجة خدمة للهدف الأساس الذي هو جعل اللغة العربية لغة تخاطب وتواصل فعال يستطيع التلميذ استخدامها في المواقف التواصلية المختلفة دون أن يجد في ذلك عنتا أو مشقة أو حرجا ، ولا يكون ذلك _كما ذكرنا سابقا- إلا بلغة عربية بسيطة ملائمة لهذا العصر تقع وسطا بين الفصحى القديمة والعامية أو كما سماها **عبد الرحمان الحاج صالح** بلغة الأنس.

**الهوامش:**

1) عبد الرحمان الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية موفم للنشر، الجزائر، 2001، ص: 159.

2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3) المرجع نفسه، ص: 160.

4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5) المرجع نفسه، ص: 161.

6) المرجع نفسه، ص: 162.

7) عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلة لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، السنة الأولى، 2005، ص:24.

8) أحمد حساني، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، 23/ 24 أفريل 2001، ص 383 – 384.

9) بشير إبرير، استراتيجية التبليغ في تدريس النحو، أعمال ندوة تسيير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001، ص .470

10) المرجع نفسه ، ص .471

11) يحي بعيطيش، النحو العربي بين التعصير والتيسير، أعمال ندوة تيسيسر النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001 ، ص: 122/ 123.

12) المرجع نفسه ، ص: .128

13) المرجع: د/ عوض هاشم، الاتصال اللغوي الشفوي الصعوبات والتشخيص والعلاج، دار الشجرة ، دمشق، سوريا، ط1، 2015 ، ص: 58.

14) المرجع نفسه، ص: 58 / 59.

15) المرجع: محمد فوزي السيد ابراهيم، الأخطاء اللغوية الشائعة في التعبير الشفوي لدى تلاميذ الحلقة الإعدادية أسبابها ومقترحات علاجها، رسالة ماجستير تخصص المناهج وطرق تدريس اللغة، كلية الدراسات العليا للتربية ، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة القاهرة، 1436ه/ 2015م ، ص:.41

16) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

17) المرجع نفسه، ص: 42.

18) المرجع: د/ عوض هاشم، الإتصال اللغوي الشفوي الصعوبات والتشخيص والعلاج، ص:68

19) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

20) محمد فوزي السيد ابراهيم، الأخطاء اللغوية الشائعة في التعبير الشفوي لدى تلاميذ الحلقة الإعدادية أسبابها ومقترحات علاجها، ص: 43/ 44.

21) المرجع نفسه ، ص: 44.

22) المرجع نفسه ، ص:48/ 49.

23) المرجع: رشيدة آيت عبد السلام، تعليمية البلاغة العربية في ضوء علوم اللسان الحديثة، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، 2007/ 2008 ، ص: 354/ 355.

24) هشام عوض، الاتصال اللغوي الشفوي الصعوبات والتشخيص والعلاج،: ص: 86.

25) المرجع نفسه، ص:.87

26) رشيدة آيت عبد السلام، تعليمية البلاغة العربية في ضوء علوم اللسان الحديثة، ص:355/ 356.

# التصوّر الواضح لأهداف المناهج التعليميّة

أ. يوسف يحياوي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة.

**مقدمة:**

كان لي حوارٌ مع مترجمٍ شكا إليّ ما يُعاني من حيرة حين ينقل مادة معرفيّة أو محتوى وثيقة رسميّة من الفرنسيّة أو الإنجليزيّة إلى العربيّة، ذلك أنّه كثيرا ما يبحث في القواميس العربيّة المتخصّصة عن مصطلحات يقابل بها المصطلحات الفرنسيّة أو الإنجليزيّة فلا يجد منها ما يكون المشتغلون باللغة قد اصطلحوا عليه واتّفقوا فلا يختلفون فيه من المغرب إلى العراق. فما سبب ذلك؟ أ لأنّ العربيّة غير مؤهّلة لاستيعاب الجديد من المفردات؟ من يكُون موضوعيّا ومُنصِفا لا يقول ذلك، بل يرى أنّ السبب هو تقاعس أهلها عن العمل على ازدهارها، ولا يكون ازدهارها إلا بالعمل الجادّ والدأب على نقل العلوم الغربية إلى العربية وإثراء قواميسها المتخصّصة ولتكن قدوتنا في ذلك السابقون من أمّتنا الإسلاميّة في العصرين الأمويّ والعباسيّ الذين ازدهرت بهم اللغة العربيّة الّتي ما كانت قبل ذلك إلاّ لغة الأدب إذا استثنينا القرآن والحديث والعلوم الدينيّة. ولا شكّ أنّ للمدرسةً دورا هامّا في ذلك، فهي التي تُعِدّ الجيل الذي يستغني بالعربيّة عن غيرها من اللغات وإنْ كان تعلّم اللغات الأخرى شيئا لا بُدَّ منه لمجرّد التواصل. واللغة العربيّة التي نقصدها هي اللغة الفصحى البسيطة التي لا غرابة في لفظها ولا تركيبها،

ينبغي أن ينطق بها لسان المعلّم والمتعلِّم من دون لحـنٍ ولا عِـيّ. ولا يتحقّـق ذلك إلا بمناهج يُعِدُّها من ينظُر بتبصّر إلى الماضي وإلى المستقبَل فيعرف علـى أيّ قاعدة يُربّى النشء ولأيّ غاية يُهيّأ.

## 1ـ الأهداف التربويّة للغة:

أ- **في اللغة العربيّة: تمتـاز** اللغة العربية بكونها المرآة العاكسـة لتطـور الأمة وتدهورها، فباللغة نتعرّف على ثقافة المجتمعات. هذا وقد عرفت اللغة العربيّة بمرونتها اليوم انتعاشا كـبيرا بـين الشـباب، حيـث أصـبحت تواكـب بمفرداتها وتراكيبهـا عصـر الاتّصـال والتكنولوجيـا، لكنّـه مـن الصـعب أن تُوظّف خالصة من شوائب العامية أو اللغات الغربية، ومع ذلك فـإنّ اللغـة العربية في بلادنا لها مكانتها في الاستعمال، وتشعبت وظائفها لاختلاف البيئة الثقافيّة والاجتماعية. كما أنّ اللغة العربيّة مقيّدة التزمـت بقواعـدها العامـة المكوّنة لها، كالمستوى الصوتي والتركيبي والصرفي والدلالي. واللغـة العربيّـة بهذه المواصفات نجدها من سجايا اللغات الرّاقيـة في العـالم، حفظهـا القـرآن الكريم وثبتها على شكلها، وراحت تخدم مناحي الحياة الإنسـانيّة؛ "فـ"العربية اللغة الرسمية ولغة التعليم، والثقافة الرسمية وكان من وظائفهـا: التواصـل الضروري، والتعبّـد الشـرعي، والتثقيـف الـوطني والتماسـك الاجتمـاعي، والإدماج الثقافي، والتواصـل الـدولي"[1]، ولعـلّ الفكـر التربـوي منحـى مـن مناحي التفكير الإنساني يجسِّد ثقافة المجتمع، وأنّ اللّغة هي اللّسان الناطق به، ولا يمكن لأيّ أمة مـن الأمـم أن تتقـدّم دون أن تـربط حاضـرها بماضـيها. وبحكم أنّ اللغة العربيـة في بلادنـا تمثـل الأسـاس الّـذي يُبنـى عليـه الفعـل التربوي، فإنّ أهدافها أضحت تتغيّر بتغيّر الذهنيات والأجيـال ولا سـيما أنّ

التعليم قد مرّ بعدة فترات أعقبتها تحـولات وتغـيرات أملـت لهـذه اللغـة أن تتحدّد معالمها بسمات كنا نصفها إمّا بالتقدّم أو التطوّر والرقيّ، وإمّا أن ننظر إليها مـن زاويـة التـدهور والتخلّـف، إذ إنّـني اليـوم في صـدد البحـث عـن الأهداف الحقيقيّة للغة العربيّة في بلادنا، وكيف كان يُسطَّر لبنـاء أهـدافها في شتى القطاعات وبخاصّة القطاع التربوي كونه القطاع الحسّاس لأيّ تغـيير أو تحوّل حضاريّ.

لا يمكن الحديث عن الأهـداف التربويـة للغـة في الجزائـر دون العـودة إلى طبيعة المجتمع الجزائري والوقوف على بيئته. ويُقصد باللغة هنا ذلـك المسـتوى الفصيح الّذي يكتسبه الفرد في مجتمعه وهي لغة الهُوَيّة الوطنيّة" فهذا يدل علـى ان للغـة العربيّـة الفصـحى مسـتويين –ككـل لغـة حيّـة في الـدنيا– التعـبير الاسترسالي والتعبير الإجلالي لحرمة المقام..." [2]، تلك اللغة الراقيّة الـتي تعبّـر عن المشاريع الحضاريّة للأمم. وإن كانت في التاريخ عاميات حقّقت بها الأمم رقيّا حضاريا معروفا فالسـبب يعـود إلى فصـاحتها كحـال اللـهجات العربيّـة القديمة وإن اختلفت وتباعدت لفظا وتركيبا، ولكنّها تساوت في القواعـد الـتي تحكمها. وهم "العرب الموثوق بعربيتهم؛ أي الذين لم يتأثروا بلغة أخرى وكانت العربية هي اللغة المنشأ عندهم، فلم يأخذوها من معلم، وبشرط أن تكون هذه اللغة هي التي نزل بها القرآن نفسها. فصفة الفصحى أو الفصيحة إذا أطلقـت على العربية فهي وصف ينتمي إلى هذا الاصـطلاح اللّغـوي - لا البلاغـي – لأنّ المقصود من ذلك اللّغة التي نزل بها القرآن ونطقـت بهـا بالسـليقة أجيـال من العرب منذ ظهور أوّل شاهد كشعر المهلهل، وامرئ القـيس حتـى اختفـاء هذه الملكة غير الملقنة العفويّة عند كافة الناطقين إلى نهايـة القـرن الرابـع"[3]. ولم

تعد اليوم هذه اللهجات العربيّة كما كانت سابقا؛ إذ زاغت عن فصاحتها وعن القواعد التي تحكمها. والجدير بالذكر أنّ الجزائر عملت على أن تتمثّل الفصاحة وبوجه الخصوص في قطاع التربية، فأولت اللغة العربيّة عناية كبيرة في المجالين التعليمي والإداري في ظل الاستراتيجية التي خُطِّطَ لها في رسم أهدافها التربويّة. وبالرغم من حصتها الكبيرة في الاستعمال إلاّ أنّ غنى اللغة العربية بالأهداف الغربية لا قابلية لها للتطوّر.

وقمين بي أن أشير أيضا إلى طبيعة اللغة العربية التي تحكمها مجموعة من الخصوصيات تجعلها تختلف عن اللغات الأخرى، ولا يمكن أن نقيس تطور اللغات الغربية وازدهارها بمجال واحد دون آخر، في الوقت الّذي نجد فيه اللغة العربية قابلة للازدهار والتطور، بغض النظر إلى مختلف مجالات استعمالها؛ لكنّه من الصعب الحديث عن نجاعة الأهداف التربوية ونحن نتجاهل هذه اللغة. حتى إنّ النظرة إلى العربيّة اليوم تفرض نفسها، والنظرة الدونية إلى العربيّة تجعل الجزائريّ مقهورا، وهو مارّ بفترة لم يكن له فيها جسرٌ يصله بماضيه الزاهر بالتراث الّذي تركه أجدادنا خدمة للغة والوطن، فكيف السبيل لبناء جسر إلى المستقبل، وهل المشكل قائم في الأهداف أم فينا نحن؟ إنّ العربيّة في اعتقادي هي اللغة الحيّة، لغة عمرها قرون وباقية لا يتغيّر جوهرُها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهي محفوظة بفضل الله تعالى التي اختارها ليُنزل بها القرآن الكريم، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: **الآية:02 من سورة يوسف**. وتتلخّص الأهداف التربويّة للغة العربيّة في بلادنا في:

- بناء جيل مثقّف ثقافة عربيّة.

- التعريف بالثقافة الجزائريّة ومقوماتها من خلال جزأرة المؤسسات التعليميّة والإطارات.

- صياغة الأفكار والقوانين بلسان واحد لبناء حضارة الأمة.

- الإبقاء على الأثر الإيقاعي والبياني للغة العربيّة الفصحى وتأثيرها على تعلّم اللغات.

- سمة الإيجاز في اللغة العربية ومكانته في التعبير، بحيث يُمَكِّن الطفلَ من التعبير عن الفِكَرِ والعواطف بأبسط الكلمات وأبلغها، وهذا الهدف لا نجده في اللغات الأجنبيّة، فإذا حاولتَ مثلا ترجمة سورة ( الفاتحة ) - التي تحوي إحدى وثلاثين كلمة - إلى اللّغة الإنجليزيّة، فالنتيجة هي أنّ الترجمة استغرقت حوالي سبعين كلمة؛ فإذا ترجمنا إلى العربية كلاماً مكتوباً بإحدى اللغات الأوروبية كانت الترجمة العربيّة أقلّ من الأصل بنحو الخمس أو أكثر [4].

- عملية اكتساب المعرفة بالعربيّة أسهل وأسرع من اكتسابها بلغة أخرى.

**ب- في اللغات الأجنبيّة:** اهتم الغربيون اهتماما كبيرا بالميدان التربوي، حيث صنّفوا مجالاته وفق الأهداف التعليميّة للبلد بالعودة إلى ماضيه وربطه بمستقبله. وتتجلى هذه الأهداف أساسا في الجانب المعرفي الّذي تحدّده عمليّة الأداء التعلّمي المستندة إلى مهارات وقدرات عقلية تسعى إلى تحقيق المستوى النهائي والمتمثل في المجال المعرفي. والمجال المعرفي عند الغرب يتشكّل من عوامل كثيرة كمعرفة حقائق الأشياء ومكنوناته، ومنهجها، ونظرياتها، ثم فهمها وصياغتها وتطبيقها. وبعدها يأتي التحليل الّذي بدوره يقوم بتحليل

المادة أو المعلومة بعد تركيبها ليتم تقويمها على مستويين وهما مستوى الحكم الذاتي، والحكم الموضوعي الخارجي[5]. أمّا المجال الثاني فقد عُنِي باهتمام كبير ولا سيما في التعليميّة الحديثة وهو المجال النفسي المهاريّ؛ حيث إنّ الأداء الفعلي للسلوك تفرضه مجموعة من المستويات كالاستعداد، والإدراك الفيزيائي الحركي، ومستوى الاستجابة بمختلف أنواعها، ثمّ تكييف المهارات في المواقف التفاعلية، لتبنى المعارف ويحصل الإبداع. ولا يمكن أن نتغافل عمّا للمجال الوجداني من دور في الأهداف التربوية؛ إذ به يحدث التفاعل انطلاقا من جملة من الانفعالات التي تنطوي على حالات وجدانية تسوقنا إلى النتائج الإيجابيّة والكفاءات النهائية[6].

**جـ- التواصل التربويّ في المؤسسة التربويّة:** التواصل التربويّ رابط يربط بين مختلف أقطاب العمليّة التعليميّة، وهذا الربط نعني به تلك اللغة التي تتحرّك بين أشكال مختلفة من الوظائف التي تؤدّيها داخل المؤسسة الواحدة، وللتواصل أهميّة كبيرة في تنظيم هذه المؤسّسة، وما يعنينا أكثر هو محور العمليّة التعليميّة وهو المتعلّم الّذي يقتضي التواصل معه باللغة التي يفهمها ويستوعب بها المفاهيم والمعرفة، وعلى المعلّم أن يُفعّل من لغته ويجعلها تستجيب للحياة المدرسيّة في المتعلّم، حتّى يغرس فيه حبّ العمل والاجتهاد، فتجده يتعامل مع محيطه الجديد أسلوب تواصليّ يحترم فيه قواعده وقوانينه، فنراه يتواصل مع الإدارة من موظفين وعمال بلغة هادفة مهذّبة، كما تجده يتواصل مع زملائه بنسق آخر مختلف. ومما هو ملاحظ في بعض المؤسسات التعليميّة أنّ تأثير المعلّم الفعّال في المتعلّم يمسّ حتّى لغته في اللعب مع الزملاء؛ وهذا الحرص الكبير هو ما يبني من المتعلّم التوازن

السلوكي في التواصل اللغويّ. والمؤسسة التعليميّة – اليوم – تحتاج إلى أطـر تتواصل مع الأطفال والشباب داخل المؤسسة، تربيهم فيهـا علـى الأخـلاق والعلم، وبهما يرتقي المتعلّم إلى النجاح. إنّ الحديث عن المؤسسـة التعليميّـة هو الحديث بشكل خاصّ عـن المرحلـة الأولى مـن تعلّـم الطفـل المتمثلـة في الطور الابتدائي. حتّى إنّ اللغة التي يتعلّمها التلميذ في هـذه المرحلـة بسـيطة بساطة المتعلّم، وإذا ما تمّ الربطُ بين المكتسب والاستعمال، حُقّقت مؤشـرات الازدهار والتطوّر لهذه اللغة.

**2ـ التغيير الصوتي في مفردات العربيـة:** تمتـاز اللغـة العربيّـة في بلادنا بالسرعة والخفّة، وهذا ما يظهر في خصائص الاستعمال اللغوي للّغـة الواحدة، وكأنّنا أمام عربيات عدّة، وما هي إلاّ عاميات تغيّرت أصواتها إمّـا لعوامل جغرافيّة، أو سياسيّة أو اجتماعيّة؛ وهي لهجـات وُضـعت للتواصـل والاحتكاك الاجتماعيّ، ولا تصلح أن تكون لغات للعلم والتعلـيم. وتتّفـق جميع الأمم في أنّ العاميّة لا تصلح إلاّ للتواصل اليومي، في حين أنّ المستوى الفصيح من هذه اللغة فيستخدم في الخطـاب الرسمـي وفي الكتابـة والأدب والصلاة وغيرها؛ وهو المسـتوى الراقـي في اللغـة. ومـن المعلـوم أنّ التغـيير الصوتي في مفردات العربيّة يؤثّر تأثيرا سلبيّا على تعلّم اللغة الفصحى، إذ لا يمكن لمزدوجـي اللغـة الـتحكّم جيّـدا في المسـتويين؛ وعلـى أنّ الازدواجيـة اللغوية ليست ناتجة بالضرورة عن هذا التعارض بين المشافهة والكتابة، فقـد يغيب عـن أذهـان بعـض اللغـويين أنّ الأداء والتحصـيل يختلـف بـاختلاف المقام– أي باختلاف المخاطب وحال الخطاب– ... ومن ثـمّ التحـوّل الّـذي يحصل بحكم التأثّر بالبيئات اللغويـة الجديـدة وهـذا التحـوّل يسـمى تطـوّرا

طبيعيّا يمسّ اللغة الأصليّة"[7]، فعلى مزدوجي اللغة أن يتعوّدوا على استعمال اللغة الفصحى عفويّا، فطالما نمت الملكة اللغويّة لدى الأفراد مزدوجي اللغة واستقامت بفعل المران.

**3- واقع الاستعمال اللغويّ في الإدارة (بين الوظيفة والممارسة)**: من الصعب أن نتكلّم عن حال اللغة العربيّة في الإدارة الجزائريّة، وقد تختلف إدارة التعليم عن أجهزة القطاعات الأخرى في البلاد في ناصية اعتماد اللغة وممارستها؛ و"الإدارة التربوية وتسمى أيضاً الإدارة التعليمية، أو المدرسية، هي عملية قيادة النّاس وتوجيههم أو ضبطهم لتحقيق هدف معيّن ومشترك، وتعرف أيضاً على أنّها الطريقة التي يُوجّه بها التعليم في مجتمع معيّن، وذلك بما يتلاءم مع أوضاعه ومع الأيديولوجية الموجودة فيه، وكذلك مع الاتجاهات الفكرية التربوية السائدة به، وذلك لتحقيق الأهداف الموضوعة والمخطط لها" [8]. إنّ الحديث عن الإدارة هو حديث عن الوثائق والنسخ التي تتعامل بها مختلف الإدارات من نفس السلك، وما يُؤسف لها هو استفحال الأخطاء فيها كونها وثائق مترجمة، والترجمة أحيانا تفقد النص الأصلي قيمته وما بالك باللغة الهدف (المترجم إليها). ورغم محاولات الإصلاح وتحسين الوضع التربوي بالتغييرات الجدريّة التي مست جميع هياكل القطاع، إلاّ أنّ اللغة العربيّة في الممارسة والاستعمال الإداري تكاد تكون منعدمة، فإلى ماذا يعود السبب في تخلينا عنها؟

لقد وضعَت الدولة لكلّ قطاع من قطاعاتها إدارات تنظّم شؤونها وترعى مصلحة موظفيها، كما وضعت السلطة الوصية كلّ الإجراءات اللاّزمة لتحقيق أهدافها المرسومة في المنهاج باعتمادها سياسة جديدة في ظل مجتمع

المعرفة والتكنولوجيا الحديثة، كما وفّرت كـل الشـروط والظـروف للنهضـة باللغة العربيّة، ومع ذلك فإنّ وضع اللغة في الاستعمال ظلّ متـدهورا سـواء تعلّق الأمر بالإدارة أم بالموظفين والمتعلمين. ألا ترى أيها القارئ أنّه لا يمكن أن يحدث التحسّن بغياب الإرادة والدافعيّة!؟ أقـرّت التعليميّـة الحديثـة بـأنّ قابليّة التلميذ للتعلّم تتحقّق إذا ما وُفِّرت له شروط الـتعلّم، ومنهـا "التحفيـز وبناء الدافعيّة للتعلّم، وإبعاد كلّ ما هو عائق يعيق عمليّة التعلّم؛ هذه النظرة الحديثة إلى التعليم تقتضي من المعلّم أن يكون بدوره كفءا وقادرا على تمثُّل آليات التعليميّة"[9] من هضم للعلوم المختلفة، كاللسانيات النفسيّة، واللسانيات المرضية، واللسانيات الاجتماعيّة، مستمرا إيّاها في مختلف المواقف التعليميّـة، وإذا كان المعلّم محيطا بهذه العلوم ممارسة فعليّة في الميدان، فمـا عسـانا نقـول عن حال الممارسة اللغويّة؟

أ- **المعلّم واللغة العربيّة**: للغة العربيّـة مكانـة مرموقـة في الاسـتعمال التربوي، والحديث عن التربيّة والتعليم هـو الحـديث عـن المرحلـة الأولى في تعلّم الطفل أو التلميذ وهي الابتدائيّـة، وتعتـبر هـذه المرحلـة "القاعـدة الـتي يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم، وهي مرحلـة عامـة تشمل أبناء الأمة جميعا، وتعمـل علـى تزويـدهم بالأسـاسيات مـن العقيـدة الصـحيحة، و الاتجاهـات السـليمة، والخـبرات والمعلومـات، والمهـارات"[10]؛ وعليه فالابتدائية طور للبناء والإعداد، والبناء ينطلق من القاعدة، وينبغي في بناء القاعدة أن تكون صحيحة وقويّة حتّى يُبنى عليها، وكذلك يفعل المعلّـم بتلميذه. واكتساب اللغة في هذه المرحلة تتطلب من المعلّـم جهـدا ومهـارات تراعي مستوى المتعلّم ونفسيته واستعداداته، والتعليم باللغة العربيّة الفصحى

يفتح للمتعلّم آفاقًا واسعة للفهم والاستيعاب وحبّ التعليم، ولكنْ إذا ما أُضفيِ على تلك اللغة عنصر التشويق. مسؤوليّة المعلّم في التعليم مسؤوليّة عظمى وكبيرة، لأنّه أمام أفراد متعدّدي المستوى؛ يختلفون في التفكير، وفي درجة الذكاء، وهذه الفروق الفرديّة لابد لها أن تكون، إلاّ أنّ المعلّم كفيل بأن يتصدى لهذه الظاهرة التي بإمكانها أن تبنيَ شخصيّته كمعلّم فعّال[11]؛ ملّمٍ بكلّ صغيرة وكبيرة لها صلة بالمتعلّم، فتجده أبا ناصحا، معلّما مرشدا، ... إنّها صفات موجودة لكنّنا قلّما لاحظناها وأدركناها، وليست بمثاليّة، فهي صفات تتحقّق بالإرادة والحبّ، وأيّ إرادة وأيّ حبّ؟ إنّه حبّ التعليم الّذي لا يحدث إلى بمحبّة المتعلّم، وإذا ما تحقّقت هذه الصفات في مدارسنا، فاعلم بأنّ منظومتنا ستزدهر، وازدهار التعليم ينتج عنه بالضرورة ازدهار اللغة العربيّة.

أمّا الشيخ (البشير الإبراهيمي) فيشبِّه المعلمين بفرسان السباق[12] مُصَنِّفا إيّاهم أربعة أصناف: المبتدي والشّادي والمغير والمتخلّف. فالمبتدي قد يكون غزير العلم لكنّه قليل الخبرة في نقل علمه إلى المتعلّمين وبالإرادة والممارسة يكتسبها. والشّادي من أخذ بقسط من العلم، ونال بعض الخبرة تُعينه على تعليم النشء. والمغير من الخيل سريعُها، وهو في ميدان التعليم المعلم المتقدّم النبيه ذو الخبرة الذي ينبغي أن يأخذ عنه المبتدي والشادي. أما المتخلّف فلا علم وخبرة، وبه ابتُليت منظومتُنا التربوية في العقود الثلاثة الماضية.

ويعلّل الإبراهيمي تمايز المعلمين باختلاف مدارسهم وتعدد مشاربهم. ويعذرهم لحرمانهم من تربية في المنزل رشيدة وغياب توجيه حكومي من شأنه أن يهيئهم للحياة ويعدّهم لتحمّل المسؤولية. وإن كانت المواعظ موجّهة إلى معلّمين بيننا وبينهم أكثر من نصف قرن فإنّ ما ينصح به الواعظ صالح

لنا في زماننا هذا بل هو أصلح لنا من غيره، ونتطلّع إلى قراءة مثل هذه المواعظ في وثائق المعلّم وأدلته بمدارسنا.

**4ـ الازدهار في المجال التربويّ غاية يجب تحقيقها**: يعتبر قطاع التعليم مفتاحا لكل تطوّر اقتصادي واجتماعي، فهو يعنى بكل الطبقات الاجتماعية، وكل مكونات الأمة، ولابد للنظام التربوي أن يكون مشروعا اجتماعيا؛ هدفه هو تكوين أجيال متقدمة علميا وثقافيا وتربويا. يمثل النظام التربوي العمود الفقري لكل تقدّم يحصل في البلد، وعليه لابد أن نولي عناية بكل ما يمت لهذا السلك بصلة. وإذا كنا نسمع اليوم بالإصلاحات التربوية تحصل باستمرار كل سنة، فإنّ هذه الإصلاحات -التي حدثت ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا-وإن كانت في معظمها فاشلة بدليل التقارير التي تقدّمت بها اللجان التربوية من مفتشين وخبراء وأساتذة في سبيل تعديل السندات وتصحيح أخطائها، لم تكن واضحة المعالم ولم تكن منطقيّة، ولا سيما الفترة الأولى والتي حدّدَت بداية من عام: 2003 للميلاد، حيث كانت وزارة التربية على عجالة من أمرها، ففرضت الحال نفسها أن تقع التعديلات فيما لم يتوقّعه المربي حيث كثرة الأخطاء واستفحالها في كل الأطوار التعليمية بأنواعها المختلفة: كأخطاء الكتب –كما سلف الذكر– وأخطاء الأساتذة في اتّخاذهم طرائق بعيدة عن المنهاج الجديد، وهذا يرجع لغياب التكوين القبلي للأستاذ، وعدم تحكّمه في المنهاج وأهدافه.

1/4- **مفهوم الازدهار في المجال التربوي:** إذا ما تأملت جيّدا المعاجم العربيّة لوجدت أنّ المعنى اللغوي لكلمة ازدهار هو التقدّم والزيادة والاتّساع. أمّا اصطلاحا: فيعني ذلك التطوّر الّذي تصحبه مجموعة من

الخصائص التّي تتّصف بالجدّة، أو هو تحوّل إيجابيّ في الطريقة أو السلوك. أمّا الفرق بين كلمة ازدهار ورقي في اللّغة العربيّة فيظهر في الاستعمال أو السياق؛ فرقيّ اللغة مثلا ليس بازدهار اللغة والعكس، ومن هذا المنطلق يعتبر الرقي جزءا من الازدهار متضمنا فيه، والرقيّ تطوّر ونموّ قد يؤدي إلى الازدهار. وازدهار اللّغة هو مواكبتها للعصر وتحدياته، ألا ترى أنّ العربيّة اليوم ما كانت عربيّة الأمس، وإنْ لم تكن عربيتنا اليوم لتعكسَ عربيةَ فطاحلِ اللّغة من أسلافنا العرب القدامى السليقيين حيث البلاغة والفصاحة ؟ فظلت عقودا من الزمن وقرونا راقية متطوّرة؛ هي لغة الشعر والبيان والأدب، وبالرغم من كونها فصيحة لا تعتبر لغة مزدهرة.

والكلام عن الازدهار لا يتوقّف في مجال واحد فحسب لأنّ الازدهار قد يشمل ميادين مختلفة من تربية وأدب، وفكر، واقتصاد وغيرها من المجالات، وأرى أن تحقيق الازدهار في المجال التربوي يكون بالانخراط في الاقتصاد العالمي أوّلا بعيدا عن كلّ التأثيرات السياسيّة والإيديولوجيّة. فالتطوّر الحاصل اليوم كلّه مرتبط بالاقتصاد، فكلّما تطوّر اقتصاد البلد كلما تطوّرت اللّغة وميادين الحياة المختلفة معه.

**4/ 2- الازدهار وتهذيب المنهاج الدراسي:** كلمة تهذيب لا تعني أنّ المنهاج الّذي تؤلفه اللجان المختصّة والخبراء يفتقد إلى الأدبيات في كتابة النصوص واختيار القواعد، لكنّه لم يُعط للمنهاج حقّه في اختيار النصوص التي تتناسب ومستوى المتعلّم، حتى إنّ الأخطاء المستفحلة في كثير من النصوص ولاسيما النصوص المترجمة عن الأنترنيت تُنقِص من مصداقية هذا المنهاج مما يجعل الأستاذ أحيانا يعجز عن إيجاد بدائل أخرى، في الوقت الّذي

نجده مقيّدا كلّ التقيد بأن يسير وفق تلك النصوص والسعي إلى تحقيق أهدافها في بناء التعلمات وتوضيح الكفاءات الّتي يستحيل الوصول إليها والسند عقيم. وقبل تناول الازدهار في المنهاج الدراسي، وقبل أن أرسم معالم هذا الازدهار وصورته الواضحة في المنهاج كان لزاما عليّ أن أعرّف المنهاج رغم تعدّد وجهات نظر الباحثين والمختصين في مجال التعليميّة، ولكلّ قراءته وفهمه؛ فقد يُقصَدُ بالمنهج تلك الخطة الفكرية التي يتبعها المفكر أو الباحث لمعالجة أمر من الأمور، أو يعرّف بذلك الطريق الذي يسلكه الباحث بغية تحقيق مآربه وأهدافه. أمّا مفهوم المنهاج فيتمثّل في " الرسم البيداغوجي الأوّل الذي يخطه أصحاب الميدان والموكلة لهم مهمة العمل عليه وتحضيره، فهي الوثيقة البيداغوجية"[13] . ثمّ إنّ القائمين على تحضير وإخراج هذا المنهاج في الجزائر يتمثّلون في هيئة وزارة التربية الوطنية ومجموع هياكلها المختلفة، فعمل الوزارة في هذا المجال لا يتوقف عند إخراج الوثيقة بل الأخذ بعين الاعتبار ثلة من المعطيات، فهي بصدد رسم مسار مجتمع من خلال مجموعة الأهداف المسطرة؛ فالمنهاج هو المعبّر عن المشروع الحضاري الذي يتبناه المجتمع من الجانب الفكري والمعرفي.

5ـ **تيسير النحو على المتعلم**: من الأخطاء التي يقع فيها الباحث في مجال اللغة أن يخلط بين مجموعة من المركبات تتشابه في الجذر، كضرورة التمييز بين: النحو التعليمي، والنحو العلمي، والنحو الوظيفي، والنحو التخصصي، وتجديد النحو وتيسير النحو. يصعب علينا استيعاب معاني هذه المركبات ولاسيما إذا غاب عنّا عنصر الممارسة والاستعمال، فيكفيك أيّها القارئ أن تفهم أهداف كلّ مركّب حتّى تجد سهولة في التعامل معها

ومختلف المواقف والسياقات. معظم هذه المركبات قديمة في الاستعمال، لكنّها مجتمعة نجدها موضوعَ الدراسات الحديثة، حيث أُعطي لها مجالا من الاهتمام والدراسة حتّى نتمكّن من التمييز بينها. فالنحو العلمي مثلا يتناول البحوث الأكاديمية دراسة وصفية، تحليلية، مقارنة...، والنحو التعليمي هو تعليم القواعد المقررة في المناهج الدراسيّة الرامية إلى تحسين استعمال اللغة عند المتعلم. والنحو الوظيفي مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسيّة للنّحو، وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان والقلم من الخطأ نطقا وكتابة. والنحو التخصصيّ ما تجاوز ذلك من المسائل المتشعبة، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة.

أمّا تيسير النحو فهو الأخذ بأبسط الوجوه والآراء النحوية؛ نحو - إعراب اسم الاستفهام ماذا: (كاملة)، وماذا مجزّأة: ما (اسم استفهام) / ذا(اسم إشارة أو اسم موصول). لكن لا يكفي هذا حتى نعطي للمركّب حقّه من الدراسة؛ إذ عقدت من أجله عدّة مؤتمرات وندوات، كما كتب فيه العديد من علماء اللغة، ويظلّ المشكل قائما على مصطلح التيسير حيث إبداء العيوب له، فكيف يكون التفكير في الجوانب التربويّة والأستاذ يخلط بين المفاهيم؟ وهل يُعقَل أنْ نتكلّم عن ازدهار اللغة ونحن ندور في فلك العامل النحوي بين القبول والرفض؟! إنّ نقد المفاهيم الإجرائيّة للنحو لا يُنقِّص من اللغة شيئا، ثمّ إنّ فكرة التيسير قديمة طُرِحت في التراث العربيّ، من ذلك نذكر فكرتي (ابن مضاء) و(قطرب)، ثمّ يأتي اللغويّون المحدثون محاولين تطبيق المناهج اللغويّة الحديثة على اللغة العربيّة فمنهم من رفض النحو دون أن يقدّم له بديلا، كما نجد منهم من حاول "تطبيق المناهج على النحو العربيّ" بتطبيق

المنهج الوصفي اعتمادا على السماع دون القياس والإعلال والتأويل والتقدير"[14] ، فلماذا لا ننظر إلى شوائب النحو التي شوّهت جماله كما سعى إلى ذلك عباس حسن في " تيسير النحو من جهتين: الطريقة والمادة، حيث سلك في طريقة عرض النحو مسلكًا يختلف عن مسلك النحاة؛ إذ قسّم كلّ مسألة إلى قسمين: قسم موجز للطلاب، وآخر مفصل للمتخصصين، واستخدم في التمثيل على المسائل أمثلةً حديثةً، كما نوّع في أسلوب عرض المادة فجاءت لغة كتابه (النحو الوافي) سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد، مفصّلة.

## 6ـ الرقمنة وأثرها في ازدهار اللغة العربيّة:

يُفترَض أن يعتمد قطاع التربية في تخزين المعلومات على ما يسمى بالرقمنة الإلكترونيّة العربية Digital Arabic، ولعلّ محاولات الوزارة في هذا المجال كانت ضيّقة لم تشمل جميع المحتوى الرقمي. و"الرقمنة عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي، وذلك بمعالجتها بواسطة الحاسب الآلي"[15] ؛ بمعنى أنّها تحويل المعلومات النظرية في شكل نصوص أو صور أو أصوات وغيرها، إلى شكل رقمي مع الأجهزة الإلكترونية المناسبة لها. ولا تزال الاجتهادات في هذا السبيل قائمة كجهود أستاذنا (عبد الرحمان الحج صالح) رحمة الله عليه في اللغة العربية واللسانيات الحاسّوبيّة. وباعتبار أنّ محتوى النظام التربويّ لا تغطّيه الرقمنة أي لا تتوفّر كلّ المعلومات باللغة العربيّة، فإنّ أهمية الرقمنة في النهوض بالقطاع تكمن في السرعة في الاتّصال والانتقال إلى المتلقي، أضف إلى ذلك تعبيرها الثقافي الواسع وبناؤها للحضارة، وهذا ما نعنيه بالازدهار حين تصلك المعلومة واضحة بسرعة ودقّة واختصار، كما أنّ الازدهار في "المحتوى الرقمي"[16] يطلعنا على الثقافات الأجنبيّة، نؤثّر فيها

كما كنّا نتأثّر بها. إنّ الكلام عن الرقمنة في استعمال اللغة العربية في المجال التربويّ هو كلام عن أكبر وعاء للمعرفة، تلك المعرفة التي تقتضي وجود آليات معلوماتية لها أو أدوات أساسيّة تقوم بحوسبة هذه اللغة ليتمّ تحليلها تحليلا علميّا. وما لا تغطّيه اللغة العربيّة من مفردات تعليميّة أو تربويّة يستوجب على المتخصصين اللجوء إلى أدوات البحث والمعاجم وتطويرها بما يسدّ حاجيات العصر ومتطلباته، إذ نحن اليوم مطالبون بالانفتاح على العالم المتقدّم والارتقاء إلى مستوى الأدوات المماثلة في اللّغات الأجنبيّة حتى نمكّن لغتنا من فرض نفسها لغة علم وحضارة. وعلى القائمين بوضع السياسة اللغوية حفاظا على اللغة العربية في بلادنا وكسبها التعميم وإدخالها في البرمجة الحاسوبيّة أن يُغيّروا وضعها الحالي ويُنشّطوها بما يخدم العصر. لا يجب أن أقف على هذا الحدّ، لأنّه يتعيّن علينا أن نحدّد كيفية التغيير واقتراح استراتيجيّة جديدة تساهم ولو بشكل في تطوير اللغة الرقميّة؛ لو أمعنّا النظر في دولة إسرائيل من حيث رقيّها الحضاري ومواكبتها للعولمة والتكنولوجيا الحديثة، نجدها قد ألّفت معاجم كثيرة يسود متطلبات العصر في فترة وجيزة لا تعدى العقد من الزمن، فعشرُ سنوات قليلة جدا إذا ما قارنّاها بقرون من الزمن ولم يكن لهذه القرون أن تُدخِل اللغة العربية إلى مصاف الدول المتقدّمة بما أُلّف من معاجم تواكب العصر. وعليه تكون اللغة العربية بلا مدوّنة؛ فهي لا تملك العدد الهائل من الكلمات التي تفوق المليارات في مختلف القطاعات، وهذا واضح في أشكالها واستعمالاتها اليومية والعلمية والعملية والأدبية. وازدهار اللغة العربيّة بالرقمنة أمر حتميّ في تماسك ثقافة الأمة

وبقائها، وتحقيق الإبداع الفكري وطبعه بسماته الخاصّة الجزائيّة، وذلك بالتخطيط لوضع آليات التبلور حفاظا على أسس القوميّة والهويّة.

كثيرا ما يقترب معنى الرقمنة بالشبكة العنكبوتيّة وهي فضاء تتّسع لكلّ اللغات منطوقة كانت أو مكتوبة، لكنّ اللغة العربيّة لم تُحظَ بما وصلت إليه بعض الدول من حيث مواضيعها وتجاربها العلمية، وما يُقدّم من دراسات وأبحاث بطرق تربوية تفاعلية.

إنّ عدم تحكّم العرب في التكنولوجيا الحديثة ما جعلها تتأخّر عن دائرة النموّ، وحضور اللغة العربية في الشبكة العنكبوتيّة يعكس ضعفها، ولا يمكن بحال من الأحوال أن ندع لغات أخرى أضعف من العربيّة في ساحة الرقمنة تتفوّق علينا، أليست اللغة الكوريّة والهولنديّة والبرتقاليّة من اللّغات التي لا تقف أمام عظمة اللغة العربيّة؟ المشكل ليس في عدد المتكلمين بهذه اللّغة، إنّما المشكل يكمن في الإنتاج الفكري باللغة العربيّة وتحديدا مشكل الترجمة، فكيف يؤثر هذا الأخير؟ للترجمة آليات ومعاجم يُستَنَد عليها، ثمّ إنّ طبيعة اللغة العربيّة من حيث مفرداتها وقواعدها تُصعّب من عمليّة ضبط المصطلح، وهذا ما جعل الترجمة إلى العربيّة تعاني مشكل المصطلح، فاللغة الاسبانيّة مثلا حقّقت الترجمة إليها في عام واحد ما لم تحققه الترجمة العربيّة في عقود وسنوات.

**1/6- الازدهار اللغوي وثقافة الانترنيت internet**: في خضم الضغط المتزايد من خارج الأوساط التعليمية إلى داخلها بقصد الاستفادة من الخدمات التعليمية التي يقدّمها الحاسوب في العملية التعليميّة، تأتي

الإنترنت كفضاء يفعّلها المعلّم في ثنايا تعليم اللغة العربيّة، و"الإنترنت أو شبكة المعلومات الدّولية عبارة عن مجموعة من شبكات المعلومات الدولية اتحدّت معا لتكون شبكة واحدة تحوي ما تحويه كلّ هذه الشبكات مجتمعة فأصبحت وعاء هائلا لتخزين المعلومات وتسويقها في شكل خدمات تقدّم للمستخدمين دون أن يكون ذلك الوعاء مملوكا لأحد أو تتحكّم فيه دولة بعينها. فالشبكة غير مركزية وتتوسّع بشكل واسع الانتشار وتدار بإشراف جمعية طوعية عملها إشرافي ينحصر في تطوير مواصفات التشغيل القياسية.

وتعتبر الشبكة العنكبوتية (Web) واجهة التعامل في الإنترنت وهي التي تسهّل على المعلمين التعاملَ مع مختلف التعلمّات التي ينضاف إليها الصوت والصورة المتحرّكة لتحتوي الوسائط المتعددة. وإني لأرى أنّ الجزائر من البلدان التي استفادت وبشكل كبير من هذه التكنولوجيا، وإن عملت بعض القطاعات على إدخالها في مصالحها وإدارتها، إلاّ أنّها تفتقر إلى ميكانيزمات التسيير، كما تفتقر إلى وجود آليات وكفاءات تقرّب الدّرس الحديث إلى المتعلمين. هذا وقد "زاد عدد المشتركين في الشبكة حتى وصل إلى عشرات الملايين والعدد في ازدياد عجيب"[17]. إنّ استفادة الجزائر من حصتها من الإنترنت تحمل في طياتها فرصاً كثيرة لتحسين التعليم، وزيادة أثره على المتعلّمين، وإذا ما أرادت بلادنا ازدهار قطاع التربيّة وازدهار اللغة العربيّة وازدهار طرق التعليم، ربطت القطاع بالشابكة[18] وقضت على مشكل اكتظاظ الأقسام، وفسحت الطريق للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة بتوفير الأجهزة العلميّة لكلّ الأطوار التعليميّة؛ لأنّ التدرّب على استعمال اللغة العربيّة بالإنترنت في عمليّة التعليم تمكّن المتعلّم من مشاهدة التجارب

العلميّة في حالة عدم توفّرها، حيث إنّها قادرة على إكساب المتعلمين المهارات الحاسوبية تماما كقدرتها على إعطائهم المعلومات، ومن الخطأ الاعتقاد بأنّ الإنترنت لا تصلح إلا للتعليم النظريّ بل إنّ المهارات والتدريب جزء أساس من خدمات الإنترنت. باللغة العربيّة نكتسب المهارات المعلوماتية، بمعنى أنّه ليس فقط الحصول على المعلومات الضخمة داخل قواعد بيانات الإنترنت؛ بل إكساب مهارات البحث (Searching) والانتقاء (Selecting)، والتفكير في الكلمات الأساسية للمواضيع (Key-words) وغيرها مما يجعل من المتعلّم "الصغير" يقف موقف الباحث "الكبير". التعامل مع المتعلمين وفق فروقاتهم الفردية، وكثيرا ما يتحدث التربويون عن هذه الفوارق لكنّهم قليلاً ما يضعون حلولاً لها، ومن خلال الإنترنت متعددة المشارب والوسائل يمكن التعامل مع فوارق المتعلّمين، لأنّ التنوّع في عرض التعلّم أفضل ما يناسب الفروق الفردية.

وإذا ما تحقّق هذا المشروع في بلادنا -الجزائر- أصبح لزاماً علينا أن ننظر إلى المتعلّم هدفاً أساسياً من التعليم ومحوراً للعملية التعليمية لا شاهداً ومتفرجاً وموقعاً عليه فحسب. وخلاصة القول فإنّ الحاسّوب ذو أهميّة كبيرة في الحياة التعليميّة، وبعدما كانت وسيلة من وسائل الاتّصال صار اليوم حضوره في العمليّة التعليميّة أمرا واجبا، نظرا لدوره الفعال في توجيه المجتمع وقيادته، فهو مركز إنتاج العلم والمعرفة، واللغة في استعمالاتها الأكاديميّة التربويّة تكون متطوّرة وراقيّة؛ أمّا رقيُّها فلكونها لغة مهذّبة، والفضل في تهذيبها يعود إلى تلك البرامج التي لا تني تصحح وتدقّق في كلمات هذه اللغة مفردة أو مركّبة. إنّه النموذج الّذي نأمل أن يتحقّق في

سياسة الإصلاحات التربويّة، وهو وجه من أوجه الإصلاح الّذي سيُعنى باللغة العربيّة أوّلا ثمّ تدريس العلوم ثانيًا.

**6/ 2- مشروع الذخيرة اللغويّة والازدهار اللغوي:** فوائد هذا المشروع لا يجب أن تبقى مجرّد طموح في تصوّر عالق بين الخبراء وأصحاب الفكرة والمشروع؛ لأنّه ليس موضوعا يهتم بإنشاء المعاجم المعهودة والقواميس فحسب، إنّما النظرة أعمق وأشدّ فهي تشمل تاريخ النصوص العربيّة متعدّدة التخصّصات ولا يمكن لباحث واحد حصرها. و"العمل الجماعيّ المنظّم هو وحده يمكن أن يضمن نجاح المشروع وإنجازه في أحسن الظروف" [19]. ومشروع الذخيرة العربيّة ديوان العرب قديما وحديثا، " وهو بنك آلي من النصوص العربيّة القديمة والحديثة بما أنتجه الفكر العربي" [20]، وسيكون آليا على شبكة الإنترنت، ولا شكّ أنّ تردّد النصوص في المسح الآلي السريع سيُضفي على اللغة العربيّة حيويّة يتفاعل معها المتعلّمون باختلاف مستوياتهم، تكسبهم معرفة واسعة باللغة العربيّة المتخصصة، فتجده يميّز بين المصطلحات النحويّة وبين المصطلحات النقديّة في فترة زمنيّة قصيرة، وأنّ فوائده على اللغة أيضا تكمن في" الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة ولا يكتفي بما في القواميس ولا في كتب القواعد، وأن يمسح هذا الواقع كما يشاء ويستقريه كما ورد" [21]؛ فالذخيرة بهذا المفهوم ستكون وسيلة اتّصال عالميّة تسعى إلى الرفع من المستوى العلمي والثقافي للفرد ناهيك عن اكتساب الملكة اللغويّة السليمة. ولعلّ هذا المشروع الّذي كُرّست له كل العناية والجهود لإنجاحه لا يزال يعاني من مجموعة من المشاكل والمتمثلة أساسا في عمليّة تنسيق الجهود بين المجامع العربيّة، فهو مشروع جماعة وإنجازه

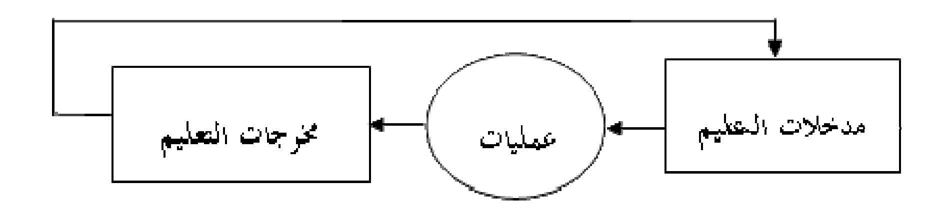
يتطلّب إسهامات الجميع بما فيه من إنتاج فكر عربي قديم وما هو إنتاج معاصر. وإنجازه هو تحفيز لتعميم الفصحى لدى كلّ الأمم العربيّة في مختلف الميادين الفكريّة، وبإنجازه سيكون دافعا لأن نتعرّف على تراثنا قديما وحديثا. كما أنّ إنجازه سيتيح الفرصة لكلّ المتعلّمين التعامل مع الوسائل التكنولوجيّة العصريّة من حواسب آليّة وبرمجيات وإنترنيت، وعالم المعرفة.

**7ـ الازدهار اللغوي وأثره على مستوى المتعلم:** من الواضح أنّ المتعلّم مرآة عاكسة لمعلّمه أو أستاذه ولاسيما في الأطوار الأولى من تعليمه، فنجاحه يتوقف على عدّة عوامل أهمها:

- التكيّف الجيّد مع طرائق التدريس؛ حيث ظهرت آليات جديدة في عملية منظمة تحاول ضبط عملية التعليم وربط مدخلاتها بمخرجاتها، فالتعليم حديثا مبنيّ على ثلاثة أشياء: هي "المدخلات وعمليّات التعليم بالإضافة إلى المخرجات"[22]؛

أمّا المدخلات فيُقصَد بها ما يقوم به التعليم، أمّا المخرجات فهي نتائج العمل التعليمي بعد الإجراء العملي التعليمي، وفيه يقوّم مستوى المتعلّم.

وفيما يلي مخطط يوضّح النظرة المعاصرة للتعليم[23]:



تكمن مدخلات التعليم في الخصائص النفسيّة والاجتماعيّة للمتعلّم، وما يتعلّق به من قدرات ومهارات واستعدادات، فهو المدخل الرئيس في عملية التعليم، وبتغيره ونموه يقاس نجاح التعليم أو فشله. كما أنّ المدخلات ترتكز أساسا على المعلّم من حيث كفاءته وقدراته ومهاراته المهنية وخبراته، ومن حيث طرائق إعداده. كما أنّ المعلّم تميّزه مجموعة من الصفات الجسميّة والخصائص الفطرية لها تأثير على عمليّة التدريس.

وتشمل المدخلات البرامج التعليميّة والوسائل البيداغوجيّة التي تساعد على إنجاح العمليّة التعليميّة، وكما وُضعت أساليب التقويم مع المدخلات، لأنّ التعليم يتأثّر بأسلوب التقويم المستخدم، فلا يمكن للمعلّم أن يستغني عن أساليب التقويم المتنوعة المراعيّة للمتعلّم في مستوى نموّه الشامل مورفولوجيا، نفسيا، حركيا، اجتماعيّا. وسُمّيت مدخلات لأهميّتها في العمل التربوي وهي جزء جوهريّ منه. فالمدخل الجيّد يكون مخرجه جيّدا، أمّا إذا كان المدخل سيّئا ناقصا، فاعلم أنّ ملمح الخروج أو المخرج سيكون لا محالة سيئا.

ويُقصَد بالعمليات المذكورة في الرسم أعلاه الطرائق التعليميّة والآليات التي يعتمدها المعلّم في العمليّة التعليميّة، وهي من أهم مرتكزاتها.

تعني كلمة المخرجات ما خلُص إليه التعليم من نتائج بعد التقويم بأنواعه، وتتلخص بنمو المتعلّم وما يطرأ عليه من تغير أثّر عليه التعليم إيجابيا في التحصيل المعرفي ونمو الملكة اللغويّة والمهارات.

ونمو المتعلّم نموًا حسنا هو الغاية القصوى والغرض الأساس من عملية التعليم، ويخطئ من يظن أن هدف التعليم ينحصر بمقدار المعلومات التي تُقدّم له أو بكميّة المعلومات التي يكتسبها المتعلّم، وهذا لا يعني استبعاد كميّة المعلومات من قصد التدريس ولكنّها جزء من هدف التدريس، وليست كلّ ما يقصد منه. وهذا يؤدي إلى القول أنّ التقويم لا يجب أن ينحصر بقياس تحصيل المتعلّمين، بل يجب أن يتعدّى ذلك إلى قياس نموّهم الشّامل وأثر التعليم عليهم في شتى جوانبهم العقدية والتربوية والمعرفية والجسمية والاجتماعية والنفسية بحيث يُنتج لنا التعليم عضوا فاعلا مؤثرا في مجتمعه نافعا لنفسه وأمته.

- كما أنّ الجانب الفطري للمتعلّم وقدراته العقليّة لها دورها في نجاح المتعلّم، حيث نجد هذا الأخير ينمِّي من مهاراته وقدراته الإبداعية، ويكتفي بالتوجيه دون أن يبذل المعلّم في سبيله جهودا كبيرة، فيُطوِّر موهبته اللغويّة وتزدهر وهو يتفاعل مع مختلف المواقف والوضعيات التعلّمية، فتراه يشارك، ويبادر في كلّ مرّة، يسأل ويجيب، يسبك مفردات اللّغة ويحكمها في التركيب إحكاما.

- كفاءة الأستاذ وتكوينه؛ إذ تلعب عمليّة تكوين المعلمين والأساتذة دورا إيجابيّا في بناء النخبة، فالمعلّم الكفء محيط بالعمليّة التعليميّة من كلّ جوانبها، هاضم لتقنيات التقويم وأساليبه، عارف بالحالات النفسيّة والاجتماعيّة، مُدرِك كلّ الإدراك للنقائص التي يعاني منها المتعلّمون، فنجده يتحكّم في اللغة جيّدا يوظفها في مختلف المواقف، يُحفّز بها المتعلّمين ويحاول

بناءهم من كلّ المستويات حتّى يُفجّر طاقاتهم الإبداعيّة بتوخيه الآليات التعليميّة.

**خاتمة**: أخلص بعد هذه الدراسة إلى وضع الاقتراحات الآتيّة:

- إنّ ازدهار اللغة العربيّة في مدارسنا مرهون بتيسيرها على المتعلّمين وتهذيبها في ألسنة المعلّمين ولاسيما معلّمي المواد العلميّة الذين يضربون بعرض الحائط قواعد النحو والصرف فيهدمون بذلك ما يُحاول أن يبنيَه أستاذ اللغة، فإنْ يكن هؤلاء ضعافَ المستوى في اللغة فعلى الإدارة الوصية أن تتّخذ الإجراءات اللازمة لتحسين مستوياتهم، ثمّ تكون صارمة معهم بحيث لا يتهاون أحدهم ولا يستخفّ باللغة فيظلّ حالها في سوء وتخلّف.

- ويلزمُنا أيضا أن نهتمّ بالكتاب المدرسيّ الذي يُعتبر الأداة الهُمَّى في يد التلميذ، أمّا كتب المواد العلميّة فينبغي أن نحرص على سلامة اللغة المستعملة فيها وصحّة المصطلحات، وأمّا اللغة فينبغي أن يكون لها كتابين كما كان الأمر في سابق عهد المدرسة الجزائريّة، كتاب للنصوص وكتاب للقواعد. فالنصوص يختارُها مَن لهم درايةٌ باللغة الفصيحة وذوقٌ أدبيّ سليم، فلا يضع بين يديْ المتعلّم نصوص ركيكةً مرجعها الأنترنت والمؤلّف مجهول أو نكرة، وأقول هنا الأنترنت بدل الشبكة العنكبوتية حفاظا على ما يُقرأ على هامش النص في كتاب التلميذ كما أسلفنا.

- كما ينبغي تيسير قواعد اللغة على المتعلم حتّى لا ينفر منها كما هو الحال في مدارسنا اليوم، وقد تطرّق إلى هذه المسألة الدكتور عبد العزيز بن

عثمان التويجري في كتابه حاضر اللغة العربية معتمدا على ما ذهب إليه طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر) من وجوب الاقتصار في دروس النحو على القدر الضروريّ، ويمكن أن نحقّق ذلك عمليّا بالكفّ عن مطالبة التلميذ بتفصيل الإعراب وبالتقليل من الدروس النظريّة والمصطلحات النحويّة، ونركزّ على التطبيق أثناء القراءة وأثناء التعبيرين الشفويّ والكتابيّ، ونجعل في كتاب القواعد الذي نبّهنا إلى ضرورة العودة إليه، تمارينَ يكثر فيها ملء الفراغات بما يظهر من خلاله استيعاب المتعلّم للقاعدة من دون أن يحفظها عن ظهر قلب كما يفرض عليه بعض المعلّمين، فقد كان العرب فصحاء قبل أن تُوضَع قواعد لغتهم.

- وحيث إنّ مواقع التواصل الاجتماعيّ في الشبكة العنكبوتيّة من أكثر ما يُنفَق فيه الوقتُ في زماننا هذا، يمكن أن نستثمر بعضا من ذلك الوقت ونشغل أبناءنا المتعلّمين بكتابة خواطرهم والتعبير عن آرائهم ومشاعرهم في صفحة نفتحها لهم أو نادٍ ننشئه لهم، ونوجّهم إلى استعماله باللغة العربية الفصحى، ونقوّم ما يكتبون تقويما لغويّا يُحفّزهم على تحسين أساليبهم وتطوير إبداعاهم، فمن يكتب اليوم خاطرةً يمكن أن يؤلّف غدا كتابا.

**الهوامش:**

1- صالح بلعيد، النخبة والمشاريع الوطنيّة، 2013، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص: 62.

2- ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسـانيات العربيّـة، الجزء الأول، موفم للنشر. الجزائر: 2007، ص:.64

3- المرجع نفسه: ص: 31.

4- يعقوب بكر، العربية لغـة عالميـة. القـاهرة: 1966، نشـر الأمانـة العامـة لجامعة الدول العربية، ص: .76

5- قنديل محمد راضي، دراسات في المنـاهج وطـرق التـدريس: تقسـيم بلـوم للأهداف المعرفية. مصر: 1992، ص 153 – 123.

6- لورين أندلرسون وديفيـد كـرازوول، مراجعـة لتصـنيف بلـوم للأهـداف التعليميّة. ترجمة: فايز مراد. مصر: 1964، ص: .13

7- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّـة، الجـزء الأول، موفم للنشر. الجزائر: 2007، ص: .65

8- تعريـــــف الإدارة وخصائصـــــها /mawdoo3.com / يـــــوم 15/ 03/ 2017/ الساعة: .21:03

9- رائد خضير ومحمد الخولدة، خصائص معلّم اللغة العربيّة الفعّـال: دراسـة مقارنة. المجلة الأردنيّة في العلوم التربويّة. المجلد: 08العدد: 02، ص: .167

10- عدنان بن محمـد علـي بـن حسـن الأحمـدي، واقـع اسـتخدام الإعـلام المدرسي في تنمية مهارات الاتصال اللغوي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالمدينـة المنورة، كلية التربية، قسم المنـاهج وطـرق التـدريس، جامعـة أم القـرى، الفصـل الدراسي الثاني،1430/ 1431 ه، ص: .67

11- وزارة التربية الوطنية: النشرة الرسمية للتربية الوطنية – المديرية الفرعية للتوثيق، العدد 522، الجزائر: 2009، ص .10

12- ينظر آثار البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، الجزائر: 1987. المؤسسة الوطنيّة للكتاب، ص: 155..

13- صلاح الدين محمود علاّم، التقويم التربوي البديل-أسسه النظرية والمنهجية وتطبيقاته الميدانية-ط1. القاهرة:

14- يُنظرُ: عبد المجيد عيساني، النحو العربي، ص: .269

15- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: 1988، ص: .73

16- ينظَر: http://www.alyaseer.net .

17 Khan, Badrul (1997). Web-based instruction. USA, Educational Technology Publications, p: 215.

18- Steen, Douglas and others (1997). Teaching with Internet. USA, Resolution Business.p: 16.

19- عبد الرحمان الحاج صالح، من أخبار مشروع الذخيرة العربيّة (أو الإنترنت العربي). مجلّة المجمع الجزائريّ للّغة العربيّة، العدد: 02. الجزائر: 2005، ص: 262.

20- المرجع نفسه، ص: .263

21- المرجع نفسه، ص: .267

22- إبراهيم بن عبدالله المحيسن، تدريس العلوم تأصيل وتحديث، مكتبة العبيكان، ص: 20.

23- محمد بن عبد الله، المدرس ومهارات التوجيه، الرياض: 1416 هـ. دار الوطن، ص: 37.

# آليات تفعيل اللغة العربية في المؤسسات التربوية من أجل ازدهارها

أ.مليكة صالح

– جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر

## مقدمة:

يقول يوهان فك :" لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها محاولة زحزحة الفصحى عن مقامها المسيطر"، و بصفتي متابعة للوضع في الميدان التربوي عن كَثب و ليس عن كُتب ،ومنتسبة للمنظومة التربوية الجزائرية تكوينا و تنظيرا، أراني مدفوعة أن أدلو بدلوي في هذا الموضوع المهم،فاللغة العربية لا تزال تواجه تحديات عديدة تحول دون تمكنها من مواكبة الحداثة و التكنولوجيا، و ليس هذا العجز بنيويا إنما هو هامشيا ،فعلماء اللسانيات لا يختلفون عن المؤهلات الفريدة لهذه اللغة، و لا عن غنى معجمها ، ولكنه عجز حامليها في جعلها لغة علم و ثقافة وحضارة .

و ما هذه المشاكل التي تتخبط فيها اللغة العربية إلا بسبب غياب سياسة راشدة لتطويرها و تفعيلها في جميع المجالات.

و تعتبر المؤسسات التربوية واحدة من أجهزة الدولة التي تساهم إسهاما كبيرا في النهوض باللغة العربية و إعادة مكانتها بين الأجيال، و اعتبارها

جزءًا لا يتجزأ من الهوية العربيـة الإسـلامية، كيـف لا و هـي لغـة القـرآن، و عليه فإن المؤسسات التربوية هي اللبنة الأولى التي ينطلـق منهـا المـتعلم في أخذ المبـادئ الأولى للعربيـة الفصـيحة، لـذا وجـب الاهتمـام بهـا و حسـن التخطيط لها لمحاولة تحبيب العربية لدى متعلميها لتصبح لغة تواصل و علم و ثقافة، و عليه تأتي هذه الورقة كي تقف على أهـم الآليـات الـتي تسـاهم في تفعيل اللغة العربية بغية النهوض بها و إعطائها المكانة التي تستحقها.

فما هي أهـم الخطـوات الممكـن تطبيقهـا للـتمكين للغـة العربيـة داخـل المؤسسات التربوية؟

كيف يمكننا إثارة الدافعية في تعلم اللغة العربية لدى المتعلمين؟

## جوانب من آليات تفعيل اللغة العربية في المؤسسات التربوية:

إنّ" الضـعف المتراكـم الـذي تعرفـه التربيـة و التعلـيم في غالبيـة الـدول العربيـة ، و الـذي يشـمل جميـع المراحـل التعليميـة ... ،ضـمن الأسـباب الموضوعية لهذه الأزمـة اللغويـة. ذلـك أن موقـع اللغـة العربيـة في الـبرامج التعليمية من رياض الأطفال إلى الجامعات ،لا يرقى إلى مستوى المكانة الـتي يجب أن تتبوأها هذه اللغة، و هو ما يؤدي إلى أجيـال مـن خريجـي المـدارس و الجامعات و المعاهد العليا ،صلتها باللغة العربية ضعيفة بوجه عام، و ذلك لأسـباب منهجيـة و هيكليـة ، و هـي ذات الأسـباب الـتي تفقـد المنظومـة التعليمية بصورة عامة، أهم مقوماتها و تجعلها مفككة و قاصرة عن إحداث التغيير المطلوب في المناهج و البرامج و الأنظمة" [(1)]، لأجـل هـذه الأسـباب عملـت الجزائـر بكـل إمكانياتهـا إلى تطـوير مقوماتهـا التربويـة منـذ فجـر

الاستقلال و لم تدخر أي جهد بالنهوض باللغة العربية بل التزمت التجديد و الإصلاح عبر السنوات ،و قد جاء في ديباجة 16 أبريل 1976 م "إن وطنية المنظومة التربوية تفرض علينا منح التربية باللغة العربية، كما تفرض علينا نشر القيم الروحية والثقافية الأصيلة، لتساهم بدورها في إحياء تراث عريق غني بمظاهر التقدم و يتوقف تكييفها مع مقتضيات الجماعة" و تطبيقا لذلك جاء في المادة 8المرسوم 76/ 35 المؤرخ في 16/ 04/ 1976 م :" أن التعليم يكون باللغة العربية في جميع مستويات التربية و التكوين، و في جميع المواد."[2]، و عليه فإنه من الواجب للرقي باللغة العربية و ازدهارها أن نركز على النقاط التالية الذكر.

**1 _ تمكين الطلاب من مهارات اللغة العربية:**

مما لا شك فيه أن التمكن اللغوي و المعرفي لا يتم إلا باكتساب المهارات التي تساهم في هذه الغاية ،ولذا بات من الضروري العمل على تطوير المهارات اللغوية الأربع بشكل خاص ، و هذه المهارات كما هو متعارف عليها هي: الاستماع ،الكلام ،القراءة ، و الكتابة، و هي متصلة ببعضها تمام الاتصال و كل منها يؤثر و يتأثر بالمهارات الأخرى، "فالمستمع الجيد هو بالضرورة متحدث جيد، و قارئ جيد و كاتب جيد، و الكاتب الجيد لا بد أن يكون مستمعا جيدا و قارئا جيدا وهكذا"[3].

و تعليم اللغة العربية يهدف إلى تمكين التلاميذ من أدوات المعرفة عن طريق تزويدهم بهاته المهارات مع التدرج في تنميتها على اِمتداد مراحل التعليم ليصل في نهايتها إلى مستوى لغوي يمكنها من اِستخدام اللغة

اِستخداما  ناجحا عن طريق الاستماع الجيد و النطق السّليم و القراءة المسترسلة الواعية و الكتابة السليمة الخالية من الأخطاء.

و لا مراء أن تعلم اللغة العربية عن طريق ممارسة مهاراتها المختلفة من الطرق الأمثل للوصول إلى نتائج اِيجابية، فمعرفة اللغة شيء و التمرس بمهاراتها شيء آخر،فكم من متعلم يعرف قواعد النحو و الصرف و لا يجيد القراءة الجهرية، ذلك لأنه لم يتدرب عمليا على تطبيق هذه القواعد عن طريق ممارسة القراءة الجهرية[4] ، لذلك فالتكامل الموجود بين مهارات اللغة بصفة عامة واللغة العربية  بصفة خاصة هو نتيجة التفاعل الموجود بينها في عملية التدريس ، فتدريب التلاميذ على هذه المهارات يحدد مدى تقدمهم في مجال المعرفة.

و يأخذ الاستماع الصدارة بين هذه المهارات إذ يجب التدريب عليه من البداية، و يعتبر الكلام هو التعبير الشفهي ، و القراءة تضم ما يضمه الأدب من شعره و نثره للأطفال و الكبار، أما الكتابة فتتضمن التعبير التحريري و الخط و الاملاء ، أما النحو فهو القاسم المشترك الأكبر بين هذه المهارات[5] .

وعليه إذا قام المدرس بتنمية الثروة اللغوية في أي مهارة فإنه يساهم في تنمية الثروة اللغوية في المهارات الأخرى أي أن هاته المهارات قائمة على التكامل في عملية التعليم.

و تؤكد التربية الحديثة على أهمية العناية بتمكين المتعلمين من المهارات اللغوية التي تعينهم على استخدام اللغة العربية في المواقف الحيوية، و هذا التمكن لا يتحقق بتعريفهم باللغة  و قواعد استخدامها فحسب ، و لا

يحصل بالتعليم العشوائي الذي يقوم على التكرار، و لا يرتكز على تشخيص هذه الاستجابات الصحيحة و تثبيتها لكن يفترض أن تسبقه عملية تعليم و تدريب.[6]

## 2 _ مراجعة المناهج و تعديلها:

إن المناهج التربوية هي النبراس الذي يرسم معالم الطريق في النظام التربوي و على ضوء مضامينها تكون فاعلية مخرجات التربوية من عدمها، و عليه فإن إِعادة هيكلة المناهج التربوية باتت ضرورة ملحة، و الاصلاح يكمن في مناهج اللغة العربية بمختلف مراحله إلى أن يمس المرحلة الجامعية ، فلو أصلح تعليم اللغة العربية و صفي مما يعتريه من عوامل النقص و التخلف و الجمود ووضعت له المناهج الجيدة، و الكتب القيمة، و الأساليب المتطورة المفيدة التي تتناسب مع مستوى التلاميذ و تفكيرهم ،لأصبح النهوض باللغة العربية أمرا واقعا، فالتركيز على المدرسة و ما تقدمه للتلاميذ باعتبارها المنهل الأول الذي ينهل منه الطفل اللغة العربية لهو عين الصواب ،و كذا محاولة ربطها بمسألة الهوية ، فنحن نرى اليوم جيلا يستحي أن يتحدث باللغة العربية فهو يعتبرها لغة تخلف و اِنحطاط، و ما هذا إلا نتاج المناهج التي لا تقوي الصلة بين المتعلم و لغته و ثقافته ودينه ووطنه و في هذا الشأن يقول الأستاذ صالح بلعيد :" إننا نحتاج إلى إصلاح لغوي... و لا بد من السير المرحلي و مراجعة كل مرحلة قبل الانتقال لمرحلة موالية" ثم يضيف:" إنه لا بد من تأهيل العربية في المجال التربوي الذي يعمل على الأمن اللغوي و المحافظة على السيادة"[7].

ويجدر بنا أن نذكر فيما يلي الإصلاحات التي مست المدرسة الجزائرية من أجل النهوض باللغة العربية و هي:

**- إصلاحات ما بعد الاستقلال مباشرة:**

لقد ورثت الجزائر نظاما تربويا بعد حرب ضروس و لم يكن هـذا النظـام قادرا على تحقيق أهداف و غايات الأمة الجزائرية نظرا لمبادئه التي تتنافى مع مبادئ و قيم الأمة، فكان لزاما على الدولة الجزائرية أن تخوض حربا أخرى من أجل اِسترجاع السّيادة الوطنية على النظام التربوي فـتم بـذلك تنصـيب اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم 1963م/ 1964م كانت البداية بـإجراءات تخص السّيادة الوطنية، و من أهم هذه الإجراءاترسـيم تعلـيم اللغـة العربيـة و الدين الاسلامي في مناهج التعليم[8] .

**-فترة ما بين 1971م-1980م:** و قد مـر علـى المدرسـة الجزائريـة ثماني سنوات حيث واصلت فيه رحلة البحث عن الذات من خلال تعريب التعليم الابتدائي تعريبا كاملا.

بينما تقـرر العمـل بنظـام الأقسـام المزدوجـة في لغـة التـدريس بالمرحلـة المتوسطة سنة 1971 م كمرحلة اِنتقاليـة نظـرا لقلـة الاطـارات في التعلـيم القادرة على التدريس باللغة العربية لمختلف العلـوم مـع السـعي إلى تحقيـق التعريب بصفة كاملة شاملة [9].

و قد كان التعليم في هذه المرحلة مبنيا على المضامين أو طريقـة الـتلقين الـتي ترتكز على اِكتساب المعلم أكبر قدر ممكن مـن المعلومـات و في وقـت زمـني

محدد، مع تجاهل مدى قدرة التلميذ على ترجمتها إلى أفعال تربوية، كما تمنح هذه المقاربة للمعلم الدور الرئيسي في العملية التعليمية.

إلا أن الدولة الجزائرية أعادت النظر في هذه الطريقة و رأت أنها لم تعد مجدية فتبنت مقاربة جديدة في الإصلاح التربوي و كان مشروع إصلاح المنظومة التربوية مجسدا في الأمر 76-35 المؤرخ في 16/ 04/ 1976م و المتضمن إنشاء المدرسة الأساسية و التي ركزت على الغايات و الأهداف.

- **فترة** 1981م-1990م: هي مرحلة المدرسة الأساسية ، و قد تميزت بنقلة نوعية في الميدان التربوي حيث وصفها عبد الرزاق قسوم بقوله " نعتقد أن المدرسة الأساسية بفضل وحدة مناهجها و توجيهها تمثل خير حصن يمكن أن يتلقى فيه الطفل المفاهيم الصحيحة الواضحة و البعيدة عن كل شعارات الديماغوجية و الاستهلاك الفوري العاطفي" [(10)].و قد كانت المقاربة بالأهداف هي المنهج المتبع في هذه الفترة، حيث جاءت لتتجاوز النقائص التي عانت منها المقاربة بالمضامين، وحاولت الانتقال من الاهتمام بالمحتويات و المعلومات إلى التركيز على الأهداف التربوية باعتبارها نقطة انطلاق في العملية التعليمية ... و تكون الأهداف التعليمية ضمن هذه المقاربة عبارة عن سلوكات مجزأة يمكن ملاحظتها و قياسها آنيا [(11)].

- **فترة مابين** 1990م-2003م :شهدت هذه المرحلة إصلاحات شكلية لم تمس المناهج لكنها بشكل عام أعطت مؤشرا جيدا لأنها - على الأقل-

حافظت على حركية البحث عن التطوير والتماس التحسين و الحرص على استمرارية التجديد رغم السيل من الانتقادات التي واجهتها .

- **فترة من** 2003 **إلى يومنا هذا:** مع التطور العلمي و التكنولوجي الذي شهده العالم أصبح اللجوء إلى مقاربة جديدة أمرا حتميا لا مناص منه لمواكبة العصر، فجاءت المقاربة بالكفاءات التي تركز على قياس الكفاءة المتحصل عليها من خلال الفعل التعليمي.

ومن هنا كانت المناداة بإصلاح المنظومة التربوية لمجابهة التحديات و خاصة و نحن في القرن الواحد و العشرين.

إلا أن هذه الاصلاحات لم تكن جذرية و لم تمس الجوانب المهمة للنهوض بالمنظومة التربوية عموما و اللغة العربية خصوصا و قد رأى القائمون على المنظومة التربوية سنة 2015 م بضرورة إعادة النظر في المناهج المقررة بما فيها مناهج اللغة العربية و أعدت ما يسمى بمناهج الجيل الثاني الذي لا يزال قيد التجريب.

و كل هذه الاصلاحات مست بالدرجة الاولى اللغة العربية، فقضية تعريب المدرسة الجزائرية و جزأرة المضامين كانت نقطة تحول جادة في الرقي باللغة العربية و جعلها مهيمنة على الساحة التعليمية ، أما عن المقاربات التي اتبعت فهي نتيجة للتطور التكنولوجي العالمي و ظهور نظريات التعلم التي حولت مبدأ التعليم إلى مبدأ التعلم .

و يقودنا هذا إلى تحسين طرائـق و أسـاليب تعلـم اللغـة العربيـة ليـتمكن التلاميـذ منهـا و مـن اِسـتخدامها أحسـن اِسـتخدام، سـواء في التحريـر أم في التواصل.

## 3ـ تطوير استراتيجيات تدريس اللغة العربية:

لقد مس التطور العلمي كل مجالات الحياة ووصل إلى حد اللّغة و أساليب تدريسها ،فما عادت الطرق التقليدية مجدية في تعلم اللّغة العربية بتعدد مآخـذ المعرفة و تنوعها لذلك وجب علينا استثمار التقنيات الحديثة المتوفرة و تطوير أسـاليب تـدريس اللغـة العربيـة وفـق مـا ترتضـيه نظريـات التربيـة الحديثـة، فاكتساب اللغة العربية هو ممارستها و التدرب عليها في جميع المواقـف الحياتيـة مشافهة و كتابة و التحكم في آلياتها و هذا هو الهـدف مـن المدرسـة الجزائريـة الذي نص عليه القـانون التـوجيهي للتربيـة المـؤرخ في 23ينـاير 2008 م ،في المادة 2"ضمان التحكم في اللغة العربية باعتبارهـا اللغـة الوطنيـة و الرسميـة ، و أداة اكتساب المعرفة بمختلف المستويات التعليمية " [(12)]

فتعلم اللغة يعتمد على المران لاكتساب آلياتها و هذا ما ذهب إليه بليابيف " أن تعلم اللغـة هـو تـدريب يختلـف عـن تعلـم أكثـر الموضـوعات المدرسـية الأخرى، فهو ليس اكتساب معلومات معينـة و لا مسـألة اِسـتيعاب حقـائق بعينها". [(13)]

فالممارسة و التكرار هما من الدعائم الأساسية في اِكتساب اللغة و هو ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون :" إنما تحصل هذه الملكة بالممارسـة و الاعتيـاد و التكرار لكلام العرب." [(14)]

و قد نصت علوم التربية الحديثة على استراتيجيات لتعلم اللغة عامة و العربية خاصة نذكر منها ما يلي:

**1 - إستراتيجية حل المشكلات:**

**و المشكلة هي**: سؤال محير أو موقف مربك يجابه به شخص بحيث لا يستطيع الإجابة على السؤال بما لديه من معلومات جاهزة ،عندئذ على المعلم أن يضع كل معلوماته و مهاراته السابقة في قالب جديد لم يكن موجودًا لديه من قبل ، و عن طريق ذلك يستطيع الوصول إلى الإجابة عن السؤال المطلوب، أو التصرف في الموقف ، و قد يتطلب الأمر اكتساب معارف و مفهومات و مهارات جديدة للإجابة الصحيحة.

و تعتبر هذه الإستراتيجية من أعقد الاستراتيجيات لأن المتعلم فيها يستعمل عمليات عقلية كثيرة و معقدة،مثل التذكر و الفهم و التطبيق و التحليل و التركيب و الاستبصار و التجريد و التعميم و يسمي جون ديوي هذه الإستراتيجية بطريقة التفكير المنتج.[15] و تكمن أهمية هذه الطريقة في أنها تثير الفضول العقلي و المتعة و الرغبة لدى المتعلم و تنمي لديه القدرة على المناقشة.

و يستشهد جانييه في تقويمه لواقع حل المشكلات بأن المحور الأساس للتربية هو تعليم الطلاب كيف يفكرون و كيف يستخدمون قدراتهم العقلية، و المنطقية ليصبحوا أفضل في حل المشكلات المتضمنة في المادة. و من أساسيات حل المشكلة المهارات الذهنية التي تتضمن بدورها مهارات تنظيم المعارف اللغوية، و مهارات قوة الإدراك و مهارات الربط بين المتغيرات ،

وهذه المهارات إذا تم تنميتها لدى الطلاب تساعدهم على أن يكونوا أحسن تفكيرا و أكثر إبداعا، و من ثم أكثر فاعلية في حل المشكلات.[16]

**- الطريقة الابتكارية:**

تبين دراسات كثيرة أن التعليم بالطريقة الابتكارية له نتائج منها، أنه يغير التلاميذ من أفراد لا يستطيعون الاتصال الجيد إلى أفراد يستطيعون ممارسة التواصل بنجاح مع الآخرين،إضافة إلى زيادة قدراتهم الابتكارية و مشاركاتهم الايجابية في الأنشطة الابتكارية و ان تدريس الإبداعية يحتاج إلى جو من الحرية في الفكر و التعبير.

و أكدت دراسة كونسونغ GOHNSONYGG أن بعض الأنشطة التي يمكن للمعلم اِستخدامها داخل الفصل الدراسي لتنمية مهارات التحدث تحتاج إلى التغذية الراجعة و التقويم الذاتي للمتعلم و اِهتمت هذه الدراسة بتدريب التلاميذ على تحليل المادة التي اِستمعوا إليها كمنطلق أساسي في تطوير مهاراتهم في التحدث[17].

و على كل فالمقام ليس لعد كل الأساليب و إنما للتنويه ببعضها و هنا يأتي دور المعلم في اختيار الطريقة المناسبة و الفعالة في نقل المعارف إلى المتعلمين، شريطة أن تكون مرنة تراعى فيها قدرات و ميولات المتعلمين، فلكل نشاط طريقته في تلقينه التي تختلف عن طريقة نشاط آخر و ما يجب توخيه في إنجاح أساليب التدريس هو ربط المادة اللغوية بالحياة اليومية للمتعلمين.

## 4- تطوير اعداد و تأهيل معلم اللغة العربية:

يحظى إعداد و تأهيل المعلم بمكانة كبيرة في عملية اِصلاح التعليم و تطويره من أجل النهوض باللغة العربية و ازدهارها، ويتطلب هذا التأهيل تظافر الجهود من وسائل رسمية و غير رسمية التي تساعد المعلم على تعلم مهارات جديدة و تطوير نظرته لعملية التدريس و الكشف عن فهم جديد و متقدم لعملية التعليم برمتها من حيث المحتوى و الأساليب و غيرها و هذه نقطة مهمة جدا، فإذا لم يكن المعلم مستعدا لخوض غمار الاصلاح و المساهمة فيه بفعالية من خلال وضع نظرته الجديدة و المتفحصة في الميدان، فان عملية الاصلاح و الرقي باللغة العربية لن يقوم له قائم، فتطوير رؤية المعلم لعملية التعليم تعني مدى استعداده نفسيا لتقبل التغيير و المساهمة فيه.

و يجدر بنا أن نبين ماهي الأدوار الموجهة للمعلم و أين تكمن مهمته في المهمة التعليمية ، فمن أدواره أنه موجه الى النشاط التعليمي و ناقل للمعارف و مدير في فصله.

و قد اِعتمدت كلية التربية في جامعة بستبرج بأمريكا نموذجا لمجالات الكفايات لدى المعلم و حصرتها في ست مجالات و هي:

**المجال الأول:** المعلم ناقل للمعلومة.

**المجال الثاني** : المعلم مدير للنشاط التعليمي

**المجال الثالث:** المعلم مصمم و مصدر لعملية التدريب على التعليم

**المجال الرابع:** المعلم مصمم و مدير لمهام التعليم.

**المجال الخامس:** المعلم المرشد.

**المجال السادس**: المعلم و تفاعله مع الآخرين.[18] و عليه يجب أن نعد برنامجا جادا و قادرا على مواجهة التحديات في ظل العولمة من أجل النهوض بالمعلم و إعداده إعدادا جيدا يؤهله لمواجهتها.

و يمكن أن نلخص من خلال ما تقدم برنامجا لإعداد المعلمين القائم على الكفايات من خلال النقاط التالية:

_ إن الاتجاه التقليدي لإعداد المعلم يهتم أكثر بالجانب المعرفي و المعلومات النظرية، بينما الاتجاه الحديث يركز على المتعلم باعتباره محور العملية التعليمية، إذ يزود هذا البرنامج المعلم بالمهارات التي تمكنه من إشباع حاجات المتعلم.

_ تؤكد حركة التربية القائمة على الكفايات على الربط بين النظري و العملي الميداني، من هذا المنطلق تهتم هذه الحركة بإعداد المعلمين على الجانب العملي ،و ذلك بتحديد الكفايات المطلوب إتقانها و التدرب عليها.

_ محاولة الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في ميدا التربية و التعليم.

_ تنمية القدرات و مهارات المعلم التدريبية و تحديد الكفايات المطلوب إتقانها مما ينعكس بالإيجاب على أداء المعلم و الطلاب أنفسهم.

_ وضع مخطط تقويم المعلم أثناء الخدمة للحصول على التغذية الراجعة يمكنه من تحسين أدائه.[19]

_ إعداد المعلم مهنيا من خلال التمرس على الأدوار المتعلقة بالمهنة، من تدريس و تقويم و توجيه، و إدارةالصف ،إلى جانب التدريب على عمليات التخطيط و إعداد المشروعات مع التدريب على استخدام التكنولوجيا

الحديثة في هذه الأدوار.[20] و كما رأينا حيثيات هذا البرنامج فإنه يرتكز على الجانب التطبيقي الميداني ، و مع أن مسئولي المنظومة التربوية يحرصون على تكوين الأساتذة وخاصة أساتذة اللغة العربية بالمرحلة الثانوية بهدف النهوض بتعليمها و تحبيبها للمتعلمين إلا أنني ألاحظ قصورا في التكوين بالميدان فقد حدد بحجم ساعي قدره 12 ساعة فقط و أخذ الجانب النظري الحظ الأوفر خلال عام كامل ، و حينما يلتحق الأستاذ بمنصبه يصطدم بواقع يخالف ما صور له في الجانب النظري ،فكما نعلم أن المقاربة المتبعة في التعليم حاليا هي المقاربة بالكفاءات و هي بحاجة الى أرضية تطبق فيها ووسائل تساعد عليها، فيتفاجأ الأستاذ بأقسام مكتظة ووسائل غير متوفرة ، فتثبط عزائمه في التدريس و يعجز عن تحبيب اللغة العربية و تقريبها للمتعلم ، و يجد عوائق في جعلها لغة فاعلة تفاعلية.

هذا كله عن أستاذ اللغة العربية مما ينجم عن تأهيله و تكوينه تكوينا سليما للحفاظ على اللغة العربية و مكانتها في المؤسسة التربوية،و لا يمكننا ان نتغاضى عن دور أساتذة المواد الأخرى حتى العلمية منها و تدريسها باللغة العربية ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على محاولة فسح المجال للغة العربية بالاستخدام داخل المؤسسات التربوية و على أساتذة هاته المواد ممارسة العربية الفصيحة،و التدريس بها داخل القسم و فرض ذلك على التلاميذ و عدم التحجج بعدم إتقانها بحكم أنها لم تكن لغة التخصص في الجامعة،فالمسؤولية تقع على الجميع في جعل هذه اللغة لغة التواصل و الممارسة في مؤسساتنا التربوية.

## 5ـ توظيف التكنولوجيا في تعليم اللغة العربية:

لقد اِرتبط مفهوم التكنولوجيا على مدى قرن ونصف قرن بعالم الصناعة قبل دخوله عالم التربية و التعليم ، و قد عُربت إلى اللغة العربية بمصطلح "تقنيات" [21]،و قد عُرف مفهوم التكنولوجيا بعدة تعاريف يمكن ذكر أهمها:

_ عرفتها منظمة اليونسكو بأنها" تطبيق المعارف لصنع و إنتاج أشياء هادفة أو مفيدة،و هي تعبر عن قدرتها لاستخدام مواردنا لفائدة البشرية، و هي بذلك تتوخى ايجاد طرق جديدة و أفضل لحل القضايا و تأمين حاجاتنا و رفاهيتنا."[22]

_ و عرفها الفرجاني "بأنها العلم الذي يهتم بتحسين الأداء و الممارسة و الصياغة أثناء التطبيق العملي"[23]

و عليه فإن اِستخدام التكنولوجيا في التعليم يهدف إلى تحسين تدريس المواد المختلفة و يساعدها للخروج من دائرة الطرق التقليدية التي تشعر المتعلم بالملل و الضجر إلى رؤية جديدة للتعلم المرن الذي يكسوه التطور و التطلع للآفاق، فيشعر بمواكبة العصر و التطور في ظل العولمة، ناهيك على أنها توفر الجهد و الوقت ،"وعلى حد قول بيل جيتس أحد أبرز القائمين على المعلوماتية في العالم و الذي يؤكد على أن أعظم الفوائد التي ستحققها البشرية في المستقبل سترجع بالدرجة الأولى إلى تطبيق التكنولوجيا على التعليم الرسمي أو غير الرسمي[24] .

### فوائد اِستخدام التكنولوجيا في تعليم اللغة العربية:

إن التطور الهائل الذي يشهده العالم الذي جعل منه قرية صغيرة يفرض علينا الحرص على الاستفادة من الوسائل التكنولوجية المتاحة،فالتكنولوجيا

الحديثة تمتاز بخصائص عدة تجعلها قادرة على تحقيق العديد من الفوائد في تعليم اللغة العربية منها:

1_**حيوية التعلم**: حيث تقدم للمتعلم بيئة تعليمية متفاعلة،تشجعهم على الاندماج في العملية التعليمية[25].

2_ **زيادة التحصيل المتعلم**: حيث أنها تتيح مصادر متعددة للحصول على المعلومات باللغة العربية،الأمر الذي يساهم و بشكل فعال في تدعيم عملية التعليم و التعلم، فقد **أشارت** الدراسات إلى أن أكثر الطلبة يتعلمون بشكل أفضل عند استخدام المصادر المرئية و المسموعة [26].

3_ **تنمية المستويات العليا في مهارات التفكير**:حيث أن هناك بعض البرامج المصممة خصيصا لتشجيع و تنمية مهارات التفكير العليا عند الطلبة في الصرف و الإعراب مثلا[27].

4_ **مراعاة الفروق الفردية:** إن المتعلمين يتعلمون و يتطورون بطرق مختلفة و بمعدلات متفاوتة ، و من ثم من الخطأ أن يعتقد المربون أن ثلاثين طالبا في فصل دراسي واحد سيتعلمون المعلومات نفسها في الوقت ذاته،باستخدام الأساليب التقليدية الشائعة، بينما تستطيع التكنولوجيا تقديم يد العون بالسماح لهم بالتقدم بمعدل مناسب، كما أنها قادرة على تغيير أسلوب التعليم من تعليم الفصل ككل إلى تعليم المجموعات الصغيرة[28].

5_ **الدافعية**:فالطلبة الذين يستخدمون الأساليب التكنولوجية في التعلم يعتبرون أكثر دافعية للتعلم و يتمتعون بثقة متزايدة في النفس و إثبات الذات[29].

6_ **تنمية مهارات التعاون و العمل في الجماعة**( التعلم التعاوني ):بحيث تقدم المعلومات للمتعلمين في مجموعات صغيرة أو كبيرة، ثم يتم جمع المعلومات و تحليلها ،و عرضها، و استخدامها، الأمر الذي ينمي مهارات التعلم التعاوني بين المتعلمين(30).

7_ **تنمية مهارات الاتصال**:حيث تمتلك الأجهزة التكنولوجيا العديد من التطبيقات القادرة على تنمية مهارات الاتصال، سواء على المستويات المحلية أم الدولية، مما يتيح لهم الاتصال بأقرانهم و زملائهم بغية تبادل الخبرات فيما بينهم(31).

8_ **تدريب الطلاب على مهارات المعلومات**:و هذه هي الميزة الأولى للوسائل التكنولوجيا و هي تخزين و استرجاع و معالجة و نقل البيانات بأشكالها المختلفة، الأمر الذي يساهم في تدريب الطلاب على مهارات استرجاع، بث، و معالجة المعلومات.

و نخلص إلى أن استخدام التكنولوجيا في تعليم اللغة العربية له دور فعال في جميع مباحثها.

فتمرير فلم فيديو عن ظاهرة ما في حصة التعبير الكتابي يكون له الأثر البالغ بل و يثير الدافعية لدى المتعلمين في أن يبدعوا في تحرير مواضيعهم.

و استخدام نظام الباويربوانت PAWERPOINT في عرض حصص القواعد بطريقة المشجرات يكون له أثر ايجابي على نفسية المتعلم و على ذاكرته و استيعابه، على أن يكون المدرس متمكنا في استخدام هذه التكنولوجيا و يجيد التحكم فيها بحيث لا يتركها تصرف انتباه المتعلمين إلى خارج الدرس.

## الخاتمة:

إن الجهود المكثفة التي بذلتها الجزائر في الميدان التربوي خلال السنوات الماضية بغية تطوير اللغة العربية و ازدهارها، تلزمنا إلى ضرورة مواكبة الأساليب الحديثة في التربية و التعليم، و كذا استهداف المعلم بصفته عنصرا مهما في العملية التعليمية و إعادة النظر في عملية تأهيله و هذا بخلق بيئة مناسبة لأداء وظيفته التربوية و تفعيل دوره ،و إعادة مراجعة المناهج و التخطيط لها بشكل مستمر إلى جانب الاهتمام بالتكوين المستمر لجميع المنتسبين إلى الميدان التربوي.

هذا إلى جانب العمل الدؤوب الذي يميز الحركات الإصلاحية المتعاقبة في الميدان التربوي من أجل إرساء مفاهيم الهوية و الوطنية و التي لا تتأتى إلا باللغة الرسمية للدولة الجزائرية ألا و هي اللغة العربية.

## توصيات:

نرى أنه من الواجب علينا أن نوصي بـ:

- استثمار ما أقرته منظمة اليونسكو بجعل يوم 18 ديسمبر يوما عالميا للغة العربية ،وذلك بدفع المؤسسات التربوية على استغلال هذه المناسبة بإحيائها بما تراه مناسبا لمستوى التطلعات.

- السعي إلى تعريب الجامعة الجزائرية فيما يخص العلوم التكنولوجية و الطبية و تشجيع البحث العلمي باللغة العربية.

- نبذل قصارى الجهود لتطوير أساليب ووسائل التعليم و استخدام الوسائل الحديثة .

- العمل على تنمية المهارات المرتبطة بتعلم اللغة العربية بما يتطابق و المعايير العالمية.

- تدعيم ترجمة الأعمال العالمية و الأدبية إلى اللغة العربية و الاستفادة من التجارب العالمية.

و أخيرا أظن أننا بلغنا مرحلة من الوعي صار يتحتم علينا الذهاب فيها إلى أكثر من هذا و ذلك باستصدار قوانين ملزمة و سن التشريعات من طرف الجهات المعنية المسئولة تنظم صيرورة تطور اللغة العربية و تقدمها ،و لا نملك الآن إلا أن نقول ونعيد و لا نمل من التكرار أن ازدهار اللغة العربية يرتكز أساسا على حب أهلها لها و الدفاع المستميت عنها و التضحية من أجلها.

**الهوامش**:

1 - عبد العزيز بن عثمان التويجري - **حاضر اللغة العربية** – التصفيف و التنضيب و السحب في مطبعة الايسيسكو )الرباط _ المملكة المغربية _ ص 15

2 - **النظام التربوي و المناهج التعليمية** ،إصدارات المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم2004 ص 56

3 – علي أحمد مذكور - **فنون تدريس اللغة العربية** – دار الشواف للنشر و التوزيع – مصر 1991 ص 8

4 – أحمد طاهر حسنين، أنس عطية الفقي – **اللغة العربية** 2007 – المكتبة العالمية للنشر و التوزيع – القاهرة ص45

5 – علي أحمد مذكور – **مرجع سابق** _ ص 62

6 – الدوسري، ابراهيم المبارك-**إطار مرجعي للتقويم التربوي**-مكتبة التربية العربية لدول الخليج ط3 2000 ص101

7-صالح بلعيد-**اللغة الجامعة**- منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2015م ص83

8-عبد القادر فضيل-**المدرسة الجزائرية حقائق وإشكالات**- جسور للنشر والتوزيع الجزائر 2000 م ص27

9-خولة طالب الإبراهيمي-**الجزائريون والمسالة اللغوية**-دار الحكمة الجزائر ص136

10-عبد الرزاق قسوم-**تأملات في أهداف المدرسة الأساسية**-مجلة التربية وزارة التربية والتعليم الأساسي الجزائر مارس/ ابريل1982م العدد2ص13

11-عبد الكريم غريب-استراتيجيات الكفايات وأساليب تقويم الجودة-ط الدار البيضاء 2003م منشورات دار التربية ص63

12-الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية،العدد4 **القانون التوجيهي للتربية الوطنية2008مص9**

13-مجلة جامعة العدد7 ص308

14-ابن خلدون-**المقدمة**-المجلد الثاني تحقيق عبد الله محمد الدرويش ط1 2004م دار البلخي دمشق ص388

15-علي احمد مذكور-**نظريات المناهج التربوية**-دار الفكر العربي ص279-278

16-فاطمة موسى خالدي-**مستوى توظيف معلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية للمستحدثات التكنلوجية في ضوء الجودة الشاملة**-رسالة ماجيستير جامعة غزة كلية التربية 2012م ص50

17- محمد حسن المرسي، سمير عبد الوهاب – **قضايا تربوية حول تعليم اللغة العربية** – مكتبة نانسي – دمياط _ ص230_231

18 – بوسعدة قاسم ،اسلام بوجمعة – **مقال إعداد المعلم في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة** – ملتقى التكوين بالكفايات – جامعة قاصدي مرباح –ورقلة – ص 252

19 - المرجع نفسه ص 254

20 – سعيد طه ، محمود أبو سعود _ **خطة إعداد المعلم و مواجهة تحديات المستقبل** – مجلة دراسات تربوية و نفسية _ العدد 67 أبريل 2010ص 77 _78

21 – الفتلاوي سهيلة - **المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل** – در الشروق للنشر و التوزيع _ عمان _ ص176

22 – اليونسكو – **التجديدات في التربية العلمية** – المجلد الثاني – عمان – الأردن 1988 ص 33

23 - الفرجاني،عبد العظيم-**التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية**-دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ص 12

24- صلح الدين عرفة محمود - ص المرقمة بحرف "د" بالمقدمة سلسلة المنهج الدراسي الكتاب الأول **مفهومات المنهج الدراسي و التنمية المتكاملة في مجتمع المعرفة** - طبعة عالم الكتب- الطبعة الأولى 1427ه -2006م .

25-النجار،إياد،الهرش وآخرون-**الحاسوب وتطبيقاته التربوية**-الاردن2002م ص302

26-عبد الباسط،حسين محمد-**التطبيقات والأساليب الناجحة لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في تعليم الجغرافيا**-مجلة التعليم وجهة النظر التكنولوجية والبشرية العدد الخامس ص50

27-عفانة عزو والخزندارنائلة-**أساليب تدريس الحاسوب**-ط1 2005غزة ص58

28-سرايا عادل-**اثر برنامج تدريبي في تنمية بعض كفايات تكنولوجيا التعليم اللازمة لمعلمي التعليم الثانوي**- مجلة تكنولوجيا التعليم الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم المجلد 11 الكتاب الاول2007ص46

29- فاطمة موسى الخالدي **رسالة ماجستير** مرجع سابق ص67

30-سلامة عبد الحافظ، وأبو ريا محمد- **الحاسوب في التعليم** – عمان 2002م ص236

31-عفانة عزو **أساليب تدريس الحاسوب** – مرجع سابق ص

# توصيات الملتقى الوطني حول:

# ازدهار اللغة العربية: الآليات والتحديات

بتاريخ 19 و20 أفريل 2017 بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة انعقد الملتقى الوطني الأول "ازدهار اللغة العربية- الآليات والتحديات" بحضور نوعي ورسمي تمثل في:

- السيد معالي وزير الثقافة، وزير العلاقات مع البرلمان بالنيابة.
- السيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف، وزير المجاهدين بالنيابة.
- السيد نائب رئيس مجلس الأمة
- ممثلي الدرك والأمن الوطنيين.

وبعد أربع جلسات علمية وورشة واحدة، تخللها نقاش واسع تمحور حول السبل الكفيلة بتطوير اللغة العربية في المجالات: التربوية، والإعلامية، والإدارية، والثقافية، والعلمية.

وبناء على المادة الثالثة من الدستور، التي تحدد مهام المجلس الأعلى للغة العربية، ولاسيما العمل على ازدهار اللغة العربية.

وتجسيدا لمنهجية العمل التي تشرك القطاعات ذات العلاقة بالشأن اللغوي، من وزارات وشركاء اجتماعيين وجامعات، وصولا إلى تحقيق الازدهار اللغوي.

اجتمعت لجنة التوصيات المكوّنة من:

أ.د. يوسف وغليسي جامعة قسنطينة

د. محمد حاج هني جامعة الشلف

د. جميلة روقاب جامعة الشلف

والتي أوصت ما يأتي:

**1-** تثمين أعمال هذا الملتقى، وما دار فيه من نقاش علمي هادف عالج الإشكاليات المطروحة.

2- توسيع محاور وإشكاليات هذا الملتقى الوطني، والارتقاء به إلى مؤتمر دولي يعالج إشكالية الأمن اللغوي، وسبل تحقيقه.

3- تعميق البحث في القضايا الوثيقة الصلة بازدهار اللغة العربية وتطويرها، في شقيه التنظيري والتطبيقي.

3- فتح ورشات عمل تضم المختصين والمهتمين بترقية اللغة العربية بين عدة مجالات: التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، الإعلام والاتصال، والثقافة؛ لمناقشة السبل الكفيلة بضمان المناعة اللغوية للمتكلم؛ وصولا إلى ازدهار نوعي للغة العربية.

4- العمل على تطوير استخدام اللغة العربية، وتعميم استعمالها في القطاعات الاقتصادية والإدارية والتقنية.

5- تشجيع ترجمة الكتب والأبحاث والمقالات والنصوص الأجنبية إلى اللغة العربية، ونشرها بشتى الطرائق، ورقيا أو رقميا؛ في سبيل خدمة العربية، وجعلها مواكبة للتطور والازدهار الفكري والحضاري.

6- وضع القواميس المدرسية التي تشتمل على الرصيد اللغوي الوظيفي، المتضمنة الألفاظ والمسكوكات المرتبطة بقوة اقتراح وقبول الاستعمال.

7- ضرورة تفعيل دور اللغة العربية في مجال المعالجة الرقمية للعربية؛ بما يتناسب وأنظمتها: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وتكييف نظم البرمجيات الحاسوبية وفق معطيات الذكاء الصناعي.

هذا وتنوه اللجنة بضرورة تكثيف مثل هذه الملتقيات العلمية للتجسيد الفعلي لازدهار اللغة العربية قوة وفعلا.



المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر

الهاتف : 25/ 213.021.23.07.24 الناسوخ : 213.021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz
البريد الإلكتروني : manchourat.csla@gmail.com